

الروض الاليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الروضُ الأثَرُ

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المنوفى ٢١٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

مكتبة ابن تيمية

حي الشجر

٦٨٧٧٠١٤، ت

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ١٠٤٢٤٠٨٦

۲۱۹۹۰ - ۲۱۴۱۰

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد
صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي ، والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

عمرة القضاء

في ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع ومُجَادَيْنَ ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً ، ييمت فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً مُحَرَّةً القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوف بن الأضبط الدبلى .

ويقال لها عمرة القصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة ، في الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع .

وبلقنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّه معه في عُمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحذّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عُسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن ابن عباس ، قال : صَفّوا له

عند دار الندوة لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ اضْطَمَعَ بَرْدَانُهُ ، وَأَخْرَجَ عَصْدَهُ الْبَيْتِي ، ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَاهُمَ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً ، ثُمَّ اسْتَلِمَ الرُّكْنَ ، وَخَرَجَ يَهْرُولُ وَيَهْرُولُ أَصْحَابُهُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي ، مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ ، ثُمَّ هَرُولَ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ ، وَمَشَى سَائِرَهَا . فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَنَعَهَا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى إِذَا حَجَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ فَلَزَمَهَا ، فَضَمَّتِ السَّنَةَ بِهَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي تِلْكَ الْعُمْرَةِ دَخَلَهَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَخَذَهُ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ يَقُولُ :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَلِيرِ فِي رَسُولِهِ .
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَامِهِ أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ .

* * *

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ .
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ » إِلَى آخِرِ الْأَبْيَاتِ ، لِعَمَّارِ بْنِ يَامِرٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ رَوَاحَةَ إِذَا أَرَادَ الْمُشْرِكِينَ

والمُشْرِكُونَ لَمْ يُقِرُّوا بِالنَّزِيلِ ، وَإِنَّمَا يُقْتَلُ عَلَى التَّأْوِيلِ مِنْ أَقَرِّ النَّزِيلِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح وبجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حوَيْطِبُ بنُ عبيد المُزَيَّ بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وگلتها بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فأخرج عنا ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعزست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فأخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ، أتاه بها بِسَرَفٍ ، فبني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذي الحجة .

قال ابن هشام : أنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة :
﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ
شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَأْمُرُوا ،
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ يعني خبير .

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة
قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ،
والحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين
أُصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى
سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أُصيب زيد فجعفر بن
أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فجهز الناس ثم تهيأوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم
ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع
عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛
فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أماً والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صباية
بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله

عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ مريم : ٧١ ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ ، فَقَالَ الْمَسْلُومُونَ : صَحِّبْكُمْ اللَّهُ وَدْفَعْ عَنْكُمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ :

لَسَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةَ ذَاتِ قَرْعٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَافِقَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجْهِزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيِّدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدْنِي أُرْشِدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنْ الْقَوْمُ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ ، فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَدَّعَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

فَتَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مَوْسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ
فَتَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ فِي الْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً فِرَاسَةً خَالَقَتْ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا

يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ؛ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتَهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض اللبلاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لحم وجذام والعَيْن وبهراء وبلية مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلي ثم أخذ إراشة ، يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليأتين . فسكروا في أسرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بمدد عدونا ، فإما أن يمددنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأسره ، فنمضى له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكبرهون ، التي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنا هي إحدى الحسينيين ، إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة في تحبسهم ذلك :

جَلَبْنَا الْخَلِيلَ مِنْ أَجَاٍ وَفَرَجٍ تُفَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِنْبَا أزلَ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتِ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَرَّتْهَا جُحُومُ

فَرُّحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنْفَسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّمُومُ
فَلَا وَابِي مَابَ لَتَأْتِيَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَمَّأْنَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
بَذَى لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَّتْ قَوَانِسُ النُّجُومُ
فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَقَتْهَا أَسْنَتَهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَنِيمُ

قال ابن هشام : « ويروى : جالبنا الخليل من آجام قُرَح » ، وقوله :
« فَعَمَّأْنَا أَعْنَتَهَا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث
عن زيد بن أرقم ، قال : كنت بقميا لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي
في سفره ذلك مُرَدِّفِي عَلَى حَقِيبَةِ رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو
ينشد أبياته هذه :

إِذَا أَدْبَنْتَنِي وَحَمَلَتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدَ الْحِجَاءِ
قَشَانُكَ أَنْعَمَ وَخِلَاكِ ذَمٍّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأَيْ
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُسْتَنْهِي النَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ
هَذَا لَكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٍ وَلَا تَخْلُ أَسَافُلَهَا رِوَاءِ

فلما سمعتهن منه بكيت . قال : نَحَقَّقْنِي بِالذَّرَّةِ ، وقال : ما عليك بالسَّكَمِ

أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ شَهَادَةً وَتَرْجَعَ بَيْنَ شُعْبَتَيْ الرَّخْلِ !

قال : ثم قال عبد الله بن ربيعة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَمَمَاتِ الذُّبُلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَأَنْزِلِ

لقاء الروم

قال ابن إسحاق : ففضى الناس ، حتى إذا كانوا بتُخُومِ الْبُلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ
جُمُوعُ هِرَاقِلَ ، مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ ، بَقَرِيَّةٌ مِنْ قُرَى الْبُلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا مَشَارِفُ ،
ثُمَّ دَنَا الْعَدُوَّ ، وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مَوْتَةٌ ، فَالتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا ،
فَتَعَبَّأَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَجَعَلُوا عَلَى مِيمَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، يُقَالُ لَهُ : قُطَيْبَةُ-
ابْنُ قَعَادَةَ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ عُبَادَةُ بْنُ مَالِكٍ .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق : ثُمَّ التَقَى النَّاسُ وَاقْتَعَلُوا ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بَرَابَةَ-
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ .

إمارة جعفر ومقتله

ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا ، حَتَّى إِذَا أَلْجَمَ الْقِتَالُ اقْتَبَحَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ ،
فَعَقَّرَهَا ، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قَتَلَ . فَكَانَ جَعْفَرُ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
عَقَّرَ فِي الْإِسْلَامِ .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال :
حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مُرَّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة ،
غزوة مُؤْتَةَ قال : والله لَسَكَانِي أَنْظِرَ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ
شِقْرَاءَ ، ثُمَّ عَقَرَهَا ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُول :

يَا حَبِّـذَا الْجَنَّةَ وَاقْتَرَبَاهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابَهَا
وَالرُّومُ رَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَى إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب
أَخَذَ اللِّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ ، فَاحْتَضَنَهُ بَعْضُ ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ .
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَأَنَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ .
يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ . وَيُقَالُ إِنْ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً ، فَقَطَعَهُ .
بِخَصْفَيْنِ

استشهاد جعفر وابن رواحة

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد
قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مُرَّة بن عوف ، قال : فلما
قُتِلَ جَعْفَرُ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ،
فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضُ التَّرَدُّدِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّكَ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّكَ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّثَّةَ مَالِي أُرَاكِ تَسْكِرْ هَيْنَ الْجَنَّةِ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْمَةٌ فِي سَنَةِ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا يَحَامِ الْمَوْتَ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَعْمَلِي فِئْلَهُمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرأ ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاها ابن عم له بقرق
من لحم فقال : شُدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه مالمقيت ،
فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسةً ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس ، فقال :
وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتمدَّم ، فقاتل حتى قُتل .

عمل خالد

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يامعشر المسلمين
اصطالحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطالح الناس
على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز
وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث

قال ابن إسحاق : ولما أُصيب القوم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،
فيما بلغني : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ؛ ثم أخذها

جعفرٌ فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنُّوا أنه قد كان في عبدِ الله بنِ رَوَاحَةَ بعضَ ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبدُ الله بنِ رَوَاحَةَ ، فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رُفِعوا إلى في الجنة ، فيما يرى النَّائم ، على سُرُرٍ من من ذهب ، فرأيت في سرير عبدِ الله بنِ رَوَاحَةَ ازوراراً عن سريري صاحبيته ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقل لي : مَضِيَا وتردد عبدُ الله بهض التردد ، ثم مضى .

حزن الرسول على جعفر

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أُصيب جعفرٌ وأصحابه دخل على رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دبغتُ أربعين منّا - قال ابن هشام : ويروى : أربعين منيثة - وعجنت عجيني ، وغسلت بنيّ ودَهَنَهم ونظفَتهم . قالت : فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اثنييني بيني جعفر ، قالت : فأثنته بهم ، فقصَّتهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، ما يُبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقامتُ أصبح ، واجتمعتُ إلى النساء ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لا تُعَفِّلوا آلَ جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نفي جعفر عَرَفَنَا في وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ،
إن النساء عَنَيْنَا وَفَتَنْنَا ، قال : فارجع إليهن فَأَسْكِنِي . قالت : فذهب
ثم رجع ، فقال له مثل ذلك - قال : تقول وربما ضرت التـكـلـف أهله - قالت :
قال : فاذهب فَأَسْكِنِي ، فإن أبينَ فاحثُ في أفواههن التراب ، قالت :
وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يخشى
في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ الْمَذَرِيُّ ، الذي كان على
مِثْمَنَةِ الْمَسْلُومِينَ ، قد حمل على مالك بن رافلة فقتله ، فقال قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ :

طَعَنْتُ ابْنَ رَافِلَةَ بْنِ الْإِرَاشِ شِشَ بَرْمُوحٍ مَخْنَى فِيهِ ثُمَّ انْخَطَمَ
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَسَالَ كَمَا مَالَ غَصْنُ السَّلَمِ
وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ غَدَاةَ رُقُوقَيْنِ سَوَقَ الدَّعَمِ
قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .
والبيت الثالث عن خَلَادِ بْنِ قُرَّةٍ ؛ ويقال : مالك بن رافلة :

كاهنة حدس

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةً من حَدَسٍ حِينَ سَمِعَتْ بِجَيْشِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا ، قد قالت لقومها من حَدَسٍ - وقومها بطن
يقال لهم بَنُو غَنَمٍ - أَنْذِرْكُمْ قَوْمًا خُزْرًا ، يَنْظُرُونَ شِيزْرًا ، وَيَقُودُونَ الْخَلِيلَ
تَثْرَى ، وَيُهْرِبُونَ دِمَاءَ عَسْكَرًا . فَأَخَذُوا بِقَوْلِهَا ، وَاعْتَمَلُوا مِنْ بَيْنِ لَحْمٍ ؛

فلم تزل بعدُ أترى حدَس . وكان الذين صلُّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدَس ، فلم يزلوا قايلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

كيف تلقى الجيش ؟ !

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقَّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيانُ يشتدون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فأحلِّوهم ، وأعطوني ابنَ جعفر . فأُتي بهم الله فأخذهم فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فُرَّار ، فررتَ في سبيل الله ؟ قال : فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرَّار ، ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمِّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أمُّ سلمة لامرأةٍ سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المُغيرة : مالي لأرى سَلَمَةَ يحضر الصلاة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فُرَّار ، فررتَ في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .

شعر قيس في الاعتذار عن تقهقر خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُحاشاته

بالناس وانصرافه بهم ، قيسُ بن المُسَجَّر اليغمري ، يعتذر مما صنع يومئذ
وصنع الناس :

فوالله لا تنفكُ نفسي تلومني على موفني والحيل قابضةٌ قُبُلُ
وَقَفْتُ بها لا مُسَاجِرًا فَنَادَا ولا مانعًا مَنْ كَانَ حُمَ لَهُ الْقَتْلُ
على أننى آسَيْتُ نَفْسِي بِخَالِدٍ ألا خالداً فى القوم كَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضمَّ إلينا حَجَزَتِهِمْ كُلِّهِمَا مهاجرة لا مشركون ولا عَزْلُ

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت ، وحقَّق الحياز خالد بن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أُمِر المسلمون عليهم خالد
ابن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان فى بكاء قتلى مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكِيَ به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

تأوَّبني إيلٌ بيثرب أعسرُ وهم إذا ما نَوَّم للناسُ مُسِيرُ
لذِكْرِى حبيبٍ هَوَّجَتْ لى عَبْرَةَ سَفُوحًا وأسبابُ البكاءِ التَّدَكُّرُ
بلى ، إن فُقدانَ الحبيبِ بليَّةٌ وكم من كريمٍ يُبْتَلَى ثم يَصْبِرُ

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا شَعُوبَ وَخَلَفَاءَ بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُوتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعاً وَأَسْبَابُ النَّبِيَّةِ تَخْطُرُ
غَدَاةَ مَضُوزٍ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّبِيِّ أَزْهَرُ
أَغْرَى كَضُوءَ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبَى إِذَا سَيَّمَ الظُّلُمَةَ مِجْسَرُ
فَطَاعَنَ حَقَّ مَالٍ غَيْرِ مُوسَدِّ لِمُعْتَرِكٍ فِيهِ قَنَا مُتَكَسِّرُ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ قَوَابَهُ جِنَانٌ وَمَلْتَفُ الْخِلْدَانِ أَخْضَرُ
وَكَفَانَا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَفَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عَزٍّ لَا يَزُلْنَ وَمَفْخَرُ
هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلَى وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وَحِزَّةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُقْصَرُ
بِهِمْ تُفَرِّجُ اللَّأْوَاهُ فِي كُلِّ مَآزِقٍ عَمَاسٍ إِذَا مَاضَى بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُسْكَمَهُ عَلَيْهِمْ، وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ

شعر كعب في بكاء قتلى مؤتة

وقال كعب بن مالك :

قَامَ الْعَيُونُ وَدَمْعُ غَيْنِكَ يَهْمِلُ سَحَابًا كَمَا وَكَفَ الطَّبَابُ الْخُضِلُ
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَّتْ عَلَى هُمُومِهَا طَوْرًا أَخِي وَتَارَةً أَعْمَامِلُ

وَاغْتَادَنِي حُزْنٌ قَبِيتَ كَأَنِّي بَيْنَاتِ نَفْسٍ وَالتَّمَائِكِ مُوَكَّلِ
 وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى مَا نَأَوَّيْنِي شِهَابٌ مُدْخَلِ
 وَجُدَا عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمًا بِمَوْتِهِ أُسْنَدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
 صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْتَبِلِ
 صَبَرُوا بِمَوْتِهِ لِلَّهِ نَفْسُهُمْ حَذَرَ الرَّدَى وَخَافَةَ أَنْ يَنْكَأُوا
 فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ فُتِقُوا عَلَيْهِنَ الْحَدِيدُ الْمُرْقَلُ
 إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلَوَانِهِ قُدَّامَ أَوْلِهِمْ فَنِعْمَ الْأَوَّلِ
 حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرُ حَيْثُ النَّمَى وَغُثُ الصُّفُوفِ بِجَدَلِ
 فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لَفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ
 قَوْمٌ عَلا بُغْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرَعَا أَشَمَّ وَسُودُ دَا مَا يُنْقَلِ
 قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ إِلَهُ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلِ
 فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَنَسَكْرُمَا وَتَفَعَّلَتْ أَحْلَامُهُمْ مِنْ يَجْهَلِ
 لَا يَطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حُبَاهُمْ وَيُرَى خَطِيئَتُهُمْ بِحَقِّ يَفْصِلِ
 بَيَاضُ الْوَجْهِ تَرَى بَطُونَ أَكْفَهُمْ تَدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمُسْجِلِ
 وَهَسَدِيهِمْ رَضِيَ إِلَهُ تَخْلِقِهِ وَبِحَدِّهِمْ نُصِرَ النَّبِيُّ الْمُرْسَلِ

شعر حسان في بكاء جعفر بن أبي طالب

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :
 ولقد بكيتُ وعزَّ مهلكُ جعفرِ حُبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُفَاهُ

وأنفذ جزعت وقلت حين نعت لي من للجِلاد لدى العُقاب وظلها
 بالببيض حين تُسلّ من أغمادها ضرباً وإنهال الرماح وعلمها
 بمد ابنِ فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلّها وأجلها
 رُزماً وأكرمها جميعاً متحداً وأعزّها متظلماً وأذلّها
 للحق حين ينوب غير تنحل كذباً ، وأنداهاً بدأ ، وأقلّها
 فُجشاً ، وأكثرها إذا ما يُختدى فضلاً ، وأبذلها ندى ، وأبّلّها
 بالمُعرف غير محمدٍ لامثله حتى من أحياء البرية كلّها

شعر حسان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسان بن ثابت في يوم مؤنة يبكي زيد بن حارثة وعبد الله

ابن رواحة :

عين جودي بدمعك المنزور واذكري في الرّخاء أهل القبور
 واذكري مؤنة وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التنوير
 حين راحوا وغادروا ثمّ زيد نعم مأوى الضربك والمأسور
 حبّ خير الأنام طراً جميعاً سيّد الناس حبّه في الصدور
 ذاك أحمد الذي لاسواه ذاك حزني له معاً وسروري
 إن زيدا قد كان منّا بأمر ليس أمر الكذب المغرور
 ثم جودي للخزرجي بدمع سيّداً كان ثمّ غير نزور
 قد أتنا من قتلهم ما كفانا فبحزن نبيت غير سرور

وقال شاعر من الساهين ممن رجع من غزوة مؤتة :

كفى حزنًا أنى رجعتُ وجفرتُ وزيد وعبدُ الله في رمسٍ أقبرِ
قَضَوْا نَجْمَهُمْ لِمَا مَضَوْا سَبِيلَهُمْ وخُلِّفْتُ لِلْجَلَوَى مَعَ الْمُتَغَيَّرِ
ثَلَاثَةَ رَهْطٍ قَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا إلى وَرْدِ مَكْرُوهِهِ مِنَ الْوَتِ أَحْمَرِ

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة :

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبي طالب رضى الله عنه، وزيدُ
ابن حارثة رضى الله عنه .

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

ومن بنى مالك بن حنبل : وهب بن سعد بن أبي سرح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ،
وعبدُ بن قيس .

ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن
نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بنى مازن بن النجار : سُرَاقَةُ بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف .
ابن مبدول ، وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفضى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد .
ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى .

قال ابن هشام . ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

عمرة القضية

ويُروى أيضاً : عُمرَةُ القضاء ، ويقال لها : عُمرَةُ القِصَاص ، وهذا الاسمُ
أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾
البقرة : ١٩٤ وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسمُ أولى بها ، وسميت عُمرَةُ
القضاء ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قُرُيشاً عليها ، لأنه قضى العُمرةَ
التي صُدَّ عن البيت فيها ^(١) ، فإنها لم تكن قَسَدَتْ بصدِّهم عن البيت ، بل كانت
عُمرةً تامةً مُتَّعِلةً ، حتى إنهم حين حَلَقُوا رؤوسهم بِالْحُلِّ احتَمَتِها الرياحُ ،
فألْقَتْها في الحرم ، فهي مَعْدُودَةٌ في عُمرَةِ النبي - صلى الله عليه وسلم - ومحمد
أربع : عُمرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وعُمرةُ القضاء ، وعُمرةُ الجِعْرَانَةِ ، والعُمرةُ التي

(١) هذا هو الصواب ، لأن الذين صدوا عن المسجد الحرام كانوا ألفاً
وأربعمئة ، وهؤلاء لم يكونوا معه وحده ، في عمرة القضية ، ولو كانت قضاء
لم يختلف منهم أحد . أما قصة الشمر التي سيقصها السهيلي . فهي من الطرائف
لا الحقائق .

قرنها مع حَجَّه في حجة الوداع، فهو أصح القولين أنه كان قارناً في تلك الحجة^(١) . وكانت إحدى عُمره عليه السلام في شَوَّال كذلك روى عُرْوَةُ عن عائشة^(٢) ، وأكثر الروايات أنهم كُنْ كُثْلُن في ذى القعدة إلا التي قرَن مع حجه^(٣) ، كذلك روى الزُّهْرِيُّ ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزُّهْرِيِّ بأنه عليه السلام كان قارناً ، وإن عُمره كُنْ أربعاً بَعُمَرَةَ القِران .

وأما حجَّاته عليه السلام فقد روى التِّرْمِذِيُّ أنه حَجَّ ثَلَاثَ حِجَّاتٍ ثِنْتَيْنِ بِمَكَّةَ ، وواحدةً بِالْمَدِينَةِ وهي حجة الوداع^(٤) ، ولا ينبغي أن يُضَافَ إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سَنَةِ الحج ، وكاله ، لأنه كان مغلوباً على

(١) كان قارناً لأنه «ص» جمع بين الفسكين ، وكان مفرداً باعتبار اقتصاره على أحد الطوافين والسعيين .

(٢) هذا من رواية لمالك في الموطأ أن رسول الله «ص» لم يعتمر إلا ثلاثاً . لإحداهن في شوال واثنين في ذى القعدة ولكنه مرسل ، وهو غلط إما من هشام وإما من عروة . ورواه أبو داود مرفوعاً عن عائشة . ولا يصح رفعه . وبدل على بطلانه قول عائشة وابن عباس وأنس : لم يعتمر رسول الله «ص» إلا في ذى القعدة .

(٣) بل كانت أيضاً في ذى القعدة . لأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان استيالاً بقين من ذى القعدة .

(٤) قال عنه الترمذى : حديث غريب . قال : وسألت محمداً يعني : البخاري - عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري ، وفي رواية : لا يعد هذا الحديث محفوظاً ، وليس له «ص» سوى حجة واحدة .

أمره ، وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم في أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه في كل سنة أحدَ عَشَرَ يَوْمًا ، وهذا هو الذي منع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُحجَّ من المدينة ، حتى كانت مكة دارَ إسلام ، وقد كان أراد أن يُحجَّ مَقْفَلًا من تبوك ، وذلك بِإِثْرِ فَتْحِ مَكَّةَ بِسَيْرٍ ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يُحْجُّون ، ويطوفون عُرَاةً فَأَخَّرَ الْحَجَّ ، حتى تَبَدَّلَ إِلَى كُلِّ ذِي عَمْدٍ عَمْدُهُ ، وذلك في السنة التاسعة ، ثم حج في السنة العاشرة بعد انحاء رُسُومِ الشِّركِ ، وانْحِسَامِ سَيْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ ولذلك قال في حجة الوداع : إِنْ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ .

حكم العمرة :

وَالْعُمْرَةُ وَاجِبَةٌ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُثْمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ ، وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرؤها : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ بِالرَّفْعِ لَا يَعْطِفُهَا عَلَى الْحَجِّ ، وَقَالَ عطاء : هِيَ وَاجِبَةٌ إِلَّا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَبَكَرَهُ مَالِكٌ أَنْ يَغْتَمِرَ الرَّجُلُ فِي الْعَامِ مَرَارًا ، وَهُوَ قَوْلُ الْحُسَيْنِ وَابْنِ سِيرِينَ ، وَجَهْلُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْإِبَاحَةِ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالُوا : يَعْتَمِرُ الرَّجُلُ فِي الْعَامِ مَا شَاءَ ^(١) .

(١) حقق الإمام ابن القيم هذه المسألة ، وانتهى إلى نتيجة هي أن المسلم يجوز له أن يعتمر في العام ما شاء ، فانظر ص ٣٦٣ وما بعدها > ١ زاد المعاد .

تفسير شعر عمار :

وذكر قول عبد الله بن رَوَاحَةَ وهو أَخَذَ نَخِطَامَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

خَلَّوْا بَنِي السُّكْفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ^(١)
وَيُرْوَى الْيَوْمَ أَنْضَرِيَكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ بِسُكُونِ الْبَاءِ ، وَهُوَ جَائِزٌ
فِي الْفَرُورَةِ نَحْوَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحِقِّهِ^(٢)

وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ جَائِزاً فِي السُّكْلَامِ إِذَا اتَّصَلَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ ، فَقَدْ رَوَى
عَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ﴿بِأَمْرٍكُمْ وَيَنْصُرُكُمْ﴾ وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ الْآخِرَانِ
هَذَا لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ ، كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ، قَالَهُمَا يَوْمَ صِفِّينَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ
فِيهِ عِمَارٌ ، قَتَلَهُ أَبُو الْغَزَادِيَةِ الْفَزَارِيُّ وَابْنُ جَزْءٍ اشْتَرَكَ فِيهِ .

حكم الزواج للمحورم :

فصل : وذكر تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لميمنة بنت

(١) يعني : إنكار تنزيله .

(٢) رواية البيت في اللسان هكذا :

فَالْيَوْمَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحِقِّهِ لَأَعْمَأْ مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلِ

الحارث الهلالية، وأُمُّها هِنْدُ بنتُ عَوْفٍ السِّكَنَانِيَّةُ إلى آخر قصتها ، وفيه أن حَوْطِطَ بنَ عَبْدِ الْعُزَّى ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث : أَخْرِجْ عَنَا ، وقد كان أراد أن يَبْتَدِيَ بِمَيْمُونَةَ في مكة ، وَيَصْنَعَ لَهُمْ طَعَامًا ، فَقَالَ لَهُ حَوْطِطٌ : لَا حَاجَةَ لَنَا بِطَعَامِكَ فَأَخْرِجْ عَنَا ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَا عَاذًا بِبَطْنِ أُمِّهِ أَرْضُكَ وَأَرْضُ أُمِّكَ ؟ هِيَ دُونُهُ ؟ ! فَاسْكَنَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَخَرَجَ وَفَاءً لَهُمْ بِشَرْطِهِمْ ، وَابْتَدَى بِهَا بِسْرِفٍ ، وَبَسْرِفٍ ، كَانَتْ وَقَاتُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ مَاتَتْ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ : سَنَةَ سِتِّ وَسِتِّينَ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَبَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِ ، وَكُلَاهَا ابْنُ أُخْتٍ لَهَا ، وَيُقَالُ : فِيهَا نَزَاتُ : ﴿ وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ الْأَحْزَابُ : ٥٠ فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاطِبَ جَاءَهَا ، وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا ، فَقَالَتْ : الْبَعِيرُ وَمَا عَلَيْهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَزْوِيجِهِ بِأَيَّاهَا أَمْ كَانَ مُحْرِمًا أَمْ حَلَّالًا ، فَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا مُحْرِمًا ، وَاحْتَجَّ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِي تَجْوِيزِ نِكَاحِ الْمُحْرِمِ ، وَخَالَفَهُمْ أَهْلُ الْحِجَازِ ، وَاحْتَجُّوا بِنَهْيِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَنْ يُنْكَحَ الْمُحْرِمُ أَوْ يُنْكَحَ ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِيهِ : أَوْ يُخْطَبُ ^(١) مِنْ رِوَايَةِ مَالِكٍ ، وَعَارَضُوا حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِحَدِيثِ يَزِيدِ ابْنِ الْأَصَمِّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَّالٌ ^(٢) وَخَرَجَ

(١) رِوَايَةُ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَمَانَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لَا يُنْكَحُ الْمُحْرِمُ ، وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يُخْطَبُ ، وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَالْمَوْطَأِ وَالسَّنَنِ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الدَّارَقُطْنِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ ، وَهُوَ حَلَالٌ . وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ ضَعِيفٍ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ كَرَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَفِي مَسْنَدِ الْبَزَّازِ مِنْ
حَدِيثِ مَسْرُوقٍ وَعَاشِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَاحْتَجَّتْ ، وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَإِنْ لَمْ تَذْكُرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ
مَيْمُونَةَ ، فَتَنكَّاحُهَا أَرَادَتْ ، وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَخَرَجَ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ ، وَلَا غَيْرُهُ ، وَرَوَى عَنْ سَمْعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : غُلِطَ
ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْ قَالَ وَهَيْمٌ ، مَا تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ حَلَالٌ ،
وَلَمَّا أَجْمَعُوا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَزَوَّجَهَا مُحْرَمًا ،
وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ غَيْرَ ذَلِكَ اسْتَعْرَبْتُ اسْتَعْرَابًا شَدِيدًا مَا زَوَّاهُ
الدَّارَقُطْنِيُّ فِي السُّنَنِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ يَتِيمِ عُرْوَةَ ، وَمِنْ طَرِيقِ بَطْرِ
الْوَرَّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ
مَيْمُونَةَ ، وَهُوَ حَلَالٌ ، فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ مُوَافِقَةٌ لِرَوَايَةِ غَيْرِهِ ، فَقَفَّ عَلَيْهَا ،
فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ شَيْوْخِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ مَنْ يَقُولُ
ابْنُ عَبَّاسٍ : تَزَوَّجَهَا مُحْرَمًا ، أَيْ : فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَفِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، وَذَلِكَ
أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ ، فَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يُرِدِ الْإِحْرَامَ
بِالْحَجِّ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرَمًا وَدَعَا قَلَمَ أَرَمٍ مِثْلَهُ مَحْدُولًا

وذلك أن قتله كان في أيام التشريق^(١) ، والله أعلم أ أراد ذلك ابن عباس ، أولا .

غزوة مؤتة

وهي مهبوزة الواو ، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام ، وأما المؤتة - بلا همزة ، فمضرب من الجنون ، وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول في صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشمر ، ونفخه : السكر ، وهمزه : المؤتة .

تفسير (وإيه منكم إلا واردة) :

ذكر في هذه الغزوة قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مريم : ٧١ : فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد التورود ، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال ، منها أن الخطاب متوجه إلى الكفار على الخصوص ، واحتج قائلوه — هذه المقالة بقراءة ابن عباس : وإن منهم إلا واردة^(٢) ، وقالت طائفة : التورود ههنا هو الإشراف عليها ومعاينتها .

(١) يقال : أحرم الرجل إذا عقد الإحرام ، وأحرم : إذا دخل في الشهر الحرام ، وإن كان - لالا .

(٢) لا يصلح هذا القول ، فالخطاب للإنسان ، بدليل قوله سبحانه (ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) .

وَحَكَّوْا عَنِ الْعَرَبِ : وَرَدَّتْ الْمَاءَ ، فَلَمْ أَشْرَب . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الْوُرُودُ
هُمَّنَا هُوَ الْوُرُودُ عَلَى الصَّرَاطِ ، لِأَنَّهُ عَلَى مَتْنٍ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَرَوَى أَنَّ
اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِيهَا ، ثُمَّ يَنَادِي مُعَادٌ : خُذِي
أَصْحَابَكَ وَدَعِي أَصْحَابِي ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الْوُرُودُ أَنْ يَأْخُذَ الْعَبْدُ بِحُظٍّ مِنْهَا ،
وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِالْحُمَمِيَّاتِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
الْحُمَى كَبِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، وَهُوَ حُظٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ ^(١) .

شرح شعير ابن ربيعة :

وذكر شعير عبد الله بن ربيعة وفيه :

تقر من ^(٢) الحشيش لها العُكُوم

تقر: أى يجمع بعضها إلى بعض ، والعُكُوم : جمع عِكَم ^(٣)

وفيه :

من الغبار لها برسيم ^(٤)

(١) أما نظم الآية فيؤكد الورد لكل بر وفاجر ، غير أن آيات إنجاء
المؤمنين منها ، والقطع في القرآن بأنهم لن يمدبوا فيها آيات كثيرة . ولهذا يجب أن نفهم
في الورد هنا أنه ليس دخولاً فيها وهى تكاد تتميز من الغيظ ، وإنما هو أشبه
شيء بالإشراف عليها وشهودها والله أعلم .

(٢) هى فى السيرة : تقر . وفسرها الحشنى بقوله : أى تطعم شيئاً بعد شيء ، وفى
البداية لابن كثير : تمر بفتح التاء وضم العين .

(٣) فسرهما الحشنى بأنها الجيوب .

(٤) فى السيرة : الغبار لها برسيم .

البريم : خيطة تختزِمُ به المرأة ، والبريم أيضاً : لقيفُ الناس ،
وأخلاقهم ، ويقال : هم بريمان ، أى لؤنان مُخْتَلِطَان .

أوفيه :

أقامتْ كَيْلَتَيْنِ هَلِ مَعَانِ

قال الشيخ أبو بحر : مَعَانِ بضم الميم ، وجدته في الأصلين ، وأصلحه عاينا
القاضي - رحمه الله - حين السماع : مَعَانِ بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره
البكري بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضاً : حيث تُخْبَس الخيل
والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أُمَعْنَتُ النظر ، أو من الماء
المَعِين ، فيكون وزنه فعلاً ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه
مفعلاً ، وقد جَنَسَ المَعْرَى بهذه الكلمة ، فقال :

مَعَانٌ مِنْ أَحَبَّتْنَا مَعَانٌ تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهَا الْقِيَانُ^(١)

وقوله :

فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا

(١) البيت من أول قصيدة له في سعة الزند. ومعان الأولى موضع والآخرة:
المنزل . تقول العرب : الكوفة معان منا أى منزل . والمعنى : إن هذا الموضع
الذى يقال له معان : هو منزل أحببتنا ينزلون به ، ولهم خيول تصل ، وقيان
تغنى ، وكان المغنيات تهيب الخيل . ويقصد أنهم ملوك عديم أداة الحرب ،
وأسباب الرفاهية. أنظر ص ٥٤ من شرح التنوير على سعة الزند ط ١٣٢٤ هـ .

أى : المعيشة المرصية ، وبنائها على فاعلة ، لأن أهلها راضون ، لأنها
في معنى صلاحية ، وقد تقدم طرف من القول في هذا المعنى .

وقوله : وخَلَاكَ ذَمٌّ ، أى : فارقك الذمُّ ، فاست بأهل له ، وقد أحسن
في قوله :

فَشَأْنُكَ أَنْعَمٌ وَخَلَاكَ ذَمٌّ

بعد قوله : إِذَا بَلَغْتَنِي ^(١) ، وأحسن أيضاً مَنْ اتَّبَعَهُ في هذا المعنى ، كقول
أبي نواس :

وَإِذَا أَلْمَطْتُ بِنَا بَلَغَنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامٌ
وكقول الآخر :

نَجَوْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ رِحْلَةٍ يَا نَاقُ إِنِّ قَرَّبْتَنِي مِنْ قَتْمٍ ^(٢)
وقد أساء الشماخ حيث يقول :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحِيلِي عَوَابَةً فَاشْرَقِي بَدَمَ الْوَتِينِ ^(٣)

(١) في السيرة : أدبتني .

(٢) البيت لداود بن سلم التيمي يمدح قثم بن العباس ومنها خمسة أبيات في
في ذيل الأمالى للقالى ص ١٢٩ ط ٢ ومنها :

أصم عن قول الغنائم فيه وما عن الخير به صدم
(٣) يمدح عرابة بن أوس . وغرضه أنه لا يبالي لأن الممدوح يحمله
ويعطيه . وانظر ص ٢١٩ سهط اللآلئ ففيها الموازنة بين هذه الأبيات .

وبذكر عن الحسن بن هانئ أنه كان يشنؤه إذا ذكر هذا البيت ،
وذكر مهمل بن يموت بن المزرع عن أبي تمام أنه قال : كان الحسن يشنؤه
الشماخ ، وأنا أئمنه من أجل قوله هذا .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للغفارية : بئس ما جزيتيها ^(١) يشد
الغرض المقتدّم ، ويشهد لصحته .

وقوله : مُسْتَهَيَّ النَّوَاء : مُسْتَفْعِلٌ مِنَ النَّهْيَةِ وَالْإِنْهَاء ، أى حيث انتهى
منوّاه ، ومن رواه : مُسْتَهَيَّ النَّوَاء ، أى لا أريد رجوعا .
وقوله :

جَذُونَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِنْبَتًا ^(٢)

أى جذوناهما نعالاً من حديد جعله سنبتاً لها ^(٣) ، مجازاً . وصوّان من
الصّون ، أى : بصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعّال
من الصّون ، فقد كانوا يخذونها السّريع وهو جلد بصون أخفافها ، وأظهر
من هذا أن يكون أراد بالصّوّان يبيس الأرض ، أى لا سنبت له إلا ذلك ،
ووزنه فعّالان من قولهم : نَحْلَةٌ خَاوِيَةٌ أى يابسة ، وأنشد أبو علي :

(١) هاجرت الغفارية إليه من مكة على ناقة ، فقات : إن نذرت إن بلغت
إليك أن أنحرها .

(٢) عيب السهيل أنه لا يرتب في شره . فهو ينتقل من قصيدة إلى أخرى ،
ثم يعود إلى التي تركها .

(٣) السبت : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة .

هَذَا وَبَيْتُ كُلِّ مَاءٍ قَهَى صَاوِيَةً [مَهْمَا تُصِيبُ أَفْقَامُنْ بَارِقِ تَشْمِ] (١)

ويشهد لمعنى الصَّوَّانِ هنا قول النابغة الذبياني :

بَرَى وَقَعُ الصَّوَّانِ حَدَّ نُسُورِهَا [فَهِنَّ لَطَافٌ كَالصَّعَادِ الذَّوَابِلِ]

وعينُ الفعلِ في صَوَّانٍ ولا مِهَ واو ، وأدخل صاحبُ العينِ في باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ ، فقال : صَوِيَّ يَصَوِي : إِذَا يَبْسُ ، وَنَحْلَةٌ صَاوِيَةٌ ، ولو كان مما لامه ياء ، لقال في صَوَّانٍ صَيَّانٌ ، كما قيل طَيَّانٌ وَرَيَّانٌ ، ولكن لما انقلبت الواوُ ياءً من أَجْلِ الكسرة تَوَهَّم الحرفَ من ذَوَاتِ الياء وقول عبد الله :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْقَةٌ فِي شَنْةٍ

النُّطْقَةُ : القليلُ من الماء ، والشَنْةُ : السَّعَاءُ البالي ، فيُوشِكُ أَنْ تَهْرَاقَ النُّطْقَةُ ، وَيَنْخَرِقَ السَّعَاءُ ، ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِنَفْسِهِ فِي جَسَدِهِ .

عقر جعفر فرسه ومقتدر :

وَأَمَّا عَقْرُ جَعْفَرٍ فَرَسَهُ ، وَلَمْ يَعِْبْ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَدَلَّ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ إِذَا خِيفَ أَنْ يَأْخُذَهَا الْعَدُوُّ ، فَيَقَاتِلُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ هَذَا فِي بَابِ النَّهْيِ عَنْ تَعْذِيبِ الْبَهَائِمِ ، وَقَعَلَهَا عَبْنًا . غَيْرَ أَنَّ أَبَا دَاوُدَ خَرَّجَ هَذَا الْحَدِيثَ ،

(١) البيت لساعدة يصف بقر وحش . والنحلة الصاوية التي إذا عطشت

ويبست وضمرت .

فقال : حدثنا الثَّقَلِيُّ قال : حدثنا محمد بن مَسْلَمَةَ عن محمد بن إسحاق عن ابن عِبَّاد يعني : يحيى بن عِبَّاد عن أبيه عِبَّاد بن عَبْدِ اللَّهِ بن الزُّبَيْر ، قال حدثني : أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وهو أحد بني مُرَّة بن عَوْف ، وكان في تلك الْفَرَاة غَزَاة مُوتَةٌ ، قال : والله لَسَكَانِي أَنْظُرَ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ افْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءٌ قَعَقَرَهَا ، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ .

قال أبو داود : وليس هذا الحديثُ بالقوى ^(١) ، وقد جاء فيه نهْيٌ كثيرٌ عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم في جَعْفَرٍ : فَأَنَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ . وَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ ، فَرَأَيْتُ جَعْفَرًا يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ، وَجَنَاحَاهُ مُضَرَّجَانِ بِالْأُصْبُعِ ^(٢) . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُثِّلَ لِي جَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي خِيَمَةٍ مِنْ دَرَعِي أَمِيرَةٍ ، فَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ فِي أَعْنَاقِهِمَا صُدُودٌ ، وَرَأَيْتُ جَعْفَرًا مُسْتَقِيمًا ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُمَا حِينَ غَشِيَهُمَا الْمَوْتُ أُعْرِضَا بوجوههما ، وَمَضَى جَعْفَرٌ ، فَأَمَّ يُعْرِضُ ، وَسَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاطِمَةَ حِينَ جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ تَقُولُ : وَاعْتَمَاهُ ،

(١) جزم الحافظ أنه حديث حسن . والأصح أن جعفر مات وقد استوفى أربعين سنة وزاد عليها ، وجزم ابن عبد البر أن سنة كان إحدى وأربعين سنة . وفي رواية للبخاري أنهم وجدوا بجسمه بضعا وتسعين من طعنة برمح ورمية بسهم .

(٢) رواه الحاكم والطبراني عن ابن عباس مرفوعا .

فقال : على مثل جَعْفَرٍ ، فَلَتَمَّكَ البواكى . وكان أبو هريرة يقول :
ما احتذى النعمال ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل
من جَعْفَرٍ . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت علياً حاجةً ، فمضى
أُقسِمَ عليه بَحَقِّ جَعْفَرٍ فيمطينى ^(١) .

معنى الجناحين :

ومما ينبغي الوقوفُ عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الهم
على مثل جناحي الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُورِ ،
وأكملها ، وفي قوله عليه السلام : إن الله خلق آدمَ على صورته ^(٢) تشریفٌ
له عظيمٌ ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صفةٍ ملكية
وقوة روحانية ، أُعطيها جعفرٌ كما أُعطيها الملائكةُ ، وقد قال الله تعالى لموسى :
﴿ ائْتِنْمُ بِدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ طه : ٢٣ فعبر عن المضدِّ بالجناح توسعاً ، وليس
تتمَّ طيرانٌ ، فكيف بمن أُعطى القوة على الطيران مع الملائكةِ أُخْلِيقَ به
إِذَا : أن يوصفَ بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتتمام الجوارح البشرية ،
وقد قال أهلُ العلم في أجنحة الملائكةِ ليست كما يُتَوَمَّنُ من أجنحة الطَّيْرِ ،
ولكنها صفاتٌ ملكيةٌ لا تُفهم إلا بالمعاني ، واحتجوا بقوله تعالى :
﴿ أُولَ الْأَجْنِحَةِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فاطر : ١ فكيف تكون كأجنحة

(١) هذا دليل وضعه ، فإكان لعل أن يقبل من امرئ الحلف بغير الله ١١ .

(٢) مخرج في الصحيحين .

الطَّيْرَ عَلَى هَذَا، وَلَمْ يُرَ طَائِرُهُ ثَلَاثَةَ أَجْنَحَةٍ، وَلَا أَرْبَعَةَ، فَكَيْفَ بِسَمَاءِ جَنَاحٍ،
عَمَّا جَاءَ فِي صِفَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا صِفَاتٌ لَا تَنْضَبُطُ كَيْفِيَّتُهَا
بِالْفِكْرِ، وَلَا وَرَدَ أَيْضًا فِي بَيَانِهَا، خَبْرٌ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهَا^(١)، وَلَا يَفِيدُنَا
عِلْمًا بِأَعْمَالِ الْفِكْرِ فِي كَيْفِيَّتَيْهَا، وَكُلُّ امْرَأَةٍ قَرِيبٍ مِنْ مُعَايَنَةِ ذَلِكَ.

فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا، وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ
تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُمْ بِأَسْطُوأَيْدِيهِمْ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ
عَذَابَ الْهَوْنِ.

فَضْلُ ابْنِ رَوَاةٍ:

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاةٍ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاقَ مَا ذَكَرَ مِنْ فَضَائِلِهِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَتَبَّتْ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَشَبَّهْتُ مُوسَى وَتَضَرَّأْتُ كَالَّذِي نَصَرُوا

(١) لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهَا أَجْنَحَةٌ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِأَنَّهَا أَجْنَحَةٌ
لَكِنَّا لَا تَشْبَهُ جَنَاحَ الطَّيْرِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَنْاسِبُ خَلْقَهُ. وَلَا يَجُوزُ بِحَالٍ تَأْوِيلُهَا
بِأَنَّهَا صِفَاتٌ، فَهُوَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَلِهَذَا رَدَّ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ كَلَامَ
السَّيْلِيِّ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا الَّذِي جُزِمَ بِهِ فِي مَقَامِ الْمَنْعِ، وَالَّذِي ثَقُلَ عَنِ الْعُلَمَاءِ
لَيْسَ صَرِيحًا فِي الدَّلَالَةِ لِمَا ادَّعَاهُ، وَلَا مَانِعٌ مِنَ الْحُلِّ عَلَى الظَّاهِرِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ
مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمَعْدُودِ، وَهُوَ مِنْ قِيَاسِ الْغَائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَكَوْنِ
الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ أَشْرَفَ الصُّورِ لَا يَمْنَعُ مِنْ حُلِّ الْخَبَرِ عَلَى ظَاهِرِهِ لِأَنَّ الصُّورَةَ
بِاقِيَةٍ، ص ٤١٦ > ٧ فَتَحِ الْبَارِي.

وروى غيره أنه عليه السلام قال له : قل شعراً تَقْتَضِيهِ اقْتِضَابًا ، وأنتَ
أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، فقال من غير رَوِيَّةٍ :

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ

الآيات ، حتى انتهى إلى قوله :

فَنَبَّأَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وَأَنْتَ فَتُبَّيِّنْكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ^(١) .

فصل زبير :

وأما زَيْدٌ فَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ وَبِجُمْلَتِهِ مِنْ فَضَائِلِهِ فِي أَحَادِيثِ
الْمَنْبَغَةِ ، وَحَسْبُكَ بَذَكَرِ اللَّهِ لَهُ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يُذَكَّرْ أَحَدٌ مِنْ
الصَّحَابَةِ بِاسْمِهِ سِوَاهُ ، وَقَدْ بَيَّنَّا التُّسْكِنَةَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ التَّعْرِيفِ وَالْأَعْلَامِ ،
فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ .

رجوع أهل مؤتة :

فصل وذكر رجوع أهلِ مُؤَتَةَ ، وَمَا لَقُوا مِنَ النَّاسِ ، إِذْ قَالُوا لَهُمْ :
يَا فِرَّارُ ، فَرَزْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَرَوَايَةُ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَحْنُ الْفِرَّارُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : بَلْ أَنْتُمْ الْكَرَّارُونَ ،
وَقَالَ لَهُمْ : أَنَا فِتْمَتُكُمْ ، يَرِيدُ أَنْ مَنْ قَرَأَ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) * .

(١) لم يسند قوله هذا .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا
من حديث ابن أبي زياد ، وفيه : لا ، بل أنتم العكارون ، أنا فتمتكم ، وأنا فتمت
المسلمين .

فلا حَرَجَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْوَعِيدُ فِيمَنْ قَرَعَ عَنِ الْإِمَامِ ، وَلَمْ يَتَحَيَّزْ إِلَيْهِ ، أَيْ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى حَوْزَتِهِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ ، فَالْمُتَحَيِّزُ مُتَقَيِّلٌ مِنَ الْحَوْزِ ، وَلَوْ كَانَ وَزْنُهُ مِثْقَالًا ، كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ لَقِيلَ فِيهِ : مُتَحَوِّزٌ . وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ ، قَالَ : هَلَا تَحَيَّزُوا إِلَيْنَا ، فَإِنَّا فَيْثَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مُحَاشَاةَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالنَّاسِ يَوْمَ مَوْتِهِ . وَالْمُخَاشَاةُ : الْمُحَاجَزَةُ ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْخَشْيَةِ ، لِأَنَّهُ خَشِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِقَاءَ عَدُوِّهِمْ ، فَقَدْ قِيلَ : كَانَ الْعَدُوُّ مَائِثَتَيْ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَخَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْعَرَبِ ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْخِيُولِ وَالسَّلَاحِ مَا لَيْسَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ : وَكَانَ الْعَدُوُّ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَبْلُغْ عَدْدُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَمَنْ رَوَاهُ : حَاشَى بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، فَهُوَ مِنَ الْخَشْيَةِ ، وَهِيَ النَّاحِيَةُ ، وَفِي رِوَايَةِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : حَاشَى بِهِمْ ، فَقَالَ : مَعْنَاهُ : انْحَاز بِهِمْ ، وَشَعَرَ قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ بِدَلٍّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ نَمَّ ظَنَمَرٌ وَمَغْنَمٌ لِقَوْلِهِ :

وَسُقْمَنَا نِسَاءُ بَنِي عَمَّةٍ غَدَاةَ رُقُوفَيْنِ سَوْقِ النَّعَمِ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ أَنَّهُ قَتَلَ رَئِيسًا مِنْهُمْ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، فَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَخَذَ خَالِدٌ الرَّايَةَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ نَمَّ فَتَحَ ، وَفِي الرَّايَةِ الْآخَرَى حِينَ قِيلَ لَهُمْ : يَا فُرَّارُ ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ نَمَّ مُحَاجَزَةً ، وَرَأَيْتُكَ لِلْقِتَالِ ، حَتَّى قَالُوا :

نحن الفرارون ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ، فآله أعلم ^(١) .

طعام التعزية وغيرها :

فصل : وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يُصنَّع لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامٌ ، فإنهم قد شُغِلُوا بأمر صاحبهم ، وهذا أصلُ في طعام التَّعْزِيَةِ وتُسَمِّيهِ الْقَرَبُ الْوَضِيْمَةُ ، كما تُسَمَّى طعام العُرْسِ الْوَلِيْمَةُ ، وطعام القادم من السفر : النَّقِيْمَةُ ، وطعام البناء الْوَكِيرَةُ ، وكان الطعامُ الذي صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبدِ الله بن جَعْفَرٍ قال : قَعَمَدَتِ سَلَمَى

(١) عند الحاكم أن خالد قاتلهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصاب غنيمة . وفي صحيح البخاري عن خالد : لقد انقطعت في يدي يوم مؤنة تسعة أسياف . فابقي في يدي إلا صفيحة يمانية . وعند أحمد ومسلم وأبي داود أن رجلا من أهل اليمن رافقه ، فقتل روميا ، وأخذ سلبه ، فاستكثره خالد ، فحشكه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كل هذا بدل على أن خالدًا قاتل بالمسلمين الروم قتالا شديداً . ورواية الصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ، وهذا يؤكد النص . ولهذا يقول ابن كثير عن رواية ابن إسحاق التي يقول فيها إن المسلمين جعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرار الخ يقول عنها في هذا من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وعمدني أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين النفي الجماع ، وأما بقيتهم ، فلم يفروا ، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين ، وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فإما كان المسلمون ليسموهم فراراً بعد ذلك ، وإنما لمفروا إكراماً وإعظافاً ، وإنما كان التأنيب ، وحث التراب للذين فروا وتركوهم هناك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ص ٢٤٨ ح ٤ البداية

مَوْلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَعِيرٍ ، فَطَاحَتْهُ ، ثُمَّ آدَمَتْهُ بَزِيَّةٌ ، وَجَعَلَتْ عَلَيْهِ قُلَّةً ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، وَحَبَسَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ إِخْوَتِي فِي بَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

منه شعر مسمان في رثاء جعفر :

وذكر قول حسان يَرثِي جَعْفَرًا :

نَاوَوْ بَنِي لَيْلٍ بِيَثْرَبَ أُعْسَرُ

أُعْسَرُ : بمعنى : عَسِرَ ، وفي التَّنْزِيلِ : ﴿ يَوْمَ عَسِرَ ﴾ ، وفيه أيضًا ﴿ عَسِيرٌ ﴾ واللفظي متقارب ، فمن قال : عَسِرُ [يَعْسُرُ] قال : عَسِيرٌ بالياء ، ومن قال : عَسِرَ يَعْسُرُ ، قال في الاسم : عَسِيرٌ وَأُعْسَرُ ، مثل يَحِقُّ وَأُحْمَقُ .

وفي هذا الشعر قوله :

بِهَآ لَيْلُ مِنْهُمْ : جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيِّرُ

الْبَهَّاءُ لَيْلٌ : يَجْمَعُ بُهْلُولٍ ، وهو الوَضِيُّ ، الوجه مع طولٍ .

وقوله : مِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيِّرُ ، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد التخيير إليهم ، وليس بعيب ؛ لأنها ليست بإضافة تعريفٍ ، وإنما هو تشريف لهم حيث كان منهم ، وإنما ظهر العيب في قول أبي نواس :

كَيْفَ لَا يَدْنِيكَ مَنْ أَمَلِي مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرٍ

لأنه ذكر واحداً ، وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى :

شَتَّانَ مَا يَوْنِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ
 وَكَانَ حَيَّانُ أَسَنَّ مِنْ جَابِرٍ ، وَأَشْرَفَ ، فَفَضَّبَ عَلَى الْأَعَشَى حَيْثُ عَرَفَهُ -
 بِجَابِرٍ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ ، فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ ، وَوَجَدَتْ فِي رَسُولَةِ
 الْمُهَاجِلِ بْنِ يَمُوتِ بْنِ الْمَزْرَعِ ، قَالَ : قَالَ عَلَى بْنُ الْأَصْنَمِ ، وَكَانَ مِنْ رُؤَاةِ
 أَبِي نُوَاسٍ قَالَ : لَمَّا عَمِلَ أَبُو نُوَاسٍ :

أَيُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرَةٍ

أُنْشَدْنِيهَا فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ :

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ تَقَرُّهِ
 وَقَعَ لِي أَنَّهُ كَلَامُ مُسْتَهْجَنٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، إِذْ كَانَ حَقُّ رَسُولِ اللَّهِ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ ، وَلَا يُضَافَ إِلَى أَحَدٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعَرَفْتَ
 عَيْبَ هَذَا الْبَيْتِ ؟ قَالَ : مَا يَمِيبُهُ إِلَّا جَاهِلُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ
 رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْقَبِيلِ الَّذِي هَذَا الْمَدُوحُ مِنْهُ ،
 أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ شَاعِرِ دِينِ الْإِسْلَامِ :

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَاءُ عِزٍّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ
 بَهَائِلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

وقوله :

بِهِمْ تُفَرِّجُ اللَّأْوَاهُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ * عَمَّاسٍ

الْمَازِقُ : الْمَضِيقُ مِنْ مَضَائِقِ الْحَرْبِ وَالْخُصُومَةِ ، وَهُوَ مَنْ أَزَقْتُ الشَّيْءَ إِذَا ضَيَّقْتَهُ ^(١) ، وَفِي قِصَّةِ ذِي الرُّمَّةِ قَالَ : سَمِعْتُ غُلَامًا يَقُولُ لِعِلْمَةٍ ، قَدْ أَرَقْتُمْ هَذِهِ الْأَوْقَةَ حَتَّى جَعَلْتُمُوهَا كَالْمِمْ ، ثُمَّ أَدْخَلَ مَنَاجِمَهُ ^(٢) ، يَعْنِي : عَقِبَةَ فِيهَا ، فَجَجْنَجَهُ ، حَتَّى أَفْهَقَهَا ، أَيْ حَرَّكَهُ حَتَّى وَسِعَهَا . وَالْعَمَاسُ : الْمَظْلَمُ ، وَالْأَعْمَسُ : الضَّعِيفُ الْبَهْرُ ، وَخُفْرَةٌ مُعَمَّسَةٌ ، أَيْ مُفْطَّاءٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَإِنَّكَ قَدْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَّةٍ مُعَمَّسَةٍ لَا يُسْتَبَافُ تَرَاهُا
بِشَوْبِكَ فِي الظَّلَامِ ، ثُمَّ دَعَوْنِي لِحُبَّتْ إِلَيْهَا سَادِرًا لَا أَهَابُهَا
أُنْشَدَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي خَيْرِ لُزْرَارَةٍ بِنِ عُدُسٍ .

مَوْلَى شَعْرِ كَعْبٍ :

وَذَكَرَ شَعْرَ كَعْبٍ وَفِيهِ :

سَحَا كَمَا وَكَفَ الطَّابَابُ الْمُخْضِلُ

الطَّابَابُ : جَمْعُ طِبَابَةٍ ، وَهِيَ سَيْرٌ بَيْنَ خَرَزَتَيْنِ فِي الْمَرَادَةِ ، فَإِذَا كَانَ غَيْرُ مُنْحَكَمٍ وَكَفَ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَالطَّابَابُ أَيْضًا : جَمْعُ طَبِيَّةٍ ، وَهِيَ شَقَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ .

وَقَوْلُهُ : طَوَّرًا أَخْنُ . الْخَنِينُ بِالْخَاءِ الْمَنْقُوطَةِ حَنِينٌ يُبْكَا ، فَإِذَا كَانَ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، فَلَيْسَ مَعَهُ بَكَاءٌ وَلَا دَمْعٌ .

-
- (١) فِي الْقَامُوسِ : أَزَقَ صَدْرُهُ كَفَرَحٍ وَضَرْبٍ ، ضَاقَ أَوْ تَضَاقَى فِي الْحَرْبِ كَتَازَقٍ ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللِّسَانُ غَيْرَ أَزَقَ كَفَرَحٍ .
(٢) هِيَ عَلَى وَزْنِ مَنْبَرٍ وَمَجْلَسٍ .

الاستسقاء للقبور عند العرب :

وقوله : وَسَقَى عَظَامَهُمُ النَّعَامُ الْمُسْبِلَ . يرد قول من قال : إنما استسقت العربُ القبورَ أحبَّتها لِتَخْصَبَ أَرْضُهَا فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لمطلب النجاة في البلاد . وقال قاسم بن ثابت في الدلائل : فهذا كَفَبٌ يَسْتَسْقِي الْعِظَامَ الشَّهَدَاءَ بِمُوتَةٍ ، وليس معهم ، وكذلك قول الآخر :

سَقَى مُطْفِئَاتِ الْمَجَلِ جُودًا وَدِيمَةً عِظَامَ ابْنِ أَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا

فقوله : حيث كان رَمِيمُهَا يدل على أنه ليس مُقْبِلًا معه ، وإنما استسقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم ، لأن السَّقَى رحمة ، وضدها عذاب .

وقوله : كَانَهُمْ فُنُقٌ ، جمع : فَنَيْقٌ ، وهو الفَحْلُ ، كما قال الآخر ، وهو طخيم :

مَبَى كُلِّ فَضْفَاضٍ الرِّدَاءُ كَأَنَّهُ إِذَا مَاسَرَتْ فِيهِ الْعُدَامُ فَنَيْقُ

وقوله :

فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمَغِيرُ لِفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَنْفُلُ

قوله حق ، لأنه إن كان عني بالقمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله قرأً ، ثم جعله شمساً ، فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر ، وإن كان أراد القمر نفسه ، فعنى الكلام ومغزاه حقُّ أيضاً ، لأن المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب ، وإذا فهم مغزى الشاعر في كلامه ، والمبالغ في الشيء فليس بكاذبٍ ،

ألا ترى إلى قوله عليه السلام : أما أبو جهنم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، أراد به المبالغة في شدة أدبه لأهله ، فكلامه كله حق - صلى الله عليه وسلم - وكذلك قالوا في مثل قول الشاعر [طُفَيْلُ الغَدَوَى] :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبْنَا مُضْرِبَةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ ، أَوْ قَطَرَتْ دَمًا^(١)

قال : إنما أراد فعلنا فعلة شديدة عظيمة ، فضرب المثل بهتك حجاب الشمس ، وفهم مقصده ، فلم يكن كذبا ، وإنما الكذب أن يقول : فعلنا ، وهم لم يفعلوا ، وقتلنا وهم لم يقتلوا .

من شعر مساه في رثاء جعفر :

وذكر أبيات حسن ، وفي بعضها تضمين ، نحو قوله : وأذلها ، ثم قال في أول بيت آخر : للحق ، وكذلك قال في بيت آخر : وأذلها ، وقال في الذي بعده : فحشا ، وهذا يسمى التضمين .

وذكر قدامة في كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، وأعرابي . إن فيه مقالا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوهم الهم في مثل قوله : وأذلها . وكذلك ، وأذلها ، وقد غاب الزبرقان على المخبل السعدي^(٢) ، واسمه : كعب بكلمة قالها الحبل أشعر منه ، ولكنه لما قال يهجو :

(١) في رواية : مطرت ، وهي أليق .

(٢) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة الحمصي .

هذا قول محمد بن حبيب . وقال ابن السكبي : الربيع بن ربيعة بن عوف . وقال ابن رآب : اسمه : كعب .

وأبوك بذركان يَنْتَهزُ الْخَصَى وَأبَى الْجَوَادُ رِبْعُهُ بْنُ قَتَالٍ^(١)

وَصَلَ السَّكَّامَ بِقَوْلِهِ : وَأَبَى ، وَأَدْرَكَهُ بُهْرٌ أَوْ سُقْلَةٌ ، فَقَالَ لَهُ الزُّبَيْرُ قَانُ :
فَلَا بَأْسَ إِذَا ، فَضَحَكَ مِنَ الْمُخْبَلِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ قَانُ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا
مَعِيبًا فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ، فَأَحْرَى أَنْ يُعَابَ فِي آخِرِهِ ، إِذَا كَانَ يَوْمَ الذَّمِّ ،
وَلَا يَنْدَفِعُ ذَلِكَ الْوَهْمُ إِلَّا بِالْبَيْتِ الثَّانِي ، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّخْصِيصِ عَلَى الْمَعْنَى
وَالْتَوَقَّى لِلْإِعْتِرَاضِ^(٢) .

وقول حسان :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ لِلنَّزْوَرِ

النَّزْرُ : الْقَلِيلُ ، وَلَا يَحْسُنُ هُنَا ذِكْرُ الْقَلِيلِ ، وَلَسْكَنَهُ مِنْ نَزَرْتُ الرَّجُلَ
إِذَا أَلْحَحْتُ عَلَيْهِ ، وَنَزَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَنْفَدْتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) - الْأَصْحَ فِيهِ التَّخْفِيفُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : قَتَالٌ وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) الْمَاضِي مِنَ الشَّعْرِ مَا ضَمِنْتَهُ بَيْتًا ، وَقِيلَ مَا لَمْ تَمْ مَعْنَى قَوَائِمِهِ
إِلَّا بِالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ . وَلَا يَعْيبُ الْأَخْفَشُ هَذَا ، وَقَالَ ابْنُ جَنَى : هَذَا الَّذِي رَأَى
أَبُو الْحَسَنِ مِنْ أَنَّ التَّضْمِينَ لَيْسَ بِعَيْبٍ مَذْهَبُ تَرَاهِ الْعَرَبِ ، وَتَسْتَجِزُهُ وَانْظُرْ
اللسان مادة ضمن فقيه المزيدي .

(٣) لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ شَيْءٍ مَرَارًا فَلَمْ يَجِبْهُ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ :
تَسَكَّنَكَ أَمْلَكَ يَا عُمَرُ : نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَارًا لَا يَجِيبُكَ .
أَيُّ الْأَحْجَتِ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثته إلى
مؤتة جادى الآخرة ورجباً .

قال الشاعر :

فَخُذْ عَفْوً مَنْ يَهْوَاهُ لَا تَنْزَرَنَّهَ فَعَنْدُ بُلُوغِ السَّكْدِ رَنْقُ الْمَشَارِبِ (١)
وقوله : يوم راحوا في وقعة التغوير ، هو مصدر غوزت إذا توسط
القائلة من النهار ، ويقال أيضاً : أغور فهو مغور ، وفي حديث الإفك :
مغورين في نحر الظهيرة ، وإنما صحت الواو في مغور ، وفي أغور من هذا ،
لأن الفعل بُني فيه على الزوائد ، كما بُني استخوذ ، وأغيت المرأة ، وليس
كذلك أغار على العدو ، ولا أغار الحبل .

وذكر فيمن استشهد بمؤتة أبا كليب بن أبي صفصة . وقال ابن هشام : فيه
أبو كلاب ، وهو المعروف عندهم ، وقال أبو عمر : لا يعرف في الصحابة أحد .
يقال له أبو كليب (٢) .

(١) هو في اللسان وشطرته الأول هكذا : فخذ عفو ما آتاك لا تنزرنه .

(٢) يقول الحافظ في الإصابة : يحتمل أن يكون أراد هذا . يعنى
أبا كليب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول الأنصاري أخا جابر شقيقه ،
ويحتمل أن يكون جد عاصم بن كليب فبن لعاصم رواية عن أبيه عن جده .

(٣ م - ٤ - الروض الأنف - ج ٧)

ثم إن بني بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم
بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن
رجلا من بني الحضرى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرى يومئذ إلى
الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ،
وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة
قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الديلى - وهم منخَرُ بني كنانة
وأشرافهم - ستمى وكنثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من بني الديلى ، قال : كان بنو الأسود
ابن رزن يؤدّون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، ففضلهم فيها .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام ،
وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين قُرَيش ، كان فيما شرطوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ،
كما حدثني الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المشور بن تخمة ومروان بن
الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قُرَيش وعهدهم
فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قُرَيش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو الديلى من بني بكر من
خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الذفر الذين أصابوا منهم ببني

الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الدليل في بني الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ، وايس كل بني بكر تابعه حتى بيث خزاعة وهم على الوثير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستعجفيا ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له الهوم ، يا بني بكر أصيدوا نأركم ، فامررى إنسكم لتسر قون ، في الحرم ، أفلا تصيبون نأركم فيه ؟ وقد أصابوا منهم ليلة بيثوهم بالوثير رجلا يقال له منبه ، وكان منبه رجلا مفثودا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني لقد انبت فؤادي ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبه فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجثوا إلى دار بُدَيْل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي مُفَافَةَ أَقْبَلُوا يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابِ
صَخْرًا وَرَرْنَا لِأَعْرِبَ سِوَاهُمْ يُزْجُونَ كُلَّ مُقَاصِّ خِنَابِ
وَذَكْرَتُ دَخْلًا عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ
وَنَشَيْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ وَرَهْبْتُ وَقَعَ مُهَنْدٍ قَضَابِ

وعرفت أن من يثقفوه يثر كوا لئلا إمجرية وشنؤ غراب
قومت رجلا لا أخاف عثارها وطارحت بالمتن القراء ثيابي
وتجوت لا ينجو تجاني أحقب عالج أقب مشر الأقراب
تلاحي ولو شهدت لكان نكيرها بولا يبيل مشافر القباب
القرم أعلم ما تركت منيها عن طيب نفس فاسألني أصحابي

قال ابن هشام : وتروى لحبيب بن عبد الله (الأعمى) الهذلي . وبيته :
« وذُكرت ذحلاً عندنا متقادماً » عن أبي عبيدة ، وقوله « خناب » و « عالج
أقب مشر الأقراب » عنه أيضاً .

شعر الأخرز في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق : وقال الأخرز بن لُفط الدبلي ، فيما كان بين كنانة وخزاعة
في تلك الحرب :

ألاهل أتى قصوى الأحابيش أننا رددنا بني كعب بأفوق ناصيل
حبسناهم في دارة العبد رافع وعند بديل مخدس غير طائيل
يدار الذليل الأخذ الضيم بعدما شفينا النفوس منهم بالمناصيل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم نفحنا لهم من كل شنب بوابل
نذبهم ذبح الثيوس كأننا أسود تبارى فيهم بالقواصيل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ يطردونهم ففأثور حقان النعام الجوافل

بديل يرد على الآخر

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَنَاة بن سَكَمَة بن عمرو بن الأَجَب ، وكان يقال له بُدَيْل بن أمٍّ أصرم ، فقال :

لهم سَيْدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَافِلٍ	تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَنْفَخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ
تُجْمِزُ الْوَتِيرَ خَائِفًا غَيْرَ آيِلٍ	أَمِنْ خَيْفَةِ الْقَوْمِ الْأَلَى تَزْدَرِيهِمْ
لَعَلَّ وَلَا يُحْجِبِي أَنَا فِي الْعَمَاقِلِ	وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءَنَا
بَأَسْيَافِنَا يَسْتَقِنَ آوْنَمُ الْعَوَازِلِ	وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالتَّلَاعَةِ دَارَكُمْ
إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ بَحْرِ الْقَابِلِ	وَنَحْنُ مَمْعُنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعِتُودٍ
عُبَيْسٌ جَفْنَاهُ بِجَلْدٍ حُلَاحِلِ	وَيَوْمَ النِّعَمِ قَدْ تَكَفَّتْ سَاعِيَا
يَجْمَعُوسَهَا تَنْزُونَ أَنْ لَمْ تُقَاتِلِ	أَإِنْ أَجْرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمٌّ بِهَضَمِ
وَلَسَكُنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بَلَابِلِ	كَذِبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمْ

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خيف رضى » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

لحما الله قوماً لم ندع من سرايهم	لهم أحداً يندوهم غير ناقيب
أخضبي حماريات بالأمس نوفاً	متى كنت مفلاحاً عدو الحقايب

شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره وردده عليه

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكان في عقده وعهده ، خرج عمرو ابن سالم الخزاعي ، ثم أحد بن كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظمرائي الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا	حَلَفَ أَيْنَا وَأَبِيهِ الْأَثَلَا
قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا	ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِعْ بَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا	وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ بَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا	إِنْ سِيمَ خَسَفَا وَجْهُ تَرَبَّدَا
فِي قَيْلَاقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا	إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقُضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا	وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَائِرِ رُصْدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا	وَهُمْ أَذَلَّ وَأَقَلَّ عَدَدَا
هُمْ يَبْتَئُونَا بِالْوَنِيرِ هُجَّدَا	وَقَتَلُونَا رُكْمًا وَسُجَّدَا

يقول : قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا .

قال ابن هشام : وَيُرْوَى أَيْضًا :

فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيْدَا

قال ابن هشام : ويُرَوَّى أيضاً :

نحن ولدناك فكنت ولدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ يا عمرو ابن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَّا ن من السماء ، فقال : إن هذه السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْب .

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خِزَاعَةٍ حتى قَدَمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أُصِيبَ منهم ، وبمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كَأَنَّكُمْ بَأْبَى سَفِيَانٍ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ . ومضى بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه حتى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ بَعْثَانَ ، قد بعثته قُرَيْشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، وقد رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا . فلما لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلَ بنَ ورقاء ، قال : من أين أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ ؟ وظنَّ أَنَّهُ قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال تَسَبَّرْتُ فِي خِزَاعَةٍ فِي هَذَا السَّاحِلِ ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ، قال : أَوَ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا ؟ قال : لا ؛ فلما رَاحَ بُدَيْلٌ إلى مكة ، قال أَبُو سُفْيَانَ : لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلٌ لِلْمَدِينَةِ لَقَدْ عَافَ بِهَا النَّوَى ، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا قَتَمَةً ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى ، فَعَالَ : أَحَافَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا .

أبو سفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سفيان حتى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،
فدخل على ابنته أمّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم طَوَّته عنه ، فقال : يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرَى أَرِغِبْتِ بِي
عن هذا الفراش أم رَغِبْتِ به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وأنت رجل مُشْرِكٌ كَثِّبَس ، ولم أحب أن تجلس على
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابك يَا بُنَيَّةُ بعدى .
شَرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه ، فلم يرد عليه شيئاً ،
ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عُمَرَ بن الخطّاب فكلّمه ، فقال : أنا أشفع لكم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به .
ثم خرج فدخل على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، وعندها حسن بن عليّ ، غلام
يَدِبُ بين يديها ، فقال : يَا عَلِيُّ ، إِنَّكَ أَمْسُ الْقَوْمِ بِرَحْمَةٍ ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ
فِي حَاجَةٍ ، فَلَا أُرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ، فقال : وَيَحْكَ
يَا أَبَا سُفْيَانَ ! وَالله لقد عَزَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع
أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي
مُبْنِيَّكَ هَذَا فِيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَكُونُ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ قالت :
وَالله ما بلغ نبيّ ذاك أن يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، وما يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عليه وسام، قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت على ، فانهحنى .
قال : والله ما أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنفانة ، فقم
فأجِرْ بين الناس ، ثم الق بأرضك ؛ قال : أوترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟
قال : لا والله ، ما أظنّه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سُفيان
في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيره
فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمداً فكلمته ،
فوالله ماردٌ على شيئاً ، ثم جئتُ ابنَ أبي جحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم
جئتُ ابنَ الخطّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئتُ عالياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشيء .
صنعتُه ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال :
أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ،
قالوا : وذاك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنى عنك ما قلت .
قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الرسول صلى الله عليه وسلم يعد لفتح مكة

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ،
فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أي بُنَيَّة : أأمركم رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ، قال : فأين تريد أن تذهب ؟ قالت : (لا) والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجدة والتجهيز ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تبتغتها في بلادها . فتجهز الناس .

حسان يحرض الناس

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويدكر مصاب رجال خزاعة :

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِيَطْحَاءَ مَكَّةَ رِجَالُ بَنِي كَنْبٍ تُحْزَرُ رِقَابُهَا
بَأْيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ مُجَابُهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَمَالَأْتُ نُضْرَتِي سُمَيْلُ بْنُ عَمْرِو وَخَزُهَا وَعُقَابُهَا
وَصَفْوَانُ عَوْدَ حَنْ مَن شَفَرِاسْتَه فَهَذَا أَوَانُ اخْرُبْ شَدَّ غَصَابُهَا
فَلَا تَأْمَنَّمَا يَا بَنَ أُمِّ مُجَالِدٍ إِذَا احْتَمَلَتْ صَرْفًا وَأَغْصَلَ نَابُهَا
وَلَا تَجْزَعُوا مِنَّا فَإِنَّ سَيُوفَنَا لَهَا وَقَعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِهَا

قال ابن هشام : قول حسان : « بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم » يعني قريشاً ؛ « وابن أم مجالد » يعني عكرمة بن أبي جهل .

كتاب يحاطب إلى قريش

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة

كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ، وجعل لها جُعلاً على أن تبغته قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم قتلت عليه قُرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم ، نخرجها حتى أدركاها بالخليفة ، خليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتصاه في رَحْلها ، فلم يجدوا شيئاً ، فقال لها على بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِّبنا ؛ ولتُخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فخلت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصامتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دَعَى فلأُضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطعم إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أُولَئِكَ يُتْلُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴿ . . . إلى قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْقَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . . . إلى آخر القصة . للمتجفة .

خروج الرسول في رمضان

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسنفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كالمثوم بن حصين بن مغبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضي من رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالسكديد ، بين عسفان وأمعج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مرة الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبغت سليم ، وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزيعة . وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قریش ، فلم يأتهم خبر عن رسوائ الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبدل بن ورقاء ،

يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ ، وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ابْنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ الطَّرِيقَ .

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيماً بمكة على سقايته ، ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهري .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم أيضاً ببنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلَّمته أُمّ سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ؛ قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فميتك عِرَضِي ، وأما ابن عمتي وصهرى فهو الذي قال لي بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبي سُفيان بُنيُّ له . فقال : والله ليأذننَّ لي أو لأخذنَّ بيدي بنيَّ هذا ، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم رقَّ لهما ، ثم أذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سُفيان بن الحارث قوله في إسلامه ، واعتذر إليه بما كان مَقْصِي منه ، فقال :

لَقَمَرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحِلَّ رَايَةَ لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَالْمُدَّاجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فهِذَا أُوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأُهْتَدَى

هداني ما غير نفسي وفاني مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهداً عن محمد وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهوهم وإن كان ذا رأي يلم ويقتد
أريد لأرضيهم ولست بلائط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
فقل لتقيف لا أريد قتالها وقل لتقيف تلك غيري أو عدي
فما كنت في الجليش الذي نال عامراً وما كان عن جراً الساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسرد

قال ابن هشام : ويروى « ودلني على الحق من طردت كل مطرد » .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ونالني مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره ، وقال : أنت طردتني كل مطرد .

قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب : فقلت : واصباح قریش ، والله اثنى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه هلاك قریش إلى آخر الدهر . قال : فجاست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجت عابها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُوةٌ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهِمَا ، وَأَنْتَ مَا خَرَجْتَ لَهُ ، إِذْ سَمِعْتَ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَمُبْدِيلَ بْنِ وَرْقَاءَ . وَهَذَا يَتَرَا جَمَانٌ وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْحَيْلَةِ نِيرَانًا قَطَّ وَلَا عَسْكَرًا . قَالَ : يَقُولُ مُبْدِيلٌ : هَذِهِ وَاللَّهِ خُرَازَةُ خَمَشَتَهَا الْحَرْبُ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُرَازَةُ أَذْلٌ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرًا ؟ قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ فَعَرَفْتُ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَ : قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَنَحْمَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ . قَالَ : فَمَا الْحَيْلَةُ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ . فَأَرْكَبَ فِي عَجْزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتَى بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْتَأْمَنَهُ لَكَ ؟ قَالَ : فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ ، قَالَ : خَفِيتُ بِهِ ، كَلِمَا صَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَلَمَّا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهِمَا ، قَالُوا عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ ، قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَبْدُ اللَّهِ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَكَضَتُ الْبَغْلَةَ ، فَسَبَقْتُهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَاطِيئَةَ الرَّجُلَ الْبَاطِيئَ . قَالَ : فَانْتَحَمْتُ مِنَ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي فَلَا تُضْرِبْ عُنُقَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ .

ثم جاستُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُفاجيئه الليلةَ دوني رجل ؛ فلما أكثر عمر في شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، واسكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ؛ فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إليّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحتَ فأتني به ، قال : فذهبتُ به إلى رحلي ، فبسات عندي ، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصاك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تعلم أني رسولُ الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصاك ! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابَه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرف قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ، احبسهُ بمَضِيقِ الوادي عند خضم

الجبل ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : تفرّجتُ حتى حدّثته بمضيّق الوادى ، حيث أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أخبّسه .

عرض الجيش

قال : ومَرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرّت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى وسليم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ومُزينة ، حتى نفدت القبائل ، مما تمرّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى وابنى فلان ، حتى مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حِمْزَةَ اليشكرى :

ثم حُجِّرَا أعنى ابنَ أمِّ قَاطِمٍ ولهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلَاهُ بِكُتَيْبَةِ خَضْرَاءٍ مِنْ بَلْعَزَرَجٍ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا يتلذذ من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت :

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد
بهؤلاء قِبَلٌ ولا طائفة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة
عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوة . قال : فتعجب إذن .

أبو سُفيان يحذر أهل مكة

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته :
يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفيان
فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُقبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقولوا للحِيتِ
الدِّمِيمِ الأحمس ، قُبِّحَ من حَلِيلة قوم ! قال : ويلكم لا تغرّناكم هذه من
أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن ،
قولوا : قاتلك الله ! وما تُنفى عنّا دارُك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ،
ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى

قال ابن إسحاق : غَدِثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشَقَّةِ بُرْدٍ حَبْرَةٍ
حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى
ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُذُنونه ليسكاد يمسّ واسطة الرجل .

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده أسماء بنت أبي بكر ، قالت : أما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طوى قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده : أى بُنَيَّة ، اظهري بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كُفَّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنَيَّة ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخليل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مُتَمِيلًا ومُذْبِرًا ، قال : أى بُنَيَّة ، ذلك الوازع ، يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دُفِعت الخليل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فأنحطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ من وَرَقٍ ، فتلقاها رجل فيمتطعه من عنقه ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، قل : فأجاسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكان رأسه ناعماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعري ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخيه ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أى أختي ، احتسبي طوقك ، إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

جيوش المسامين تدخل مكة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذي طُوًى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدَى ، وكان الزبير على المَجَنَّبَةِ اليسرى ، وأمر سعد ابن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء .

المهاجرون وسعد

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجِهَ داخلاً ، قال : اليوم يوم المَلْحَمَةِ ، اليوم تُسْتَحْلَلُ الْحُرْمَةُ ، فسمعها رجلٌ من المهاجرين - قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب - فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد ابن عُبادة ، ما نأمن أن يكون له في قُرَيْشِ صَوْلَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن طالب : أدركه ، مُخَذِّذُ الرَّايَةِ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا .

كيف دخل الجيش مكة ؟

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد : فدخل من اللَّيْطِ ، أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المَجَنَّبَةِ اليمينية ، وفيها أسلم وسُئِمَ وغِفَار ومُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وقِبَائِلُ من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبَيْدَةَ بن الجراح بالصف من المسلمين ينصبُ لِمَسْكَةِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ،

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ،
وضربت له هنالك قُبَّته .

الذين تعرضوا للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر :
أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسُهَيْل بن عمرو كانوا قد جمعوا
ناساً بالخدمَةِ ليقاتلوا ، وقد كان جاس بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر ، يمدُّ
سلاحاً قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلح منه ، فقالت له
اسرأته : لماذا تُمدُّ ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم
لحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكَ بهمَّهم ، ثم قال :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ

وَذُو غَرَارِينَ سَرِيعَ السَّلَهِ

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسُهَيْل وعكرمة ، فلما اقيهم المسلمون من
أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرْز بن جابر ، أحد
بنِي محارب بن فُهْر ، وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أَضْرَم ، حليف بنِي
مُنَقَذ ، وكانافي خيل خالد بن الوليد فشدَّا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه
فقتلا جميعاً ، فقتل خُنَيْس بن خالد قبل كُرْز بن جابر ، فجعله كُرْز بن جابر
بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قُتل ، وهو يَرْتَجِزُ ويقول :

قد علمت صفراء من بني فهر تقيسة الوجه تقيسة الصدر
لأضر بن اليوم عن أبي صخر

قال ابن هشام : وكان خنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس
ابن خالد ، من خزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيع وعبد الله بن بكر ،
قالا : وأصيب من جهينة سلمة بن الأكلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب
من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ،
ثم انهزموا ، فخرج حاس منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغاقي على
بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إليك لو شهدت يوم الخف-دمة إذ فر-صفوان وفر-عكرمة
وأبو يزيد قائم كالنومة واستقبلهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجعجه ضربا فلا يسمع إلا غفمة
لهم نهيت خلفنا وههمة لم تنطقي في اللوم أذنى كلمة
قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالنومة » ،
وتروى للراش الهذلي .

شعار المسلمين يوم الفتح

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وحنين والطائف، شعار المهاجرين : يابني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابني عبد الله ، وشعار الأوس : يابني عبيد الله .

من أمر الرسول بقتلهم

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر تمام أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسام ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلى يارَسُولَ الله ؟ قال : إن النبي لا يهتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسام بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطيل ، رجل من بني تميم بن غالب : إنما أمر

بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فقام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عايه فقتله ، ثم ارتد مشركاً .

وكانت له قينتان : قرَّتَى وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والخويرث بن نُقَيْد بن وهب بن عبد بن قُصَي ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الخويرث بن نُقَيْد ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق : ومقيس بن حُباب [أَوْضُبَابَة، أَوْضُبَابَة] وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصاري الذي كاه قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركاً وسارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب . وعكرمة بن أبي جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأتها أم حَكِيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيْث الخزومي . وأبو بَرَزَة الأسلمي ، اشتركا في دمه ؛ وأما مقيس بن حُباب فقتله نُمَيْلَة .

ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس في قتله :

لَعُمْرَى لَقَدْ أَخْزَى نُمَيْلَةَ رَهْطَهُ وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشَّتَاءِ بِمَقْيَسِ
فَلَيْلَهُ غَيْثًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسٍ إِذَا النَّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرِسْ

وأما قيننا ابن خطل فقتلت إحداها ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نعيم فقتله علي بن أبي طالب .

أم هانيء تؤمن رجلاين

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة ، مولى حميل بن أبي طالب ، أن أم هانيء بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرّ إلى رجلان من أحماني ، من بني مخزوم ، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل علي علي بن أبي طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر المجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشع به ، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرحباً وأهلاً يا أم هانيء ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمننا من أمنت ، فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .

طواف الرسول بالكعبة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن أبي قور ، عن صبيحة بنت شذبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، وأطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعة على راحته ، يستلم الركن بحجر في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان ابن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها سحامة من عيوان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة . وقد استكف له الناس في المسجد .

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يبدعى فهو تحت قدسي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مؤظفة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتظلماتها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لَتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ . آية كلها .
ثم قال : يا معشر قریش ، ما ترزون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ،
وإبن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء .

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة

ثم جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن
أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع
السَّامِيَةِ صلى الله عليه عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن
طلحة ؟ فدُعِيَ له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بَرٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
قال لعل : إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ مَا تَرْزَاوْنَ لَا مَا تَرْزَاوْنَ .

طمس الصور التي بالبيت

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صُورَ الْأَنْبِيَاءِ وغيرهم ، فرأى إبراهيم
عليه السلام مُصَوَّرًا في يده الْأَزْلَامُ يَسْتَقْسِمُ بِهَا ، فقال : قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، جملوا
شيئنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَئِنْ كَانَ حَقِيقًا مُّسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
آل عمران : ٦٧ ثم أمر بتلك الصُور كلها فطُمِئِتْ .

دخول الكعبة والصلاة فيها

قال ابن هشام : وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خل دالكعبة . ومعه بلال ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتحائف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه ، وجعل الباب قِبَل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلي ، يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال .

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام ، وحدثني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سُفيان بن حرب وعَتَّاب بن أُسَيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال دَعَّابُ بن أُسَيد : لقد أكرم الله أُسَيداً ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يفيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لَاتَّبَعْتَهُ ، فقال أبو سُفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الخصى ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمت الذي قُلتُم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعَتَّاب : نشهد أنك رسولُ الله ، والله ما اطّلع على هذا أحدٌ كان معنا ، فنقول : أخبرك .

خراش وابن الأنوع

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي سندر الأسلمي ، عن رجل من
قومه . قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً ، وكان رجلاً شجاعاً ،
وكان إذا نام غَطَّ غطيظاً مُنْكَرًا لا يَخْفَى في مكانه ، فكان إذا بات في
حيه بات مُتَمَنِّزًا ، فإذا بُدِّت الحى صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ،
لا يقوم سبيله شيء . فأقبل غَزِيٌّ من هُدَبل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا
من الحاضر ، قال ابن الأنوع الهذلي : لاتعجلوا علىّ حتى أنظر ، فإن كان
في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيظاً لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما
سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ،
ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ،
وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأنوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر
ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكِهِ ، فرأته خُرَاعَةً ، فمَرَفُوهُ ،
فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُرِ مكة ، يقولون : أنت قاتل أحمر؟
قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فَمَهْ؟ قال : إذ أقبل خراش بن أمية مُسْتَمْلًا على
السيف ، فقال : هكذا عن الرجل ، ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يُفْرِجَ
الناس عنه . فلما انقَرَجْنَا عنه كَحَلِّ عليه ، فطَعَنَهُ بالسيف في بطنه ، فوالله لكأني
أنظر إليه وحشوته تُسِيلُ من بطنه ، وإن عينيه كَثُرَتْ قَانٍ في رأسه ، وهو
يقول : أفد فاعلمتوها يا مَعْشَرَ خُرَاعَةٍ؟ حتى اتجَعَفَ فوق . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : يامعشر خُرَاعَة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثُر
القتل إن نفع ، لقد قتلتُم قتيلاً لأَدِينَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حَرَملة الأَسْلَمِي ، عن سعيد
ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِرَاش بن
أُمَيَّة ، قال : إن خِرَاشاً لَقَتَال ، يعميه بذلك .

بين أبي شريح وابن سعد

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد السَّمْعُورِيُّ ، عن أبي شريح
الْحَزَازِيِّ ، قال : لما قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الزَّيْبِرِ مَكَّةَ لِقَاتِلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ،
جِئْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ
افْتَتَحَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ عَدَّتْ خُرَاعَةٌ عَلَى رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ
فَقَتَلُوهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا ، فَقَالَ :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ
حَرَامِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، أَنْ يَسْفِكَ
فِيهَا دَمًا وَلَا يَفْضِدَ فِيهَا شَجَرًا ، لَمْ تُحْمَلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَا تُحْمَلْ لِأَحَدٍ
يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ تُحْمَلْ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةُ ، غَضِبًا عَلَى أَهْلِهَا أَلَا : ثُمَّ قَدَرَجَمْتُ
كَحَرُمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ ، فَن قَالَ لَكُمْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
قَدِ نَزَلَ فِيهَا ، فَتَوَلَّوْا : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَمَ رَسُولَهُ ، وَلَمْ يُحْلِلْهَا لَكُمْ ، يَامَعْشَرَ خُرَاعَةٍ
ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ ، وَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَع ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لأَدِينَهُ ،

فمن قُتِلَ بعدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ : إِنْ شَاءُوا قَدِمُوا قَاتِلَهُ ،
وإِنْ شَاءُوا فَعَقَلُوهُ . ثُمَّ وَدَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ الَّذِي
قَتَلْتَهُ خُرَازَةَ ، فَقَالَ عَمْرُو لِأَبِي شُرَيْحٍ : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم
بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ ، إِنَّهَا لَا تَمْنَعُ سَافَكَ دَمٍ ، وَلَا خَالَعَ طَاعَةَ ، وَلَا مَانَعَ جِزْيَةَ ،
فَقَالَ أَبُو شُرَيْحٍ : إِنْ كُنْتُ شَاهِدًا وَكُنْتُ غَائِبًا ، وَاقْدِ أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدُنَا غَائِبُنَا ، وَقَدْ أَبْلَغْتُكَ ، فَأَنْتَ وَشَأْنُكَ .

أول من ودى يوم الفتح

قال ابن هشام . وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الفتح جُمَيْدُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، قَتَلْتَهُ بَنُو كَعْبٍ ، فَوَدَّاهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ .

الأنصار يتخوفون من بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في مكة

قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم
حين انتزع مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحذقت به الأنصار .
فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه .
وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا أقام ؟ قالوا : لا شيء . يارسول الله ،
فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : معاذ الله !
المَحْيَا مَحْيَا كُمْ ، وَالْمَمَاتِ مَمَاتُكُمْ .

بدء فتح مكة

ذكر فيه الأسود بن رزن السكفاني بفتح الراء ، وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصاحه : رزنًا بكسر الراء^(١) ، قال : والرزن : نُفْرَةٌ في حجر يمسك الماء ، وفي كتاب العين : الرزنُ أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بني رزن من بني بكر ، وقد قيل فيه : الدئل ، وقد أشبعنا القول فيه في أول الكتاب ، وما قاله اللغويون والذسأبون ، وذكرنا هنالك كلَّ ديل في العرب ، وكل دُول والحمد لله .

مول شعر نعيم :

وذكر شعر نعيم بن أسد ، وفيه :

يُرْجُونُ كُلَّ مُقَلِّصٍ خِنَابٍ

الخِنَابُ : الطويل من الخيل ، وقع ذلك في الجمهرة ، ويقال : الخِنَابُ : الواسع المنخرين ، والخِنَابَةُ^(٢) جانب الأنف ، وفي العين : الخِنَابُ^(٣) الرجل

(١) يروى هنا بكسر الراء ، وفتحها وإسكان الزاء وفتحها ، وقيد الدارقطني بفتح الراء ، وإسكان الزاء لا غير الحسنی ، ص ٣٦٣ .
(٢) خنابة بكسر الخاء وضمها .

(٣) في التهذيب : هذا مما جاء على أصله شاذاً لأن كل ما كان على فعال من الأسماء أبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء مثل دينار وقيراط كراهية أن يلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء ، فيخرج على أصله مثل : دنابة وصدارة وخنابة لأنه الآن قد أمن التباسه بالمصادر .

الصَّخْمُ ، وهو الأحق أيضاً ، والمقلص من الخيل المتضم البطن والقوائم ، وإن قلت : المقلص بكسر اللام ، فهو من قنصت الإبل إذا تيممت ، قاله صاحب العين .

وفيه : ظلُّ عقاب ، وهي الرأية ، وكان اسمُ راية النبي - صلى الله عليه وسلم - العقاب ، والدليل على أنه يقال لكل راية عقاب قول قطري بن النجاء^(١) ويكنى أبا نعام رئيس الخوارج :

يأرب ظلُّ عقابٍ قد وقيتُ بها مُهمي من الشمس والأبطال تجتلد
وفيه : يبلُّ مشافر التبقاب ، التبقاب : أراد به الفرج ، والتبقب وهو التبقاب : البطن أيضاً .

مول شعر الأعرس :

وذكر قول الأخرز ، وفيه :

قفانور حفان القمام الجوافل

(١) اختلف في اسم الفجاءة ، فقيل : اسمه : جمونة ، وقيل : مازن بن يزيد ابن زياد بن خنثر أحد بني مالك بن عمرو بن تميم ، سمي للفجاءة لأنه غاب دهرأ باليمن ، ثم جاءهم فجاءة ، وقد أشهد أبو عبيدة قصيدة قطري التي منها هذا البيت لأبي حاتم ، ثم قال : هذا الشعر لا ماتعللون به أنفسكم من أشعار الخنايث . أنظر ص ٢٦٥ > ١ أمالي القالي ط ٢ ، ص ٥٩٠ مطبعة الديار البكرى . وهذا وليس في قصيدة تميم ذكر للعقاب .

قَفَّائُورٌ ، يعنى : الجبل ، وَقَفَّاءُ ظَرْفٌ لِلْفِعْلِ الذِّى قَبْلَهُ ، وقال : قَفَّائُورٌ ،
ولم يَنْوِّنْ لَّأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمٌ مَعَ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، وقد تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا فِيمَا قَبْلَ ،
ولو قال : قَفَّائُورَ بِنَصَبِ الرَّاءِ ، وجعله غير مُنْقَرِفٍ ، لم يبعد ، لأنَّ مَالَا تَنْوِينَ
فيه ، وهو ذِي مُعَرَّبٍ بِأَلِفٍ وَلامٍ ، ولا إِضَافَةَ ، فلا يَدْخُلُهُ اتِّخَافُ لَثَلَا يُشَبِّهُ
مَا يُضَيِّفُهُ الْمُتَكَلِّمُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَفَّائُورُ بِهَذَا اللفظِ تَقَيَّدُ فِي الْأَصْلِ ، وظاهرُ
كَلَامِ البرقي فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ بِقَفَّائُورَ ، لَّأَنَّهُ قال : القافورُ سَدِيدُكَ الْفِضَّةِ ،
وَكأنَّه شَبَّهَ الْمَسْكَانَ بِالْفِضَّةِ لِمَقَابَلَتِهِ وَاسْتِوَائِهِ ، فإنَّ كَانَتْ لِرِوَايَةِ كَمَا قال ، فهو
اسمٌ مُوضِعٌ ، والقافورُ : خِوَانٌ مِنْ فِضَّةٍ ، ويقال : إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ ، قيل : ذاك
فِي قول جَمِيل :

وَصَدْرُ كَفَّائُورِ الْأَجْنَيْنِ وَجِيدٌ^(١)

وفى قول كَبِيدٍ :

حَقَائِبُهُمْ رَاحٌ عَتِيقٌ وَدَرَمَلٌ وَمِسْكٌ وَقَفَّائُورِيَّةٌ وَسُلَاسِلُ

وكأَنَّ البرقي : أَلْيَمَتُهُ فِي نَسْخٍ صَحِيحَةٍ سَوَى نُسخَةِ الشَّيْخِ ، وَإِنْ صَحَّ .
بِمَا فِي نُسخَةِ الشَّيْخِ ، فهو كَلَامٌ حُذِفَ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ : قَفَّاءُ قَفَّائُورُ ، وَحَسُنَ حَذْفُ
الْفَاءِ الثَّانِيَةِ ، كَمَا حَسُنَ حَذْفُ اللَّامِ الثَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِمْ : عِلْمَاءُ بَنِي فَلَانٍ ، فَسَبَّحَ

(١) أوله : سَبَقَنِي بِعَيْنِي جَوْذَرٌ وَسَطَرُ رَبِّبٍ . وَالشَّطْرَةُ الْآخِرَةُ فِي تَرْجُمَةِ
الْأَسَاقِ لِداوُدِ الْأَنْطَالِيِّ ص ٤٠ : وَصَدْرُ حَكِي لَوْنِ الْأَجْنَيْنِ وَجِيدٌ . ولم أَجِدْ
فِي تَرْجُمَةِ جَمِيلٍ فِي الْأَغَانِي .

مع ضُرُورة الشعر ، وترك الصَّرف ، لأنه جعله اسم بُقْعَةٍ ، ومن الشاهد على
على أن فائورَ اسم بُقْعَةٍ قول لبيد :

ويوم طعمتم فاستمعدت وفودكم بأجساد فائور كريم مُصابر

أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافاً ، وقال هو
اسم جبل يعنى فائور وقال ابن مُنَيل :

حَيْثُ حَاضِرُهُمْ شَيْءٌ وَجَعَهُمْ دَوْمُ الْإِيَادِ ، وفائور إذا انتَجَبُوا

وقال لبيد :

وَلَدَى النُّعْمَانِ مِنَى مَوْطِنٌ بَيْنَ فَائُورٍ أَفَاقٍ فَالْدَّخَلُ

وَحَفَانُ النِّعَامِ : صغارها ، وهو مرفوع لأنه خبر كأن .

حول شعر بديل :

وذَكَرَ شعر بُدَيْل بن أمٍ أَضْرَمَ . وفيه : غير آيل ، هو فاعل من آل إذا

رجع ، ولكنه قلب المدة التي هى بدل من الواو ياء ، لثلاث تجمعت هزتان ،
وكانت الياء أولى بها لانكسارها .

وفيه ذكر عُيَيْسٍ ، ووقع فى بعض روايات الكتاب عُيَيْسٍ بالياء

المنقوطة بواحدة من أسفل (١) .

وفيه :

إِن أُجْمِرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ بِجُمْعَتِمْ^(١)

أى : رَمَتْ بِهِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الْخُرْثِ يَسْمُجُ وَصْفُهُ .

مول سمر عمرو بن سالم :

وذكر أبيات عمرو بن سالم ، وفيها :

قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا

يريد : أَن نَبِيَّ عَبْدٍ مَنَافٍ أُمُّهُمْ مِنْ خُرَاعَةٍ ، وَكَذَلِكَ : قُتِيَّ أُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْخُرَاعِيَّةِ ، وَالْوُلْدُ بِمَعْنَى الْوَلَدِ .

وقوله : بُنِمَتْ أَسْمَانَا ، هُوَ مِنَ السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بَعْدَ ، غَيْرِ أَنَّهُ ، قَالَ : رُكَّعًا وَسُجَّدًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ صَلَّى لِلَّهِ ، فَتَبَلَّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وذكر فيه الْوَتِيرُ ، وَهُوَ اسْمُ مَاءٍ مَعْرُوفٍ فِي بِلَادِ خُرَاعَةٍ ، وَالْوَتِيرُ فِي اللُّغَةِ الْوَزْدُ الْأَبْيَضُ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ بَرِّيٌّ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَاءُ سَمِّيَ بِهِ ، وَأَمَّا الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ فَهُوَ الْخَوْجَمُ^(٢) وَيُقَالُ لِلْوَرْدِ كَيْلُهُ جَلٌّ^(٣) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ،

(١) أجمرت : بخرت . والجمع موس : العذرة والبر أيضاً ، أو هو كما عرفه أبو زيد : ما يطرحه الإنسان من ذى بطنه .

(٢) فردما : حوجمة .

(٣) ويقال أيضاً على الياحمين .

وكان لفظ الخوَجَم من الحجمة وهي حُمْرَةٌ في العَيْنَيْنِ ، يقال منه رجل أَخَجَمٌ .

ما قال عمر لأبي سفيان ومعهما :

وذكر قول عمر رضي الله عنه : فوالله لو لم أجد إِلَّا الذَّرَّ لجامد تُكْمُ به ، وهو كلام مفهوم المعنى ، وقد تقدم أن مثل هذا ليس بكذب ، وإن كان الذَّرُّ لا يقاتل به ، وكذلك قول عُمرَ في حديث المَوْطَأَ : والله ليمرن به ولو على بَطْنِكَ ، يعني التجذول ، وهو من هذا القبيل لا يُعدُّ كذباً ، لأنه جرى في كلامهم كالثلث .

شرح قول فاطمة لأبي سفيان :

وذكر قول فاطمة : والله ما بلغ بُنَيَّ أن يُجِيرَ بين الناس ، وقد ذكر أبو عبيد هذا مُتَحَدِّثاً به على من أجاز أمان الصَّبِيِّ وجواره ، ومن أجاز جِوار الصَّبِيِّ إنما أجازهُ إذا عَمَلَ الصَّبِي ، وكان كالمُراهِقِ .

وقولهما : ولا يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أديانهم ، فمعنى هذا - والله أعلم - كالْعَبْدِ ونحوه يجوز جواره ، فيما قلَّ ، مثل أن يُجِيرَ واحداً من العدو ، أو نفرأ يسيراً ، وأما أن يجير على الإمام قَوْماً يريد الإمام غزوهم وحرَبهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذي أرادت فاطمة - رضي الله عنها - والله أعلم ، وأما جِوار المرأة وتأمينها فخاثر عند جماعة الفقهاء إِلَّا سَحَنُونَ وابن المَاجِشُونَ ، فإنهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأُم هانئ : قد أَجَرْنَا مَنْ

أَجْرَتْ يَا أُمَّ هَانِي ، وروى معنى قولها عن عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد .
وأما جوارُ العبد ، فجازز إلا عند أبي حنيفة ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم
يجبر على المسلمين أديانهم يدخل فيه العبد والمرأة .

حاطب بن أبي بلتعة وما ظله في كتابه :

فصل : وذكر كتابَ حاطبٍ إلى قريش ، وهو حاطب بن أبي بلتعة
مَوْلَى عبدِ الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبدِ العزى ، والبلتعة في اللغة
التظرف ، قاله أبو عبيد ، واسم أبي بلتعة ، عمرو ، وهو أخو ، فيها ذكروا ،
ومن ذريته : زياد بن عبد الرحمن [بن زياد] الأندلسي الذي روى الموطأ
عن مالك ^(١) ، وهو زياد شبطون ، وكان ناضي طليطلة ^(٢) ، وكان شبطون
زوجاً لأمه ، فعرف به رحمه الله ، وقد قيل : إنه كان في الكتاب أن النبي
صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالليل ، وأقسم بالله
لو سار إليكم وحده انصره الله عليكم فإنه مُنْجِزٌ له ما وعدّه ، وفي تفسير [يحيى]
ابن سائِم أنه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب أن النبي محمد قد نفر إماماً
إليكم وإماماً إلى غيركم ، فمإيكم الخذر ^(٣) .

- (١) قال عنه ابن حزم في الجمهرة أول من أدخل الموطأ الأندلس .
(٢) في المارصد : ضبطه الحميدي بضم الطاءين وفتح الـاءين ، قال : وأكثر
ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح النائية .
(٣) ذكر الواقدي بسند له مرسل أن حاطب كتب إلى سهيل بن عمرو ،
وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، - وقد أسلم الثلاثة - أن رسول الله
د ص ، أذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون
لي عندكم يد .

تصنيف هشيم لخاخ :

وذكر أن علي بن أبي طالب والزبير والمقداد أدركوها بروضة خاخ بخاني منقطتين ، وكان هشيم يرويه : حاج بالحاء والجيم ، وهو مما حُفِظَ من تصحيح هشيم ، وكذلك كان يروي : سداداً من عون [بن أبي سداد] بفتح السين والمغيرة بن أبي بردة يقول فيه : برزة بالزاي ^(١) وفتح الباء في تصحيح كثير ، وهو مع ذلك ثبت متفق على عدالة ، على أن البخاري ، قد ذكر عن أبي عوانة أيضاً أنه قال فيه : حاج كما قيل عن هشيم ، والله أعلم ، وفي هذا الخبر من رواية الشيباني أن عائشة قالت : دخل علي أبو بكر وأنا أغربل حنطة لنا ، فسألني ، وذكر باقي الحديث ، وفيه من النقص أنهم لا يروون ، وإن كان أغلب أحوالهم أكل الشعير ، ولا يقال حنطة إلا للبر .

تفسير (تلفونه إليهم بالودة) :

فصل : وذكر قول الله عز وجل في حاطب ﴿ تُلَقُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ أي تَبْدُلُونَهَا لَهُمْ ، ودخول الباء وخروجها عند القراء سَوَاءً ، والباء عند سيبويه لا تُزَادُ في لَوَاجِب ، ومعنى الكلام عند طائفة من البصريين : تُلَقُّونَ إِلَيْهِمُ النَّصِيحَةَ بِالْمَوَدَّةِ ، قال النحاس : معناه تُخْبِرُونَهُمْ بما يُخْبِرُ بِهِ الرَّجُلُ أَهْلَ

(١) هناك المغيرة بن أبي بردة الكِنَانِي يروي عن أبي هريرة ويروي عنه سميذ ابن سلمة وثمة الفسائي ، وهناك المغيرة بن أبي برزة الأسلمي يروي عن أبيه ، ويروي عنه جردعان .

مودته ، وهذا التقدير إن نفع في هذا الموضع لم يَنْفَع في مثل قول العرب : ألقى إليه بوسادة أو بثوب ، ونحو ذلك ، فيقال : إذاً إِنَّ أَلْقَيْتَ تنقسم قسمين ، أحدهما : أن تريد وضع الشيء في الأرض ، فتقول : أَلْقَيْتَ السَّوْطَ من يده ، ونحو ذلك ، والثاني : أن تريد معنى الرَّمَى بالشيء ، فتقول : أَلْقَيْتَ إلى زيد بكذا : أَرْمَيْتُهُ به ، وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب ، وإرسال به ، فعبّر عن ذلك بالموَدَّة لأنه من أفعال أهل اللودة ، فمن ثَمَّ حَسُنَت الباء لأنه إرسال بشيء فتأمل .

قتل الجاسوس :

وفي الحديث دليلٌ على قَتْلِ الجاسوس ، فإن عُمرَ - رضي الله عنه - قال : دعني فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وما يُدْرِيكَ يا عُمرُ لعل الله اطَّلَعَ إلى أصحابِ بَدْرٍ ، الحديث ، فعلق حُسْمُكَ المنع من قَتْلِهِ بشهودِ بَدْرٍ ، فدل على أن مَنْ فعل مثلَ فعله ، وإيسَ بَدْرِيَّ أنه يُقْتَل . زاد البخاري في بعض روايات الحديث ، قال : فاغْرُورَقتُ عينا عُمرَ - رضي الله عنه - وقال : الله ورسوله أعلم ، يعني حين سمعه يقول في أهلِ بَدْرٍ ما قال ^(١) ، وفي مُسْنَدِ الحارث أن حاطباً قال : يا رسول الله كنتُ عَرِيراً في قُرَيْشٍ ، وكانت أمي بين

(١) يرى مالك جواز قتل كل جاسوس ، وإن كان مسلماً ، أما الشافعي وأبو حنيفة يريان أنه لا يُقْتَل ، ويقول ابن القيم : والصحيح أن قتله راجع إلى رأى الإمام ، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله ، وإن كان بقاؤه أصلح . استنباه .

ظَهَرُوا أَنَّهُمْ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْفَظُونِي فِيهَا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، ثُمَّ فَسَّرَ الْغَرِيبَ ، وَقَالَ :
هُوَ الْغَرِيبُ .

عن عبد الله بن أبي أمية :

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لَأُمِّ سَلَمَةَ حين استأذنته في أخيها
عبد الله بن أمية : وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهرِي فهو الذي قال لي بمكة ما قال ،
يعني حين قال له : والله لا آمنتُ بك حتى تتَّخِذَ سُلَمًا إلى السماء ، فَمَعْرُجٌ
فيه ، وأنا أنظرُ ثم تأتي بصكِّ وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله
قد أرسلك ، وقد تقدمت هذه القصة .

وعبد الله بن أبي أمية هو أخو أُمِّ سَلَمَةَ لأبيها ، وأمه عاتكة بنت
عبد المطلب ، وأُمِّ سَلَمَةَ أمها عاتكة بنت جِذَلِ الطَّعْمَانِ ، وهو عاصم بن
قيس ^(١) الْفَرَايِسِيُّ ، وأُمِّ أَبِي أُمِيَّةَ حُذَيْفَةُ ^(٢) وكانت عنده أربع عَوَائِكَ ،
قد ذكرنا منهن ههنا ثَلَاثِينَ ^(٣) .

عنه أبي سفيان بن الحارث وابنه وقصيرته :

وقول أبي سفيان بن الحارث : أَوْ لَأَخُذَنَّ بِيَدِ بُنَى هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ

(١) في القاموس : علقمة بن فراس وكذلك في المحبر لابن حبيب ص ٢٢٣

ونسب عاتكة عند ابن حبيب هو : بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة
ابن علقمة بن جذل الطعمان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة .

(٢) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(٣) أنظر العوائك في المحبر لابن حبيب .

في الأرض . لم يذكر ابن إسحاق اسم ابنه ذلك ، ولعله أن يكون جَعْفَرًا ،
فقد كان إذ ذاك غُلَامًا مُدْرِكًا ، وشهد مع أبيه حُنَيْنًا ، ومات في خلافة
معاوية ، ولا عَقِبَ له .

وذكر الزُّبَيْرُ لأبي سُفْيَانَ ولدًا يُكْنَى أبا الهِمَّاج في حديث ذكره
لا أدري : أهو جَعْفَرُ أم غيره ، ومات أبو سفيان في خلافة عُمرَ رضي الله عنه ،
وقال عند موته : لَا تَبْكُنَّ عَلَيَّ ، فإني لم أَتَطِفْ بِخَطِيئَةٍ منذ أسلمت ، ومات
من ثُوأُولِ حَلَقَةِ الخَلْقِ فِي حَجٍّ . فقطعه مع الشعر فَنَزَفَ منه ، وقيل في اسم
أبي سُفْيَانَ : المَغِيرَةُ ، وقيل : بل المغيرة أخوه ، قال النَّقَّاشِيُّ : إخوانه : المغيرة
ونُوْفَلٌ وعَبْدُ شَمْسٍ ورَبِيعَةُ بنو الحارث بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(١) .

وزنه فعلل :

وقوله : نَزَائِعَ جاءت من سَهَامٍ وسُرْدَدٍ ، على وزن فَعَالٍ بفتح الفاء ،
وسُرْدَدٍ بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيديويه ويعقوب ، وبفتح الدال
ذكره غيرها ، وهما موضعان من أرض عَمَكٍ ، وذلك أن سيديويه من أصله أنه
ليس في الكلام فُعَلَلٌ بالفتح ، وحكاها الكوفيون في جُنْدَبٍ وسُرْدَدٍ ،
وغیرهما ، ولا ينبغي أيضاً على أصل سيديويه أن يمتنع الفتح في سُرْدَدٍ ، لأن

(١) أولاد الحارث بن عبد المطلب — كما ذكر المصعب — هم : نوفل ،
وأبو سفيان الشاعر واسمه : المغيرة ، وربيعة ، وعبد شمس . وعبد المطلب ، وأممية ،
وأروى ، ونوفل هو أسن ولد الحارث ص ٨٥ نسب قريش . أما الحدوسي
فذكر أن له ثلاثة فخط هم ربيعة ، ونوفل ، وأبو سفيان ص ٢٢ نسب قريش .

إحدى الدالين زائدة من أجل التضعيف ، وإنما الذي يمتنع في الأبنية مثل جعفر
بضم أوله وفتح ثانيه ، فنل سُردَدَ والشودَدَ والحَوَالِ^(١) جمع حائل ، وما ذكره
بعضهم من طَحَلَبَ وبرُقَعَ وجوْذَرَ ، فهو دخيل في الكلام ، ولا يُجْعَل
أصلاً ، ولا يمتنع أيضاً جُنْدَبَ بفتح الدال ، لأن النون زائدة^(٢) .

(١) في الأصل والحال وهو خطأ .

(٢) نقل ابن خالويه عن ابن دريد أنه قال : ليس في كلامهم فعل - بضم
الفاء وفتح اللام إلا سودد وجوْذَرَ وجندب وحنطب كلها مفتوحة ومضمومة
وقال الزبيدي في الاستدراك على العين : ليس في الكلام على مثال فعل
إلا أحرف لا يقول بها البصريون مثل : طاحلب - بضم الطاء واللام - وبرقع
وجوْذَرَ ص ٦٣ ح ٣ المزهري للسيوطي . وفي كتاب التصريف للمازني وشرحه
لابن جنى ذكر أن الإجماع وقع على خمسة أمثلة للأسماء الرباعية التي لازيادة فيها ،
فهم ذكر مثلاً سادساً تجاذبه الخلاف وهو فعل بضم الفاء وفتح اللام ، فم قال
ابن جنى : وأما السادس الذي يتنازع الناس فيه فجندب ومثاله : فعل -
بضم الفاء وفتح اللام - حكاه أبو الحسن وحده بالفتح ، وخالفه فيه جميع
البصريين إلا من قال بقوله ، والذي رواه الناس غيره جندب بضم الدال ،
وهو اسم لا صفة ، وقد حكى غيره : برقع وبرقع ، وطاحلب وطاحلب وجوْذَرَ
وجوْذَرَ كلها بضم وفتح إلا أن جوْذراً ذكر أبو علي أنه أعجمي ، قال :
فلا حاجة فيه ، والضم في برقع وطاحلب هو الشائع ص ٢٥ ، ٢٧ المنصف في
شرح التصريف ح ١ وفي إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت في
باب فعل بضم اللام وفعل - بفتحها - بمعنى واحد . الفراء : يقال : برقع وبرقع
وبرقع . ابن الأعرابي : عنصل وعنصل للبصل البري ، وهو لثيم العنصر
والعنصر أي الأصل ، وهو دخله ودخله ، أي خاصته . ويقال : قنفذ وقنفذ وجوْذَرَ ،
وجوْذَرَ لولد البقرة ورجل قعد وقعد إذا كان قريب الآباء إلى الجدة الأكبر . .
ويقال : طاحلب وطاحلب ، ويقال في غير هذا الباب منخل ومنخل ، ومنصل
ومنصل للسيف .

شود إلى أبي سفيان :

وكان أبو سُفْيَان رَضِيَ رَسولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَرْضَعَهُمَا حَلِيمَةً ، وكان آلفَ النَّاسَ له قبلَ النَّبُوَّةِ لا يَفارِقُهُ ، فلما نُبِّيَّءَ كانَ أبعدَ النَّاسِ عَنَّهُ ، وأجهلهم له إلى أن أسلم ، فسكانَ أَصَحَّ النَّاسِ إيمانًا ، وألزمهم له - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولأبي سُفْيَانِ هذا قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أنت يا أبا سُفْيَانِ ، كما قيلَ كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الْفَرَا^(١) ، وقيل : بل قالَ الْأَبِي سُفْيَانُ بنَ حَرْبٍ ، والأولُ أَصَحُّ .

وقولُ بُدَيْلٍ : تَحَشَّسَهُمُ الحَرْبُ ، يقال : تَحَشَّتُ الرَّجُلَ إذا أَغْضَبْتَهُ ، وَتَحَشَّتُ النَّارَ أيضًا إذا أوقَدْتَهَا ، ويقال : تَحَشَّتُ بالسَّيْنِ .

عن إسلام سفيان بن حرب :

وذكر عُبَيْدُ بنُ حَمِيدٍ^(٢) في إِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانِ بنِ حَرْبٍ أَنَّ العَبَّاسَ لما احتمله معه إلى قُبَّتِهِ ، فأصبحَ عنده ، رأى النَّاسَ وقد ثاروا إلى ظُهُورِهِمْ ،

(١) الفراء : الحمار الوحشي . ويقول الذين رَوَوْا هذا إن أبا سفيان استأذن على النبي ﷺ ، فحجب قليلا ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كنت تأذن لي حتى تأذن الحجارة الجلمتين - وهما جانب الوادي - فقال ﷺ : يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء ، يتألفه على الإسلام ، وقيل معناه : إذا حجبك فتح كل محجوب . يتعرض المثل لمن يفضل على أقرانه . وانظر أصل المثل في الأمثال للميداني ص ١٣٦ ط السنة المحمدية .

(٢) رَوَاهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ .

فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ما للناس !! أأمرُوا في شيء ؟ قال : لا ،
واسكنهم قاموا إلى الصلاة ، فأمره العباس فتوضأ ، ثم انطلق به إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه السلام في الصلاة كَبَّرَ فَكَبَّرَ النَّاسُ
بتكبيره ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، فقال أبو سفيان : ما رأيت
كاليوم طاعة قوم جمهم من هُنَا وَهُنَا ، ولا فارس الأكرام ، ولا الروم ذات
الْقُرُونِ بِأَطْوَعَ مِنْهُمْ لَهُ ، وفي حديث عَبدِ بنِ حميد أن أبا سفيان قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ، حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالمُعْزَى ؟ فسمعه
عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ وَرَاءِ الْقُبَّةِ ، فقال له : نَحْرًا عَلَيْهَا ، فقال له أبو سفيان :
وَيَنْحَكْ يَا عَمْرَأُ !! إِنَّكَ رَجُلٌ فَاحِشٌ دَعَى مَعَ ابْنِ عَمِّي ، وَإِيَّاهُ أَكَلْتُمْ .

وذكر قول أبي سفيان : لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك العَدَاةَ عَظِيمًا ، وقول
العباس له : إنها النبوة ، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله إنما أنكر العباس عليه
أن ذكر الملك مُجَرَّدًا مِنَ النُّبُوَّةِ مع أنه كان في أول دخوله في الإسلام ،
وإلا لَجَازَ أَنْ يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا مُلْكًا ، وإن كان لِنَبِيِّ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى
فِي دَاوُدَ ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ وقال سليمان : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ غير أن السكراهمية
أظهر في تسمية حال النبي صلى الله عليه وسلم مُلْكًا لاجاء في الحديث أن النبي صلى
الله عليه وسلم خَيْرُ بَيْنٍ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، أَوْ نَبِيًّا مَلِكًا ، فالتفت إلى جبريل ،
فأشار إليه أن تَوَاضَعَ ، فقال : بل نَبِيًّا عَبْدًا أَشْبَعَ يَوْمًا ، وَأَجُوعَ يَوْمًا . ولم ينكار
العباس على أبي سفيان يقوَّى هذا المعنى ، وأمر الخلفاء الأربعة بعده بكرهه أيضًا أن
أَنْ يُسَمَّى مَلِكًا ، لقوله عليه السلام في حديث آخر : يكون بعده خُلَفَاءُ ،

ثم يكون أمراء ، ثم يكون ملوك ، ثم جبابرة ، ويروى : ثم يعود الأمر بزرياب .
وهو تصحيف ، قال الخطابي : إنما هو بزري ، أى قتل وسلب .

قول هند عن أبي سفيان :

وقول هند : اقتلوا الخُمَيْتَ الدَّيْمَ الأَحْمَسَ . الخُمَيْتُ : الزُّقُ ، نسبته
إلى الضُّخْمِ والسَّمَنِ ، والأَحْمَسُ أيضاً الذى لاخير عنده ، من قولهم : عام
أَحْمَسُ إذا لم يكن فيه مَطَرٌ ، وزاد عَبْدُ بن حميد فى حديثه أنها قالت :
يا آل غَالِبِ اقْتُلُوا الأَحْمَقَ ، فقال لها أبو سفيان : والله أَلْتَسْلِمِينَ أَوْ لَأُضْرِبَنَّ
عُنُقَكَ ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هـ وإسلامها قبل انقضاء عِدَّتِهَا ،
ثم استقرَّ على نكاحهما وكذلك حَكِيمُ بن حِزَامٍ مع امرأته حُجَّةٌ لِلشَّافِعِيِّ ،
فإنه لم يفرق بين أن تُسَلِّمَ قبله ، أو يسلم قبلها ، مادامت فى العِدَّة . وفرَّق مالكٌ
بين المسألتين على ما فى الْمُوطَأِ وغيره .

إسلام أبى قحافة :

وذكر إسلام أبى قحافة ، واسمه : عُثْمَانُ بن عَامِرٍ ، واسم أمه : قَيْلَةُ
بنت أذاة .

وقوله لبنت له : وهى أصغر ولده ، يريد الله أعلم أصغر أولاده .
الذين أصْلِهِ ، وأولادهم ، لأن أبا قحافة لم يعيش له ولد ذكرٌ إلا أبو بكر ،
ولا يُعْرَفُ له بنت إلا أمُّ قُرَوَّةَ التى أنكحها أبو بكر رضى الله عنه من
الأشعث بن قيس ، وكانت قبله تحت تَمِيمِ الدَّارِيِّ ، فهى هذه التى ذكر

ابن إسحاق والله أعلم . وقد قيل : كانت له بنت أخرى تُسَمَّى قُرَيْبَةً تَزَوَّجَهَا قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فالذِّكْرُ في حديث أبي قُحَافَةَ هِيَ إِحْدَى هَاتَيْنِ عَلَى هَذَا ، والله أعلم .

وفي الحديث : وكان رأسه نَعَامَةً ، والشَّعَامُ من نبات الجبال ، وهو من الجنَّةِ ، وأشد ما يكون بياضاً إذا انحلَّ ، والحِلْيَةُ مِنْهُ يُشَبَّهُ بِهِ الشَّيْبُ ، قال المراجع :

وَلَمْ يَكُنْ كَأَنَّهَا حَدِيثٌ (١)

حكم الخُصَّاب :

وقول النبيّ - صلى الله عليه وسلم - في شَيْبِ أَبِي قُحَافَةَ غَيْرُوا هَذَا مِنْ شَعْرٍ ، وهو على الذَّنْبِ ، لا على الوُجُوبِ ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغَيَّرْ شَيْبُهُ ، وقد روى من طريق أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ خَضَبَ . وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شَيْبَاتٍ يَسِيرَةً يَغَيِّرُهَا بِالطَّيِّبِ . وقال أَنَسٌ : لما يَبْلُغُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّ الْخُصَّابِ ، وفي البخاري عن عثمان بن مَوْثَبٍ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ أُمَّ سَلَمَةَ شَعْرَاءَ ، شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَفِيهِ ، أَيْضًا عَنْ ابْنِ مَوْثَبٍ قَالَ : بِمَعْنَى أُمِّي بِقَدْحٍ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، وذكر

(١) الرجز هكذا :

لما رَأَتْ حَلِيَّتِي عَيْنِيهِ
وَلَمْ يَكُنْ كَأَنَّهَا حَلِيَّةً
تَقُولُ : هَذِي قَرَّةٌ عَلَيْهِ

الحديث : وفيه اُطْلَعْتُ فِي الْجَنْجُلِ فَرَأَيْتُ شَعْرَاتِ نُجْرًا ، وهذا كَلَامُ مُشْكِلٍ وشرحه في مُسْنَدِ وَكِيعِ بْنِ الْجَوَّاحِ قَالَ : كَانَ جُلُجْلًا مِنْ فِصَّةِ صُنِيعِ صَيَوَانَا لَشَعْرَاتٍ كَانَتْ عَنْدهُمْ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَخْضُوبَ الشَّيْبِ ، وَقَدْ صَحَّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ بَلَّغَ أَنْ يَخْضِبَ إِنَّمَا كَانَتْ شَعْرَاتُ تَعْدُّ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ لَمَّا تَوَقَّى خَضَبَ مَنْ كَانَ عَنْده شَيْءٌ مِنْ شَعْرِهِ تَلَكَّ الشَّعْرَاتُ لَيْسَ كَوْنَ أَقْبَى لَهَا ، كَذَلِكَ قَالَ الدَّارُقُطْنِي فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ الْمُوطَأِ لَهُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ وَالسَّكَمِ ، وَكَانَ عُمَرُ يَخْضِبُ بِالصُّفْرَةِ ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ يَخْضِبُ بِالْخَطْرِ ، وَهُوَ الْوَسْمَةُ ، وَأَمَّا الصُّفْرَةُ ، فَسَكَاتٌ مِنَ الْوَرْسِ ، أَوِ الْكُرْكُمُ وَهُوَ الرُّعْفَرَانُ ، وَالْوَرْسُ يَنْبُتُ بِالْيَمَنِ يُقَالُ لِحَيْدِهِ : بَادِرَةُ الْوَرْسِ ، وَمِنْ أَنْوَابِهِ : السَّفِيفُ وَالْحَبْدَشِيُّ وَهُوَ آخِرُهُ ، وَيُقَالُ مِنَ الْحِنَاءِ : حَنْئًا شَدِيدُهُ وَرَقَّتُهُ ، وَجَمْعُ الْحِنَاءِ حِنَانٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَقَدْ أُرُوخُ بِلَمَّةٍ فَيَمَانَةٍ سَوْدَاءَ قَدْ رُوِيَتْ مِنَ الْحِنَانِ

مِنْ كِتَابِ أَبِي حَنِيْفَةَ ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَزِيدُ عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي شَيْبِ أَبِي قُحَافَةَ : وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى كِرَاهَةِ الْخَضَابِ بِالسَّوَادِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَمِنْ أَجْلِ حَدِيثِ آخَرٍ جَاءَ فِيهِ الْوَعِيدُ وَالنَّهْيُ لِمَنْ خَضَبَ بِالسَّوَادِ ، وَقِيلَ : أَوَّلُ مَنْ خَضَبَ بِالسَّوَادِ فِرْعَوْنُ ، وَقِيلَ : أَوَّلُ

من خَضَبَ به من العرب عبدُ المطلب، وتَرَخَّصَ قومٌ في الخِضَابِ بالسَّوَادِ
منهم محمد بن علي، وروى عن عُمرَ أَنه قال: أَخْضَبُوا بالسَّوَادِ، فإنه أُنْكِى
بالعَدُوِّ، وأَحَبُّ للنساء. وقال ابن بطَّال في الشرح: إذا كان الرجلُ كَهْلًا
لم يبلغ الهرمَ جازله الخِضَابُ بالسَّوَادِ، لأن في ذلك ما قال عمر رضى الله عنه
من الإِرْهَابِ على العَدُوِّ والتَّخْضِيبِ إلى اللِّذَاءِ، وأما إذا قَوَّسَ واحدٌ ودَبَّ
فحينئذ يُكْرَهُ له السَّوَادُ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أبي خُفافة:
غَيِّرُوا شَيْبَتَهُ، وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ^(١).

(١) عن ثابت قال: سئل أنس عن خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «لَوْ شِئْتُ
أَنْ أَعْدَ شِمَطَاتٍ كُنْتُ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ»، قال: «وَلَمْ يَخْتَضِبْ»، زاد في رواية: «وَقَدْ
اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالسَّكَمِ»، واختضب عمر بالحناء بمحماً. «أى: صرفاً
ومحضاً»، متفق عليه.

وعن ابن عمر أَنه كَانَ يَصْفُرُ لِحْيَتَهُ بِالصَّفْرَةِ حَتَّى تَمْتَلِئَ ثِيَابُهُ مِنَ الصَّفْرِ،
فَقِيلَ لَهُ: «لَمْ تَصْنَعْ بِالصَّفْرِ؟» قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَصْبِغُ بِهَا»، وَلَمْ يَكُنْ
شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا، وَقَدْ كَانَ يَصْبِغُ بِهَا ثِيَابَهُ كُلَّهَا حَتَّى عِمَامَتُهُ «أَبُو دَاوُدَ
وَالنَّسَائِيُّ».

وعن عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَأَخْرَجَتْنِي
إِلَيْنَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مَخْضُوبًا «الْبَحَارِيُّ».

وهي أَحَادِيثُ أَقْوَى بِمَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: يُمْكُونُ قَوْمٌ يَخْضُبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ
كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ «أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ
وَالْحَاكِمُ»، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

كداء وكدي :

فصل : وذكر كداء بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مكة ، وكدي وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدأ بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا في كداء وكدي ^(١) :

أَفْقَرْتُ بِمَدِّ عَبْدِ شَمْسٍ كَدَاءَ فَكَدَيْتُ فَالْوَكْنُ وَالْبَطْحَاءُ
وَالْبَيْتُ لَابْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يَذْكُرُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بِنِ عَبْدِ وَدٍّ ^(٢)
الْعَامِرِيِّنَ رَهْطُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو .

موقف إبراهيم بكداء :

وبكداء وَقَفَ إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريقه بالحرم ، كذلك روى سميد بن جبير عن ابن عباس ، فقال : فاجعل أفضدة من الناس .

(١) هناك خلاف واسع في هذه المواضع الثلاث وأوضح الأقوال ما ذكره البكري في معجمه منسوباً إلى علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : كدأ بالضم والتنوين مقصور بأسفل مكة بقرب شعب الشافعيين وشعب ابن الزبير عند قعيمةان ، وأما كدي مصغر فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن ، أما هو فقال عن كدي بالتصغير في معجمه وفي السمط : إنه جبل قريب من كداء ، وأما كداء فقال البكري : جبل بمكة . وكداء هذا الجبل هو عرفة بعينها . وفي المراسد عن كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب دار النبي عليه السلام من ذي طوى إليها ، وكدأ بالتنوين بأسفل مكة . وانظر النهاية في المفردات لابن الأثير وص ٣٩٩ السمط .

(٢) ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن أوى بن غالب .

تَهْوِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، وَقِيلَ لَهُ : أَذُنٌ فِي النَّاسِ بِالْخَبَرِ يَأْتُوكَ رِجَالًا ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : يَأْتُوكَ ، وَلَمْ يَقُلْ يَأْتُونِي ، لِأَنَّهَا اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَتِهِ ، مِنْ نَحْوِ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - اسْتَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا آتَى لِمَكَّةَ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ كَدَّاءَ ، لِأَنَّهُ لِلْوَضْعِ الَّذِي دَعَا فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من سعد :

فصل : وذكر نزاع الراية من سعد حين قال : اليوم يوم الملاحمة . وزاد غير ابن إسحاق في الخبر أن ضرار بن الخطاب قال يومئذ شعراً حين سمع قول سعد استعطف فيه النبي صلى الله عليه وسلم على قريش ، وهو من أجود شعراءه :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ - سَدَى إِلَيْكَ لَجَاً ^(١) - حَسْبُ قُرَيْشٍ ، وَلَاتَ حِينَ لَجَاءَ ^(٢)
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ السَّعَةُ الْأَرْضُ ضِيقَ وَعَادَاتِهِمْ إِلَهُ السَّمَاءِ

(١) ترك همز لجأ للوزن .

(٢) أثبت الألف في لجاء للضرورة ، وإلا فليجأ مهموز من بابي نفع وتعب . وفي الاستيعاب في ترجمة ضرار : وأنت خير لجاء . وقد روى ابن عساكر من طريق أبي الوبيد محمد بن مسلم المكي عن جابر قال : لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ، ثم ذكر هذه القصيدة . وعند الواقدي والاموي أن هذا الشعر لضرار . قال الحافظ : فكان ضراراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ في انعطافه صلى الله عليه وسلم على قريش .

والتفت حلفتا البطان على القوم ونودوا بالصائم الصلحاء
 إن سقدا يريد قاصمة انظهم بأهل الحجون والبطحاء
 خزرجي لو يستطيع من الغيظ رماناً بالنسر والعواء^(١)
 فلئن أقحم اللواء ، ونادى يا حمة اللواء أهل اللواء^(٢)
 لتكونن بالبطاح قریش^(٣) بقعة^(٤) القاع في أكل الإماء^(٥)

(١) جاء بعد هذا البيت :

دغر الصدر لايم بشيء غير سفك الدما وسبي النساء
 قد تظي على البطاح وجاءت عنه هند بالسومة الوداء
 إذ ينادى بذل حي قریش وابن حرب بذل من الشهداء

(٢) بعده :

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج والاوز أنجم الميعاد
 (٣) في رواية : فقة بكسر الفاء وسكون القاف وفتح العين جمع فقع بفتح
 الفاء وكسرهما وسكون القاف ضرب من الكمأة ، وهي الرخوة البيضاء يشبه به
 الرجل الذليل ، لأن الدواب تمنحله بأرجلها . وأما البقة فـكان يستقع فيه
 الماء ، وبضم الباء وفتحها أيضاً القطعة من الأرض على غير هيئة تأتي إلى جنبها .

(٤) وبعده

فأنينه فإنه أسد الاسد لدى الغاب والخن في الدماء

لأنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتاً كالحية الصماء

من مفردات القصيدة : البطان = حزام يجعل تحت بطن البعير يقال ذلك
 إذا اشتد الأمر . الصيلم = اللداهية أو الأمر الشديد . الصلحاء : الداعية ، وقد
 حذف حرف العطف بينها وبين الصيلم لتنظيم وهو جائز في غيره أيضاً . قاصمة
 الظهر = الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كمرت ظمورهم . النسر =
 نجم . العواء = سيأتي شرحه ، دغر = اسم فاعل من دغر والدغرة = شدة =

فحينئذ انتزع النبي صلى الله عليه وسلم الراية من سعد بن عبادَةَ
فما ذكروا ، والله أعلم ، ومدّ في هذا الشعر العوّاء ، وأنكر الفارسي في بعض
كتبه مدّها ، وقال : لومدت لقليل فيها القيّاء ، كما قيل في القليّاء ، لأنها ليست
بصفة كالعشواء ، قال : وإنما هي مقصورة كالشروى والنَجْوى ، وغفل عن
وجه ذكره أبو علي القالي ، فإنه قال : من مدّ العوّاء فهي عنده فعّال من عَوَيْت
الشيء إذا لويت طرفه ، وهذا حسن جداً لاسيّما ، وقد صح مدّها في الشعر
الذي تقدم^(١) ، وغيره ، والأصح في معناها : أن العوّاء من العوّة ، والعوّة هي
الدُّبرُ ، فسكانهم سمّوها بذلك ، لأنها دُبُرُ الأسد من البروج^(٢) .

خُنَيْسُ بْنُ خَالِدٍ :

فصل : وذكر خُنَيْسَ بْنَ خَالِدٍ ، وقول ابنِ هِشَامٍ : خُنَيْسُ مِنْ
خُرَزَاعَةٍ ، لم يختلفوا عن ابنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ خُنَيْسُ بِالْخَاءِ الْمَنْقُوطَةِ وَالنُّونِ ،
وَأَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ فِي الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ يَقُولُ : الصَّوَابُ فِيهِ : خُبَيْشُ بِالْخَاءِ

= توقد الحر . بهم = بضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة الفارس الذي لا يتوقى من
شدة بأسه . ويقال أيضاً للجيش . المهباء = الحرب . القاع : المكان المستوى
الواسع . أنظر ص ٣٠٦ - ١٢ المواهب اللدنية ، ٢٩٥ - ٤ ؛ البداية لابن كثير .
(١) قال الأزهري : من قصر العوا شبيهاً بإست السكب ، ومن مدّها جعلها
تعوى كما يعوى السكب والقصر فيها أكثر ، وقول الفارسي الذي ذكره السهيلي
موجود في اللسان بتفصيل في مادة عوا وكذلك الرد عليه فراجع .
(٢) في اللسان : تدعى وركى الأسد وعرقوب الأسد ، والعواء : منزل من
منازل القمر ، وقيل : نجم من أنواء البرد ، وقيل غير هذا .

المهملات والباء والشين المنقوطة ، وكذلك في حاشية الشيخ عن أبي الوليد أن الصواب فيه حُبَيْش ، وأبوه خَالِد هو الْأَشْعَرُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وقد رفعنا نسبه عند ذكر أم مَعْبِدٍ ، لأنها بذته ، وهو بالشين المنقوطة ، وأما الْأَشْعَرُ بالسين المهمل ، فهو الْأَشْعَرُ الْجَعْفِيُّ ، واسمه : سُرْدَبْنُ عِمْرَانَ^(١) ، وسُمِّي الْأَشْعَرُ لقوله :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لَسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لئن أنا لم أسْعُرْ عليهم وأثْقِبِ
يعنى بمالك : مَذْحِج .

وذكر الرجز الذى لسكُرَز :

قَسَدَ عَنَمَتِ صَفْرَاءَ مِنْ بَنِي فِهْرٍ
أشار بقوله : صَفْرَاءَ إِلَى صُفْرَةِ الْخُلُقِ ، وقيل : بل أراد معنى : قول
أمرئ القيس :

كَبِكرُ مُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَدَاها تَمِيرُ الْمَاءَ غَيْرَ مُحَالٍ^(٢)
وكقول الأعشى :

[تَرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ حُسْنِ مُحَايَظَةٍ غَرَارَةٍ^(٣)]
صَفْرَاءَ غَدَوْتُهَا ، وَصَفَرَ أَوِ الْمَشِيَّةِ كَالْمَرَارَةِ^(٤)

(١) ابن جرير في السمط ص ٩٤ ، وفي المؤلف الأمدى : ابن أبي حمران ، وكذلك في الإكمال والاشتقاق . وقد سبق .

(٢) سبق البيت وشرحه ، وفي المعلقة واللسان : المقاناة . وقد أضاف البكر إلى وصفها ، وقيل : أراد كبكر الصدفة المقاناة الخ . وانظر شرح الزوزنى للمعلقات ص ١٥ ط ١٢٨٨ . والزيادة من المعلقة .

(٣) هذا البيت زده من السمط .

(٤) رواية البيت هكذا في السمط : بيضا. ضحوتها الخ .

وقوله : من بنى فيهِز بكسر الميم ، وكذلك الصِّدْر في البيت الثاني ، وأبو صَخْر هذا على مذهب القرب في الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإنَّ منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عَيْن الفعل في الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعاً أو منخوفاً ، ولا يفعلون ذلك في النصب ، وعِلَّةُ مُسْتَقْصَاةٍ في النحو .

حول : طازا وموتمة :

وذكر خَبَرِ حِمَاسٍ وقول امرأته له : لماذا تُعِدُّ السلاحَ بإثبات الألف ، ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا ميمها ، والمعروف في ما إذا كانت استقماماً مجزوة أن تحذف منها الألف ، فيقال : لِمَ ، ويم ، قال ابن السراج : الدليل على أن ذا جُعِلَتْ مع ما اسماً واحداً أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف الجر ، فيقولون : لماذا فعلت ، وبماذا جئت ، وهو معنى قول سيبويه .

حول رمزي صماس :

وقوله : وذو غِرَارَيْنِ سريع السِّلَه بكسر السين هو الرواية ، يريد الحالة من سَلِّ السيف ، ومن أراد المصدر ففتح .

وقوله : وأبو يزيد قائم كالموتمة ، يريد : المرأة لها أيتام ، والأعراف في مثل هذا موتيم مثل مُطْفِل ، وجمعها ميَّيم ، وقال ابن إسحاق في غير هذه الرواية : الموتمة : الاسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث ، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ الموتمة

من قولهم: وَتَمَّ وَأَتَمَّ إِذَا ثَبَتَ، لأنَّ الاسطوانات تثبت ما عليها، ويقال فيها على هذا مُوْتَمَّةٌ بالهمز، وتجمع مَاتَمَ، وموْتَمَّةٌ بلا همز، وتجمع: موَاتَمَ.

وقوله: وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة، فيه حجة لورش. [واسمه: عثمان بن سعيد بن عبد الله] حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة، وهي متحركة، وإنما قيل لها عند النحويين أن تكون بين بين.

ومثل قوله: وأبو يزيد، قول الفرزدق:

فَلَرَعَى فَزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(١)

وإنما هو هَنَّاكَ بالهمز وتسهيلها بين بين، فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف في النحو، وكذلك قولهم في المنسأة، وهي العصا، وأصلها الهمز، لأنها مفعلة من نَسَأْتُ، ولكنها في التنزيل كما ترى^(٢)، وأبو يزيد الذي عني في هذا البيت، هو سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو خَطِيبُ قُرَيْشٍ.

وقوله: لَهُم نَهَيْتُ: النَّهْيَةُ: صوت الصَّدر، وأكثر ما توصف به الأسد، قال ابن الأَست:

كَانَهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَيْنَ فِي غِيَلٍ وَأُجْزَاعٍ

(١) شطرته الأُزَل: راحت بمسلة البقال عشية. وهو من شواهد سيبويه.

وَالْفَتْمَةُ : أصواتٌ غيرُ مفهومةٍ من اختلاطها .

طرف من أمطام أرضه مكة :

ونذكر هاهنا طرفاً من أحكام أرض مكة ، فقد اختلف : هل افتتحها النبي صلى الله عليه وسلم عنوةً أو صلحاً ، ليعتني على ذلك الحكم : هل أرضها ملكٌ لأهلها أم لا ؟ وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج فإن ذلك لا يحل لهم . وقال مالك - رحمه الله - : إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينههم أحدٌ ، وروى أن دور مكة كانت تدعى السَّوَابِ (١) ، وهذا كله منتزع من أصليين أحدهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالسَّجْدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ الحج : ٢٥ وقال ابنُ عمر وابنُ عباس : الحَرَمُ كُلُّهُ مسجد . والأصل الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخلها عنوةً غير أنه من على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يُقاس عليها غيرها من البلاد ، كما ظن بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين ، أحدهما : ما خص الله به نبيه ، فإنه قال : ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الأنفال : ١ والثاني : ما خصَّ الله تعالى به مكة فإنه جاء : لَا تَحِلُّ غَنَائِمُهَا ، وَلَا تُنَلَقَطُ لِقَطْعِهَا ، وهي حرم الله تعالى وأمنه ،

(١) روى الإمام أحمد عن علقمة بن نضلة قال : « كانت رباع مكة تدعى السَّوَابِ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » .

فكيف تكون أرضها أرض خراج ، فليس لأحدٍ افتتحَ بلداً أن يسلك به سبيل مكة ، فأرضها إذا ودورها لأهلها ، واسكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كراء في مساكنها ، فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا ، ففتح عتوة أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الحديث أنها فُتحت عتوة (١) .

الرهني القليل :

وذكر الهذلي الذي قُتل ، وهو واقف ، فقال : أَقَدَ قَعَلْتُمُوهَا يَا مَعْشَرَ خُرَاعَةٍ ، وروى الدارقطني في الشئ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كنت مقاتلٌ مُسلمٌ بكافرٍ لقتلت خِرَاشاً بالهذلي ، بمعنى بالهذلي : قاتل ابن أثوَجَ ، وخِرَاشٌ هو قاتله ، وهو من خُرَاعَةٍ .

هل تعبد السكبة غاصباً ؟

فصل : وذكر قصة ابن خطلٍ ، واسمه : عبدُ الله ، وقد قيل في اسمه :

(١) يقول الإمام ابن القيم عن مكة : « إنها لا تملك ، فإنها دار للنسك ، ومعبد الخلق ، وحرم الرب سبحانه وتعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، فهي واقف من الله تعالى على العالمين ، وهم فيه سراء . ومنى مشاخ من سبق ، ثم يقول : « ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ، ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وعطاء في أهل مكة ، ومالك في أهل المدينة ، وأبي حنيفة في أهل العراق ، وسفيان الثوري والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ، ثم فصل الأمر في أسلوب جميل فانظره ص ٤١٣ وما بعدها في زاد المعاد ط السنة المحمدية .

هَلَال ، وقد قيل : هلال كان أخاه ، وكان يقال لها الخَطْلَان ، وهما من بني تميم ابن غَالِب^(١) بن فِهْر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، ففي هذا أن الكعبة لا تُعَيَّد عاصياً ، ولا تَمْنَع من إقامة حَدٍّ واجب^(٢) ، وأن معنى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ إنما معناه الخبر عن تَعْظِيم حُرْمَةِ الْحَرَم في الجاهلية نعمة منه على أهل مكة ، كما قال تعالى :

(١) هو من قریش الظواهر . وذكر ابن دريد أن ابن خطل كان اسمه هلال ، وأن أخاه كان عبداً لله . وفي المقرئى أنه هلال . أنظر ص ١٠٦ ، ٧٩ الاشتقاق ، ص ٣٧٨ إمتاع الأسماع .

(٢) في المسألة خلاف طويل . ولقد كان العربي في الجاهلية يرى قاتل أبيه أو أبيه في الحرم فلا يبيحه . وروى الإمام أحمد عن عمر أنه قال : لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ، وذكر عن عبد الله بن عمر أنه قال : لو وجدت فيه قاتل عمر ما بدته . وروى مثله عن ابن عباس ، وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم ، بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلافة . وإليه ذهب أبو حنيفة ومن وافقه من أهل المراق ، والإمام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث : أما مالك والشافعي فيريان أنه يستوفى منه في الحرم ، كما يستوفى منه في الحل . وهو اختيار ابن المنذر . وقد وفي ابن القيم هذه المسألة بحثاً ، وذكر بالتفصيل أدلة الفريقين في زاد المعاد ص ٤٢٠ وما بعدها ج ٢ . وأقوى دليل لمن قال باستيفاء الحد منه في الحرم قوله سبحانه (ولا تأكلوا من عند المسجد الحرام ، حتى يقاتلوك فيه ، فإن قاتلوك فاقتلواهم) البقرة : ١٩١ وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس قوله : « من سرق أو قتل في الحل ، ثم دخل الحرم ، فإنه لا يجالس ، ولا يكلم ، ولا يؤوى حتى يخرج ، فيؤخذ ، فيقام عليه الحد ، وإن سرق أو قتل في الحرم أقيم عليه الحد ، ففرق بهذا بين الاجيء إلى الحرم ، وبين الجاني فيه . وهذا رأى بينه وبين هدى القرآن نسب متين .

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، الْمَأْمُودَةُ : ٩٧ -
فَسَكَانَ فِي ذَلِكَ قَوَامٌ لِلنَّاسِ ، وَمُصْلِحَةٌ لِلذَّرِيَةِ إِسْمَاعِيلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَهُمْ قُطَّانُ الْحَرَمِ ، وَإِجَابَةُ لِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ : اجْعَلْ
أُفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَعِنْدَمَا قَتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ابْنَ خَطْلٍ قَالَ : لَا يَقْتُلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا ، كَذَلِكَ قَالَ يُونُسُ فِي رَوَاتِهِ .

صلاة الفتح :

فصل : وذكر صَلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِيءَ ، وَهِيَ صَلَاةُ
الْفَتْحِ ، يُعْرَفُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ الْأَمْرَاءُ يَصْلُونَهَا إِذَا افْتَتَحُوا
بِلَدًا . قَالَ الطَّبْرِيُّ : صَلَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، حِينَ افْتَتَحَ الْمَدَائِنَ ، وَدَخَلَ
إِبْرَانَ كَسْرِي ، قَالَ : فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْفَتْحِ ، قَالَ : وَهِيَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ
لَا يُفْصَلُ بَيْنَهَا ، وَلَا تُصَلَّى بِإِمَامٍ ، فَبَيْنَ الطَّبْرِيِّ سُنَّةَ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَصِفَتُهَا ،
وَمِنْ سُنَّتِهَا أَيْضًا أَنْ لَا يُجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ ، وَالْأَصْلُ مَا تَقْدِمُ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِيءَ وَذَلِكَ ضَحَى ^(١) .

(١) عَنْ أُمِّ هَانِيءَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامُ الْفَتْحِ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ بِأَعْلَى
مَكَّةَ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِلَى غَسَلِهِ ، فَسَرَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ أَخَذَتْ ثَوْبَهُ
فَالْتَحَفَتْ بِهِ ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ سَبْحَةَ الضُّحَى وَمُتَّفِقٌ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ فِي
رَوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ
فَاغْتَسَلَ وَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ أَنْ يَكُونَ قَدْ نَزَلَ
فِي بَيْتِهَا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ فِي بَيْتِ آخِرِ مَكَّةَ ، لِحَامَاتٍ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتْهُ يَغْتَسِلُ .
وَفِي حَدِيثِ لَابِيِّ دَاوُدَ أَنَّهُ ﷺ ، كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ =

أُم هَانِي :

وَأُم هَانِي اسمها : هِنْدُ تَسْكُنُ بِابْنِهَا هَانِي بْنِ هُبَيْرَةَ ، وَلَهَا ابْنٌ مِنْ هُبَيْرَةَ اسْمُهُ يَوْسُفُ ، وَثَلَاثٌ وَهُوَ الْأَكْبَرُ اسْمُهُ : جَعْدَةَ ، وَقِيلَ : إِبَاءَهُ عَمَّتْ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ ، زَعَمَ ابْنُ أُمَى عَلَى أَنَّهُ قَاتَلَ رَجُلًا أَجَرْتَهُ فَلَانَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِ أُمِّ هَانِي : فَاحِشَةٌ ^(١) .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي سَرْحٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ أَوْيٍّ يُسَكِنُ أَبَا بَحِيحٍ ، وَكَانَ كَاتِبَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ ارْتَدَّ وَلُحِقَ بِمَكَّةَ ،

== ابن خزيمة . وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إربوان كسرى ثمانين ركعات يسلم من كل ركعتين ، وفي هذا رد على من زعم أن الصلاة هذه موصولة هذا وقد حقق الإمام ابن القيم رضى الله عنه الصلاة المسماة بصلاة الضحى ، تحقيقاً عظيماً ، وجمع أكثر ما قيل فيها من أحاديث ، ومنها ما رواه البخارى : « لم يكن رسول الله - ص - يصلى الضحى إلا أن يقدم من مغيبه » ثم قال ابن القيم : فالذى أثبتته فعلها بسبب كسب دونه من سفر ، وفتح وزيارته لقوم ونحوه ، وكذلك إتيانه مسجد قباء للصلاة فيه . . ولم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وتذب إليها وحض عليها ، وكان يستغنى عنها بقيام الليل ، فإن فيه غنية عنها ، وهى كالبدل منه . . وابن عباس كان يصلها يوماً ويدعها عشرة ، وكان ابن عمر لا يصلها ، فإذا أتى مسجد قباء صلاها . أما صلاة الفتح فهى هذه التى مر ذكرها ، وكانت ضحى ، فظننا من ظنها صلاة الضحى .

(١) هى أُم هَانِي بنت أبي طالب ابنة عم النبي - ص - وقد اختلفت في اسمها ، فقيل فاختة ، وقيل فاطمة ، وقيل هند ، والأول أشهر ، وكانت زوجة عائذ المخزومي .

نم أسلم وحسن إسلامه ، وعُرف فضله وجهاده ، وكان على مَيِّمَنَة عمرو ابن العاصي حين افتتح مصر ، وهو الذي افتتح إفريقية سنة سبع وعشرين ، وغزا الأساود من النوبة ، ثم هادنهم المهدنة الباقية إلى اليوم ، فلما خالف محمد بن أبي حذيفة على عُثمان - رضى الله عنه - اعتزل الفتنة ، ودعا الله عز وجل أن يقبضه ، ويجعل وفاته باثر صلاة الصبح ، فصلى بالناس الصبح ، وكان يسلم نسليمتين عن يمينه ، وعن شماله ، فلما سلم النسايمة الأولى عن يمينه ، وذهب ليسلم الأخرى ، قبضت نفسه ، وكانت وفاته بمُغَنَّا ، وهو الذي يقول في حصار عُثمان :

أرى الأمر لا يزددُ إلا تفاؤُا وأنصارُنا بالمككتين قليلُ
وأسلنا أهلُ المدينة والهوى إلى أهلِ مصرِ والدَّليلُ ذليلُ
نحية :

وأما نُمَيْلَة بن عبد الله الذي ذكره ابن إسحاق فهو ليثي أحد بني كعب بن عامر بن ليث ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد كثيراً من مشاهدته وغزواته .

عن ابن نُبَيْر والقيتين :

وأما الحُوَيْرِثُ بن نُقَيْدٍ^(١) الذي أُمِرَ بقتله مع ابن خَطَلٍ ، فهو الذي

(١) بقية نسبه : ابن بجير بن عبد قهي .

نَحْسِ بْنِ يَدْبَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها ، هو وهَبَارُ
ابن الأسود ، فسقطت عن دابَّتِها ، وألقت جَنِينَهَا .

وأما القَيْنَتَانِ اللَّاتَانِ ، أمر بقتلها ، وهما سَارَةُ^(١) وقرَّتْنِي فأسلمت قرَّتْنِي ،
وآمنت سَارَةُ وعاشت إلى زمن عمر رحه الله ، ثم وطئها قَرَسٌ ، فقتلها .

عن الربيات في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيها ذكر الذبابة ،
وذكر قتل الخطأ ، وذكر شبه العمدة وتغايط الدية فيه ، وهي أن يُقتل
القتيلُ بسوطٍ أو عصا ، فيموت ، وهو مذهب أهل العراق : أن لا قودَ^(٢) .
في شبه العمدة ، والمشهور عن الشافعي أن فيه الدية مُغلَّظةً أَثَلَاتًا^(٣) ، وليس .

(١) في بعض الروايات أنها ليست من القينتين ، وإنما هي مولاة عمرو
ابن هشام ، وقيل مولاة لبنى عبد المطلب ، لأنها كانت تؤذى رسول الله في مكة ،
وقد قيل إنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، وكانها عفى عنها ،
أو هربت ، ثم أهدر دمه ، فهربت حتى استؤمن لها من الرسول . ص . وقيل
قتلها على بن أبي طالب وقيل غيره وأما الجاريتان فهما قرنتا وقريبة ، أو قرنتا
وأرنية وقد قتلت أرنب أو قريبة . أنظر ص ٢٩٨ - ٤ البداية لابن كثير .
ص ٣٧٨ ، ٣٩٤ إمتاع الاسماع للمقريزي .

(٢) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

(٣) أى ثلاث وثلاثون حقة ، وثلاث وثلاثون جذعة ، وأربع وثلاثون
ثنية . الثانية من الغنم ، ما دخل في الثالثة ، ومن البقر كذلك ، ومن الإبل
في السادسة ، والجذعة ما دخل في السنة الخامسة من الإبل ، ومن البقر والغنم
ما دخل في السنة الثانية . وقيل البقر في الثالثة ، ومن الضأن ماتت له سنة . وقيل
غير ذلك . وحديث شبه العمدة أخرجه الخمسة إلا الترمذي .

عند فقهاء الحجاز إلا قَوْدَ في عَمْدٍ أو دِيَّةٍ في خَطَأٍ تُوْخَذُ أَخْمَاسًا^(١) على ما قَسَرَ الفقهاء . وهو قول الليث ، وكذلك قول أهل العراق إن القَوْدَ لا يكون إلا بالسيف . واحتجوا بأثر يُروى عن ابن مَسْعُودٍ مرفوعاً أن لا قَوْدَ إلا بمَحْدِثَةٍ ، وعن عَلِيٍّ مَرْفُوعاً أيضاً : لا قَوْدَ إلا بالسيف ، ومن طريق أبي هُرَيْرَةَ لا قَوْدَ إلا بمَحْدِثَةٍ ، وهو يدور على أبي مُعَاذٍ سُلَيْمَانَ بن أَرْقَمَ ، وهو ضعيف بإجماع ، وكذلك حديث ابن مَسْعُودٍ يدور على الْمُعَلَّى بن هِلَال ، وهو ضعيفٌ مَثْرُوكُ الحديث ، وكذلك حديث عَلِيٍّ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ ، وحجة الآخرين في أن القاتل يُقْتَلُ بما قُتِلَ به قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ غَتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَغْتَدُوا عَلَيْهِ بَمِثْلِ مَا غَتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة : ١٩٤ ، وحديث اليهودى الذى رَضَخَ رأسَ الجارية على أَوْضَاحٍ^(٢) لها ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُرَضَخَ رأسُهُ بين حجَرتين .

المعلقة في السكبة :

وأما دخوله عليه السلام السكبة وصلاته فيها ، فحديث بلال أنه صلى

(١) عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون غير لبون ، وعشرون بنات مخاض . ابن اللبون أو بنت اللبون : ما دخل من الإبل في الثالثة . والمخاض : اسم للتوق الحوامل ، وبنت المخاض ما دخلت في السنة الثانية . وفي بنى اللبون خلاف . بل في نفس الدية خلاف .

(٢) الاوضح نوع من الحلى يعمل من الفضة وهو من حديث متفق عليه ، فقد وجدوا جارية رخص رأسها ، فسألوها : من صنع بك هذا ، حتى ذكروا يهودياً ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودى ، فأقر ، فأمر الرسول ﷺ ، برض رأسه بين حجَرتين .

فيها ، وحدث ابن عباس أنه لم يصل فيها ، وأخذ الناس بها يث بلال ، لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة الثابت ، لا بشهادة الناق ، ومن تأول قول بلال أنه صلى ، أى دعا ، فليس بشيء ، لأن فى حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، وسكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان ، لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فزى ، ودخلها من الغد صلى ، وذلك فى حجة الوداع ، وهو حديث مروي عن ابن عمر بإسناد حسن ، خرجه الدارقطني ، وهو من فوائد^(١) .

(١) عن ابن قال : دخل رسول الله ص ، البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فأغلقوا عليهم الباب ، فلما فتحو كنت أول من ولج ، فلقيت بلالا ، فسألته : هل صلى فيه رسول الله ص ؟ قال : نعم ، بين العمودين اليمانيين متفق عليهما ، وفى حديث البخارى وأحمد أنه ص ، صلى ركعتين بين الساربتين عن يسارك إذا دخلت وأنه خرج ، فصلى فى وجهة الكعبة ركعتين . وحدث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كبر فى البيت ولم يصل فيه قد أخرجه البخارى ، وقال إن إثبات بلال أرجح . لأنه كان مع النبي ، ولم يكن ابن عباس معه ، وإنما استند فى نفيه إلى أسامة تارة ، وإلى الفضل تارة . وقد روى نفي الصلاة مسلم عن أسامة من طريق ابن عباس ، ووقع إثبات صلاته فى الكعبة أيضاً عن أسامة من رواية ابن عمر ، ولهذا ترجح رواية بلال إذ ليس فيها مثل هذا التعارض ، وعن عائشة قالت : خرج رسول الله ص ، من عندي وهو قريب العين طيب النفس ، ثم رجع إلى ، وهو حزين ، فقلت له ؟ فقال : إني دخلت الكعبة ، ووددت أني لم أكن فعلت ، إني أخاف أن أكون أتعبت امتي من بعدى الخمسة إلا الفسائي وصحبه الترمذي ، وعن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : أدخل النبي ص ، البيت فى عمرته ؟ قال : لا ، متفق عليه ، وبهذا استدل الجمهور على أن دخول الكعبة ليس من مناسك الحج .

كسر الأصنام

قال ابن هشام : وحدثني من أئق به من أهل الرواية في إسناد له ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ فما أشار إلي صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :
وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

قصة إسلام فضالة

قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عмир بن الملوح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم : وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لأشياء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ؛ فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى مامن خلق الله شيء أحب إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة .

كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلَمْ إِلَى الْحَدِيث ، فقلت : لا ، وانبعث
فضالة يقول :

قَالَ هَلَمْ إِلَى الْحَدِيث فَقُلْتُ لَا يَا أَبَى عَلِيٍّ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ
لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيْلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْمُرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ أَضْحَى بَيْنَنَا وَالشَّرْكَ يَفْشَى وَجْهَهُ الْأَظْلَامُ

أمان الرسول لصوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير ، قال :
خرج صفوان بن أمية يريد جذّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ :
يا نبيّ الله إن صفوان بن أمية سيّدُ قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه
في البحر ، فأمنّه ، صلى الله عليك ؛ قال ، هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ،
فأعطني آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمامته
التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عُمَيْرُ حَتَّى أَدْرَكَهُ ، وهو يريد أن يركب
في البحر ، فقال : يا صفوان فِداكَ أَبِي وَأُمِّي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَهْلِكَهَا ،
فهذا أمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتُك به ؛ قال : ويحك !
اغْرُبْ عَنِّي فَلَا تَكَلِّمْنِي ؛ قال : أَيُّ صفوان فِداكَ أَبِي وَأُمِّي ، أَفْضَلُ
النَّاسِ ، وَأَبْرَأُ النَّاسِ ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَخَيْرُ النَّاسِ ، ابْنُ عَمِكَ ، عَرْشُ عَرْكَ ،
وَشَرَفُهُ شَرَفُكَ ، وَمُلْكُكَ مُلْكُكَ ؛ قال : لِمَ أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي ، قال : هو
أَحْلَمُ مِنْ ذَاكَ وَأَكْرَمُ : فَرَجَعَ مَعَهُ ، حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمّنتني ، قال : صدق ؛ قال :
فاجعلني فيه بالخيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعُمَيْرِ
وَبَيْحِكَ ! اغْرُبْ عني ، فلا تكلمني ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ،
وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري : أن أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام
وفاخته بنت لوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأمّ حكيم عند
عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا ؛ فأما أمّ حكيم فأسلمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعكرمة فأمنته ؛ فلحقته به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة
وصفوان أقرّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على الفساح الأول .

إسلام ابن الزبيري وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :
قال : رمى حسانُ ابنَ الزُّبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد ما زاده عليه :
لَا تَعْدَ مَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُقْضَهُ نَجْرَانِ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ

فلما بلغ ذلك ابنَ الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقَتْ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سِنَنِ الْفَى وَمَنْ مَالَ مَيْلُهُ مَشْبُورُ
أَمَنْ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ أَوْىَّ وَكُلُّهُمْ مَفْرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبمرى أيضاً حين أسلم :

مَدَحَ الرَّقَادَ بِلَايِلَ وَمُحْمُومُ وَاللَّيْلُ مُقْتَلِجُ الرُّوَاقِ سَهِيمُ
مِمَّا أَنَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامِنِي فِيهِ فَيْتُ كَأَنِّي نَحْمُومُ
بِاخْبِرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةَ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ لِمَالِكٍ مِنَ الَّذِي أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطْبَةٍ سَهْمُ وَتَأْمُرُنِي بِهَا نَحْزُومُ
وَأَمْدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ النُّوَّةِ وَأَسْرُهُمْ مَشْهُومُ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَغَطَى هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتْ الْمَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَاصِرَ بَيْنَنَا وَحُلُومُ
فَاغْفِرْ نَدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَاهَا زَلَى ، فَانِكَ رَاحِمٌ مَرَحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عِلَامَةُ نَوْرٍ أَغْرَ وَخَاتَمُ نَحْتُومُ
أَعْطَاكَ بِمَدِّ مَحَبَّةٍ بَرَاهَانُهُ شَرْقًا وَبِرَهْمَانِ الْإِلَهِ عَظِيمُ
وَأَقْدَشَهْدَتْ بِأَنْ دِينَكَ صَادِقُ حَقِّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ
وَاللَّهُ بِشَهْدِ أَنْ أَحْمَدُ مَصْطَفَى مُسْتَقْبَلُ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ

قَرْمٌ عَلا بُنْيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ فَرَعَ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَا وَأُرُومُ
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له :

بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجه أم هانيء

قال ابن إسحاق : وأما هبيرة بن أبي وهب الخزومي فأقام بها حتى مات
كافراً ، وكانت عنده أم هانيء بنت أبي طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين
بلغه إسلام أم هانيء :

أشأقتك هند أم أناك سُؤأها	كذلك النوى أسبابها وانفتأها
وقد أرقّت في رأس حصن ممنع	بنجران يسرى بعد ليل خياها
وعاذلة هبت بئيل تلمومي	وتعدلي بالليل ضلّ ضلأها
وتزعّم أني إن أطعت عشيرتي	سأردى وهل يردني إلّا زبأها
فإني لمن قَرْمٌ إذا جدّ جدّم	على أيّ حال أصبح اليوم حالها
وإني لحامٍ من وراء عشيرتي	إذا كان من تحت الموالى مجالها
وصارت بأيديها السيوف كأنها	مخارق ولدانٍ ومنها ظلأها
وإني لأقلّي الحاسدين وفعلمهم	على الله رزقي نفسها وعيالها
وإن كلام المرء في غير كذبه	لكا النبيل تهوى ليس فيها نصأها
فإن كنت قد تابعت دين محمد	وعطفت الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلى سحيق بهضة	مؤلمة غبراء يئس بلأها

قال ابن إسحاق : وروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غفار أربع مائة ، ومن أسلم أربع مائة ؛ ومن مزيعة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

شعر حسان في فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :

عَقَبْتُ ذَاتُ الْأَصَابِيعِ فَالْجَوَاهِرِ	إِلَى عَذْرَاءَ مَنَزِلُهَا خَلَاهُ
دِبَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفْرُ	تُعَقِّبُهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّهَابُ
وَكَاثَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أُنَيْسُ	خِلَالِ مِرْوَاجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
فَدَعُ هَذَا وَلِسْكَنَ مَنْ لَطِيفُ	يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِسَقْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ	فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَيْبَةَ مِنْ بَيْتِ رَأْسِ	يَكُونُ مِرَاجِهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الْأُمْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا	فَهُنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
فَوَإِيهَا الْعَلَامَةُ إِنْ أَلْمَنَّا	إِذَا مَا كَانَ مَفْتُ أَوْ كَلَاهُ
وَنَشَرَبُهَا فَتَعَرَّكُنَا مُلُوكَا	وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُنَا الْإِقْدَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُنِيرُ النَّعَمَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُنَازِعُنَ الْأَعْنَةَ مُصْنِفِيَّاتٍ عَلَى اكْتِنَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءِ
تَظَلُّ حَيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يُطْعَمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمِرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْفِطَاءُ
وَالَا فَاصْبِرُوا لِحِلَالِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوهُ فَقُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمْ الْأَنْصَارُ عُرِضَتْهَا الْأَقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَمَدَ سَيَابِ أَوْ قِتَالٍ أَوْ هِجَاءُ
فَنَحْنُكُمْ بِالْقَوَائِي مِنْ هَجَانَا وَتَقَرَّبَ حِينَ تَحْمَلُطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي مُفْلَقَةً فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ
بَأَنْ سَيُوفِنَا تَرَكْتِكَ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأُجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفَاءٍ فَشَرُّكَ خَلِيقًا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهُ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْعَرُهُ سَوَاءُ ؟
فَإِنْ أَبِي وَوَالِدُهُ وَعَرِضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لَنَا صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبِحَرَى لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح. ويروى: «إسائي صارم لا عتب فيه» وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخليل بأظفارهن بسم إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه.

شعر أنس بن زعيم

في الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زعيم الدبلي يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي:

أنت الذي تهدي ممدًا بأمره	بل الله يهديهم وقال لك أشهد
وما حملت من ناقة فوق رجليها	أبرأ وأوفى ذمة من محمد
أحت على خير وأسبغ نائلًا	إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرذ الخلال قبل ابتذاله	وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مذكرى	وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر	على كل صيرم مقهين ومنجد
تعلم بأن الركب ركب عويمر	هم الكاذبون الخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجونه	فلاحمات سوطى إلى إذن يدي
سوى أنى قد قلت وهل أم فتية	أصيدوا بنحس لا يطلق وأشد
أصابهم من لم يكن لديهم	كفاء فمرت عبرتى وتبلدى

فإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً بعبد بن عبد الله وابنة مَهود
ذُوبَ وكُلْتُم وسلَى تَتابعوا جميعاً فألاً تدمع العين أكمَد
وسلَى وسلَى ليس حتى كَيْتله وإخوته وهل ملوك كأعبد ؟
فإني لا دينك فتقت ولا دماً هرقتُ تبين عالم الحق واقصِد

شعر بديل في الرد على ابن زعيم

فأجابه بدَّيل بن عبد مناف بن أمٍّ أضرمَ ، فقال :
بكى أنسَ رَزْنَا فَأَعْوَلَهُ الْبُـسْكَ قَالاً عَدِيًّا إِذْ تُطَلُّ وَتُبْعَدُ
بَكَيْتَ أَبَا عَبْدِ الْقُرْبِ دُمَائِهَا فَمُعْذِرَ إِذْ لَا يَوْقُدُ الْحَرْبُ مُوقِدُ
أَصَابَهُمْ يَوْمَ الْخُنَادِمِ فِتْيَةٍ كِرَامٌ فَسَلْ ، مِنْهُمْ نَفِيلٌ وَمُعَبِدُ
هَنَالِكَ إِنْ تَسْفَحْ دُمُوعُكَ لَا تُلْمَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تَدْمَعْ الْعَيْنُ فَاكْذُوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

شعر بجير في يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :
تَنَى أَهْلَ الْخَلْقِ كُلَّ فَـجْجٍ مُزَيْنَةً غُدْوَةً وَبَنُو خَفَافِ
ضَرَبَتْهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ
صَبَّخْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَـكِيمِ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عُمَانَ وَافِ

نظا أكتافهم ضرباً وطعناً ورشقاً بالريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حقيقاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماع مقومة الثقاف
فأبنا غامرين بما اشتبهنا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا موافقنا على حسن التصاف
وقد سموا مقاتلنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

شمر ابن مرداس في فتح مكة

قال ابن هشام : وقال ابن مرداس السلي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسهيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وأشهدا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به أقدامهم ضحك كأن الهام فيه الحفتم
جرت سناجكها بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدم
الله مسكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرئاسة شامخ عرنيته متطلع ثمر المسكارم خضرم

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثني بعض أهل
العلم بالشمر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبد ، وهو حجر كان

يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى ، اعبد ضمار فإنه
يتفعلك ويضرك ، فبينما عباس يوماً عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار
منادياً يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبی محمد .
ففرق عباس ضمار ، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

شعر جمعة في يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جمعة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل الحين له يوم الحديد متلاح
أتبعته له من أرضه وسماؤه لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا وافتكاً سدودناه وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين يحجفل ذوى عضد من خيلنا ورماح
وهذه الأبيات في أبيات له .

شعر مجيد في يوم الفتح

وقال مجيد بن عمران الخزاعي :

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركاب صحاب الهيدب المتراكب

وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب آتى من خير عمل وكتاب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لنذكر نأراً بالسيوف القواضب

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة
ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول
مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث
خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فوطئ
بني جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في ذلك :

فإن تك قد أمرت في القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بمجد هداه الله أنت أميره نصيب به في الحق من كان أظلاماً

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين ،
سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن
أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن
منصور ومذليج بن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،

فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا :

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جندم : وبلسكم يا بني جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جندم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضِعَتِ الحرب وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

براعة الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل خالد

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فسكّطُوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر الحمودي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيتُ كاتِي لَقِمتُ لَقْمَةً من حَيْس ، فالتذذْتُ طَعْمَهَا ، فاعتصر في حلق منها شيء حين ابتلعنها ، فأدخله يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

يارسول الله ، هذه سرّية من سراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ،
ويكون في بعضها اعتراض ، فتبعث علياً فيسهره .

قال ابن هشام : وحدثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنكر
عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة ، فنهّمه خالد ،
فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعته ، فاشتدت
مراجعتيها ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابني عبد الله ،
وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال :
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال :
يا عليّ ، أخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت
قدميك . فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه آيدى لهم
ميلة الكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا ودّاه ، بقيت معه
بقية من المال ، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم
بقية من دم أو مال لم يودّ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعطيك هذه البقية من
هذا المال ، احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل .
ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسن .
قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه ،

حتى إنه أكبرى مما تحت منسكبيه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
ابن الوليد ، ثلاث مرّات .

الاعتذار عن خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما فاتت حتى
أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أمرت أن نقاتلهم لامتثالهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : لما أتاهم خالد ، قالوا : صباؤنا صباؤنا .

بين خالد وبين ابن عوف

قال ابن إسحاق : وقد كان جندم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى
ما يصنع خالد بيني جذيمة : يا بني جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم
ما وقعت فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام
في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عييت بأمر الجاهلية في الإسلام .
فقال : إنما ثارت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ،
واسكتك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله
لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي
ولا روحته .

بين قریش وبنی جذیمہ

وكن الفاكه بن المغيره بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر ، كان هلك ، باليمن ، إلى ورثته ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، وأقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على نزال ليأخذوه ، وقتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف ، والفاكه بن المغيره ، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيره ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهتت قریش بفزرو بني جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملائنا ، إنما عدا عليهم قوم بجحالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نمنفل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال ، فقبلت قریش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمى فيما بين جذيمة وقریش

وقد قاتل من بني جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :
ولولا ما قال القوم للقوم أسلموا للآقت سليم يوم ذلك ناطحا
لما صغهم بشر وأصحاب جحدم ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا

فَكَانَ تَرَى يَوْمَ الْغَمِيضِ مَنْ قَتَى أَصِيبَ وَلَمْ يَخْرُجْ وَقَدْ كَانَ جَارِحًا
أَلْظَّتْ بِخُطَّابِ الْأَيَّامِ وَطَلَّقَتْ غَدَاتِنْدُ مِنْهُنَّ مَنْ كَانَ نَاكِحًا
قال ابن هشام : قوله « يُبْشِرُ » « وَأَلْظَّتْ بِخُطَّابِ » عن غير ابن إسحاق .
شعر ابن مرداس في الرد على سلمى

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال : بل الجحاف بن
حكيم الثلثي :

دعى عنك نَقُولُ الضَّلَالِ كَفَى بِنَا
الْكِبْشِ الْوَغَى فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ نَاطِعًا
نَخَالِدُ أُولَى بِالْتَّمَذْرِ مِنْكُمْ غَدَاةَ عَلَانِهِجًا مِنَ الْأَمْرِ وَاضِحًا
مُعَانًا بِأَمْرِ اللَّهِ يُزْجِي إِلَيْكُمْ سَوَاحِجَ لَا تَكْبُورُ لَهُ وَبَوَارِحًا
تَعْمُوا مَا لَكُمْ بِالسَّهْلِ لَمَّا هَبَطْنَاهُ عَوَابِسَ فِي كَأْبِي الْغُبَارِ كَوَالِحًا
فَإِنْ نَكَ أَثْمَكُنَاكِ سَلَمَى فَهَالِكُ تَرْكُنْمُ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحًا

الجحاف يرد على سلمى

قال الجحاف بن حكيم الثلثي :

شَهِدْنَا مَعَ النَّبِيِّ مَسْوَمَاتٍ حُفَيْنًا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْكَلَامِ
وَعَزْوَةُ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَجَرَتْ سَفَابِكُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
نَعْرَضُ لِلطَّعْمَانِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهًا لَا تَعْرِضُ لِلطَّامِ

وَأَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَزَّ الْكُمَاةَ وَلَا أَرَامِي
وَأَسْكَنِي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْعُلُوتِ بِالْمَعْضِبِ الْحَسَامِ

حديث ابن أبي حنبل يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ،
عن الزُّهري ، عن ابن أبي حنبل الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل
خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة ، وهو في سني ، وقد جُمِعَتْ يداه
إلى عُنُقِهِ برُمَّةً ، ونِسوةٌ مجتمعاتٌ غيرَ بعيد منه : يا فتى ، فقلت : ما تشاء ؟
قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة ، فقائدِي إلى هؤلاء النِّسوة حتى أفضي إليهن
حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله لَيْسَ بِ
ما طلبت . فأخذت برُمَّتِهِ فَقَدَّتْهُ بِهَا ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمي
حُبَيْش ، على نَفْدٍ مِنَ الْعِيش :

أَرَيْتُكَ إِذَا طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحُلِيِّةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِأَلْوَانِقِ
أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ نَسَكَلَفَ إِدْلَاجَ الشَّرَى وَالْوَدَائِقِ
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعَا أَيْبَى بُودَ قَبْلَ إِحْدَى الْعَفَائِقِ
أَيْبَى بُودَ قَبْلَ أَنْ تَشْجَطَ النَّوَى وَيَنَاقَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ
فَإِنِّي لَا ضَيِّعْتُ سِرًّا أَمَانَةً وَلَا رَاقَ عَيْنِي عَنْكَ بِمَدِّكَ رَاقِ
سِوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنْ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ

قال ابن هشام : وأكثراهل العلم بالشعر يُنْكَرُ الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ مِنْهَا .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حذَرٍ الأسلمي قالت :
وَأَنْتِ مُخَيِّتٌ سَبْعًا وَعَشْرًا وَتِرَاءٌ وَثَمَانِيًا تَتَرَى
قال : ثم انصرفتُ به . فُضِرَتْ عُنُقُهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو قَرَّاسٍ بن أبي سُذْبَةَ الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، فأَكَبَّتْ عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

شعر جذيعي في الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جَذِيمَةَ :

جَزَاءُ بُؤْسِي حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتْ جَزَى اللَّهِ عَفَا مَذْلَجًا حَيْثُ أَصْبَحَتْ
أَقَامُوا عَلَيَّ أَقْضَا ضَنَا يَقْسِمُ وَنَهَا وَقَدْ نَهَكْتُ فِينَا الرِّمَاحَ وَعَلَّتْ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا دِينُ آلِ مُحَمَّدٍ لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُمْ خِيُولَ فَشَلَّتْ
وَمَا ضَرَّهُمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا كَتِيبَةَ كَرَّ جُلُ جَرَادٍ أُرْسَلَتْ فَاشْمَعَلَّتْ
فَأَمَّا يَنْبُوا أَوْ يَشُوبُوا لِأَمْرِهِمْ فَلَا نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِمَا قَدْ أَضَلَّتْ

وهب يرد على الجذيعي

فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقل :

دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ عَامِرًا فَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ إِذْ تَوَلَّى
وَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ لَا أَبَا لَهُمْ لِأَنَّ سَفِهَتِ أَحْلَامُهُمْ ثُمَّ ضَلَّتْ

وقال رجل من بنى جذيمة :

لبنى بنى كعب مُقَدِّمُ خالد وأصحابه إِذْ صَبَّحْنَا السَّكَاثِبُ
فَلَا تَرَى يَسْمَى بِهَا ابْنُ خُوَيْلِدٍ وَقَدْ كُنْتَ مَكْفِيًّا لَوَانِكَ غَائِبُ
فَلَا قَوْمُنَا يَنْهَوْنَ عَنَّا غَوَاتِهِمْ وَلَا الدَّاءُ مِنْ يَوْمِ الْغَمِيضِ ذَاهِبُ

شعر غلام جذى هارب أمام خالد

وقال غلام من بنى جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب
بهنَّ من جيش خالد :

رَخِيْنٌ أَذْيَالُ الْمُرُوطِ وَارْبَعَنْ مَشَى حَيَّاتٍ كَأَنَّ لَمْ يُفَزَعَنْ
إِنْ تُمْنَجِ الْيَوْمَ نِسَاءً تُمْنَعَنْ

ارتجاز بنى مساحق حين سمعوا بخالد

وقال غلام من بنى جذيمة ، يقال لهم بنو مُسَاحِقٍ ، يرتجزون حين سمعوا بخالد
فقال أحدهم :

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ بَيْضَاءُ الْإِطْلُ يَحْوِزُهَا ذُو نَائَةٍ وَذُو إِبِلٍ
لَا غَنِينَ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلٌ

وقال الآخر :

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ تُنْهَى الْعِرْسَا لَا تَمْلَأُ الْحَيْزُومَ مِنْهَا نَهْسَا
لَا ضَرْبَ الْيَوْمَ ضَرْبًا وَعَسَا ضَرْبَ الْمُجْلِينَ تَخَاضًا قَوْسَا

وقال الآخر :

أَفْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لَيْدَةٍ شَتْنُ الْبَنَانِ فِي غَدَاةٍ بَرْدَةٍ
جَهَنَّمُ الْمُجِيئَا ذُو سَيْبَالٍ وَرَدَةٍ يُرْزَمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَجَعْدَةٍ
ضَارٍ بِتَأْكَالِ الرِّجَالِ وَخُدَةٍ بِأَصْدَقِ الْفَسَادَةِ مِنْ نَجْدَةٍ

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ، وكانت بنخللة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكفانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجباها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسنده في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أَيَا عَزٍّ شُدَى شِدَّةٍ لَأَشَوِي لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَرِي
يَا عَزٍّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَبُوئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْقُصَرِي

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله

ابن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها

خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان

سنة ثمان .

عمره إسلام أبي سفيان وصاحبه :

فصل : وذكر كسر الأصنام ، وطمس التماثيل ، ومقالة الحارث بن
سفيان حين اجتمع هو وأبو سفيان ، وعتاب بن أسيد ، فتكلموا فأخبرهم
النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره جبريل عليه السلام بالذي قالوه ، فصح
بذلك يقينهم وحسن إسلامهم ، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال : لمن
النبي صلى الله عليه وسلم الحارث وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فأنزل
الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية آل عمران :
١٧٨ قال : فتابوا بعد ، وحسن إسلامهم ، وروينا بإسناد متصل عن عبد الله
ابن أبي بكر ، قال : خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - على أبي سفيان ، وهو
في المسجد ، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه : ليت شعري بأي شيء
غلبني ، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى ضرب بيده بين كتفيه ، وقال :
بالله غلبتك يا أبا سفيان ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله . من مسند
الحارث بن أبي أسامة ، وروى الزبير بإسناد يرفعه إلى من سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يمازج أبا سفيان في بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له تركتك ،
فتركتك العرب ، ولم تذهب بعدها جما ولا قرناء ، والنبي صلى الله عليه وسلم
يضحك ، ويقول : أنت تقول هذا يا أبا حنظلة . وقال مجاهد في قوله جل وعز :
﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾ المتحنة : ٧
قال في معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان . وقال أهل التفسير :
رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أسيد بن أبي العيص واليًّا على مكة

مسلماً ، فمات على الكُفْرِ ، فكانت الرؤيا لولده عتّاب حين أسلم ، فولاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ورزقه كل يوم درهماً ، فقال : أيها الناس أجاعَ الله كَيْدَ مَنْ جاع على دينهم ، الحديث ، وقال عند موته : والله ما اكتسبتُ في ولايتي كلّها إلا قيصاً مُعْتَدِلاً^(١) كَسَوْتُهُ غلامي كَيْسَانَ ، وكان قد قال قبل أن يُسَلِّمَ وسمع بالآلِ يُؤذَنُ على الكعبة ، لقد أكرم الله أسيداً ، يعني : أباه أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يخطئه ، وكانت تحت عتّاب جُوَيْرِيَّةُ بنتُ أَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ ، وهي التي خَطَبَهَا عَائِشَةُ عَلَى فَاطِمَةَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى فَاطِمَةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا آذن ثم لا آذن ، إن فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، الحديث^(٢) ، فقال عتّاب : أنا أُرِيحُكُمْ مِنْهَا فَتَزَوِّجُهَا ، فولدت له عبد الرحمن المقتول يوم الجمل ، يُروى أن عتّاباً طارت بكفّه يوم قُتِلَ ، وفي الكف خاتمه ، فطرحها باليمامة في ذلك اليوم ، فَعُرِفَتْ بالخاتم .

الحنفاء بنت أبي جهل :

وكانت لأبي جهل بنتٌ أخرى ، يقال لها الحنفاء كانت تحت سُهَيْلٍ

(١) ضرب عن يرويه هجر .

(٢) قصة جويرية في الصحيحين من حديث المسير بن مخيمه عن غدير أن سمى . وفيها قوله صلى الله عليه وسلم : ولا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً ، والسبب خوفه ، من أن تفمن فاطمة في دينها كما جاء مصححاً في الحديث .

ابن عمرو ، يقال : إنها ولدت له ابنة أنساً الذي كان يضعف^(١) ، وفيه جرى
المثل : أساء سمعاً فأساء إجابة^(٢) . ويقال : إنه نظر يوماً إلى رجلٍ على ناقه
يتبعها خرُوفٌ فقال : يا أبتِ أذاك الخُرُوفُ . من تلك الناقة ؟ فقال أبوه :
صدقت هندُ بنتُ عتبةَ ، وكانت حين خطبها قالت : إن جاءت منه حليته بوند
أُحَمِّتْ ، وإن أُنجِبتْ مِن خَطَايَا ما نُجِبَتْ ، وقد قيل في بنت أبي جهل :
الخنفاء : إن اسمها صَفِيَّةُ^(٣) . فالله أعلم .

اسلام الحارث بن هشام :

وقال الحارثُ بن هشامٍ ، وقد قيل له : ألا ترى ما يصنعُ مُحَمَّدٌ من
من كَسْرِ الآلهة ، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة^(٤) ؟ فقال : إن كان الله
يكره هذا ، فسيغيره ، ثم حَسُنَ إسلامه رضى الله عنه بعد ، وهاجر إلى الشام ،
فلم يزل جَاهِداً مُجَاهِداً ، حتى استشهد هنالك رحمه الله .

(١) من الضعفة ضعف الفؤاد وقلة النطنة .

(٢) في اللسان : جابة وقاله هكذا يتكلم به ، لأن الامثال تحكى على موضوعاتها .
وهي اسم وضع موضع المصدر مثل الطاعة والطاعة والعاراة والعاراة ، وأصل
المثل أن الاخنس بن شريق لقيه مع أبيه . فقال له : ابن أدك يا فتى . أدك
مصدر الفعل أم ، أى أين قصدك ، فظن أنس أنه يسأل عن أمه . فقال : انطلقت إلى
أم حنظلة تطحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً فأساء إجابة . أنظر اللسان مادة جوب
والامثال للميداني ص ٣٣ ط السنة المحمدية .

(٣) وفي الامثال أن اسمها صفية .

(٤) وفي رواية أنه قال : واككلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم ، قيل أن أسمع
بلالا ينهق فوق الكعبة .

اسلام بنت أبي جهل :

وأما بنتُ أبي جهل ، فقالت حين سمعت الأذان على السكبة ، فلما قال المؤذن : أشهد أن مُحَمَّدًا رسولُ الله ، قالت : عَمْرِي لقد أكرمك الله ورفع ذِكْرَكَ ، فلما سمعت : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، قالت : أَمَّا الصَّلَاةُ فَسَنُؤَدِّيْهَا ، ولكن الله ماتحب قلوبنا مَنْ قَتَلَ الأَحَبَّةَ ، ثم قالت : إن هذا الأمرَ حَلَقٌ ، وقد كان الملكُ جاء به أبي ، ولكن كره مُحَالِفَةَ قومه ودينَ آبائه .

وأما أبو مُحَمَّدُ وَرَّةُ الْجَمَحِيِّ ، واسمه : سَلَمَةُ بْنُ مَعْيَرٍ ، وقيل سَمُرَةُ^(١) ، فإنه لما سَمِعَ الأَذَانَ ، وهو مع فِتْيَةٍ من قُرَيْشٍ خارج مكة أقبلوا يستهزئون ، ويحكون صوت المؤذن غَيْظًا ، فكان أبو مُحَمَّدُ وَرَّةٌ من أحسنهم صوتًا ، ورفع صوته مُسْتَهْزِئًا بالأذان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فمثل بين يديه ، وهو يظن أنه مقتول ، فسح النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدرة بيده ، قال : فامتلا قلبي والله إيمانًا و يقينًا وعلمت أنه رسولُ الله ، فالتقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم - الأذان ، وعلمه إِيَّاهُ ، وأمره أن يؤذِّنَ لأهل مكة ، وهو ابن سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، فكان مؤذِّنهم حتى مات ثم عَقِبَهُ بعده بتوارثون الأذان كبراً عن كابر ، وفي أبي مُحَمَّدُ وَرَّةٌ يقول الشاعر :

(١) في الإصاحبة عند البلاذري عن اسمه : الأثيث أنه أدمس ، وجزم ابن حزم في أن سمرة أخوه . وخالف أبو اليقظان فجزم بأن أدمس بن معير قتل يوم بدر كافرًا وأن اسم أبي محذورة سلمان بن سمرة ، وقيل غير ذلك .

أَمَّا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ الْمَسْتُورَةِ وَمَاتِلَا مُحَمَّدٍ مِنْ سُورَةِ
وَالْأَنْعَمَاتِ مِنْ أَبِي مَحْذُورَةِ لَأَفْعَانٍ فَعَلَّة مَذْكُورَةِ
هَنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ :

وَأَمَّا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ أَمْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَإِنْ مِنْ حَدِيثِهَا يَوْمَ الْفَتْحِ
أَنَهَا بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَلَى الصَّفَا ، وَتَعَمَّرَ دُونَهُ بِأَعْلَى
الْعَقْبَةِ ، فَجَاءَتْ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُبَايِعْنَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَعَمَّرُ يَكْلَمُهُنَّ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُبَشِّرَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا
قَالَتْ هِنْدُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَأَغْنَى عَنَّا ، فَمَا قَالَ :
وَلَا يُبَشِّرَنَّ قَالَتْ : وَهَلْ تَسْمُرِقِ الْخُرَّةُ ، لَكِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبُو سُفْيَانَ
رَجُلٌ مَسِيكٌ رُبَّمَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ مَا يُضْلِحُ وَلَدَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّكَ لَأَنْتِ
هِنْدُ ؟ (١) قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْفُ عَنِّي ، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ
حَاضِرًا ، فَقَالَ : أَنْتِ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتِ ، فَمَا قَالَتْ : وَلَا يَزْنِيَنَّ ، قَالَتْ : وَهَلْ تَزْنِي
الْخُرَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَالَ : وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ، قَالَتْ : يَا أَبَا أَنْتِ
وَأُمِّي مَا أَكْرَمَكَ ، وَأَحْسَنَ مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ : وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ،

(١) هذا لأنها كانت متسكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورواية السجيجين : « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من الصدقة ما يكفيني ،
ويكفي بني فحل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه » فقال رسول الله ص :
خذي من ماله المعروف ما يكفيك ويكفي بفيك . »

قالت : والله قد ربّيتناهم صِغاراً ، حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كباراً ،
قال : فضحك عمرو من قولها حتى مال .

عمرو بن سعيد لا عمرو به الزبير :

فصل : وذكر حديث أبي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِي ، واسمه : خُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرٍو ،
وقيل : عمرو بن خُوَيْلِد ، وقيل : كعب بن عمرو ، وقيل : هانيء بن عمرو ،
قال : لما قدم عمرو بن الزُّبَيْرِ مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ، هذا وهم من
ابن هشام ، وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمّية ، وهو الأشدق ،
ويكنى أبا أمّية ، وهو الذي كان يسمى لطيم الشيطان ، وكان جباراً شديداً .
البأس ، حتى خافه عبد الملك على مكة ، فقتله بحيلة في خبر طويل ، ورأى
رجل عند موته في المنام قائلاً يقول :

أَلَا يَا قَوِيَّ السَّفَاهَةِ وَالْوَهْنِ وللماجزِ الموهونِ والرأيِ ذِي الْأَفْنِ
وَلَا بَنِ سَعِيدٍ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى قَدَمَيْهِ خَرَّ لِلْوَجْهِ وَالْبَطَانِ
إِنِّي احْصَنُ مَنَاجِئَ مَنْ مَاتَ فَالْتَجَا إِلَيْهِ ، فَزَارَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي الْحِصْنِ

فقصّ رؤياه على عبد الملك ، فأمره أن يكتمها ، حتى كان من قتلها ما كان ،
وهو تذي خُطِبَ بالمدينة على منبرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرَعَفَ
حتى سال الدم إلى أسفله فعرِفَ بذلك معنى حديثه عليه السلام الذي يُروى
عنه كُنِيَ بِجَبْرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَرَعُفُ عَلَى مِنْبَرِي هَذَا حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ إِلَى

أسفله^(١) ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فعُرف الحديث فيه . فالصواب إذاً
عُمرو بن سَعِيدٍ لا عُمرو بن الزبير ، وكذلك رواه يونسُ بن بكير عن
ابن إسحاق ، وهكذا وقع في الصحيحين . ذكر هذا التنبيه على ابن هشام
أبو عُمَرَ - رحمه الله - في كتاب الأجوبة عن المسائل المُستَغَرَّبة ، وهي
مسائل من كتاب الجامع للبخارى تسكلم عليها في ذلك الكتاب ، وإنما دخل
الوهم على ابن هشام أو على البَكَّائِي في روايته من أجل أن عُمرو بن الزُّبَيْرِ ،
كان معادياً لأخيه عبدِ الله ومُعِيناً لبنى أُمَيَّةٍ عليه في تلك الفتنة ، والله أعلم .

أُم حكيم بنت الحارث :

فصل : وذكر أُم حَكِيمٍ بنت الحارث ، وكانت تحت عِكْرَمَةَ بن
أبي جهل^(٢) ، وأنها اتبعته حين قرَّ من الإسلام ، فاستأمنت له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، واستشهد عِكْرَمَةُ بالشام ، فخطبها يزيدُ بن أبي سُفْيَانَ
وخالدُ بن سعيد ، فخطبت إلى خالد ، فتزوجها ، فلما أراد البناء بها ، وجموعُ
الروم قد احتشدت ، قالت له : لو أُمِّهْتُ حتى يَقُضَّ الله بجمعهم ، قال : إن

(١) من الأحاديث التي ابتدعتها الأهواء السياسية .

(٢) روى أبو داود والانسائي أنه ركب البحر فأصابته ريح عاصف فنادى
عكرمة ثلاث والعزى ، فقال أهل السفينة : أخلصوا فآلمتكم لا تغنى عنكم شيئاً
ها هنا ، فقال عكرمة والله لنسلم بئجنى من البحر إلا الإخلاص لا بئجنى في البر غيره . اللهم
الك عهد إن أنت عافيتني أنا وآتي فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا جدته
عفوا عفورا كريماً ، فجاء فأسلم . وقد روى البيهقي قصة إسلامه مطولة .

نفسى تمدننى أنى أصاب فى مجموعهم ، فقالت : دونك ، فابتنى بها ، فلما أصبح التقت الجوع وأخذت السيوف من كلِّ فريقٍ مأخذها فقتل خالد ، وفاتلت يومئذ أم حَكِيمٍ ، وإن عليها للرَّذعِ الخَلُوق^(١) ، وقتلت سبعة من الروم بعمود الفُسطاطِ بِقَنْطَرَةٍ نُسِمَى إلى اليوم بقنطرة أم حَكِيمٍ وذلك فى غزوة أجنادين^(٢) .

دم رببعة بن الحارث :

وذكر فى خطبة النبی صلی الله علیه وسلم : ألا کُلُّ مَأْتِرَةٍ أودِمَ أُوْمَالٍ يُدْعَى ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، وفى بعض روايات الحديث : وأولُ دمٍ أضعه دمُ رَبِيعَةَ بن الحارث . كان لربعة ابن قُتَيْل فى الجاهلية اسمه آدم ، وقيل تمام ، وهو ربعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، مات فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين .

مول التحير بين الفصاح وبين الدية :

فصل : وذكر فى حديث ابن شُرَيْب^(٣) قوله عليه السلام : فمن قَتَلَ

(١) يعنى : كانت متطيبة حديثاً .

(٢) فى الإصابة : فى معركة مرج الصفر .

(٣) أصل حديث أبي شريح فى الصحيحين عن أبى هريرة : من قتل له قتيل ، فهو بخير النظرين ، إما أن يفتدى ، وإما أن يقتل . وقد رواه الجماعة لكن لفظ الترمذى ، إما أن يعفو وإما أن يقتل . وقد رواه أبو داود والنسائى . وقد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه هكذا . من أصيب بدم أو خبل - والخبل الجراح - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص أو يأخذ بالعقل ، أو يعفو ، =

بعد مقامى هذا ، فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ ، إِنْ شَاءُوا قَتَلَهُ ، وَإِنْ شَاءُوا
فَعَقَلَهُ ، وهو حديث صحيح ، وإن اختلفت فيه ألفاظُ الرِّوَاةِ وظاهره على هذه
الرواية أَنَّ وَلِيَّ الدَّمِّ ، هو الْخَيَّرُ إِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ ، وهو الْعَقْلُ ، وَإِنْ شَاءَ
قَتَلَ ، وقد اختلف الفقهاء فى فصلٍ من هذه المسألة ، وهو أَنْ يَخْتَارَ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ
أَخْذَ الدِّيَةِ ، وَيَأْبَى الْقَاتِلَ إِلَّا أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ ، فقالت طائفة بظاهر الحديث
ولا اختيار للقاتل ، وقالت طائفة يقتل القاتل ، ولا يُجْبَرُ عَلَى إعطاء المال ،
وتأولوا الحديث ، وهى رواية ابن القاسم ، وقال بها طائفة من السَّافِي ، وقال
آخرون بظاهر الحديث ، وهو قولُ الشافعى ، وأشهب ، وَمَنْشَأُ الاختلافِ
من الاحتمال فى قوله تعالى : ﴿ فَنُعْطِيْهِ لَهٗ مِنْ أَخِيهِ شَيْئًا فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .
فاحتمات الآية عند قوم أن تكون من واقعة على وَلِيِّ الْمَقْتُولِ ، ومن أخيه أى .
مِنْ وَلِيِّهِ الْمَقْتُولِ ، أى : من ديبته ، وَنُعْطِيْهِ لَهٗ أى : يُسَّرُّ لَهٗ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ ،
واحتمل أن تكون من واقعة على القاتلِ وَنُعْطِيْهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنِ الدَّمِّ ، ولا خلاف .
أن الْمُتَّبِعَ بِالْمَعْرُوفِ ، هو وَلِيُّ الدَّمِّ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بِإِدَاءِ بِإِحْسَانٍ هو القاتل ،
وإذا تدبرت الآية ، عرفت مَنْشَأَ الخلاف منها ، ولاح من سِيَأَقَةِ الكلام
أى القوانين أولى بالصواب .

وأما ما ذكرت من اختلاف ألفاظِ النَّقْلَةِ فى الحديث ، فيحصرها سبعة ألفاظ

== فإن أراد رابعة ، فنخذوا على يديه ، أى أراد زيادة على القصاص أو الدية أو العفو .
وقد فسر ابن عباس . (فن عفى له) . الآية : العفو أن يقبل فى العمدة الدية ،
والاتباع بالمعروف : يتبع الطالب بمعروف ، ويؤدى إليه المطلوب بإحسان .
البخارى والنسائى والدارقطنى .

أحدها : إما أن يُقْتَلَ وإما أن يُفَادَى .

والثاني : إما أن يُقْتَلَ أو يُقَادَ .

الثالث : إما أن يُفَدَى وإما أن يُقْتَلَ .

الرابع : إما أن تُغَطَّى الدِّبَّةُ أو يُقَادَ أهلُ القَتِيلِ .

الخامس : إما أن يُغْفَوْا أو يُقْتَلَ .

السادس : يُقْتَلَ أو يُفَادَى .

السابع : من قَتَلَ مُتَعَمِّدًا دُفِعَ إلى أولياء المقتول ، فإن شاءوا قَتَلُوا . وإن شاءوا أخذوا الدِّبَّةَ . خرجه الترمذى . ورواية ابن إسحاق في السيرة ثمانية ، وفي بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم ، وفي بعضها قوة لرواية أشهبَ قَتَأَ مَلَمًا^(١) .

النهمي عن استعمال الصماء والذمباء :

وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابن هشام ، وفيها من رواية الشيباني عن ابن إسحاق نهيه عن صيام يومين ، وصلاة ساعتين : بمعنى طلوع الشمس وغروبها ، وأن لا يتوارث أهلُ مِلَّتَيْنِ ، وعن بُسْتَيْنِ وطُمُتَيْنِ ،

(١) وفي رواية : « وإن أحبوا أخذوا العقل ثلاثين حقة وثلاثين جذعة ، وأربعين خلفة في بطونها أولادها ، وقد أخرجه الترمذى وابن ماجه عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده . ويقول الشوكاني في نيل الأوطار عن حديث أبي شريح : في إسناد محمد بن إسحاق ، وقد أورده معنعناً ، وهو معروف بالتدليس . فإذا عني ضعف حديثه ، ص ٧ ج ٧ .

وُفْسِرَتَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : الْأُسْبُسَتَانِ : اِسْتِمَالُ الصَّمَاءِ ، وَأَنْ يَخْتَبِيَ الرَّجُلُ ^(١) .
وَلَيْسَ بَيْنَ عَوْرَتِهِ وَالسَّمَاءِ حِجَابٌ . وَالطُّعْمَتَانِ : الْأَكْلُ بِالشَّمَالِ ، وَأَنْ يَأْكُلَ
مُنْبَاطِحًا عَلَى بَطْنِهِ .

شعر ابن الزبيري :

فصل : وذكر شعر ابن الزبيري : الزبيري : البعير الأزب ^(٢) مع

قصر ، وفيه :

رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذَا أَنَا جُورٌ

قوله : فتقت يعني : في الدين ، فكل إنم فتق وتزيق ، وكل توية ،
رتق ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة : نضوح من نصحت الثوب إذا خطته ،
والنصاح : الخيط ^(٣) ، وبشهادة لصحة هذا المعنى قول إبراهيم بن أدهم :

(١) اشتغال الصماء : أن يتجلى الرجل بثوبه ، ولا يرفع منه جانباً ، وإنما قيل
لها صماء لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصماء . والفقهاء يقولون :
هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه ، فيضعه
على منكبيه ، فتتكشف عورته .

والاحتباء : أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهرة ،
ويشده عليهما ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب ، وإنما نهي عنه ، لأنه
إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته .

(٢) الزب في الإبل كثرة شعر الوجه والعشون . وابن دريد يقول هو من
قولهم : رجل زبيري إذا كان غليظاً كثير الشعر .

(٣) والنصاح كشداد ، والناصح والناصح : الخياط .

تُرَقَّعَ دُنْيَانَا بَتَمَزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَئَلَا يَبْقَى ، وَلَا مَا تُرَقَّعُ

وقوله : إذ أنا بُور ، أى : هَالِكٌ ، يقال : رجل بُورٌ وبائرٌ ، وقوم بُورٌ ، وهو جمعُ بائرٍ كان الأصل فيه فُعْلٌ بفتح الهمزة ، وأما رَجُلٌ بُورٌ ، فوزنه فُعْلٌ بالسكون ، لأنه وُصِفَ بِالْمَصْدَرِ ، ومنه قيل : أرض بُورٌ من البوارِ ، وهو هَالِكٌ التمرعى وَيُبْسُهُ .

وقولُ ابنِ الزُّبَيْرِ :

وَالْأَنْبِلُ مُعْتَلِسُ الرُّوَاقِ بِهِم

الاعتلاج : شِدَّةٌ وَقُوَّةٌ ، وقد تقدم شرحُها . والبهيم : الذى ليس فيه لونٌ يخالط لونه .

وقوله : تُسْرِعُ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ . الغَشُومُ : التى لا تُرَدُّ عَنْ وَجْهِهَا ، ويروى : سَعُومٌ ، وهى القوية على السير .

مول شعر حسانه :

فصل : وذكر شعر حَسَّانَ يوم الفتح وأوله :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءِ

ذات الأصابع : موضع بالشام ، والجَوَاءُ كذلك ، وبالجَوَاءِ كان منزلُ الحارثِ بنِ أَبِي شَمْرٍ ، وكان حَسَّانُ كثيراً ما يَرِدُ عَلَى مُلُوكِ غَسَّانَ بِالشَّامِ . يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل .

وقوله : إلى عَذْرَاءَ ، هي قرية عند دِمَشْقَ ، فيها قُصَلُ حُجْرُ بن عَدِيٍّ وأصحابه .

وقوله : نَعَمْ وشَاءَ . النَّعَمْ : الإِبِلُ ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغَنَمُ والبَقَرُ والإِبِلُ . والشَّاءُ والشَّوِيُّ : اسمٌ للجمع كالضَّانِّ والضَّيْنِ والإِبِلِ والإِبِيلِ ، والنَّعْزِ والمَعِيزِ ، وأما الشَّاةُ ، فليست من لفظ الشَّاءِ ، لأن لام الفعل منها هاءٌ . وبنو الحُسَيْنِ : حَيٌّ من بني أَسَدٍ .

وقوله : الرِّوَامِسُ والسَّمَاءُ ، يعني : الرياح والطر . والسَّمَاءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء التي هي السَّفْءُ ، ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا^(١)

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السَّمَاءِ ، فحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم في جَمْعِهِ : سُمِيَ^٢ وهم يقولون في جمع السماء : سَمَواتٍ وأَسْمِيَّةٌ ، فعلنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بين شَيْئَيْنِ .

وقوله : واسكن مَنْ لَطِيفٍ . اللَّطِيفُ : مصدر طاف الخيالُ بِطِيفٍ طَيفًا ، واسكن لا يقال للخيال : هو طَائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طَافَ ، لأنه

(١) الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء ، وبعده :

بكل مقلص عبل شواه إذا وضعت أعنتن ثابا
ومحفزة الحزام بمرفقيها كشاة الربل أفلتت الكلابا

لاحقيقة للخيال ، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيِّفُ ، وهو تَوَهُّمٌ وَخَيَالٌ ، فإن كان شيء له حقيقةٌ قلت فيه : طائف ، وفي مصدره : طَيْفٌ كما في التنزيل ﴿ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ الأعراف : ٢٠١ وقد قرئ أيضاً طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لأن غُرُورَ الشَّيْطَانِ وأمانيه تُشَبَّه بالخيل ، وما لا حقيقة له . وأما قوله : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ن : ١٩ فليس فيه إلا اسمُ الفاعل دون المصدر ، لأن الذي طاف عليها له حقيقةٌ ، وهو فاعل معروف بالفعل ، يقال إنه جَبْريلُ عليه السلام ، فتحصل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبَ : الخيالُ ولا حقيقة له ، فلا يُعَبَّرُ عنه إلا بالطَّيِّفِ ، وحديثُ الشيطانِ وَوَسْوَستُهُ ، يقال فيه : طَائِفٌ وَطَيْفٌ ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل ، لا يُعَبَّرُ عنه بطَّيِّفٍ ، ولا بِطَوَافٍ ، فقف على هذه النُّكْتَةِ فيه .

وقوله : يورقني إذا ذهب العشاء ، أى : يسهرنى ، فيقال : كيف يسهره الطَّيِّفُ ، والطَّيِّفُ حُلُمٌ فى المنام ؟ .

فالجواب : أن الذى يورِّقه لوعةٌ يحدها عند زواله كما قال [حبيب بن أنسٍ أبو تمام] الطائي :

ظَنَيْتُ تَقَنُّصَهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَاً مِنْ الْحُلُمِ
نَمِ انْدَنَى ، وَنَمَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقى ، وإن كان معسولاً من السَّقَمِ ^(١)

(١) من قصيدة له يمدح بها مالك بن طوق . أولها :
سلم على الربيع من سلم بنى سلم عليه وسم من الأيام والقدم =

وقد أحسن في قوله من آخر الليل تنبيهاً على أنه سهر آيئله كله ، إلا ساعة
جاء الخيال من آخره ، فكأنه مُستَرَقٌّ من قول حسان :

وخيال إذا تقوم النجوم

ونظير قوله : يورقنى ، أى يورقنى بزواله عنى قول البحتري :

أَلَمْتُ بنا بعد الهدوء فساحت بوصل متى تطلبه في الجلد تمنع
وولت كأن البين يخلج شخصها أو ان تولت من حشائي وأضلعي^(١)

وقوله : شغناء التي قد تيممت . شغناء التي يشبب بها حسان هي بنت
سلام بن مشكم اليهودي ، وروى أنه قال : يامعشر يهود قد علمتم أن عمداً نبى ،
ولولا أن تمير بها شغناء ابنتي لتيقمت ، وقد كان تحت حسان أيضاً امرأة
اسمها شغناء بنت كاهن الأسلمية ، ولدت له أم فراس .

= وقبل البيتين قوله :

زار الخيال لها لابل أزاركه فكر إذا نام فكر الخالق لم ينم
وانظر نقد الأمدى لهذا البيت ، ثم اعتذاره عنه ، وما قاله الشريف المرتضى
في طيف الخيال ص ٧ ط ١٩٦٢ بتحقيق الاستاذ الصيرفي ، ص ٦ - ٣ أمالي
المرتضى والسعادة .

(١) ذكر معهما المرتضى في أماليه ستة أبيات ص ٦ - ٣ وفيه : تطلبه وهو
الصواب بدلاً من تطلبه . ويقول المرتضى عن البحتري « ولاني عبادة البحرى في
وصف الخيال الفضل على كل متقدمه متأخر ، فإنه تغلغل في أوصافه ، واهتدى من
معانيه إلى ما لا يوجد غيره » المصدر السابق

وقوله : كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ إِلَى آخِرِهِ ، خبر كأن في هذا البيت محذوف ، تقديره : كأن في فيها خبيئة ، ومثل هذا المحذوف في النسيكرات حسن كقوله :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مَرْمَحَلًّا^(١)

أى : إن لنا محلاً ، وكقول الآخر :

وَلَكِنْ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَشَافِرُهُ^(٢)

وفي صحيح البخارى فى صفة الدجال : أغور كأن عَظَبَةً طافية ، أى : كأن فى عينه ، وزعم بعضهم أن بعد هذا البيت بيتاً فيه الخبر وهو :
على أنيابها أو طعم غَضٍّ من التَّفَاحِ هَضْرَهُ اجْتِنَاهُ^(٣)

(١) هو الأشى ، والشطرة الأخرى : وإن فى السفر ما مضى مهلاً .

(٢) روى سيديويه للفرزدق بيتاً هو :

فلو كنت ضيقاً عرفت قرابى ولكن زنجى عظيم المشافر
هكذا برفع زنجى . ثم قال : والنصب أكثر فى كلام العرب كأنه قال : ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف قرابى ، ولكنه أضمر هذا كما يضر ما يبنى على الابتداء . انتهى .

وعلى رفع زنجى يكون اسم لكن محذوفاً والتقدير : ولكنك زنجى ، وقد أشده اللسان بنصب زنجى بإضمار الخبر ، وهو أقيس . والبيت فى هجاء رجل من ضبة ، فتنه عنها ، ونسبه إلى الزنج . أنظر ص ٢٨٢ ١ كتاب سيديويه واللسان مادة شفر .

١ (٣) هو فى ديوانه المطبوع فى أوروبا .

وهذا البيت موضوع لا يشبه شعر حسان ولا لفظه.

وقوله : نُؤَلِّيْهَا لِلْمَلَامَةِ إِنْ أَلَمْنَا ، أَى : إِنْ أَتَيْنَا بِهَا مُنَلَّامٍ عَلَيْهِ صِرْفًا
اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالشكر . وَالْمَتُّ : الضرب باليد ، وَاللَّحَاءُ : المُلَاحَاةُ
باللسان ، وَيُرْوَى أَنْ حَسَنًا مَرَّةً بِفَتْيَةٍ يَشْرَبُونَ الخمرَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَهَاهُمْ ،
فَقَالُوا : وَاللَّهِ أَقْدَرْنَا تَرْكَهَا فَيَزِيغُنَا لَنَا قَوْلُكَ :

وَنَشْرَبُهَا فَتَرْكُنَا مُلُوكًا

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَلَمْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا شَرِبْنَا مِنْهَا مِنْذُ أُسْلِمْتُ ، وَكَذَلِكَ قِيلَ :
إِنْ بِمَعْضِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ آخِرُهَا فِي الْإِسْلَامِ .

معنى التفضيل في شركا :

وفيهما يقول لأبي سفيان : فَشَرُّ كَمَا نَحْيِيهِ كَمَا الْفِدَاءِ . وفي ظاهر اللفظ
بَشَاعَةٌ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنْ لَا يُقَالَ هُوَ شَرٌّ هَا إِلَّا فِي كِلَيْهِمَا شَرٌّ ، وَكَذَلِكَ :
شَرٌّ مِنْكَ ، وَلَسْتَ بِنَ سَيْبِيهِ قَالَ فِي كِتَابِهِ : يَقُولُ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ شَرٌّ مِنْكَ ،
إِذَا نَقَصَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ ، وَهَذَا يَدْفَعُ الشَّنَاعَةَ عَنِ السَّكَلَامِ الْأَوَّلِ ، وَنَحْوِ
مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « شَرُّ صُفُوفِ الرِّجَالِ آخِرُهَا » يَرِيدُ : نُقْصَانُ حَظِّهِمْ
عَنِ حَظِّ الْأَوَّلِ ، كَمَا قَالَ سَيْبِيهِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ التَّفْضِيلَ فِي الشَّرِّ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

يَلْطَمُ أَوْ يَلْطَمُ :

وفيهما قوله في صفة الخيل : يُلْطَمُنَّ بِالْخَمْرِ النَّسَاءُ . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ

في الجمهرة: كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان يُطَنَّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ ، وينسَكِرُ
يُطَطَّمُهُنَّ ويجعله بمعنى : يُنْقَضُ النساءُ بِخُمُرِهِنَّ ماعليهن من غبارٍ أو نحو
ذلك ، وأُتْبِعَ بذلك ابنُ دريد قوله : الطَّلْمُ ضَرْبُ بَكْ خُبْزَةِ الْمَلَّةِ بِيَدِكَ لِتَمْنُضَ
ماعليها من الرَّمَادِ ، وَالطَّلْمَةُ : الْخُبْزَةُ ، ومنه حديث أبي هريرة : مَرَرْنَا بِقَوْمٍ
يُعَاجِلُونَ طُلَامَةَ لَهْمٍ ، فَتَقَرَّ نَاهِمُ عَنْهَا ، فَاقْتَضَى مِنْهَا ، فَأَصَابَتْ نَفْسِي مِنْهَا كَثْرَةً ،
وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِي بَلَدِي أَنَّهُ مَنْ أَكَلَ الْخُبْزَ سَمِينًا ، لَجَعَلَتْ أَنْظُرَ فِي عِطْفِي : هَلْ
ظَهَرَ فِي السَّمَنِ بَعْدَ . ومما جاء في الحديث من هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه
وسلم رَوَى بِمَسْحِ وَجْهِ قَرَسِهِ بِرَدَائِهِ ، فَقَالَ : عُوَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْخَالِ .

وفيها :

وَنَحْكِمَ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا

نَحْكِمَ : أَيْ نَرُدُّ وَنَقْرَعُ ، هُوَ مِنْ حَكَمَةِ الدَّابَّةِ ، وَهُوَ لُجَامُهَا ، وَيَكُونُ
الْمَعْنَى أَيْضًا : نُنْقِضُهُمْ وَنُخْرِسُهُمْ ، فَتَكُونُ قَوَافِينَا لَهُمْ كَالْحَكَمَاتِ لِلدَّوَابِّ .
قَالَ زُهَيْر :

قَدْ أَخْكَمَتْ حَكَمَاتِ الْقَدِّ وَالْأَبْقَا^(١)

وفي هذه القصيدة : مَوْعِدُهَا كَدَاءُ ، وفي رواية الشيباني : يسيل بها
كَدَىَّ أَوْ كَدَاءُ .

(١) أوله : القائد الخيل منكوبا دوائرها . والقَد : السير . يقدر من جلد غير
مدبوغ . والابق : القنيد .

وقد ذكرنا كُذِّبًا وكَدَاءً ، وذكرنا معهما كُدَّى ، وزاد الشيباني في روايته أبياتاً في هذه القصيدة وهي :

وهاجت دُونَ قَتْلِ بَنِي لُؤَيٍّ جَذِيْمَةٌ إِن قَتَلْتُمْ شِفَاءُ
وَحِنْفُ الْخَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ وَحِذْفُ قُرَيْظَةٍ فِينَا سَوَاءُ
أَوْنُكَ مَفْشَرٌ أَتَبُوا عَلَيْنَا فِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ
سَتُبْصِرُ كَيْفَ نَفْعَلُ بِابْنِ حَرْبٍ بِمَوْلَاكَ الَّذِينَ هُمْ الرَّدَاءُ

مول شعر أنس بن سليم :

فصل : وذكر شعر أنس بن سليم ^(١) الدَّبْلِي وفيه :

وَأَكْسَى لِبُرْدٍ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَائِهِ

الْخَالُ : من بُرْدٍ الِيَمَن وهو من رَفِيع الثِيَاب . وَأَحْسَبُهُ مَنَى بِالْخَالِ الَّذِي .
بِمَعْنَى الْخَلِيلَاءِ كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ : الْبَرَّ أَبْنَى لَا الْخَالَ ، وفيه :

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَلَّاخْذٍ بِالْيَدِ

وهذا البيتُ سقط من رواية أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ الْوَرْدِ ، كَذَا أَلْفَيْتِهِ فِي حَاشِيَةِ .
كِتَابِ الشَّيْخِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمَعْنَاهُ مِنْ أَحْسَنِ لَمَعَانِي يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْسِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَقَايَ عَنْكَ وَاسِع

(١) فِي السِّيرَةِ : زَنِيمٌ وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَلَعَلَّهُ سَهْوٌ مِنَ السَّهْلِي .

خَطَاظِيْفٌ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدِي إِيْلَيْكَ نَوَازِعُ
فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ كَالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي كَالْبَيْتِ الثَّانِي ،
لَسْكَنَهُ أَطْبَعُ مِنْهُ ، وَأَوْجَزُ . وَقَوْلُ النَّابِغَةِ كَاللَّيْلِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ النِّشْبَةِ مَا لَيْسَ
فِي قَوْلِ الدَّبْلِيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْمُجُ مِثْلُ هَذَا النِّشْبَةِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
لَأَنَّهُ نَوَّرَ وَهَدَى ، فَلَا يُشَبَّهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا حَسُنَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ أَنْ يَقُولَ
كَاللَّيْلِ ، وَلَمْ يَقُلْ كَالصُّبْحِ ، لِأَنَّ اللَّيْلَ تُرْتَبُّ غَوَائِلُهُ ، وَيُحْذَرُ مِنْ إِدْرَاكِهِ
مَا لَا يُحْذَرُ مِنَ النَّهَارِ ، وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْأَنْدَلُسِيِّينَ هَذَا الْمَعْنَى ، فَقَالَ فِي هَرَبِهِ
مِنْ ابْنِ عَبَّادٍ :

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ تَشُدُّ بِأَنْصَافِهَا عَلَى الْأَنَامِلَا
فَأَنْ مَقَرُّ الْمَرْءِ عَنْكَ بِنَفْسِهِ إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ الْعَرَّاحِلَا
وهذا كله معنى مُنْتَزَعٌ مِنَ الْقَدَمَاءِ . رَوَى الطَّبْرِيُّ أَنَّ « مِفْشَهْرَ بْنَ
إِبْرَاجَ بْنَ أَفْرِيدُونِ بْنِ أَثْفَرِيَّانَ » وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَانِهِ
أَعْنَى زَمَانِ مِفْشَهْرَ قَالَ حِينَ عَقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ :
« أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ ، وَإِنْ الشُّكْرَ لِلْمُشْكِرِ ، وَإِنْ التَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ ،
وَلِإِنَّهُ لَا أَضْعَافَ مَنْ تَخْلُقُ طَالِبًا أَوْ مَطْلُوبًا ، وَلَا أَفْوَى مِنْ طَالِبٍ طَلِبَتُهُ
فِي يَدِهِ ، وَلَا أَعْجَزَ مِنْ مَطْلُوبٍ هُوَ فِي يَدِ طَالِبِهِ .

مول شعر بجبر بن زهير :

وَأَنْشَدَ أَبُو جَبْرِ بْنُ زُهَيْرٍ :

نَفَى أَهْلَ الْخَبْلَاقِ كُلَّ فَجٍّ مُزَيَّنَةً غُدُوَّةً وَبَنُو خُفَافٍ

الْخَبْلَقُ : أرض يسكنها قبائل من مُزَيْنَةَ ، وقَيْسٍ ، وَالْخَبْلَقُ : الْغَمُّ ،
الصَّغَارُ ، ولعله أراد بقوله : أهل الْخَبْلَقِ أصحاب الْغَمِّ ، وبنو عُثْمَانَ هم مُزَيْنَةُ
وهم بنو عُثْمَانَ بن لَاطِمِ بن أَد بن طَابِخَةَ ، ومُزَيْنَةُ أمُّهُمْ بنتُ كَلْب بن وَبَرَةَ
ابن تَغْلِب بن حُلْوَانَ بن الْخَافِ بن قُضَاعَةَ ، وأختها : الْخَوَّابُ التي عُرِفَ
بها ما ه الْخَوَّابِ المذكور في حديث عائشة ، وأصل الْخَوَّابِ في اللغة : الْقَدَحُ
الضَّخْمُ الواسع ، وبنو خُفَّافٍ : بَطْنٌ من سُلَيْمٍ ، وقوله :

ضَرَبْنَاْهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ

في البيت مداخلة وهو انتهاءُ الْقَسِمِ الأول في بعض كلمة من الْقَسِمِ
الثاني ، وهو عَيْبٌ عندهم إلا في الْخَفِيفِ وَالْهَزَجِ ، ومعنى الْخَيْرِ أى ذو الْخَيْرِ ،
ويجوز أن يربد الْخَيْرُ نَخْفٍ ، كما يقال هَيْنَ وَهَيْنَ . وفي التَّنْزِيلِ : ﴿ خَيْرَاتٍ
حِسَانٍ ﴾ الرِّحْمَانُ : ٧٠ .

وقوله : كما انصاع الْفُؤَادُ من الرِّصَافِ ، أى : ذَهَبَ ، والرِّصَافُ :
عُصْبَةٌ تُلَوَّى على فوق السَّهْمِ ، وأراد بالفؤاد الفوق ، وهو غريب .

وذكر صاحب العين في الْفُؤَادِ صوت الصَّدر ، وهو باغمز في قول ابن
الأعرابي ، لأنه من ذوات الواو .

عباس بن مرداس والذين هرموا الخمر :

وذكر عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ ، ويكنى أبا الْفَضْلِ ، وقيل : أبا الْهَيْثَمِ ، ومن ذريته
عبدُ الْمَلِكِ بن حبيب فقيه الأندلس ، ونسبه : عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ بن أَبِي عَامِرٍ بن جَارِيَّةَ

ابن عَبْدِ بْنِ عَبَّاسٍ^(١) بن رِفَاعَةَ بن الحارث^(٢) بن مُهَشَّةَ بن سُلَيْمٍ السَّلَمِيّ
كان أبوه حاجباً لحَرْبِ بن أُمَيَّةَ ، وقتلتهما الجُنُ في خَبَرِ مَشْمُورٍ^(٣) وعباس
من حَرَمٍ على نفسه الخمر في الجاهلية ، وحرّمها أيضاً على نفسه قبل الإسلام
أبو بكر وعُثْمَانُ وعبدُ الرحمن بن عَوْفٍ ، وقيس بن عاصم ، وقبل هؤلاء
حرّمها على نفسه عبدُ المطلب بن هَاشِمٍ وورَقَةُ بن نوفل وعبدُ الله بن جُدعان
وشَيْبَةُ بن رَسِيمة والوليدُ بن المُغيرة ، ومن قُدماء الجاهلية عامرُ بن الظَّرب
العدَوانيّ .

وذكر في سبب إسلام عباس ماسم من جَوْفِ الصنم الذي كن يعبده ،
وهو ضمارٍ بكسر الراء وهو مثل حَدَامٍ وِرْقَاشٍ ، ولا يكون مثلُ هذا البناء
إلا في أسماء المؤنث ، وكانوا يجعلون آلهتهم إناثاً كاللَّاتِ والعُزَّى ومناة ،
لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات . وفي ضِمَارٍ لغة أهل الحجاز ، وبنى
تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء ، ومالم يكن في آخره
راء كحَدَامٍ وِرْقَاشٍ ، فهو مَبْنِيٌّ في لغة أهل الحجاز ومُعَرَّبٌ غيرُ مُجَرَّى
في لغة غيرهم^(٤) كذلك قال سِيَبَوِيه .

(١) في الإصابة : ابن حارثة بن عبد بن عباس .

(٢) في الإصابة : ابن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بهثة .

(٣) خرافة أخرى مما يقال عن الجن .

(٤) أى يجرونه مجرى ما لا ينصرف فيرفع بالضم بدون تنوين ، وينصب
ويجر بالكسرة . وقد جاءت الأشعار على لغة أهل الحجاز . وقد ضبط
القاموس ضمار على وزن كتاب وكذلك ضبط في المراسد وهى بفتح الصاد =

وذكر ابن أبي الدنيا في سبب إسلام عباس حديقاً أسنده عن رجاله عن الزُّهْرِيِّ عن عبد الرحمن ، بن أنس السلمي عن عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنَّهُ كُنَ فِي لِقَاحٍ لَهُ نِصْفَ النَّهَارِ ، فَاطْلَعَتْ عَلَيْهِ نَعَامَةٌ بِيضَاءُ عَلَيْهَا رَاكِبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيَاضٌ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّجَّاءَ كَفَتْ أَحْرَاسَهَا ، وَأَنَّ الْخَرْبَ جَرَعَتْ أَنْفَاسَهَا ، وَأَنَّ الْخَيْلَ وَضَعَتْ أَحْشَاسَهَا ، وَأَنَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْبُرْ وَالْتَقَى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ صَاحِبَ النَّاقَةِ الْقَمْوَاءِ . قَالَ : نَخَرَجْتُ مَرَعُوبًا قَدْ رَاغَى مَا رَأَيْتُ ، وَسَمِعْتُ ، حَتَّى جِئْتُ وَنَسْنَا لِي ، يُقَالُ لَهُ الضُّمَارُ كُنَّا نَعْبُدُهُ وَنُسَكِّمُ مِنْ جَوْفِهِ ، فَسَكَنْتُ مَا حَوْلَهُ ، ثُمَّ تَمَسَّحَتْ بِهِ ، فَإِذَا صَاحُحٌ بِصِيحٍ مِنْ جَوْفِهِ :

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا هَلَاكَ الضُّمَارُ وَفَارَزَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ^(١)
هَلَاكَ الضُّمَارُ وَكَانَ يُعْبَسِدُ مُدَّةً قَبْلَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِن الَّذِي وَرِثَ النَّبُوءَةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُنْهَدِي

قَالَ نَخَرَجْتُ مَذْعُورًا حَتَّى جِئْتُ قَوْمِي ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ ، وَأَخْبَرْتَهُمُ الْخَبَرَ نَخَرَجْتُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي جَارِيَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ ، وَقَالَ : إِلَيَّ يَا عَبَّاسُ ، كَيْفَ إِسْلَامُكَ ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ :

== موضع للعرب به وقعة . أما البكري فضبط ضمير بفتح الصاد وقال : حجر كان لبني سليم يعبدونه . كان سبب إسلام عباس بن مرداس .
(١) في السيرة والبكري : من سليم . وأردى ضمير وعاش أهل المسجد .

صدقت ، فسلمت أنا وقومى^(١) .

شعر جعرة :

فصل : وذكر في شعر جعرة الخزاعي غزال ، وهو اسم طريق غير مصروف ، وقال كثير في قصيدته المشهورة يذكر غزال :

أنادبك ماحج الحبيج وكبرت بفيقا غزال رقة وأهت^(٢)
وكذلك لفت اسم موضع ، وفي لفت^(٣) يقول معقل بن خويلد :
أعزك ماخيت وقد بلغنا جبال الجوز من بلد تهام
زيم^(٤) محليا من أهل لفت لحي بين أنلة والنجام
وقد تقدم هذا البيت الأخير في باب الهجرة^(٥) .

سرية خالد إلى بني جزيمة :

وذكر سرية خالد إلى بني جذيمة ، وتعرف بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبني جذيمة .

(١) الشعر مصنوع ولا شك ، فليس فيه نفحة من عصره ، والقصة كذلك موضوع ولا شك أو لعلها رؤيا كما فهم ابن حجر في الإصابة .
(٢) القصيدة بطولها كلها في الأملح ص ١٠٧ ط ٢ .
(٣) لفت قيدها البكري بكسر اللام وفتحها . وقيدها القاضى عياض — كما في المراصد بثلاثة أوجه منها ما ذكرنا ، وفتح اللام والفاء ، وقد سبق الكلام عنها .

(٤) سبق الكلام عن البيتين في باب الهجرة .

(٥) بل تقدم البيتان .

وذكر شعر امرأة، اسمها : سلمى ، وفيه :

وَمَرْءٌ حَتَّى يَتْرَكُوا الْبَرْكَ ضَابِحًا

الْبَرْكُ : جماعة الإبل ، وَمَا صَعَّ : جالِد وقَاتِل ، وضابحاً من الضَّبْح ، وهو
نَفْسُ الخَيْلِ والإِبِلِ إِذَا عُيِّتْ ، وفي التَّنْبِيلِ ﴿ والعاديات ضَبِحًا ﴾ وفي الخبر :
من سمع ضَبْحَةً بَدِيلٍ ، فلا يَخْرُجْ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَهُ شَرٌّ . قال الراجز :

نَحْنُ نَطْعُنُهُمْ غَدَاةَ الْجُمُعَيْنِ
بِالصَّابِحَاتِ فِي غُبَارِ النُّعْمَيْنِ
نَطْعًا شَدِيدًا لَا كَنَطَحِ الطَّوْرَيْنِ

والضَّبْحُ والضَّيْ مصدر ضَبَحَتْ وضَبِيتْ أى مُشَوِّتٌ وَقُلِّيتْ ، قاله
أبو حنيفة . قال : وَالْمَضَابِي وَالْمَضَابِحُ هُوَ الْمَقَالِي .

وذكر تَبَرُّأُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مما فعل خالدٌ ، وهذا نحوه مما روى
عن عُمرَ حِينَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنْ فِي سَيْفِ خَالِدٍ رَهَقًا ..
إِنْ فِي سَيْفِ خَالِدٍ رَهَقًا فَاقْتُلْهُ ، وَذَلِكَ حِينَ قَتَلَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ
تَحْتَ قِدْرِ حَتَّى طُبِخَ بِهِ ^(١) ، وَكَانَ مَالِكٌ ارْتَدَ ، ثُمَّ رَاجَعَ الْإِسْلَامَ ، وَلَمْ يَظْهَرْ
ذَلِكَ لَخَالِدٍ ، وَشَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ بِرَجُوعِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَقْبَلْهُمَا ،
وَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ ، فَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ : اقْتُلْهُ ، فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ لِأَنَّهُ مُتَأَوَّلٌ .

(١) لا يظن برجل مجده التاريخ كخالد أن يقترب مثل هذه القسوة والمثله
التي نهاه عنها دينه .

فقال : اغزله ، فقال : لا أُنغِدُ سَيْفًا سَلَّهَ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا أُغْزِلُ وَالِيًا
وَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذكر قول الرجل للمرأة : اسلمني حُبَيْشٌ عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ ^(١) النَّفْدُ
مصدر نَفَدَ إِذَا فَنِيَ ، وَهُوَ النَّفَادُ ، وَحُبَيْشٌ مُرَحَّمٌ مِنْ حُبَيْشَةٍ .

سُمر ألي مررد :

وَحَلِيئُهُ وَالْخَوَانِقُ : مَوْضِعَانِ ، وَالْوَدَائِقُ : جَمْعٌ وَدِيقَةٍ ، وَهُوَ شِدَّةُ
الْحَرْبِ فِي الظَّهِيرَةِ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ مِنَ الْوَدَقِ ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَسِيلُ لِعَابُ
الشَّمْسِ ، وَهُوَ مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالسَّرَابِ وَنَحْوِهِ ، وَقَالَ الرَّاجِزُ :

وَقَامَ مِيزَانُ النَّهَارِ ، فَاعْتَدَلَ وَسَالَ لِلشَّمْسِ لُعَابٌ فَتَزَلُ

وَقَالَ : الْأَحْوَالُ : يُقَالُ : وَدَقَ إِذَا دَنَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَيُقَالُ : هُوَ وَادِقُ
السَّرَةِ إِذَا كَانَتْ مَائِلَةً إِلَى جِهَةِ الْأَرْضِ وَأُنْشِدَ :

وَادِقًا مُسْرَاهَا

فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْوَدِيقَةُ مِنْ وَدَقَتِ الشَّمْسُ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْأَفْقِ ، فَاشْتَدَّ
حَرُّهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : فَهَمَّهَ خَالِدٌ ، أَيْ : زَجَرَهُ ، وَجَهَّهُ ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي قِصَّةِ
الْمَرْأَةِ الَّتِي مَاتَتْ مُكَبَّجَةً عَلَى الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَرْبٍ

غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّضْرِي ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدوا منهم أحدا له اسم ، وفي بني جُشَم دُرَيْد بن الصَّمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيَمُّنُ برأيه ومعرفة بالخرب ، وكان شيخاً جَرَباً ، وفي ثقيف سيدان لهم . في الأحلاف : قاربُ بن الأسود

عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النَّخَوِي عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سريةً ، قال : فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، عشقت امرأة فلحقها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، قال : فإذا امرأة طويلة أدماء ، فقال لها : اسمي حَبِيشُ قبل تَقْدِ العَيْشِ ، وذكر البيتين الأولين من النقطعة الغافية أول هذا الخبر ناقص الوزن ، وبعدها قالت : نَعَمْ فَدَيْتُكَ ، فقدموه فصرخوا عُنُقَهُ ، فجاءت المرأة فوقفت عليه ، فشَهَقَتْ شَهَقَةً أو شَهَقَتَيْنِ ، ثم ماتت ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما كان فيكم رجلٌ رحيمٌ - خَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ في باب قَتْلِ الأسارى من مُصَنَّفِهِ .

ابن مسعود بن مُعْتَب ، وفي بنى مالك : ذو الحِجَارِ سُبَيْع بن الحارث بن مالك ،
وأخوه أحر بن الحارث ، وجميعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي .
فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم
وأبنائهم ، فلم يزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ
في شِجَارٍ له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال :
نعم بحال الخيل ! لا حزنَ خَرسٍ ، ولا سهْلَ دَهِسٍ ، مالى أسمع رُغَاءَ البعير ،
ونُهَاقَ الحمير ، وبُكَاءَ الصغير ، ويُعَارُ الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع
الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعى
له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كأنَّ له
مابعدَه من الأيام . مالى أسمع رُغَاءَ البعير ، ونُهَاقَ الحمير ، وبُكَاءَ الصغير ،
ويُعَارُ الشَّاء ؟ قال : سَقَتْ مع الناس أموالهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟
قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل منهم أهله وماله ، ليُقَاتِلَ عنهم ،
قال : فَأَنْقَضَ به . ثم قال : راعى ضأنٍ والله ! وهل يَرُدُّ المنزَمَ شئٌ ؟ إنما
إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحَتْ
في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعبٌ وِكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم
أحد ، قال : غاب الحدُّ والجُد ، ولو كان يومَ غَلَاءٍ ورفعة لم تغب عنه كعب
ولا وِكِلاب ، ولو دِدْتُ أنكمُ فعلتم ما فعلت كعبٌ وِكِلاب ، فمن شهدا
منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذاك الحدَّعان من
عامر ، لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بقرعةٍ ببيضةٍ بيضةٍ
هوأزن إلى نحر الخيل شيئاً ، أرقتهم إلى مُتَمَنِّعٍ بلادهم وعليا قومهم ، ثم

ألقَ الصَّخْرَةَ عَلَى مُتَمَوِّنَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ سَلْطَى بَكَ مَنِّ وَاءَكَ ،
وإنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَمْعَكَ وَمَالَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ كَبِّرْتَ وَكَبِّرَ عَقْلَكَ . وَاللَّهِ لَتَطِيْعُنِي يَوْمَ عَشْرِ هَوَازِنٍ أَوْ
لَأُتْسِكِنَنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ الدُّرَيْدُ
ابْنُ الصَّخْمَةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ ؛ فَقَالُوا : أَلْعَمَّاكَ ؛ فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّخْمَةِ : هَذَا
يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَفْتَنَنَّ :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ
أَفُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ قَوْلَهُ :

« يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ »

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتَهُمْ فَاكْثِرُوا جُفُونًا
سَيُوفَكُمْ ، ثُمَّ شُدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّ مَالِكَ
ابْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عِيُونًا مِنْ رَجَالِهِ ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ ، فَقَالَ :
وَيْلَكُمْ ! مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا : رَأَيْنَا رَجُلًا بَيْضًا عَلَى خَيْلٍ يُبْلَقُ ، فَوَاللَّهِ
مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاللَّهِ مَارَدَّ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ أَنْ مَضَى
عَلَى مَا يَرِيدُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ

ابن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيهم بخبرهم . فانطلق ابن أبي حذرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمره هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر (ف دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حذرد . فقال ابن أبي حذرد : إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حذرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر)

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السبر إلى هوازن ليقاتمهم ، ذكر له أن عتد صفوان بن أمية أدرأه له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أمية ، أعزنا سلاحك هذا تلقى فيه عدونا غداً ، فقال صفوان : أغضباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى تؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أنفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابة بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخف عنه من

الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس الشلمى :

أصابته العام رِعْلًا غُولُ قَوْمِهِمْ	وَسَطَ الْبُيُوتِ وَلَوْنُ الْغُولِ أَلْوَنُ
بِأَنَّهُمْ أُمَّ كِلَابٍ إِذْ تُبَيَّيْنُهُمْ	خَيْلُ ابْنِ هَوَازَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ
لَا تَلْدَنْظُوهَا وَشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ	أَنَّ ابْنَ عَمِّكُمْ سَعْدٌ وَدُهَانُ
لَنْ تَرْجُمُوهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً	مَادَامَ فِي النَّعَمِ لِلْأَخُوذِ أَلْبَانُ
شَنْعَاءُ جُلِّلَ مِنْ سَوَآئِهَا حَضَنٌ	وَسَالَ ذُو شَوْغَرٍ مِنْهَا وَسَلْوَانُ
لَيْسَتْ بِأَطْيَبَ مِمَّا يَشْتَعَوِي حَذَفٌ	إِذْ قَالَ : كُلُّ شِوَاءِ الْعِيرِ جُوفَانُ
وَفِي هَوَازِنَ قَوْمٌ غَيْرَ أَنْ يَهْمُ	دَاءَ الْيَمَانِيِّ فَإِنْ لَمْ يَغْدِرُوا خَانُوا
فِيهِمْ أَخٌ لَوْ وَفَوْا أَوْ بَرَّ عَنْهُمْ	وَلَوْ نَهَكْنَاهُمْ بِالطَّعْنِ قَدْ لَانُوا
أَبْلَغُ هَوَازَانَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلُهَا	مِنِّي رِسَالَةٌ نُصَحَ فِيهِهِ تَبْيَانُ
أَنِّي أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَاحِبَكُمْ	جَيْشًا لَهُ فِي قَضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ أَحْوَجُكُمْ سُلَيْمٌ غَيْرَ تَارِكِكُمْ	وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ غَسَّانُ
وَفِي عِضَادَتِهِ الْيَمَنِيُّ بَنُو أَسَدٍ	وَالْأَجْرَبَانُ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
تَسْكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَةً	وَفِي مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلة مُزَيْنَةَ .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسلمها » إلى آخرها ،
في هذا اليوم ، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم ، وما منصونتان ، ولكن
ابن إسحاق جعلهما واحدة .

ذات أنوط

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان
الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه
إلى حنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة
عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنوط ، يأنونها كل سنة ، فيعذون أساحتهم
عليها ، ويدبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من
جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنوط .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذي نفسي بحمده ،
كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال : إنكم
قومٌ يُجْهَلُونَ . إنها السنن ، لتركن سنن من كان قبلكم .

ثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن
جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدروا

في وادٍ من أودية تهامة أجوف حطوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، قال :
وفي عمارة الصبيح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكلمنوا لنا في شعابه
وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن منخطون
إلا الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وأنشمر الناس راجعين ،
لا يلوي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس؟
هلموا إلى أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شيء ، حملت الإبل
بعضها على بعض ، فانطاق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

الذين مبيتوا

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن
أبي طالب والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ،
والفضل بن العباس ، وزبيدة بن الحارث ، وأسامة بن زيد . وأيمن بن عبيد ،
قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي سفيان
المغيرة ، وبعض الناس يعدّ فيهم قثم بن العباس ، ولا يعد ابن أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن
ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له

أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ،
إذا أدرك طعن برمح ، وإذا فاته الناس رفع رمح له من وراءه قائبهم .

الشماتة بالمسلمين

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تسكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزام لمعة في كنفاته . وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام : كلدة ابن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يرُبني رجل من قريش أحب إلى من أن يرُبني رجل من هوازن .

شعر حسان في هجاء كلدة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة :

رَأَيْتُ سَوَادًا مِنْ بَعِيدٍ فِرَاعِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلٍ

كَأَنَّ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعُ قُلُوصٍ مِنْ رِثَاجِ ابْنِ عَزْهِلٍ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية ،
وكان أخا كلدة لأمه .

شبهة يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وقال شبيعة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار . قلت : اليوم أدركُ نأري من محمد ، وكان أبوه قُتِلَ يوم أُحُد ، اليوم أقتلُ محمداً . قال : فادْرُتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تَغَشَّى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : ان مُغَلَّبَ اليوم من قِلَّةٍ .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالها .

الانتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهْرِيُّ . عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : لما لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بِحِمَاكَمَةِ بَغَاتِهِ الْبَيْضَاءِ قَدْ شَجَرَتْهَا بِهَا ، قال : وكنت امرأ جسيما شديدا للصوت ، قال . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلُوءُونَ على شيء ، فقال : يا عباس ، اضرْخْ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السُّمُرَةِ ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ! قال : فيذهب الرجل ليُثْنِي بِعِيرِهِ ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَهُ ، فيمقدفها في عنقه ؛ ويأخذ سيفه وُتْرُسَهُ ، ويقتمهم عن بعيره ، ويحُلِّي سبيله ، فيوم

الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خالصة أخيراً : يا للخزرج . وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه . فنظر إلى مُجْتَلِدِ القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حِمَى الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَهُ بنصف ساقه ، فأنجمف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجمة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطاب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بشفر بقلته ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أملك يا رسول الله .

رأى أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم التفت ، فرأى أمّ سُليم بنت مباحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها يُبرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعهما جملُ أبي طلحة ، وقد خشيت أن يعزّها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خزامته مع الخِطام ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سُليم ؟ قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفي الله يا أمّ سُليم ؟ قال : ومعهما خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر مملِك يا أمّ سُليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يا رسول الله ما تقول أمّ سُليم الرُميصاء .

شعر مالك بن عوف في الهزيمة

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين وجه إلى حُنين ، قد ضمّ بنى سُليم الضحّاك بن سُفْيَانَ السِّكَلَابِي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرّثهم بفرسه :

أَقْدِمُ مُحَاجُ إِنَّهُ يَوْمٌ نُسْكُرُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكْرُ
إِذَا أَضِيعَ الصَّفُّ يَوْمًا وَالدُّبُرُ نِمَ احْزَأَتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرِ
كُتَابٌ بِكُلِّ فَيْهِنٍ الْبَقَرُ قَدْ أَطْعَمَ الطَّامِنَةَ تَقْدِي بِالْشُّبْرِ
حِينَ يُدَمُّ الْمُسْتَسْكِينُ الْمُنَجَّرُ وَأَطْعَمُ النَّجْلَاءُ تَعْوِي وَتَهْرُ

لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرٌ تَفْتَقُ تَارَاتٍ وَحِينًا تَنْفَجِرُ
وَتَعَابُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِرٌ بَارِئٌ يَابِنَ هَمَّهِمْ أَيْنَ تَهْرُ
قَدْ نَفِدَ الضَّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرُ قَدْ عَلِمَ الْبَيْضُ الطَّوِيلَاتُ الْخُمْرُ
أَتَى فِي أَمْنَاهَا غَيْرُ نَحْرٍ إِذْ تُخْرِجُ الْحَاصِنُ مِنْ تَحْتِ السُّنْبُرِ

وقال مالك بن عوف أيضاً :

أُقَدِّمُ مُحَاجُ إِنِّهَا الْأَسَاوِرَةُ وَلَا تَغُرَّكَ رِجْلُ نَادِرِهِ

قال ابن هشام : وهذان البيتان لعير مالك بن عوف في غير هذا اليوم .

من قتل قتيلاً فله سلبه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصاري قال : وحدثني من لائهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد عن أبي قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلماً ومشركا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأنيته فضربت يده فقطعتهما ، واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرساني حتى وجدت ريح الدم - ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام . وكاد يقتلني ، فلولا أن الدم نزفه لقتلني ، فسقط ، فضربت يده فقتلته ، وأجهضني عنه القتال ، وسمرت به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلاً فله سلبه ، فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب ، فأجهضني عنه

الْقِتَال ، فَمَا أَدْرَى مَنْ اسْتَلَبَهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
وَسَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي ، فَأَرْضِيهِ عَنِّي مِنْ سَلَبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ ، تَعَمَّدَ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ ، يِقَاتِلُ
عَنْ دِينِ اللَّهِ ، تَقَاسَمَهُ سَلَبُهُ ! أَرَدَدَ عَلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ فَاَرَدَدَ عَلَيْهِ سَلَبَهُ . فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَأَخَذَتْهُ مِنْهُ ، فَبَجَعَتْهُ ،
فَاشْتَرَيْتَ بِهِ نَخْرَاقًا ، فَإِنَّهُ لِأَوَّلُ مَالٍ أَعْتَمَدْتُهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق بن
عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم
حُفَيْنَ وحده عشرين رجلاً

نزول الملائكة

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، أنه حدث عن جُبَيْرِ
ابن مُطْعِمٍ ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناس يَفْقَتِلُونُ مثل البجَادِ
الْأَسْوَدِ ، أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا نَمَلُ
أَسْوَدَ مَبْثُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي ، لَمْ أَشْكْ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ ، نَمٌ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ
الْقَوْمِ .

هزيمة المشركين من أهل حنين

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن
رسوله صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ النَّاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِالنَّاتِ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتْ خَيْلَ اللَّهِ خَيْلَ النَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالنَّاتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوارن استحضر القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايهم مع ذى الخمار فلما قُتِل أخذها عثمان ابن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبمده الله ! فإنه كان يُبغضُ قريشاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس . أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانيٌّ أغرلٌ ، قال : فبينما رجل من الأنصار يسأُب قَتْلِي ثقيف ، إذ كشف العبدَ يسأُبُه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن ثقيفاً غرل . قال المُغيرة ابن شعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا نقل ذلك ، فذاك أبي وأُمي ، إنما هو غلام لنا نصراني . قال : ثم جعلتُ أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى !

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الفاس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ،

فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين : رجلٍ من غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بني كُتَيْبَة ، يقال له الجلاح ؛ فقال رسولُ الله على الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قُتِلَ اليومَ سيّدُ شبابِ ثَقِيف ، إلّا ما كان من ابنِ هُنَيْدَة ، يعنى بابنِ هُنَيْدَة الحارث بن أُويس .

رأية ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السّلمى يذكر قارب بن الأسود وفِرَارَه من بنى أبيه وذا الخمار وحَبْسَه قومه للموت :

أَلا مِنْ مُبَلِّغٍ غَيْلَانَ عَنِّي	وَسَوْفَ - إِخَالُ - بِأَنِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا	وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِ كَمَا يَسِيرُ
بَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولٍ	لَبَّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى	فَكُلَّ قَتَى يُخَايِرُهُ بِخَيْرِ
وَبَدَسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَيْسٍ	بَوَجَّ إِذْ تُقَسِّمَتِ الْأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلَسَكُلَ قَوْمٌ	أَمِيرٌ وَالِدَوَائِرُ فَدَ تَدُورُ
فَجِئْنَا أَسَدًا غَابَاتِ إِلَيْهِمْ	جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ
يَوْمَ الْجَمْعِ جَمَعَ بَنِي قَيْسٍ	عَلَى حَنْقٍ نَكَادُ لَهُ نَغَائِرُ
وَأَقْسِمُ لَهُمْ مَكَثُوا لِسِرْنَا	إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَفُورُوا
فَكُنَّا أَسَدًا لِيَّةً نَمُّ حَتَّى	أَبْحَنَاهَا وَأُسَامَتِ النَّصُورُ
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ	فَأَقْلَعَ وَالدَّمَاءُ بِهِ تَمُورُ

مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
 قَتَلْنَا فِي الْغَبَارِ بَنِي حَضَيْطٍ عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
 وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِجَارِ رَيْسَ قَوْمٍ لَهُمْ عَقْلٌ يُعَانِبُ أَوْ مَكِيدُ
 أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْعَنَابِ وَقَدْ بَانَ لِلْمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ
 فَأَقْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا وَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرُ
 وَلَا يُنْبِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي وَلَا الْغَلَقِ الصَّرِيرَةُ الْخُصُورُ
 أَحَاهَهُمْ وَحَابَ وَمَلَكُوهُ أُمُورُهُمْ وَأَقْلَتِ الصُّقُورُ
 بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ حِيَادُ أَهِنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
 فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقَسِّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
 وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمَمُوهَا عَلَى يَمَنِ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ
 أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جَدُودُ وَأَحْلَامُ إِلَى عِزِّ نَصِيرُ
 فَإِنْ يَهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يُلْفُوا أَنْوَفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
 وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا فَهُمْ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
 كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدِ وَحَرْبُ بَرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنَقْفِيرُ
 كَانَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِقَةٌ نَحُورُ
 فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِخْنِ الصُّدُورُ
 كَانَ الْقَوْمَ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ عُورُ

قال ابن هشام : غيـلان : غيـلان بن سلمة الثقفي ، وعروة : عروة بن
 ـ مود الثقفي .

مصرع دريد

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهما مالك ابن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمان ابن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّعْمَةِ وهي أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لدُعْمَةٍ فيما قال ابن هشام—دُرَيْد بن الصَّمَّة ، فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شَجَارٍ له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيْد بن الصَّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيْد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رُفَيْع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغن شيئاً ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل في الشَّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإني كفت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصَّمَّة ، فُربَ والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوق تكشَّف ، فإذا عجائز وبعاطون فيخذه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أممات لك ثلاثاً .

فَقَالَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ دُرَيْدٍ فِي قَتْلِ رَبِيعَةَ دُرَيْدًا :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ بَبْطُنِ مُخَيَّرَةٍ جَيْشِ الْعَقَاقِ
جَزَى عَنْهُ الْإِلَهُ بَنِي سُلَيْمٍ وَعَقَّتْهُمْ بِمَا قَعَلُوا عَقَاقِ
وَأَسْقَانَا إِذَا قُودْنَا إِلَيْهِمْ دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِ
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُمُ التَّرَاقِ
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتْ مِنَ الْوَتَاقِ
وَرُبَّ مُتَوَكِّلٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبْتَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلا رَمَاقِ
فَسَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقًا وَهَمَّا مَاعَ مِنْهُ مُخٌ سَاقِ
نَعَتْ أَمَارَ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْنِ بِذِي بَقَرٍ إِلَى كَيْفِ النُّهَاقِ

وَقَالَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ دُرَيْدٍ أَيْضًا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قَدْ صَدَقُوا فَظَلَّ دَرِيٌّ عَلَى السَّرْبِ بِالِ يَنْحَدِرُ
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ رَأَتْ سُلَيْمٍ وَكَغَبَ كَيْفَ تَأْتِمُرُ
إِذْنٌ لَصَبَّحَهُمْ غِيَابًا وَظَاهِرَةً حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَائِمُ جَحْفَلٍ ذَوِيرُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ اسْمُ الَّذِي قَتَلَ دُرَيْدًا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُنَيْسٍ بْنِ

أَهْبَانَ بْنِ تَغْلِبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ

مِصْرَعُ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِ مَنْ تَوَجَّهَ
قَبْلَ أُوطَاسٍ أَبَا عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ ، فَأَدْرَكَ مِنَ النَّاسِ بَعْضَ مَنْ انْهَزَمَ ،

فَنَافَسُوهُ الْقِتَالَ ، فَرَمَى أَبُو عَامِرٌ بِهِمْ قَتْلًا ؛ فَأَخَذَ الرَّايَةَ أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَهَزَمَهُمْ . فَيَزَعُونَ
أَن سَلَمَةَ بْنَ دُرَيْدٍ هُوَ الَّذِي رَمَى أَبَا عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ بِهِمْ ، فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ ،
فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ :

إِن تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةُ ابْنُ سَمَادِرٍ لِمَنْ تَوَسَّعَتْ
أَضْرِبُ السَّيْفِ رُؤُوسُ السَّلَاجَةِ

وسمادير : أمه .

حال بني رثاب في المعركة

وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلَ مِنْ بَنِي تَغْرِفٍ فِي بَنِي رِثَابٍ ، فَزَعَمُوا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ -
وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْقَوَزَاءِ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي وَهَبِ بْنِ رِثَابٍ - قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكْتُ بِبَنِي رِثَابٍ فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : اللَّهُمَّ اجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ .

موقف قوم مالك بن عوف

وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ ، فَوَقَفَ فِي فَوَارِسَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى
تَنْبِيْئَةٍ مِنَ الطَّارِقِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضُمَّةُ وَاوْكُمْ ، وَتَلْحَقَ
أَخْرَاكُمْ . فَوَقَفَ هُنَاكَ حَتَّى مَضَى مَنْ كَانَ لِحَقِّ بِهِمْ مِنْ مُتَهَيِّزَةِ النَّاسِ ؛ فَقَالَ
مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فِي ذَلِكَ :

ولولا كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجِرٍ لَضَاقَ عَلَى الْعَضَارِيطِ الطَّرِيقُ
ولولا كَرُّ دُهْمَانَ بْنِ نَعْرٍ لَدَى النَّخْلَاتِ مُنْدَفَعُ الشَّدِيقِ
لَآبَتْ جَمْفَرٌ وَبَنُو هِلَالٍ خَزَايَا مُحْتَبِينَ عَلَى شُقُوقِ

قال ابن هشام : هذه الأبيات للمالك بن عوف في غير هذا اليوم . وما يدُلُّك على ذلك قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ في صَدْرِ هذا الحديث : ما فعلت كعب و كلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدا منهم أحد . وجمفر بن كلاب . وقال مالك ابن عوف في هذه الأبيات : « لَآبَتْ جَمْفَرٌ وَبَنُو هِلَالٍ » .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّيْنَةِ ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ فقالوا : نرى قوماً واضئ رِماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادهم ؛ فقال : هؤلاء بنو سُليم ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أخرى تتبعهم ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى قوماً عارضئ رِماحهم ، أغفالا على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّيْنَةِ سلكوا طريق بني سُليم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى فارساً طويل البأد ، واضعاً رمحاً على عاتقه ، عاصباً رأسه بملاء حمراء ، فقال هذا الزُّبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم ، فاثبتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّيْنَةِ أبصر القوم ، فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

شعر سلمة في فرارة

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن ذريرد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَيْتَنِي مَا كُنْتُ غَيْرَ مُصَابَةٍ ولقد عرفتِ غداةَ نَفثِ الأظْرُبِ
أَنِّي مَنَّتُكَ وَالرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ومشيتُ خائفكِ مثلَ شَمْسِ الأَنْكَبِ
إِذْ فَرَ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي إِمَّةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يَغْتَبِ

عود إلى حديث مصرع أبي عامر

قال ابن هشام : وحدثني من أثنى به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه :
أن أبا عامر الأشعريّ لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل
عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم
اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو
يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر . ثم جعلوا
يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ،
وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى
الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد على ، فكف
عنه أبو عامر ، فأقلت ؛ ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه . فكان رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شريدُ أبي عامر . ورمى أبا عامر
أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بني جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما
قلبه ، والآخر رُكبتَه ، فقتلاه . وولي الناس أبو موسى الأشعري فحمل

عليهما فقتلتهما ، فقال رجل من بنى جُشم بن معاوية يرثيهما :
 إِنَّ الرِّزِيَّةَ قَتَلَ الْعِلَاءَ وَأَوْفَى بِجَمِيعًا وَلَمْ يُسْنِدًا
 هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدًا
 هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَنْزِلِكٍ كَانَ عَلَى عِطْفِهِ مُجَسَّدًا
 فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِنْدِيهِمَا أَقْبَلَ عِنَارًا وَأَزْمَى يَدًا

النهى عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّصُونَ عليها ، فقال :
 ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لبعض من معه : أدرك خالدًا ، فقل له : إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدًا
 أو امرأة أو عسيفًا .

شأن الشيماء ومجاد

قال ابن إسحاق ، وحدثني بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدّرتُم على مجاد ، رجل من بنى سعد
 ابن بكر ، فلا يَفْلَحَنَّكُمْ ، وكان قد أحدث حديثًا ، فلما ظهر به المسلمون ساقوه
 وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعمّفوا عليها في الشياق ، فقالت المسلمين :
 تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : لخدمني يزيد بن عُبَيْد السَّدي ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرضاة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عَضَّة عَضَضْتُهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرِّكُتُكَ ؛ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخبرها ، وقال : إِنْ أُخْبِتِ فَعِنْدِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ ، وَإِنْ أُخْبِتِ أَنْ أُمْتَمَكَ وَرَجَعِي إِلَى قَوْمِكَ فَعَلْتُ ؛ فقالت : بَلْ نَمْتَعُنِي وَتَرُدُّنِي إِلَى قَوْمِي ، فمتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أنطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نساء ما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ﴿ أَقَدْ تَصَرَّكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ .

شهداء يوم حنين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين : من قريش ثم من بني هاشم : أَيْمَنُ بْنُ عُبَيْد .

ومن بني أسد بن عبد العزى : يزيد بن زَمْعَةَ بْنِ الْأَسودِ بْنِ الْمطلبِ ابن أسد ، جَحَجَ بِهِ فَرَسٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْجَنَاحُ ، فَقُتِلَ .
ومن الأنصار : مُرَافَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَدِي ، مِنْ بَنِي الْعَجْلَانِ .

ومن الأشعرين : أبو عامر الأشعري .

سبايا حنين يجمعون

ثم جُمِعَتْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبايا حُنَيْنٍ وأموالُها ،
وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغفاري ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجُعْرانة ، فُخِضَتْ بها .

شعر بجير يوم حنين

وقال بجير بن زهير بن أبي سُلتى في يوم حُنَيْن :

لَوْلَا الْإِلَٰهُ وَعَبْدُهُ وَلَيْتُمْ حين استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جَبَانٍ
بِالْجِزَعِ يَوْمَ حَبَا أَنَا أَقْرَانَا وَسَوَاحٍ يُكْبُونَ لِلْأَذْقَانِ
مِنْ بَيْنِ سَاعِ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ وَمَقْطَرٍ بِسَنَابِكٍ وَلَبَانِ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
وَاللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام : ويروى فيها بعضُ الرُّوَاةِ :

إِذْ قَامَ عَمَّ نَدِيَّتُكُمْ وَوَرِثِيهِ يَدْعُونَ : لَكِتِيبةَ الْإِيمَانِ
أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْعُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

شمر لعباس بن مرداس في يوم حنين

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

إني والسَّواح يومَ جَمْعٍ وما يَتْلُو الرِّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ
لقد أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ نَقِيفٌ بِحَنْبِ الشَّعْبِ أَمْسٌ مِنَ الْعَذَابِ
هُمُّ رَأْسِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ بَجْدٍ فَقَتَلَهُمُ الَّذِي مِنَ الشَّرَابِ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَيْسٍ وَحَكَّتْ بَرَكَهَا بَيْنِي رِثَابِ
وَصِرْنَا مِنْ هِلَالِ غَادِرَتِهِمْ بِأَوْطَاسٍ تُعَفَّرُ بِالْتُّرَابِ
وَلَوْلَا قَيْنَ جَمْعِ بَنِي كِلَابٍ لَقَامَ نِساؤُهُمُ وَالنَّفْعُ كَابِ
رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ إِلَى الْأُوزَالِ تَنْحِطُ بِالنَّهَابِ
بَذَى كَلْبٍ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ كَتِيبَتُهُ تَعْرِضُ لِلضَّرَابِ

قال ابن هشام : قوله « تُعَفَّرُ بِالْتُّرَابِ » : عن غير ابن إسحاق .

ابن عَمِيْف يرد على ابن مرداس

فأجابه عطية بن عُمَيْف النَّصْرِيّ ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أَفَاخِرَةَ رِفَاعَةٍ فِي حُنَيْنٍ وَعَبَّاسُ بْنُ رَاضِعَةِ اللَّجَابِ
فَبَالِكَ وَالْفِجَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ لَرَبَّتِهَا وَتَرَفُلُ فِي الْإِهَابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عُمَيْف هذين البيتين لما أكَثَرَ عَبَّاسُ

على هَوَازِنَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ وَرِفَاعَةَ مِنْ جُهَيْنَةَ

شعر آخر لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلُ بالحق كلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُداكا
 إنَّ الإلهَ بنى عليكَ مَحَبَّةً في خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكا
 ثُمَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ جُنْدٌ بَعَثَتْ عَلَيْهِمُ الضَّحَاكا
 رَجُلًا بِهِ ذَرْبُ السَّلَاحِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يَرَاكا
 يَفْشَى ذَوَى النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا يَبْغَى رِضَا الرَّحْمَنِ نِمَ رِضَاكا
 أَنْبِيَاكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَكْرَهُهُ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ يَدْمَغُ الْإِشْرَاكا
 طَوَّراً يُمَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً بِفِرِّ الْجَاحِمِ صَارِمًا بِنَاكا
 يَفْشَى بِهِ هَامَ السَّكَاةِ وَلَوْ تَرَى مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَانَ شِفَاكا
 وَبَنُو سُلَيْمٍ مُعْتَفِقُونَ أَمَامَهُ ضَرْبًا وَطَعْمًا فِي الْعَدُوِّ دِرَاكا
 يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ أَسَدُ الْقَرِينِ أَرْدَنَ نَمِّ عِرَاكا
 مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً إِلَّا لَطَاعَةَ رَبِّهِمْ وَهَوَاكا
 هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا مَعْرُوفَةً وَوَلَّيْنَا مَوْلَاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

إِنَّمَا تَرَى يَا أُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَنَا مِنْهَا مُعْطَلَةٌ نُقَادٌ وَظُلْمٌ
 أَوْحَى مُفَارَعَةَ الْأَعَادِي دَمَهَا فِيهَا نَوَافِدٌ مِنْ جِرَاحِ تَنْبِيحُ

فلبَّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقَعْنَا أَرَمَ الْحُرُوبِ نَسْرِهَا لَا يُفَزَعُ
 لَا وَفَدَ كَالْوَفْدِ الْإِلَى عَقَدُوا لَنَا سَبِيًّا بِحَبْلِ عَمْدٍ لَا يُقْطَعُ
 وَفَدَ أَبُو قَطَنِ حُرَابَةٍ مِنْهُمْ وَأَبُو الْغَيْوُثِ وَوَارِسُ الْمَقْنَعِ
 وَالْقَائِدُ الْمِثَّةُ الَّتِي وَفَى بِهَا تَدْنَعُ الْمِثْنِ قَمَمَ أَلْفٍ أَقْرَعُ
 جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ خُحَّاشِينَ سَتًّا وَأَحْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ
 فَهَنَّاكَ إِذْ نُصِرَ النَّسَبِيُّ بِالْفِنَاءِ عَقَدَ النَّسَبِيُّ لَنَا لَوَاءً يَلْمَعُ
 فَرَزْنَا بِرَابِئِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدَهُ نَجَّدَ الْحَيَاةَ وَسُودَدَا لَا يُنْزَعُ
 وَغَدَاةٍ نَحْنُ مَعَ النَّسَبِيِّ جَنَاحُهُ بِيَطْلَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَنْهَزَعُ
 كَانَتْ إِبَابُنَا لِدَاعِي رَبِّنَا بِالْحَقِّ مَنَا حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
 فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَحْزِيرَ مَرَدَّهَا دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتَبْعُ
 وَلَنَا عَلَى بُرَى حُنَيْنٍ مَوَكِبُ دَمِغَ الذِّقَاقِ وَهَضْبَةَ مَا تَقْلَعُ
 نُصِرَ النَّسَبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَقْشَرًا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 ذُذُنَا غَدَاةً نَزْدُ هَوَازِنَ بِالْقَنَا وَالْخَيْلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجٌ يَسْطَعُ
 إِذْ خَافَ حَدَثُ النَّبِيِّ وَأَسْنَدُوا جَمْعًا تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ
 تُدْعَى بَنُو جُثَيْمٍ وَتُدْعَى وَسْطُهُ أَفْذَاهُ تَقْصِرُ وَالْأَسِنَّةُ تُشْرَعُ
 حَتَّى إِذَا قَالَ الرَّبُّ لَوْلَا مُحَمَّدٌ أَبْنَى سَلِيمٍ قَدْ وَفَيْتُمْ فَارْتَفَعُوا
 رُحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْجَفَ بِأَسْمِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَزُوا مَا جَمَعُوا
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :
 عَمَّا يَجْدَلُ مِنْ أَهْلِهِ قُمْتَالِغُ فَمِطْلَا أَرْبِكَ قَدْ خَلَا قَالِمَصَانِعُ

ديارُ لنا يا جُلْ إذْ جُلْ عِشْنَا رَحَىَّ وَصَرَفَ الدَّارَ لِلْحَيِّ جَامِعُ
 حَبِيبَةَ أَلُوتْ بِهَا غُرْبَةُ الْقَوَى ابْنَيْنِ فَمَلْ ماضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
 فَإِنْ تَبَقَعَى السَّكَنَاءَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
 دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَفَدَّ عَلِمَتُهُمْ خَزِيمَةُ وَالْمَرَارِ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
 لِحْيَتُنَا بِأَنْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ رَائِعُ
 نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ نُبَايَعُ
 فَجُسْنَا مَعَ الْمُهْدَى مَكَّةَ عَنُودَ بِأُضْيَانِنَا وَالنَّفْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
 عَدْنِيَّةٍ وَالْحَمْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا حَمِيمٌ وَأَنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
 وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالْثَفُوسِ الْأَضَالِعُ
 صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفِرِّزُنَا قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا لَوْلَا كَخَذَرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ
 عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُقْتَصِرُ بَسِيفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ
 تَذُودُ أَخَانَا عَنْ أُخْيَانَا وَلَوْ تَرَى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ
 وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ
 أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمْسَةِ اللَّهِ دَائِعُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً في يوم حُنَيْن :

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصَلِ أُمُّ مُؤَمِّلٍ بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَاكَ نِيَّةٌ خُلْفَا
 وَقَدْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعُ الْقَوَى فَمَا حَصَدَتْ فِيهِ وَلَا بَرَّتِ الْخُلْفَا

خُفَايَـسَةَ بَطْنِ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحْتَلُ فِي الْبَادِيَةِ وَجَرَةً فَالْمُرُفَا
فَإِنْ تَذْبِجَ الْكَفَّارَ أَمْ مُؤَمَّلٌ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَائِبِهَا شَغْفَا
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهَا الْخَلْبِيرُ بِأَنَّا أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبَّنَا حِلْفَا
وَأَنَا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَقَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعَشَرُ الْفَا
بِنَتِيَانِ صِدْقٍ مِنْ سَائِمٍ أَعَزَّةٍ أَطَاعُوا فَمَا يَمْنُونُ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا
خُفَافٌ وَذِكْرَانُ وَعَوْفٌ تَحَالُمُ مَصَاعِبَ زَاغَتْ فِي طَرُوقِهَا كَلْفَا
كَانَ النَّسِيجُ الشُّهْبَ وَالْبَيْضُ مُأْتَسُّ أَسُوداً تَلَاغَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا
بِنَا عَزُّ دِينِ اللَّهِ غَيْرَ تَذَجُلُ وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الْقَدِيِّ مَعَهُ ضِعْفَا
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِيَاءَنَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيْقِهَا خُطْفَا
عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا
غَدَاةَ وَطَنِنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ تَحْجِزْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفَا
بِمَعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهَ أَنَا زَجَّةٌ إِلَّا الْقَدَامُ وَالْقَفَا
بِبَيْضِ نَظِيرِ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَتَقَطِفُ أَغْنَاكَ السَّكَمَاءُ بِهَا قَطْفَا
فَسَكَتُنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلْجَبٍ وَأَرْمَلَةٌ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا أَنْفَا
رِضَا اللَّهِ نَفْوَ لَارِضَا النَّاسِ نَبْغِي وَلِلَّهِ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفَى
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا :
مَا بِالْأَعْيُنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهْرٌ مِثْلُ الْحَمَاطَةِ أَغْصَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ
عَيْنٌ تَأْوِيهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقُ فَلَمَّا يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ

كَأَنَّهُ نَظَّمُ دُرَّ عِنْدَ نَاطِلَةٍ تَقَطَّعَ السَّلَاطُ مِنْهُ فَهُوَ مُشْتَتِرٌ
 يَا بُعْدَ مَنَزِلٍ مَن تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَى دُونَهُ الصَّمَانُ فَالْخَفَرُ
 دَعِ مَا تَقْدَمُ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَلَى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزُّعْرُ
 وَاذْكَرْ بِلَاءِ سَلَمٍ فِي مَوَاطِنِهَا وَفِي سَلَمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُنْفَخِرُ
 قَوْمٌ هُمْ تَصَرُّوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
 لَا يَفْرِسُونَ قَسِيلَ النَّحْلِ وَسُطَمَ وَلَا تَحَاوِرُ فِي مَشَامِخِ الْفَقْرِ
 إِلَّا سَوَاجِحَ كَالْمِقْبَانِ مَقْرَبَةً فِي دَارَةِ حَوَالِهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَمَكُ
 تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوُفٌ فِي جَوَانِبِهَا وَحَى ذَ كَوَانٍ لَا مِيلَ وَلَا ضَجْرُ
 الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرِكِ ضَاحِيَةً بِيْطُنٍ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تَبْتَدِرُ
 حَتَّى دَفَقْنَا وَقَتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ نَحْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ
 وَنَحْنُ يَوْمَ حُمَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنَا لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخَرُ
 إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِنِهِ وَالْخَيْلُ بِنَجَابٍ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَاكِ يُقْدِمُنَا كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِيرُ
 فِي مَازِقٍ مِنْ تَجَرِّ الْحَرْبِ كَسَلِكُهَا تَسْكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسَدَتْنَا اللَّهُ نَنْصَبُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَقِرُ
 حَتَّى تَأْوِبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ لَوْلَا الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا
 فَمَا تَرَى مَغْشَرُ قُلُوبًا وَلَا كَثُرُوا إِلَّا قَدْ اصْبَحَ مِنَّا فِيهِمْ أَرُ
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَيْضًا :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوَى بِهِ وَجَنَاهُ مُجْمَرَةُ الْمَقَامِ عِرْمِيسُ

إِنَّمَا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ قَوْلُ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
 بِأَخِيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَى فَوْقَ التَّرَابِ إِذَا تَعَدَّدُ الْأَنْفُسُ
 إِنَّا وَفَّيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْنَا وَالْحَيْلُ تُقَدِّعُ بِالْكُفَاةِ وَتُفْرَسُ
 إِذْ سَالَ مِنْ أَفْئَاءِ بُهْشَةَ كُلِّهَا جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْحَارِمُ تَرْجُسُ
 حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَنِيَامًا شَهَبَاءُ يَقْدُمُهَا الْهُمَامُ الْأَشْوَسُ
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سَائِمٍ فَوْقَهُ بِيضَاءُ مُحْكَمَةِ الدِّخَالِ وَقَوْنَسُ
 يُرَوِّى الْفَنَاءَ إِذَا تَجَاسَّرَ فِي الْوَعَى وَتَحَالَهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَعْبَسُ
 يَفْشَى الْكَتَيْبَةَ مُعَلِّمًا وَبِكْفَهُ عَظْبٌ يَقْدُدُّ بِهِ وَلَدْنٌ مِذْبَسُ
 وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا أَلْفَ أَمِدَةٍ بِهَ الرَّسُولُ عَرَنْدَسُ
 كَانُوا أُمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةً وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ
 تَمْضِي وَبِحَرْزُسْنَا إِلَهُ بِحِفْظِهِ وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مِنْ يَحْرُسُ
 وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مُحَمَّدِيًّا رَضِيَ إِلَهُ بِهِ فَتَغَمَّرَ الْخَبِيسُ
 وَغَدَاةَ أَوْعَاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً كَفَّتِ الْعُدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا: يَا أَحْبِسُوا
 تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَارَةِ بَيْنِنَا تَذِي تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْدِسُ
 حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تَمَاقِبُهُ السَّبَاعُ مُفَرَّسُ

قال ابن هشام: أُلْهِنَّا خَلْفَ الْأَحْمَرِ قَوْلُهُ: «وَقِيلَ مِنْهَا يَا أَحْبِسُوا».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضًا:

تَصَرَّنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ بِأَلْفِ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهُ

حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرَّمْحِ رَايَةً يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهُ
وَنَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَمًا فَهِيَ لَوْنُهَا غَدَاةَ حَنِينٍ يَوْمَ صَفْوَانٍ شَاجِرُهُ
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيِّمَةً لَهُ وَكَانَ لَنَا عَقْدُ الْأَوَاءِ وَشَاهِرُهُ
وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهُ
دَعَا فَا فُسْمَانَا الشَّعَارَ مُقَدِّمًا وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَيْدِهِ بِالنَّصْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهُ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « وكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ » إلى آخرها ،
بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذي أوتته : « حملنا له في عامِلِ
الرمح راية » . وأنشدني بعد قوله : « وكان لنا عقدُ الأواء وشاهرُهُ » ،
« ونحن خضبناه دماً فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

مَنْ مُبْلِغِ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَبْنَا وَوَاعَدْنَا قَدْ يَدَا مُحَمَّدًا يَوْمَ بَنَّا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمًا
تَمَارَوْا بَنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَانًا وَغَابًا مُقَوَّمَا
عَلَى الْخَلِيلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعًا وَرَجُلًا كَدْفَاعِ الْإِثْنِ عَرَمَرَمَا
فَإِنْ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا سَلِمْتُ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجَنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا

فإِنْ تَكُ قَدَّامُوتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ
 تَجْعُدُ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا
 حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَلِيلِ مُلْجَمًا
 وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ لِلْمَقْدَمَا
 وَبِتَنَا بِنَهْنَى الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَنَحْرُمَا
 أَطْفَانِكَ حَتَّى اسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلَمَّا
 يَصِلُ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسَطُهُ وَلَا يَطْمَنَّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوِّمَا
 سَمَوْنَاهُمْ وَرَدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضُجْحِي وَكُلَّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ احْجَمَا
 لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى تَرَكَنَا عَشِيَّةً حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِقُهُ دَمَا
 إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأَيْتَ طَيْرَةً وَفَارَسَهَا يَهْوِي وَرُحْمَا مُحْطَمًا
 وَقَدْ أَحْرَزْتَ مَنَا هَوَازِنُ سَرَبَهَا وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا

شعر ضمضم في يوم حنين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ ضَمْضَمُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ بْنِ حَبِيبِ
 ابْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ بْنُ يَغْلَةَ بْنِ عُصَيَّةِ السُّلَمِيِّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ، وَكَانَتْ ثَقِيفُ
 تَأْصَابَتْ كِفَانَةً ابْنِ الْحَكَمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الشَّرِيدِ ، فَقَتَلَ بِهِ مِجَنِّحًا وَابْنَ عَمِّ لَهُ ،
 وَهِيَ مِنْ ثَقِيفَ :

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَلِيلَ مِنْ غَيْرِ تَجَلَّبَ إِلَى جُرْشٍ مِنْ أَهْلِ زِيَّانِ وَالنَّهْمِ
 نَقَعْلُ أَشْبَالَ الْأَسُودِ وَنَبْتَعِي طَوَاغِي كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تَهْدَمْ

فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنِّي
أَبَاتُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّةَ
نُصِيبُ رَجَالًا مِنْ تَقِيفِ رِمَاحُنَا
وَقَالَ ضَمَضَمُ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضًا :

أَبْلُغْ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَالِ آيَةً
بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَةِ بَيْتِهَا
لَمَّا رَأَتْ رَجُلًا لَا تَسْفَعُ لَوْنَهُ
مُشْطَ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ كَيْلِهِ
إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى رِحَالِهِ نَهْدَةً
يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً
وَزُهَاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أَزْهَقْتُهَا
كَيْمَا أَغْيَرَ مَا بِهَا مِنْ حَاجَةٍ

لَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِيَارٍ
قَدْ كُنْتُ لَوْ لَبِثَ الْغَزِيُّ بِدَارِ
وَعَرُ الْمَصِيفَةِ وَالْعِظَامِ عَوَارِي،
مُتَسَرِّبِلًا فِي دِرْعِهِ لِعَوَارِ
جُرْدَاءَ تُنَلْحِقُ بِالذَّجَادِ لِمَازَارِي.
كُنَيْتُ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ
مَهَلًا تَمَهَّلُهُ وَكُلَّ خَبَارِ
وَتَوَدُّ أُنَى لَا أَوْوَبَ فَجَارِ

رثاء أبي خراش لابن العجوة

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة ، قال : أسير زهير بن العجوة الهذلي يوم حنين ، فسكرتف ، فرآه جميل بن مَعْمَرُ الْجَمْعِيُّ ، فقال له : أنت الماشي لنا بالمغايظ ؟ ف ضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش الهذلي يرثيه ، وكان ابن عمه :

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ
بَذَى فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

طَوِيلَ نَجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدٍ إِذَا اهْتَزَّ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحُمائلُ
تَكَادُ يَدَاهُ تُسَلِّمانِ إِزَارَهُ مِنْ الْجُودِ لَمَّا أَذْلَقَتْهُ الشَّمائلُ
إِلَى بَيْتِهِ يَا وِى الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بَالَى الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ
تَرْوِّحَ مَقْرُوراً وَهَبَّتْ عَشِيَّةَ لَهَا حَدَبٌ تَحْمَتُهُ فَيُؤَانِلُ
فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا وَقَدْ بَانَ مِنْهَا اللَّوْذَعِيُّ الْخُلَاحِلُ
فَأَقْصِمَ لَوْ لَا قِيَّتَهُ غَيْرَ مُوْتَقٍ لَأَبْكَ بِالْغَمِّ الضَّبَاعُ الْجِيَانِلُ
وَإِنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَهُ إِذْ أَعْيَتْهُ فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتَ مَعَهُ يُنَازِلُهُ
لِظِلِّ جَمِيلٍ أَخْشَى الْقَوْمِ صِرْعَةً وَلَكِنْ قِرْنَ الظَّهْرَ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ
فَلَيْسَ كَعَمْرِ الدَّارِ يَا أُمَّ ثَابِتٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
وَعَادَ الْغَتَّى كَالشَّيْخِ لَيْسَ بِفَاعِلٍ سَوَى الْحَقِّ شَيْئاً وَاسْتَرَاحَ الْعَوَازِلُ
وَأَصْبَحَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ كَأَنَّمَا أَهَالَ عَلَيْهِمْ جَانِبَ التَّرَبِّ هَائِلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي نَسِيتُ لِيَا لِيَا بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ تَفْسُدْ مَا يُحَاوِلُ
إِذِ النَّاسِ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِفِرَّةٍ وَإِذْ نَحْنُ لَا تُغْنِي عَلَيْنَا الْمَدَاخِلُ

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :
مَنْعَ الرِّفَادَ فَمَا أَعْمَضُ سَاعَةً نَعَمْ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُحْضَرَمُ
سَائِلُ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرُّ عَدُوَّهَا وَأَعَيْنُ غَارِمَهَا إِذَا مَا بَغَرَمُ
وَكَتَبْتِ بِكِتَابِهَا بَكْتِيَّةٍ فَمَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَهُلَامُ

وَمُقَدَّمٍ تَغْيَا النَّفْسُ لَضِيْقِهِ قَدَمَتُهُ وَشُهُودُ قَوِيٍّ أَعْلَمُ
فَوَرَدَتْهُ وَتَرَكَتْ إِخْوَانًا لَهُ يَرِدُونَ عَمْرَتَهُ وَعَمْرَتُهُ الدَّمُ
فَإِذَا انْجَلَتْ غَمْرَاتُهُ أَوْزَنْتَنِي مَجْدَ الْحَيَاةِ وَنَجْدَ غُيِّمْ يُقَسِّمُ
كَلَفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعْقَى وَأَظْلَمُ
وَحَذَلْتُمُونِي إِذَا أَقَاتِلُ وَاحِدًا وَحَذَلْتُمُونِي إِذَا تُقَاتِلُ خَشَمًا
وَإِذَا بَدَيْتَ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لَا يَسْتَوِي بَانٍ وَآخِرُ يَهْدِمُ
وَأَقْبَ مِخْمَاصِ الشَّاءِ مُسَارِعُ فِي الْمَجْدِ يَنْمِي لِلْعُلَى مُتَسَكَّرَمُ
أَكْرَهْتُ فِيهِ إِلَهَ يَرْزِيئَةَ سَجَاءٍ يَقْدُمُهَا سِنَانُ سَلْجَمُ
وَتَرَكَتْ حَنَّتَهُ تَرُدُّ وَلِيَّهِ وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَيَّ فُلَانَةٌ مُقَدَّمُ
وَنُصِبْتُ نَفْسِي لِلرَّمَاكِ مَدَجَّجًا مِثْلَ الدَّرِيثَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

هوازني يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق : وقال قائل في هوازن أيضاً ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أَذْكَرُ مَسِيرُهُمُ لِلنَّاسِ إِذَا جَمَعُوا وَمَالِكُ فَوْقَهُ الرَّاياتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكُ مَالِكُ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ النَّجَاجُ يَا نَلِيقُ
حَتَّى لَقُوا الْبَاسَ حِينَ الْبَاسِ يُقَدِّمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ وَالْهَرَقُ
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُهُ الْفَسَقُ

ثُمَّتْ نُزَلَ جَبْرِيلُ بَنَصْرِهِمْ مِنْ السَّمَاءِ فَمَهْزُومٌ وَمُعْتَبِقٌ
مَنَا وَلَوْ غَيْرُ جَبْرِيلَ يُقَاتِلُنَا لَمَنْعَتُنَا إِذَنْ أَسْيَافُنَا الْعُتُقُ
وَفَاتِنَا عُمَرُ الْفَارُوقُ إِذْ هَزِمُوا بَطْفَنَةً بَلَّ مِنْهَا سَرَجُهُ الْعَلَقُ

جشمية ترى أخويها

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ تَرَى أَخَوَيْنِ لَهَا أَصِيبَا يَوْمَ حَنِينٍ :
أَعْيَنِي جُودًا عَلَى مَالِكٍ مَمَّا وَالْعَلَاءِ وَلَا تَجْمُدْهُ
هَما الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا
هَما تَرَكَاهُ لَدَى مُجَسَّدٍ يَنْوُو نَزِيفًا وَمَا وَسَّدَهُ

أبو ثواب يهجو قريشاً

وَقَالَ أَبُو ثَوَابٍ زَيْدُ بْنُ صُحَّارٍ ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ :
أَلَا هَلْ أَتَاكَ أَنْ غَلَبْتَ قُرَيْشٌ هَوَازِنَ وَالْخَطُوبُ لَهَا شُرُوطٌ
وَكُنَّا يَا قُرَيْشَ إِذَا غَضِبْنَا يَجِيءُ مِنَ الْغِيْظِ دَمٌ عَظِيطٌ
وَكُنَّا يَا قُرَيْشَ إِذَا غَضِبْنَا كَأَنَّ أَنْوَفَنَا فِيهَا سَمُوطٌ
فَأَضْبَحْنَا تُسَوِّقُنَا قُرَيْشٌ سِيَّاقَ الْعِيرِ يَحْدُوها الذَّبِيطُ
فَلَا أَنَا إِنْ سَأَلْتُ الْخَلْسَ آبٍ وَلَا أَنَا أَنْ أَلِينَ لَهُمْ نَشِيطٌ
سَيُنْقَلُ لَحْمُهَا فِي كُلِّ فَجٍّ وَتَكْتَبُ فِي مَسَامِعِهَا الْقَطُوطُ
وَيُرَوَّى «الخطوط» ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي رِوَايَةِ أَبِي سَعْدٍ .

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدني خلف
الأحمر قوله : « يحيى من الغضاب دم عبيط » وآخرها بيتاً عن غير
ابن إسحاق .

ابن وهب يرد على ابن أبي ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من
بني أسيد ، فقال :

بشرط الله نضرب من تقينا	كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنّا ياهوازن حنين تلقى	كُئِلَ الهام من علق عبيط
يجمعكم وجمع بني قيس	تحك البرك كالورق الخبيط
أصبتنا من سرائكم وملنا	بقتل في الميادين والخليط
به الملتك مفترش يديه	يمج الموت كالسكر النحيط
فإن تك قيس عيلان غضاباً	فلا ينفك يرضعهم سعوطي

شعر خديج في يوم حنين

وقال خديج بن العوجاء النضري :

لما دنونا من حنين ومائه	رأينا سواداً منكراً لا لون أخصفا
بلمومة شهباء لو قد فؤوا بها	شماريح من عزوى إذن عاد صفصفا
ولو أن قومي طاوعني سرائهم	إذن ما لقينا العارض المتكشفا
إذن ما لقينا جند آل محمد	ثمانين ألفاً واستمعدوا بخندفا

ذكر غزوة حنين

وَحَنِينٌ الَّذِي عُرِفَ بِهِ الْمَوْضِعُ هُوَ : حُنَيْنٌ بْنُ قَانِيَةَ بْنِ مِهْلَايِلَ^(١) كَذَا قَالَ الْبُكْرِيُّ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ قَالَ فِي خَيْرٍ مِثْلَ هَذَا أَنَّهُ ابْنُ قَانِيَةَ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

من البلاغ النبوية :

ويقال لها أيضاً غَزْوَةُ أُوطَاسٍ سُمِّيَتْ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْوَقْعَةُ وَهُوَ مِنْ وَطَنَتِ الشَّيْءِ وَوُطْأَ إِذَا كَدَّرْتَهُ ، وَأَثَرَتْ فِيهِ . وَالْوَطِيسُ : مُثَرَّةٌ فِي حَجَرٍ تَوْقَدُ حَوْلَهُ النَّارُ ، فَيَطْبَخُ بِهِ الْلَحْمُ ، وَالْوَطِيسُ التَّنُورُ ، وَفِي غَزْوَةِ أُوطَاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْآنَ حَيَّيَا الْوَطِيسَ^(٢) ، وَذَلِكَ حِينَ اسْتَعَرَّتِ الْحَرْبُ ، وَهِيَ مِنَ الْكَلِمِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفِيهَا هَذِهِ ، وَمِنْهَا : مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ ، قَالَهَا فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ، قَالَ : ابْنُ عَتِيكَ : وَمَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بِعَنِي : حَتَفَ أَنْفِهِ مِنْ أَحَدِ الْعَرَبِ قَبْلَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمِنْهَا لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ^(٣) قَالَهَا لِأَبِي عَزَّةَ الْجُمُعِيِّ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَدْ مَضَى حَدِيثُهُ .

(١) فِي الْبُكْرِيِّ : قَانِيَةَ بْنُ مِهْلَايِلَ .

(٢) قِيلَ عَنِ الْوَطِيسِ - غَيْرِ التَّنُورِ - إِنَّهُ الضَّرَابُ فِي الْحَرْبِ . وَالْوُطْءُ الَّذِي يَطْلُسُ النَّاسَ أَيْ يَدْقُهُمْ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ حِجَارَةٌ مَدَوْرَةٌ إِذَا حَمَيْتَ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَطْوُهَا . وَقَدْ عَبَّرَ بِهِ عَنْ اشْتَبَاكَ الْحَرْبِ وَقِيَامِهَا عَلَى سَاقٍ .

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . السَّيُوطِيُّ .

ومنها : لَا يَذْتَطَحُ فِيهَا عَزَّازَان ، وسيأتي سببهما .

ومنها : قوله عليه السلام : يا خَيْلَ اللَّهِ اِرْكِي ، قالها يوم حُنينٍ أيضاً في حديث خرَّجه مُسْلِمٌ ، وقال الجاحظ في كتاب البيان عن يونس بن حبيب : لم يَبْلُغْنَا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) ، وغلط في هذا الحديث ، ونُسب إلى التَّضْجِيف ، وإنما قال القائل : ما بلغنا عن النَّبِيِّ ، يريد عثمان النَّبِيَّ ^(٢) فصَحَّحَهُ الجاحظ ، قالوا : والنبي - صلى الله عليه - وسلم - أَجَلٌ من أن يخلط مع غيره من الفُصَّحاء ، حتى يقال : ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذي بلغنا عن غيره ، كلامه أَجَلٌ من ذلك ، وأهمل ، صلوات الله عليه وسلامه .

ابن الصمة والخنساء :

فصل : وذكر دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيُّ أَحَدَ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ، وفيه تقول الخنساء حين خطبها : ما كنت تاركةً بني عمي ، كأنهم صُدُورُ الرماح ومرتة شيخاً من بني جُشَمِ ^(٣) ، وهو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بْنِ بَكْرِ

(١) في البيان : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم د ص ١٨ > ٢ البيان والتبيين ط ١٩٤٨ .

(٢) نسبة إلى بت موضع بنو احى البصرة . رأى عثمان أنساً وروى عن الحسن البصرى .

(٣) العبارة في الاغانى فى ترجمة دريد بن الصمة : يا أبت أترانى تاركة بني عمي مثل عوالى الرماح ، وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد ، وفى الإصابة : د أدع بني عمي الطوال مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً .

ابن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ،
يكفي أبا قرقة ، ويروى عن ابن إسحاق من غير رواية زياد يقال : كان يومئذ
ابن ستين ومائة ، وروى أبو صالح كاتب الليث عن الليث قال : كان دريد
يومئذ ابن عشرين ومائة .

وقوله : في شجار له ، الشجار : مثل الهودج ، وفي الدين : الشجار خشب
الهودج .

وقوله : فأنتقض به ، أى : صوّت ، بلسانه في فمه من النقيض ، وهو
الصوت ، وقيل : الإنقاض بالإضبع الوسطى والإبهام ، كأنه يدفع بهما شيئاً
وهو معنى قول البرقي .

وقوله : راعى ضأن ، يُجَمَّلُ بذلك ، كما قال الشاعر :

أَصْبَحْتُ هُزْءَ الرَّاعِي الضَّأْنَ أُعْجِبُهُ مَاذَا يُرِيْبُكَ مِثِّي رَاعِي الضَّأْنَ

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لرجل : قم فما نفَعَكَ صَدَاغُ
ولاراعى ضأن . والدَّرْبُدُ في اللغة : تصغير أذرد ، وهو تصغير الترخيم ، والصَّمَّةُ :
الشجاع ، وجمعه : صَمَمٌ .

مالك بن عوف وابن مبرر :

وذكر مالك بن عوف النضري رئيس المشركين يوم حنين ، وهو
مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر
ابن معاوية بن بكر بن هوازن النضري .

وذكر بعث النبي ﷺ - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أبي حذرٍ غيناً إلى هَوازِن ، وهو عبدُ الله بن سَلَامَة بن سَعْد ، وسَلَامَة هو أبو حذرٍ ، وهو من بني هَوازِن بن أسلم بن أفضى بن حَارِثَة ، وهم إخوة الأوس والخزرج ، أعنى بني أسلم بن أفضى ، مات عبدُ الله سنة إحدى وسبعين ، وهو العام الذي قُتل فيه مُصعبُ بن الزُّبَيْرِ . يشهد ابنُ أبي حذرٍ مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الحُدَيْبِيَّةَ ، ومابعدُها ، وفاته ما كان قبل ذلك .

مول قصيدة عباس النونية :

وذكر شعرُ عباس وفيه :

أصابتِ العامَ رِعْلاً

وهي قبيلة من سليم ، وفي الحديث : قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صلى الله عليه وسلم شهرين يدعو على رِعْلٍ وذَكَوَانٍ وَعُصَيَّةٍ ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة .

وقوله :

خَيْلُ ابنِ هَوَازَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ

إنسان : قبيلة من قَيْس ، ثم من بني نَضْر ، قاله البرقي ، وقيل : هم من بني جُشَم بن بَكْرِ ، ومن بني إنسان : شَيْطَانُ بن مُدَاجِرٍ صاحب حميدة^(١) وهي

(١) في الامثال البيداني : حميرة . وقد قال شيطان يذكر شؤمها .

جاءت بما يربى الدهيم لاهلها حميرة أو مسرى حميرة أشام

فَرَسَ لَهُ تَضَرَّبَ بِهَا الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الشُّؤْمِ ، فَيُقَالُ أَشْأَمُ مِنْ حَمِيدَةٍ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ خَبْرُ يَطُولُ ، ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَمْثَالِ .

سمر ورهمنه :

وسعدٌ ودُهْمَانُ ابْنَا تَضَرَّبَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ ، كَذَا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَعْلُقاتِ ، وَالْمَعْرُوفُ فِي قَيْسٍ : دُهْمَانُ بْنُ أَشْجَعِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ غَطَفَانَ وَالِدِ تَضَرَّبَ ابْنِ دُهْمَانَ الَّذِي عَاشَ مِائَةَ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، حَتَّى تَقُومَ ظَهْرُهُ بَعْدَ انْحِنَاءِ ، وَأَسْوَدَ شَعْرُهُ بَعْدَ ابْيَضَاضِهِ ، فَسَكَانُ أَهْجُوبَةٍ فِي الْعَالَمِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَتَهْزِرَ بْنَ دُهْمَانَ الْهَيْئَةَ عَاشَهَا وَتَسْعِينَ حَوْلًا ثُمَّ قَوْمٌ فَاَنْصَانَا
وعاد سوادُ الرأسِ بَعْدَ ابْيَضَاضِهِ وَلَسْكَنَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَدْ مَاتَا^(١)

وَمِنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارُقُطْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَحُنَيْنٌ : اسْمُ جَبَلٍ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ : أَنْ تَجِدَ مَنْ رَأَى حُنَيْنًا .

وَقَوْلُهُ : مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفٌ . الْحَذَفُ : غَمٌّ سَوْدٌ صِفَارٌ تَكُونُ بِالْبَيْنِ ، وَفِي الْحَدِيثِ سَوُّوا صُفُوفَكُمْ ، لَا تَخْلَلُكُمْ الشَّيَاطِينُ كَأَنَّهَا بَقَاتُ حَذَفٍ^(٢)

(١) سبق هذا الشعر ، والهيئة : المائة .

(٢) رواية أحمد : د سوا صفوفكم ، وحاذرا بين منا كبكم ، ولينوا في أيدي إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف ، وقال المنذرى في الترغيب والترهيب في باب د الحث على تسوية الصفوف ، رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبراني ، وأخرج نحوه أبو داود والنسائي من حديث ابن عمر ، وأخرج نحوه أيضا من حديث أنس .

يعنى فى الصَّفِّ فى الصلاة ، هكذا قال البرقى فى تفسير هذا البيت ، والذى أراد الشاعر : إنما هو رَجُلٌ ، فلمله كان يسمى بِمَحْدَفٍ ، وَلَحْدَفٌ هِىَ النَّمَمُ السُّودُ التى ذكرنا .

وقوله :

كُلُّ شِوَاءِ الْعَبْرِ جُوفَانٌ^(١)

يقال : إنه سُوى له غُرْمُولُ حِمَارٍ ، فأكله فى الشَّوَاءِ فوجده أَجُوفَ ، وقيل له : إنه القُنْبُ ، أى : وعاء القَضِيبِ ، فقال : كُلُّ شِوَاءِ الْعَبْرِ جُوفَانٌ ، فَضْرَبَ هَذَا السَّكْلَامُ مَثَلًا ، وقيل : كان فَزَارِيٌّ وَتَغْلِبِيٌّ وَكَلْبِيٌّ اجتمعوا فى سَفَرٍ ، وقد اشْتَرَوْا حِمَارَ وَحْشٍ ، فغاب الفَزَارِيٌّ فى بعض حاجاته ، فأكل أصحابه الْعَبْرَ واختبأ له غُرْمُولُهُ ، فلما جاء قالوا له : هذا خَبُونَا لَكَ ، فجعل يأكل ، ولا يُسِيفُهُ ، فضحكوا منه ، فاخترط سَيْفُهُ ، وقال : لَأَقْتَلَنَّكُمَا إِنْ لَمْ تَأْكُلَاهُ ، فأبى أَحَدُهُمَا فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَأَبَانَ رَأْسَهُ ، وكان اسمه : مِرْقَمُهُ ، فقال صاحِبُهُ طَاحَ مِرْقَمُهُ ، فقال الْفَزَارِيٌّ ، وأنتَ إِنْ لَمْ تَلْقَمَهُ أَرَادَ : تَلْقَمُهَا ، فَطَرَحَ حَرَكَهَ الْمَاءِ عَلَى الْمِمْ ، وحذف الألف كما قد قيل فى الحيرة .
أى رجال به أى بها ، وقد عبرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ ، وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ
لَا تَأْمَنَنَّه وَلَا تَأْمَنَنَّ بَوَائِقَهُ بَعْدَ الَّذِي أَمْتَلَّ أَيْزَ الْعَبْرِ فِي النَّارِ

(١) يضرب فى تساوى الشيء فى الشرارة ، والمثل فى جمع الامثال للبيداني .
وامكن ليس فيه القتل الذى سيذكر ، وفيه الرجال : عيسى وفزاري وغطفاني .

أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ غُرْمُولًا مُخَاتَلَةً فَلَا سَقَاكُمْ إِلَهِي الْخَالِقُ الْبَارِي
من كتاب الأمثال للأصمعي . فهذا القزاري هو حذف المذكور
في البيت ، والله أعلم .

وقوله :

وَالْأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
سماهما بالأجرَبَيْنِ تشبيهاً بالأجرَبِ الذي لا يُقَرَّبُ ، وقال مجذومٌ من
العَرَبِ :

بِأَيِّ فِعَالٍ رَبٌّ أَوْتَيْتُ مَا أَرَى أَظَلُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُتِمْتُ أَجْرَبُ
أى : يُقَرَّبُ مِنِّي ، وفي الخبر أن عمر لما نهى الناسُ عن مُجَاسَمَةِ صَبِيغِ بْنِ
عَسَلٍ كَانَ كُلَّمَا حَلَّ مَوْضِعًا تَهَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ كَأَنَّهُ بَعِيرٌ أَجْرَبٌ^(١) ، ومن

(١) في القاموس : عسيل بالتصغير ، وفي غيره : عسل . وقصة صبيغ مع عمر
أنه سأله عن الذاريات ، ثم عن المقسمات ، ثم عن الجاريات ، فأجاب به عمر ، ثم
أمر بضربه ، فضرب مائة ، وجعل في بيت ، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى ،
وحمله على قتب ، وكتب إلى أبي موسى : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزل كذلك
حتى أتى أبا موسى . فحالف بالإيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً ،
فكتب في ذلك إلى عمر ، رضى الله عنه ، فكتب عمر : ما إخاله إلا قد صدق ،
نخل بينه وبين مجالسة الناس . ويقول للبرار عن أبي بكر بن أبي سبرة راوى
الحديث : إنه لين ، وعن سعيد بن سلام راوى الحديث عن أبي أسيرة : ليس من
أصحاب الحديث : ويقول ابن كثير : الحديث ضعيف رفته . وأقرب فيه أنه
موقوف على عمر رضى الله عنه ، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر ، =

رواه الأَجْرَبَانُ بضم النون ، فهو جائز في كل اثنين مُتَلَاذِمَيْنِ كالجَلَدَيْنِ ، يقال فيهما . الجَلَدَمَانُ^(١) بضم النون ، وكذلك القَمَرَانُ ، وروى أن فاطمة - رضى الله عنها - نادى ابْنَيْهَا في ليلة ظُلُمَةٍ : يَا حَسَنَانُ يَا حُسَيْنَانُ بضم النون . قاله الهروي في الغريبين .

أنا ابن عبد المطلب :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أين أيها الناس ؟ ! أنا محمد ، أنا رسول الله ، وفي غير هذه الرواية :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(٢)

وهو كلام موزون ، وقد تقدم الكلام في مثل هذا ، وأنه ليس بشعر حتى يقصد به الشعر . وللخطابي في كتاب الأعلام تنبيه على قوله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : إنما خص عبد المطلب بالذكر في هذا المقام ، وقد انهزم الناس تشبيهاً لنبوته ، وإزالة للشك لما اشتهر ، وعرف من رؤيا عبد المطلب المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرها ، ولما أنبأت به الأخبار والرؤى ، فسكانه يقول : أنا ذاك ، فلا بد مما وعدت به لئلا يهزموا عنه ،

ولما ضرب به لانه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً . وأقول : وشيئاً آخر قد يكون ارتياباً ، أو محاولة لتشكيك . وقد روى الحافظ ابن عساكر قصة صبيغ مطولة .

(١) المقرضان ، واحدهما : جلم ، والجلم : اسم يقع على الجلمين .

(٢) في رواية البخاري ومسلم .

ويظنوا أنه مقتول ومغلوب ، فالله أعلم أأراد ذلك رسوله أم لا .

شبهة ومحاوله قتل الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر قصة شَيْبَةَ بن عُثْمَانَ حين أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لجاء شيء حتى تَغَشَّى فؤادى ، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أبى خَيْشَمَةَ فى تاريخه ، قال شَيْبَةُ : اليوم آخذ بشارى ، فجئت النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ خَلْفِهِ ، فلما هَمَمْتُ بِهِ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَسُورٌ مِنْ حَدِيدٍ ، قَالَ : فَالتفت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وَتَبَسَّمَ ، وَعَرَفَ الَّذِى أُرِدْتُ ، فَسَحَّ صَدْرِي ، وَذَهَبَ عَنِ الشَّكِّ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، ذَهَبَ عَنِ بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ ^(١) .

أُمّ سليم والفرار يوم حنين :

وذكر أُمّ سُلَيْمٍ وهى مليكة بنت مِلْحَانَ ، وقال فى اسمها رُمَيْلَةَ ، ويقال : سُهَيْلَةَ ، وتعرف بِالْغَمَيْصَاءِ وَالرُّمَيْصَاءِ لِرَءَايَا كَانَتْ فِي عَيْنَيْهَا ، وَأَبُو ظَلَمَةَ بَعْلُهَا هُوَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ حَرَامٍ وَهُوَ الْقَاتِلُ :

(١) فى رواية البيهقى قال شَيْبَةُ : فَذَهَبَتْ لِأَجِيئِهِ عَنْ يَمِينِهِ فَإِذَا بِالْأَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَائِمٌ عَلَيْهِ دِرْعٌ بَيْضَاءُ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ يَنْسَكِفُ عَنْهَا الْجَاغُ ، فَقُلْتُ : عَمَهُ وَلَنْ يَخْذُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ عَنْ يَسَارِهِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي سَفِيَّانَ بْنِ الْحَارِثِ . ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَقُلْتُ : ابْنُ عَمِّهِ وَلَنْ يَخْذُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أَسَاوَرَهُ سَوْرةً بِالسَّيْفِ لِذَرْفَعِ شَوَاطِئِ نَارٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّهُ بَرَقَ ، فَخَفْتُ أَنْ يَمْحُشَنِي ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَصْرِي ، وَمَشَيْتُ الْقَهْقَرَى فَالتفت رسول الله -

أنا أبو طَلْحَةَ ، واسمى : زَيْدٌ وكل يوم في سِلَاحِي صَيِّدٌ
وقول أمِّ سُلَيْمٍ : يا رسولَ الله أَقْتُلْ هؤلاء الذين يَنْهَزمون عنكَ .

إن قيل : كيف فرَّ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبقَ
معه منهم إلا ثمانية ، والفرارُ من الزحف من الكِبَارِ ، وقد أنزل الله تعالى
فيه من الوعيد ما أنزل . قلنا : لم يجمع العلماء على أنه من الكِبَارِ إلا في يوم
بدر ، وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عمر وظاهر القرآن يدل
على هذا ، فإنه قال : ﴿ وَمَنْ يُؤَلَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ فيؤمئذ إشارة إلى
يوم بدر ، ثم نزل التحقيقُ من بعد ذلك في الفارِّين يوم أُحُدٍ وهو قوله :
﴿ وَاقْدِمْ عَلَى اللَّهِ عِوَاذَهُمْ ﴾ وكذلك أنزل في يوم حُنَيْنٍ : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ
إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وفي تفسير ابن سلام :
كان الفرارُ من الزحف يومَ بدرٍ من الكِبَارِ ، وكذلك يكون من الكِبَارِ
في مَلْحَمَةِ الرُّومِ الكُبْرَى ^(١) ، وعند الدَّجَالِ ، وأيضاً فإنَّ المنهزمين عنه عليه
السلام رجعوا لحينهم ، وقاتلوا معه حتى فَتَحَ الله عليهم .

== صلى الله عليه وسلم وقال : يا شَيْبِ ادن مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان ،
قال : قرفعت إليه بصرى وهو أحب إلى من سمى وبصرى ، فقال : يا شَيْبِ قاتل
الكفار .

(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى
ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل
الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا
نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ==

مول رجز مالك :

وقول مالك في رَجَزِه :

قد أطمعن الطَّعْنَةُ تَقْذِي بالسُّبْرِ

= فينهرم لك لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ،
وبفتح اللام لا يمتنون أبداً . فيفتحون قسطنطينية ، فيبناهم بقتسمون الغنائم قد
علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلاصكم في
أهلكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جئوا الشام خرج ، فيبناهم يعدون
لأن مال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم ، فأمرهم ، فإذا
رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لا تذاب حتى يهلك ولكن
يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته ، مسلم .

وفي مسلم نفسه ولكن عن عبد الله بن مسعود أن ملحمة الروم تكون بين
أهل الشام وبين الروم ، وأن المعركة تستمر أربعة أيام ، وأن صربخ الدجال
يحييهم ، فيترك المسلمون ما بأيديهم .

وفي مسلم نفسه أن صربخ الدجال يظهر حين يغزو سبعون ألفاً من بني إسحاق
مدينة جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر وأن هؤلاء السبعين ألفاً تقاتلونها
بغير سلاح ١١

وعند أبي دأود عن معاذ : دمران بليت المقدس خراب يثرب ، وخراب
يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية
خروج الدجال .

وفي رواية لأبي داود والترمذي : الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج
الدجال في سبعة أشهر .

وفي رواية لأبي داود أن المسلمين سيصالحون الروم ، وأن الروم والمسلمين
يغزون معاً عدواً ، وأن نصرانياً سيصيح : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين ، =

السُّبْرُ : جمع سابر ، وهو الفَتِيلُ الذي يُسَبَّرُ به الجُرْحُ أى : يُخْبَرُ .

وقوله فى الرَّجَزِ الآخر :

أُقَدِّمُ مُحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ

وقولُ ابنِ هشام : هما لغير مالك فى غير هذا اليوم ، يعنى يوم الفادسية ، وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفُرس ، والأَسَاوِرَةُ : مُلُوكُ الفرس ، وقُتِلَ فى ذلك اليوم رُسُتُمُ مَلِكُهم دونَ المَلِكِ الأكبر ، وكان على المسلمين يومئذ سعد بن أبى وقاص ، وقد ذكرنا قبل : بم سُمِّيَتِ الفادسية .
وذكر حديث أبى قتادة فى سَلْبِ القَتِيلِ ، قال : فاشترت بِشَمَةِه تخرفاً فإنه لأَوَّلُ مالٍ اعتقدته ، يقال : اعتقدت مالى ، أى : اتخذت منه عُمْدَةً ، كما نقول : نُبْذَةً ، أو قِطْمَةً ، والأصل فيه من العَمْدِ ، وأن من مَلَأَ شيئاً عَمْدَ عليه ، وأنشد أبو على [القالى] :

ولما رأيتُ الدَّهْرَ أُنْحَتَ صُروفُه عَلَى وَأَوْدَتَ بِالذَّخَائِرِ وَالْعَمْدِ

ويكسر الصليب ، فتغدر لروم ، وتجمع للملاحمة ، ويستشهد الذين يحملون السلام من المسلمين . هكذا الروايات ، وفيها اضطراب واضح كما ترى .
ويحدثنا التاريخ أن معاوية حاول فتح القسطنطينية فى سنة ٦٥٥ هـ ٦٥٥ م وأنه هزم بأسطوله العربى قسطنطين هزيمة ماحقة ، لكنه لم يدخل المدينة التى كانت عاصمة الدولة البيزنطية ، ولم تفتح القسطنطينية إلا فى عهد محمد الثانى العثمانى وذلك فى أواخر ٨٥٦ هـ - ١٤٥١ م أى فى القرن التاسع الهجرى فلما تعصم بهدى القرآن حين تضطرب بنا الشهاب .

حَذَقْتُ فُضُولَ الْعَيْشِ حَتَّى دَدَّهَا إِلَى الْقَوْتِ خَوْفًا أَنْ أَجَاءَ إِلَى أَحَدٍ^(١)

ويروى : دَأَّعَلْتُهُ ، وهى رواية الموطأ ، ويقال : تَخَرَّفَ بفتح الراء وكسرها ، وأما كسر الميم فإنما هو المَخْرَفِ ، وهى الآلة التى تُخْتَرَفُ بها التمرَةُ أى تُجَمَّتَنِي^(٢)

بفتح الميم معناه البُستَان من النخل ، هكذا فسروه ، وفسره الحربى ، وأجاد فى تفسيره ، فقال : المَخْرَفُ : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر ، فما فوق ذلك ، فهو بستان أو حديقة ، ويقوى ما قاله الحربى ما قاله أبو حنيفة ، قال : المَخْرَفُ :

مثل الخُرُوفَةِ ، والخُرُوفَةُ : هى النخلة يُخْتَرَفُها الرجلُ لنفسه ولعِياله ، وأنشد :

مثل المَخَارِفِ مِنْ خِيْلَانٍ أَوْ هَجَرَا

قال : ويقال للخُرُوفَةِ : خَرِيفَةٌ أَيْضًا .

السلب للقاتل :

وفى هذا الحديث من الفقه أن السَّلْبَ للقاتل حُكْمًا شَرْعِيًّا جَمَلُ ذَلِكَ الْإِمَامُ لَهُ ، أَوْ لَمْ يَجْعَلْهُ ، وهو قول الشافعى^(٣) ، وقال مالك : إنما ذلك إلى

(١) بعدهما :

وقلت لنفسى : أبشرى وتوكلى على قاسم الأرزاق والواحد الصمد
فإن لا تسكن عندى دراهم جمة فعندى بحمد الله ماشئت من جلد
ص ١٢٧ ج ٢ الامالى للقاتل . وقد قال : أنشدنا أبو بكر ، قال : أنشدنا
عبد الارل : قال : أنشدنى حماد ، قال : أنشدنى أبى لنفسه .

(٢) فى القاموس : زنبيل صنفه يَخْرَفُ فيه أطايب الرطب .

(٣) وهى إحدى الروايتين عن أحمد . ويرى أبو حنيفة أيضاً أنه لا يستحق إلا بشرط الإمام بعد القتال ، فلونص قبله لم يجوز .

الإمام له أن يقول بعد مَقَمَةِ الحرب : مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ ^(١) ، وبكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غَرَضٌ آخرٌ غير احتساب نفسه لله تعالى ، وقد ذكرنا في غَزْوَةِ بدرٍ في هذه المسألة ما هو أكثر من هذا .

نزول الملائكة :

وقول جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ : لقد رأيت مثل البجَاد ، يعني السكَّاء من النمل مَبْثُوثًا ، يعني رآه ينزل من السماء . قال : لم أشك أنها الملائكة ، وقد قدم ابنُ إسحاق قول الآخر : رأيت رجالا بيضاً على خَيْلٍ بُلْقِي ، وكانت الملائكة فَأَرَاهُمُ اللهُ لذلك الهوازي على صُورِ الخيل والرجال ترهيباً للمدو ، ورآهم جُبَيْرٌ على صورة النمل المَبْثُوثِ إشعاراً بكثرة عددها ، إذ النمل لا يُسْتَطَاعُ عَدُّهَا مع أن النَّمْلَةَ يُضْرَبُ بها المثلُ في القوة ، فيقال : أقوى من النملة ، لأنها تحمل ما هو أكبر من جِرْمِهَا بِأَضْعَافٍ ، وقد قال رجلٌ لبعض الملوك : جعل الله قوتك قوة النَّمْلَةِ ، فأنكر عليه ، فقال : ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النَّمْلَةُ ^(٢) ، وهذا النمل قد ذكره الأصبهاني في كتاب الأمثال مَقْرُونًا بهذا الخبر ، وقد أَهْلَكَ بالمثل أمةٌ من الأمم ، وهم جُرْمٌ .

(١) حديث : من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ حديث متفق عليه من حديث أبي قتادة . وقد قال مالك : لم يبلغني أن النبي د ص ، قال ذلك إلا يوم حنين ، وإنما نفل النبي د ص ، بعد أن برد القتال . وللإمام ابن القيم تفصيل في منشأ النزاع في هذا الأمر وغيره فانظره ص ٤٥٧ ج ٢ زاد المعاد .

(٢) النملة بضم النون : النيمة . وكنية النمل : أبو مشغول ، والنملة : أم نوبة وأم مازن . وسميت النملة نملة لتمامها ، وهو كثرة حركاتها وقلة قوائمها . يقول =

مول فصبيرة ابن مرداس :

فصل : وذكّر قول عباس :

وسوف إخال بأتيك^(١) الخبير

الفعل المستقبلُ هو : يأتيك ، وإن كان حرفُ سوف داخلاً على إخال في اللفظ ، فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدرى وسوف إخال أدرى^(٢)

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يُستقبل ، وإنما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك ، وقوله :

فإن يَهْدُوا إلى الإسلام يُلقوا أنوفَ الناسِ ماسمِر السَّيرِ

أنوفَ الناس انتصب على الحال ، لأنه نسكرة لم يتعرّف بالإضافة ، لأنه لم يرد الأنوفَ بأعيانها ، ولكن أشرفاً ، وهذا كقوله :

بمَنْجَرٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ^(٣)

= الدميرى : « وليس في الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مراراً غيره ، على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف لخل نوى التمر ، حياة الحيوان .

(١) في السيرة : يأتيه .

(٢) بقية البيت : أقوم آل حصن أم نساء ، وبعده :

فن في كفه منهم خضاب كمن في كفه منهم قناء

(٣) من معلقة امرئ القيس في وصف فرسه .

لأنه جملة كالتقدير ، ومثله ما ذكرناه قَبْلُ في : نصب غنائم الأبصار ، على الحال ، وليس هذا من باب ممانعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل : لو قلت سررت بقصير الطويل ، تريد : مثل الطويل ، لم يحز ، والذي أراده الخليل هو ما ذكرناه في غير موضع من استعارة الكلمة على جهة التشبيه ، نحو قيد الأوابد ، وأنوف الناس تريد : أشرافهم ، فمثل هذا يكون وصفاً للتذكير وحالا من المعرفة ، وقد ألحق بهذا الباب : له صَوْتٌ صَوْتُ الحمار ، على الصفة ، وضعفه سيبويه في الحال ، قال : وهو في الصفة أَفْبَحُ ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكَّر ، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرار اللفظ فيه ، فحسن لذلك .

وقوله : وَأُسَلِّتِ النَّصُورُ . ذكر البرقي أن النَّصُورَ هاهنا جمع : ناصر ، وائس هو عندي كذلك . فإن فاعلاً قُلَّ ما يجمع على فُعُول ، وإن جُمِعَ فليس هو بالقياس المُطَرِّد ، وإنما هم بنو نَصْرٍ من هَوَازِنَ رَهْطِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ يقال لهم النَّصُورُ ، كما يقال لِبَنِي الْمُهَلَّبِ الْمَهَالِبَةُ ، وَلِبَنِي الْمُنْذِرِ الْمُنَازِرَةُ ، وكما يقال الْأَشْعَرُونَ ، وهم بنو أَشْعَرَ بْنِ أَدَدَ ، وَالتَّوَيْيَاتُ بَنِي تَوَيْبَتِ بْنِ أَسَدَ .

صمغ أخ وابن :

وقوله : أنا أخوكم ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون ، ثم حذفت النون للإضافة ، كما أشدوا :

ولما تَبَيَّنَ أصواتنا بَسَكَيْنَ وَفَدَّيْذَنَا بِالْأَيْدِينَا^(١)

ويجوز أن يكونَ وَضَعَ الواحدَ موضعَ الجميعِ ، كما تقدم في قوله : أنتم
الولدُ ، ونحن الولدُ .

من وصف الزبير :

وقوله في صفة الزبير : طويل البأَد ، أى : الفخر ، والبَدَدُ : تباعد ما بين
الفَخْدَيْنِ .

من أمطام القتال :

وقوله في المرأة المقتولة : أدركَ خَلِداً ، فقل : إن رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم ينهك أن تقتل وليداً ، أو امرأةً ، أو عَسِيفاً الْقَسِيفُ : الأجيرُ ، وهذا
مُتَنَزَّعٌ من كتاب الله تعالى ، لأنه يقول : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ فافتضى دليلُ الخطاب ألا تُقتل المرأةُ إلا أن تقاتلَ ، وقد أخطأ
من قاس مَسْأَلَةَ الْمُرْتَدَّةِ على هذ المسألةِ ، فإن المرتدة لا تُسْتَرْقُ ولا تُنْسَبُ ،

(١) نقل سيبويه عن الخليل قوله : « إن ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها
قلت : أبون ، وكذلك أخ تقول : أخون لا تغير البناء ، إلا أن تحدث العرب شيئاً
كما يقولون : دمون ، ولا تغير بناء القرب عن حال الحرفين لأنه بنى عليه إلا أن
تحدث العرب شيئاً ، كما بنوه على غير الحرفين ، ثم استشهد بالبيت ، وقال : إنه
جاهلي . وإن شئت كسرت ، فقلت آباء وأخاء . ويقول السيرافي عن البيت إنه
لزباد بن واصل السلمي . أنظر خزانة البغدادى ص ٣٦٢ ج ٤ ط السلفية .

كما تُسَبَّحُ نساءُ الحربِ وذُراريهم ، فتكون مالا للمسلمين ، فهي عن قَتْلِهِنَّ لذلك .

حكم رفع اليدين في الدعاء :

وذكر فيمن استشهد أبا عامر ، واسمه : عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ بن حَصَّار ، وهو عم أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، وهو الذي استغفر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قُتِلَ رافعاً يديه جِداً . يقول : اللَّهُمَّ اغفر لعبيد أبي عامر ثلاثاً ، وفيه من الفقه رفع اليدين في الدعاء ، وقد كرهه قوم ، روى عبد الله بن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم في الدعاء ، فقال : أَوْ قَدْ رَفَعُوها ؟ قطعها الله ، والله لو كانوا بأغلى شأقي ما ازدادوا من الله بذلك قُرْباً . وذكر لمالك أن عامر بن عبد الله بن الزُّبَيْر كان يدعو بآثر كل صلاة ، ويرفع يديه ، فقال : ذلك حَسَنٌ ، ولا أرى أن يرفعهما جِداً . وحجة من رأى الرفع أحاديث منها ما ذكرناه آنفاً ، ومنها حديث تقدم في سَرِيَّةِ الغُمَيْصَاء حين رفع النبي - صلى الله عليه وسلم - يديه ، وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ولا كل شيء وجه ، فمن كرهه ، فإنما كرهه الإفراط في الرفع كما كره رفع الصوت بالدعاء جِداً . قال صلى الله عليه وسلم : أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنْ سَأَلْتُمْ لَتَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا ، وهو معنى قول مالك الذي قدمناه في رفع اليدين .

الحفظة وشملت الوجوه :

فصل : وما ذكر في غزوة حُنَيْنٍ من غير رواية ابن إسحاق الحنفية التي

أخذاً النبي صلى الله عليه وسلم من البطحاء ، وهو على بَغْلَتِهِ ، فرمى بها أوجه الكُفَّارِ ، وقال : شأهت الوجوه^(١) ، فانهزموا . والمستقبل من شأهت : نَشَأَهُ ، لأن وزنه فَعِل ، وفيه أن البَغْلَةَ حَضَجَتْ به إلى الأرض حين أخذ الحَفْنَةَ ، ثم قامت به ، وفسروا حَضَجَتْ ، أى : ضربت بنفسها إلى الأرض ، وألصقت بطنها بالتراب ، ومنه الحِضَاجُ ، وهو زِقٌّ مملوء قد أُسْنِدَ إلى شيء ، وأميل إليه ، والبَغْلَةُ التي كان عليها يَوْمَئِذٍ هي التي تُسَمَّى الْبَيْضَاءَ^(٢) ، وهي التي أهداها إليه فَرْوَةُ بْنُ نُفَّائَةَ ، وقد تقدم ذكر الأخرى ، واسمها : دُلْدُلٌ وذِكْرُ من أهداها إليه .

نداء أصحاب السَّجْرة :

وذكر نداء العباس : بِأَمَشَشَرِ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ ، وكان العباسُ صِدِّيقاً جَبْرِياً . وأصحاب السَّمُرَةِ : هم أصحابُ بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشَّجَرَةِ ، وكانت الشجرة سُمُرَةً .

(١) في رواية لمسلم أنهم لما غشوا النبي دُحْص ، نزل عن البَغْلَةِ ، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم ، فقال : شأهت الوجوه فاخلق الله منهم لساناً إلا ملأت غينه تراباً تلك القبضة فولوا منه زدين . وفي رواية أخرى أنه تناول حصيات من الأرض ، وأنه لم ينزل من على البَغْلَةِ . فأنه أعلم . (٢) عن ابن سعد وجماعة من صنفوا في السيرة أنها دلدل ، وفيه نظر ، لأن دلدل أهداها له المقوقس ، وقد روى مسلم أنه كان على بغلة له بيضاء كما ورد في الروض ولكن في مسلم أيضاً أنه كان على بغلته الشهباء ، وقد زعم النووي أن البيضاء والشهباء واحدة ، ولا يعرف له غيرها . ولكن ذكر غير واحد بغلته دلدل ، غير أن ابن الصلاح زعم أن دلدل والبيضاء اسمان لبغلة واحدة .

الضَّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ :

فصل : وذكر الضَّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ الْكِلَابِيَّ ، وهو الضَّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ
ابن عَوْفٍ بن كَثْبٍ بن أَبِي بَكْرٍ بن كِلَابِ الْكِلَابِيِّ ، يكنى أبا سعيد ، وكان يقوم
على رأس النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مُتَوَشِّحًا بالسيف ، وكان يُعَدُّ وحده
بمائة فارس ، وكانت بنو سُليمان يوم حُذَيْن تسعمائة ، فأمره عليهم رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه قد تَمَّهمُ به ألفًا ، وإياه أراد عباس بن
مِرْدَاسٍ بقوله :

جُنْدٌ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا

وقال البرقي : ليس الضَّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ هذا الْكِلَابِيُّ ، إنما هو الضَّحَّاكُ
ابن سَفْيَانَ السُّلَمِيُّ .

وذكر من غير رواية البكائي عن ابن إسحاق نسبَه مرفوعاً إلى بُهْثَةَ
ابن سُليمان ، ولم يذكر أبو عُمر في الصحابة إلا الأول ، وهو الْكِلَابِيُّ ، فالله أعلم .

فهيمة ابنه مرداس العينية :

وذكر شعْرَ عباس بن مِرْدَاسٍ الذي أوله :

عفا مجْدَلٌ من أهله فُمْتَاعُ

الْمَجْدَلُ : القصر ، وهو في هذا البيت اسمٌ عَلَمٌ لِمَكَانٍ .

وفيه :

فَطَالَ أَرْبَكَ

المِطْلُ: يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ ، وهى أرض تَنْعَقِلُ لِرَجُلٍ عَنْ شَيْءٍ ، قَعِيلٌ : إنها مِفْعَالٌ مِنَ الطَّلَى وهو الجرى يُطَلَى ، أى تُنْعَقِلُ رِجْلُهُ ، وقيل : إن المِطْلَاءَ فِعْلَاءٌ مِنْ مَطَلْتُ إِذَا مَدَدْتُ ، وجمعه : مَطَالٌ فى الأمالى :

أَمَّا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْحِمَى إِلَّا فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى فَأَلْمَطَا لِيَا^(١)

وفيه :

تَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا ، وَلَوْ نَرَى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ

يريد أنه من بنى سُلَيْمٍ ، وَسُلَيْمٌ من قَيْسٍ ، كما أن هَوَازِينَ من قَيْسٍ ، كلاهما ابن منصور بن عَكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسٍ ، فمعنى البيت : نَقَائِلُ إِخْوَتَنَا ، وَنَذُودُهُمْ عَنْ إِخْوَتِنَا مِنْ سُلَيْمٍ ، وَلَوْ نَرَى فى حَكْمِ الدِّينِ مَصَالًا مَفْعَلًا مِنَ الصَّوْلَةِ ، لَكُنَّا مَعَ الْأَقْرَبِينَ هَوَازِينَ :

وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعَ

وفيه قوله :

دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدٍ عَلَيْهِمْ خُزَيْمَةٌ وَالْمَدَارُ^(٢) مِنْهُمْ وَوَسِعُ

هؤلاء وفد بنى سُلَيْمٍ وفدوا على النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فأسلموا ،

(١) فى الأمالى أن هذا الشعر لرجل طلق امرأتين من أهل الحمى ص ١٩١

ج ١ ط ٢ . ومن الشعر :

وإني لاستحيى لثنتين بالحمى ولو تملسان البحر ماسقتانبا

(٢) فى رواية : المزار .

ثم دَعَا قَوْمَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَذَكَرَ فِيهِمُ الدَّارَ السَّلَامِيَّةَ ، وَوَسَّعَا السَّامِيَّةَ ،
وَحُزْنَئِمَةَ ، وَهُوَ حُزْنَئِمَةُ بْنُ جَزِيٍّ أَخُو حَبَّانَ بْنِ جَزِيٍّ ، وَكَانَ الدَّارُ قُطْنِي بَقُولِ
فِيهِ : جَزِيٌّ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالزَّايِ .

وفيها :

يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ مُنْبَاعِ

من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
أَقَامَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامَ يَدِهِ ، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ : هُوَ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ^(١) ، أَقَامَهُ فِي الْمَصَافِحَةِ وَالتَّقْيِيمِ
مَقَامَ يَمِينِ الْمَلِكِ الَّذِي يَصَافِحُ بِهَا ، لِأَنَّهُ الْحَاجُّ وَفَدُّ عَلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَزَائِرُ
يَدَيْهِ ، لِجَعْلِ تَقْبِيلِهِ الْحَجَرَ مُصَافِحَةً لَهُ ، وَكَأَنَّ جُعِلَتْ يَمِينُ السَّائِلِ الْأَخْذَ لِلصَّدَقَةِ
الْمُتَقَبِلَةِ يَمِينَ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ رَغْبَةً فِي الصَّدَقَةِ ، وَتَبْشِيرًا بِقَبُولِهَا ، وَتَعْظِيمًا
لِحُرْمَةِ مَنْ أُعْطِيَتْ لَهُ ، فَإِنَّمَا أُعْطَاهَا الْمُتَصَدِّقُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِبَاهُ سُبْحَانَهُ أَقْرَضَ ،

(١) زوائد الطبراني في معجمه ، وهو موقوف على ابن عباس وهو سقط من
القول لا يصح نسبته إلى مؤمن . وإليك ما يقوله الإمام ابن القيم في قوله
سُبْحَانَهُ : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) . . . لما كانوا يبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَيَضْرِبُ يَمِينَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هُوَ السَّفِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَانَتْ مَبَايِعَتُهُمْ لَهُ مَبَايِعَةً لِلَّهِ تَعَالَى ، وَلَمَّا كَانَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ
سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، وَفَوْقَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ، كَانَتْ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَوْقَهُمْ ، ص ١٧٢ ج ٢ الصواعق المرسلة . وهذا خير من تأويل السهيلي الذي
يعطى لأصحاب وحدة الوجود وجهاً ! !

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(١) التوبة : ١٠٤ وقال صلى الله عليه وسلم : إنما يضمها في كنف الرحمن يُرَبِّيها له . الحديث .

شعر عباس الطائي :

وقول عباس في الشعر الكافي :

إن الإله بنى عليك محبةً في خلقه — ومحمداً سماكاً

معنى دقيق وغرض نبيل وَنْظُنُّ الحكمة نَبْوِيَّةً قد بيناها في غير موضع من هذا الكتاب وغيره في تسمية الله تعالى لنبيه محمداً وأحمد ^(٢) ، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله ، وأنَّ أُمَّهُ أُمِّيرَت في المنام أن تسميه محمداً ، فوافق معنى الاسم صفةَ المسمى به موافقةً تامةً قد بينا شرحها ^(٣) هنالك ، ولذلك قال : بَنَى عليك محبةً ، لأن البناء تركيب على أُسٍّ ، فأسسَ له سبحانه مُقَدِّمَاتِ لِنُبُوَّتِهِ منها : تسميته بمحمد قبل أن يُولد ، ثم لم يزل يدرجه في محامد الأخلاق

(١) رواية البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه هي : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله إلا الطيب — فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ، والقلو — بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر الصغير ، وقيل : العظيم من أولاد ذوات الخافر .

(٢) سبق الكلام عن هذا . وأنه كان هناك من سمي بمحمد وأحمد في الجاهلية وانظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق لابن دريد ، وص ١٣٠ المجرب لابن حبيب فقد ذكر سبعة ممن سمو باسم محمد .

(٣) علمنا على شرحه بما قاله ابن القيم وأبدع فيه .

وماتحبه القلوب من الشَّيم ، حتى بلغ إلى أعلى الحامد مَرَاتِبَةً ، وتكاملت له
الحكمة من الخالق والخلقية ، وظهر معنى اسمه فيه على الحقيقة ، فهو اللَّبِئَةُ التي
استتم بها البقاء ، كما أخبر عليه السلام ، وهذا كله معنى بيت عباس ، حيث
قال : إِنْ إِلَآهَ بَنَى عَلَيْكَ ، الْبَيْت .

الدرماء والدرماء :

وقوله : فِي الْعَيْنِيَةِ الْآخِرَى بِصَفِ الْخَلِيل :

أَوْ هِيَ مَقَارَعَةُ الْأَعَادَى دَمَهَا

يريد شَحْمَهَا ، يقال : أَذْمِمَ قِدْرَكَ بِوَدَّكَ ، وَدَمَمْتُ الشَّيْءَ : طَلَمَيْتُهُ ،
ومنه : الدَّامَاءُ أَحَدُ جُحْرَةِ الْبِرْزُوعِ ، لِأَنَّهُ يَدْمُ بَابَهُ بِقَشْرِ رَقِيقٍ مِنَ الْأَرْضِ ،
فَلَا يَرَاهُ الصَّائِدُ ، فَإِذَا طُلِبَ مِنَ الْقَاصِمَاءِ أَوْ لِرَاهِطَاءِ أَوْ النَّافِقَاءِ أَوْ الْعَانِقَاءِ ،
وَهِيَ الْأَبْوَابُ الْآخِرُ نَطَحَ بِرَأْسِهِ بَابَ الدَّامَاءِ فخرقه ، وَأَمَّا الدَّامَاءُ بِالتَّخْفِيفِ ،
فَهُوَ الْبَحْرُ وَهُوَ قَفْلَاءُ ، لِأَنَّهُ يَهْمَزُ فَيَقَالُ : دَأْمَاءُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ .

شعر عباس الفاروى :

وَذَكَرَ شَعْرَ عَبَّاسِ الْفَارَوَى ، وَفِيهِ :

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلَتْ نِيَّةً خُمَلَا

النِّيةُ : مِنَ النَّوَى وَهُوَ الْبُعْدُ . وَخُمَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أَجَلِهِ
أَيَ : فَعَلَتْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْخُلْفِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا . وَكَذَا

الاستبدال ، لأن استبدالها به خُلفٌ منها لما وعدته به ، ويقوَّى هذا البيت البيتُ الذي بعده :

وقد حَلَفْتُ بِاللّٰهِ لَا تَقْطَعُ الْقَوَى

بمعنى : قَوَى الخَبْلِ ، والخَبْلُ هنا : هو القَهْدُ ، ثم قال :

فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ ، وَلَا بَرَّتِ الْخُلَفَا

وهذا هو الخُلفُ المتقدمُ ذِكرُهُ .

وقوله :

وَفَيْنَا أَلْفًا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرُ أَلْفَا

أى : وفينا ألفاً ولم يستوفها غيرُنا ، أى : لم يستوفِ هذه العدة غيرُنا

من القبائل .

وقوله :

إِذَا هِيَ حَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا

يجوز أن يكون جمع مِرْوَدٍ^(١) وهو الوَد ، كما قال الآخرُ يصف طَغْنَةً :

وَمُسْتَنَّةٍ كَأَسْتَيْفَانٍ الْخُرُو فِي قَدْ قَطَعَ الْخَبْلَ بِالْمِرَاوِدِ

والخُرُوفُ هاهنا في قول بعضهم : المَهْرُ ، وقال آخرون : والفَرَسُ يسمى

خَرَوْفًا ، ومعناه عندى في هذا البيت أنها صِفة من خَرَفْتُ الْقَمَرَةَ إِذَا جَنَيْتُهَا

(١) في الاصل : مردود .

فالفَرْسُ خُرُوفٌ لِلشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ ، لَانَقُولُ : إِنِ الْفَرْسَ يُسَمَّى خُرُوفًا فِي عُرْفِ
اللُّغَةِ ، وَلَكِنْ خُرُوفٌ فِي مَعْنَى أَكُولٍ ، لِأَنَّهُ يَخْرُفُ ، أَيْ : يَأْكُلُ ، فَهُوَ
صِفَةُ كُلِّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الْفِعْلَ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَرَادِهَا
جَمْعُ مَرَادٍ ، وَهُوَ حَيْثُ تَرُودُ الْحَيْلُ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ . فَمَرَادٌ وَمَرَادٍ ، مِثْلُ
مَقَامٍ وَمَقَامٍ ، وَمَنَارٍ وَمَنَارٍ .

وَقَوْلُهُ : لَنَا زُجْمَةٌ إِلَّا التَّذَامُرُ وَالنَّقْفَا .

يَقَالُ : مَا زَجَمُ زُجْمَةٌ ^(١) ، أَيْ مَا تَبَسَّ بِكَلِمَةٍ ، وَقَوْسُ زُجُومٌ ، أَيْ :
ضَعِيفَةُ الْإِرْتِنَانِ .

وَقَوْلُهُ : إِلَّا التَّذَامُرُ ، أَيْ يُذَمَّرُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُخَرَّضُهُ عَلَى الْقَتْلِ
وَالنَّقْفِ : كَسَرِ الرَّءُوسِ ، وَنَاقِفُ الْخِنْظَلَةِ : كَلْبُهَا وَمُسْتَخْرِجُ مَا فِيهَا .

النَّسَبُ إِلَى مَرْوِفٍ الْمُعْجَمِ وَتَصْغِيرُهَا :

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَإِنَّمَا قُلْنَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَفِي الَّتِي بَعْدَهَا الْعَاوِيَّةَ وَالرَّائِيَّةَ ،
لِأَنَّ النَّسَبَ إِلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ الَّتِي أَوَّخَرَهَا أَلِفُ هَكَذَا ، هُوَ بِالْوَاوِ ، قَالَهُ
أَبُو عَبَّيْدٍ وَغَيْرُهُ ، وَفِي التَّصْغِيرِ تُقْلَبُ أَلِفُهَا يَاءً ، فَقَوْلِي فِي تَصْغِيرِ بَاءٍ : بُيَيْتٌ ،
وَوَاءٍ : حُيَيْتٌ ، وَمَا كَانَ آخِرُهُ حَرْفًا سَالِمًا مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ قُلِبَتْ أَلِفُهُ وَآوًا
فِي التَّصْغِيرِ ، فَتَقُولُ فِي الذَّالِ : ذُوَيْلَةٌ ، وَفِي الضَّادِ : ضُوَيْدَةٌ ، وَكَذَلِكَ قَالَ
صَاحِبُ الْعَيْنِ ، وَتُقْيَاسُ الْوَاوِ فِي النُّجُو أَنْ تُصَغَّرَ : أَوِيَّةٌ بِهَمْزَةٍ [فِي] أَوَّلِهَا .

الفصيدة الراوية :

وقول عباس في الفصيدة الراوية :

مِثْلُ الحِمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ

الحِمَاطَةُ من ورق الشجر : ما فيه خُسُونَةٌ وحُرُوشَةٌ . وقول أبو حنيفة :
الحِمَاطُ : وَرَقُ التَّيْنِ الْجُبَلِيِّ . وقال أيضاً في باب القَطَانِي : الحِمَاطُ : تَبْنُ
الذَّرَّةِ ، إِذَا ذُرِّيَتْ ، وله أَكَالٌ فِي الْجِلْدِ . والعائر : كَأَشْيءٍ يَنْتَخِسُ فِي الْعَيْنِ
كَأَنَّهُ يَمُورُهَا . وجعله سِهْرًا ، وَإِنَّمَا السَّهْرُ الرَّجُلُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْتَرِ عَنْهُ ، فَكَأَنَّهُ
قَدْ سَهَرَ ، وَلَمْ يَتَمَّ ، كما قال آخر في وصف بَرَقٍ :

حتى شأها كليل موهماً عمل باتت طِرَاباً وبات الليل لم يتمـ

شأها : شافها ، يقال : شاء وشاء بمعنى واحد ، أى شافه ، وأنشد :

ولقد عهدت تشاء بالأطعان

فتأمله فإنه بديع من المعاني .

وقوله : الصَّانُ والخَفَرُ : هما موضعان ، وإليه ينسب أبو داود الخفري من
أهل الحديث . والعَكْر : جمع عَكْرَةٍ ، وهى القِطْعَةُ الضَّخْمَةُ من المال .
وعَكْرَةُ اللِّسَانِ أيضاً : أصله ، وما غاظ منه ، وعَكْرَتُهُ ^(١) أيضاً بالذال .

(١) فى اللسان : العكدة -- بضم العين وسكون الكاف - والعكدة بفتحهما
أصل اللسان والذنب وعقدته . أما فى القاموس فقال : العكدة بضم العين وسكون
الكاف : العصص . وبالنحر يك : أصل اللسان وأصل القلب .

فمبصرة عباس السيفية :

وقوله في السيذية :

وَجَنَاءُ مُجَمَّرَةٍ لِلنَّاسِ عِرْمُسُ

وَجَنَاءُ : غليظة الوجنات بارزتها ، وذلك يدل على غنور عينيها ، وهم
يصفون الإبل بغنور العينين عند طول السفار ، ويقال : هي الوجنة في
الآدميين ، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ ، ولا يقال : وَجَنَاءُ ، قاله يعقوب .
وَمُجَمَّرَةُ النَّاسِ ، أى : نكبت مناسمها الجمارُ ، وهي الحجارة ، والعِرْمُسُ :
الصخرة الصلبة ، وتُسَبَّه بها الناقة الجلدة ، وقد يريد بمُجَمَّرَةٍ أيضاً أن
مناسمها مجتمعة منضمة ، فذلك أقوى لها ، وقد حكى أجبرت المرأة شعرها إذا
ظفرته وأجر الأمير الجيش أى حبسه عن القنول قال الشاعر :

مُعَاوِيَ إِمَّا أَنْ يُجَمَّزَ أَهْلُنَا إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ نُووبَ مَعَاوِيَا
أَأُجْرَتُنَا إِمَّارَ كِسْرَى جُودَه وَمَفِيتُنَا حَتَّى نَسِينَا الْأَمَانِيَا
وقوله :

كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً

الدريئة : الحلقة التي يتعلم عليها الرمي ، أى : كانوا كالدريئة للرمي .
وقوله :

وَالشَّمْسُ يَوْمئِذٍ عَلَيْهِمُ أَشْمَسُ

يريد : لعان الشمس ، في كل بيضة من بيضات الحديد ، والسيوف ،

كانها شمسٌ . وهو معنى صحيح وتشبيهه مليح .

وفيها قوله :

والخيلُ تُفَرِّعُ بالسَّكْمَةِ وتُفَرِّسُ

أى : تضرب أضراسها بالأجُم . تقول : ضَرَسْتُه ، أى ضربت أضراسه ،
كما تقول : رَأَسْتُه ، أى أضربت رأسه .

قصيدة عباس الميمية :

وقوله : فى كلمته الميمية :

وفيهمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَ

يريد : وفى سَلِّمٍ مَنْ اغْتَزَى إِلَيْهِمْ مِنْ حُلَفَائِهِمْ ، فَتَسَلَّمَ بِذَلِكَ ،
كما تقول : تَقَيَّسَ الرَّجُلُ ، إِذَا اغْتَزَى إِلَى قَيْسٍ . أنشد سيديبويه :

وقيس عيلان ومن تَقَيَّساً^(١)

(١) يقول ابن قتيبة : تَأَنَّى تَفَعَّلْتَ بِمَعْنَى إِدْخَالَكَ نَفْسَكَ فِي أَمْرٍ حَتَّى تُضَافَ
إِلَيْهِ ، أَوْ تُصِيرَ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ أَتَى بِأَمْثَلَةٍ وَاسْتَشْهَدَ بِهَذَا الرَّجُلُ الْمُنْسُوبَ إِلَى رُؤْيَا
وَلَكِنْ ابْنُ بَرِي يَقُولُ : الرَّجُلُ لِلْعَجَاجِ وَلَيْسَ لِرُؤْيَا . وصواب لإنشاده : وقيس
بالنصب ، لأن قبله :

وإن دعوت من تميم أروساً

وجواب إن فى البيت الثالث :

تقاعس العز بنا فافغفسا

أنظر اللسان مادة قيس ، وأدب السكاك لابن قتيبة ص ٤٥٧ ، ص ٢٢٢ من
شرح أدب السكاك للجواليقي ، وقد سبق الحديث .

مول قصيدة ضمضم بن الحارث :

وأنشد لضمضم بن الحارث ، وهو ممن شهد حنيناً مع المسلمين ، وكان
ينبغي لأبي عمر رحمه الله أن يذكره في الصحابة ، لأنه من شرطه ، فلم يفعل ،
وقد أنشد له ابن إسحاق ما يدل على أنه منهم لقوله :

يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ

يعنى : فرسه ، وكذلك لم يذكر أبو عمر ضمضم من قتادة العجلي ، وله حديث
مشهور في قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه قال له : يا رسول الله ،
إني قد تزوجت امرأة فولدت لي غلاماً أسود ، فقال له النبي - صلى الله عليه
وسلم - هل لك من إبل ، فقال : نعم ^(١) والحديث مشهور ، غير أنه لم يُسمَّ
باسمه في الصحيحين ، وسمى في بعض المصنفات ، وذكره عبيد الغنى
في التمهات ، وذكر عبيد الغنى في الحديث زيادة حسنة قال : كانت المرأة من
بنى عجل ، فقدم المدينة عجائز من عجل ، فسئلن عن الدراق التي ولدت الغلام
الأسود ، فقان : كان في آباؤها رجل أسود .

(١) بقية الحديث : قال : فما ألوانها ؟ قال : فيها الأحمر والأسود وغير
ذلك ، قال : فأنى ذلك ؟ قال : عرق نوع ، قال : هذا عرق نزع ، قال : فقدم
عجائز من بنى عجل ، فأخبرن أنه كان المرأة جدة سوداء . قال أبو موسى
في الذيل : لإسناده عجيب . قال الحافظ : أصل القصة في الصحيحين من حديث
أبي هريرة . وسيأتى .

شعر أبي فراسه :

وذكر شعراً أبي خراش ، واسمه : خُوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةَ شاعر إسلامي مات
في خلافة عمر رحمه الله : من نهش حية نهشته ، كان سبها أضياف نزلوا به ،
وخبره بذلك عجيب ، وله فيه شعر . والخراش : ومنم لإبل يكون من
الصدغ إلى الذقن : فقوله :

تسكاد يدها تسليمان إزاره من الجود لما أذنته الشمايل

يريد : أنه من سخائه ، يريد أن يعجزد من إزاره لسائله ، فيسأله إليه ،
وألفيت بخط أبي الوليد الوقشي : الجود هاهنا ، وعلى هذه الرواية ، وهذه
الرتبة : السخاء ، وكذلك فسرهُ الأصبهني والطوسي ، وأما على ما وقع
في شعر الهذلي ، وفسر في الغريب المصنف ، فهو الجوع^(١) وموضعه في الشعر
المذكور يتلو قوله : تروّح مفروراً .

وفي الغريب رداءه بدل إزاره .

وقوله :

ولكن قرن الظهور المرء شاغل

قرن بالقاف : جمعه : أقران ، ويروى :

ولكن أقران الظهور مقائل

(١) عقب الخشنى على تفسيره بالجوع : ويكاد أن يكون الجود هنا على أصله

يعنى : كثرة العطاء

مقاتل : جمع مِقْتَل بكسر الميم ، مثل مِخْرَبٍ من الحرب ، أى من كان قرن
ظاهر ، فإنه قاتلٌ وغالب .

وقوله بصف الرياح :

لَهَا حَدَبٌ تَحْتَمُّهُ فَيُؤَانِلُ

بالحاء المهملة وقع فى الأصل ، وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حَدَبًا ، فيكون
هذا منه ، وإلا فَاتَّخَذَ بُِ بالحاء اللينة وطة أشبهُ بمعنى البيت ، لأنهم يقولون : ربح
خَدْبَاهُ كان بها خدبًا^(١) ، وهو الْهَوَجُ^(٢) .

من شعر مالك بن عوف :

وذكر فى آخر بيت من شعر مالك بن عوف :

مثلُ الدَّرِيَّةِ تَسْتَعْلُ وتُشْرِمُ

الدريئة : الحاقة التى يتعلم عليها الطمن ، وهو مهموز^(٣) ، وتُسْتَعْلُ بالحاء
المهملة ، وقع فى الأصل ، وفى غيره : تُسْتَعْلُ بالحاء مُعْجَمَةً ، وهو أظهر فى المعنى من
الْخِلَالِ ، وقد يكون لِتُسْتَعْلُ وَخِيَهُ من الحل إذ بعده تُشْرِمُ ، وكلاهما قريب
فى المعنى .

(١) كذا بالأصل .

(٢) فى الأصل : الهودج . والتصويب من المعاجم .

(٣) جعلها القاموس فى باب درى أيضاً .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

في سنة ثمان

ولما قَدِمَ قُلُومُ تَقِيفِ الطَّائِفِ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا ، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ لِلْفِتَالِ .

وَلَمْ يَشْهَدْ حُذَيْفَةُ وَلَا حِصَارَ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَلَا غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ ، كَانَا بِجُرَشٍ بِعَمَّانَ صَنَعَةَ الدَّبَابِ وَالْمَجَانِيقِ وَالضُّبُورِ .

ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ حِينَ فَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ ؛ فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، حِينَ أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ :

شعر كعب

قَضَيْنَا مِنْ نِهَامَةِ كُلِّ رَبِيبٍ	وَحَيَّرَ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّبُوفَا
نَحْيَرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ	قَوَاطِئُهُنَّ : دَوْسًا أَوْ نَقِيفَا
فَلَسْتُ خَاضِنٌ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بِأَحَدٍ دَارَكُمْ مِنْهُ أَلُوفَا
وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ	وَتُصْبِحُ دُورَكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَا تَيْكُمُ كُنَّا سَرَعَانُ خَيْلٍ	يُعَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَةِكُمْ سَمِعُكُمْ	لَهَا عَمَّا أُنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاصِبُ مُرْهَفَاتٍ	يُرْزَنُ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْحُفُوفَا
كَأَنَّهَا الْعَقَاقِ أَخْلَصَتْهَا	قُيُوءُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا

تَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الرَّحْفِ جَادِيًا مَدُوفًا
 أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ أَهْمُ نَصِيحٍ مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفًا
 يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الْخَلِيلِ وَالْمُجُوبِ الطَّرُوفَا
 وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَخْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفَا
 رُئِيسُ النَّبِيِّ وَكَانَ صُلْبًا نَقَى الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفًا
 رَشِيدَ الْأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفًا
 نَظِيمٌ نَبِيًّا وَنَظِيمُ رَبِّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَءُوفًا
 فَإِنْ تُلَقُّوا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبِلْ وَنَجْعِدْكُمْ لَنَا عَضْدًا وَرِيفًا
 وَإِنْ تَابُوا نَجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفًا
 نَجَالِدُ مَا بَيْنَنَا أَوْ تُنْذِرُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفًا
 نَجَاهِدُ لَا نُبَالِي مَنْ آقَيْنَا أَمْ كُنَّا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا
 وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلْبُوا عَلَيْنَا صَحِيمَ الْجِذَمِ مِنْهُمْ وَالْخَلِيفَا
 أَتَوْنَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءَ فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالْأَنْوَا
 بِكُلِّ مَهْنَدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ يَسُوقُهُمْ بِهَا سَوَاقًا عَنِيفَا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينَ مَعْتَدِلًا حَنِيفَا
 وَتُنْذِرُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدَّ وَنَسْلُبُهَا الْقَمَلَانِدَ وَالشُّنُوفَا
 فَأَمْسُوا قَدْ أَقْرُوا وَاطْمَأَنُّوا وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

كفانة يرد على كعب

فأجابه كفانة بن عبد ياليل بن عمرو بن معير ، فقال :

مَنْ كَانَ يَنْفِينَا يُرْبِدُ قِتَالَنَا فَإِنَّا بَدَارِ مَعْلَمٍ لَا تَرِيْمُهَا
وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى وَكَانَتْ أُنَا أَطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا
وَقَدْ جَرَّ بَدْنًا قَبْلَ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَايِمُهَا
وَقَدْ عَلِمْتَ إِنْ قَالَتِ الْحَقَّ أَنَّنَا إِذَا مَا أَبَتْ صُغُرُ الْخُدُودِ نُفَيْمُهَا
نُقَوِّمُهَا حَتَّى يَبَيِّنَ شَرِيْسُهَا وَيُعْرِفُ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظُلُومُهَا
عَلَيْهِ نَادٍ لَاصٍّ مِنْ تُرَاثِ مُحَرَّقٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيْبَتْهَا نُجُومُهَا
تُرْفُفُهَا عَنَّا بَيْضِ صَوَارِمٍ إِذَا جُرَدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَشِيْمُهَا

قصيدة شداد في المسير إلى الطائف

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لَا تَنْصَرُ وَاللَّاتِ إِنْ اللَّهُ مُهْلِكُهَا وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ بِنُصْرٍ
إِنْ الَّتِي جُرِّتَ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ وَلَمْ يُقَاتَلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدْرٌ
إِنَّ الرُّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِلَادَكُمْ يَظْعَنُ وَائِسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرٌ

الطريق إلى الطائف

قال ابن إسحاق : فَمَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَخْلَةٍ

الْيَمَانِيَّةَ ، ثُمَّ عَلَى قَرْنٍ ، ثُمَّ عَلَى الْمُتَيْحِ ، ثُمَّ عَلَى بُحْرَةِ الرُّغَاءِ مِنْ لَيْلَةٍ ، فَأَبْقَى
بِهَا مَسْجِداً فَصَلَّى فِيهِ .

قال ابن إسحاق : حدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرُّغَاءِ ،
حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ
فَقَتَلَ رَجُلَانِ مِنْ هَذِيلَ ، فَقَتَلَهُ بِهِ ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وهو بِلَيْلَةٍ ، بِمَحْضِنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فُهَيْمٍ ، ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضَّيْقَةُ ،
فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا ، فَقَالَ : مَا اسْمُ هَذِهِ
الطَّرِيقِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : الضَّيْقَةُ ، فَقَالَ : بَلْ هِيَ الْيُسْرَى ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا عَلَى نَحْبٍ ،
حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ ، قَرِيباً مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ ، وَإِمَّا أَنْ تُخْرِبَ عَلَيْكَ
حَاطُوكَ ؛ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَاجِهِ

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ قَرِيباً مِنَ الطَّائِفِ ، فَضَرَبَ
بِهِ عَسْكَرَهُ ، فَفُتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْمَنْبِلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ
حَاطِطِ الطَّائِفِ ، فَكَانَتِ الْمَنْبِلُ تَنَادِيهِمْ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا
حَاطِطَهُمْ ، أَعْتَمَوْهُ دُونَهُمْ ؛ فَلَمَّا أُصِيبَ أُولَئِكَ الْفَرَسُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْمَنْبِلِ وَضَعَ
عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ ، فَحَاصَرَهُمْ بِخَمَاعٍ وَعِشْرِينَ أَيْلَةً

قال ابن هشام : وَيُقَالُ سَمِعَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ .

قال ابن إسحاق : وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِ ، إِحْدَاهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ

أَبِي أُمَيَّةَ ، فَضْرَبَ لَهَا قُبَّتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ . ثُمَّ أَقَامَ ، فَلَمَّا أَسَلَتْ ثَقِيفَ
بَنِي عَلَى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ وَهَبِ بْنِ مُعْتَبِ
ابْنِ مَالِكٍ مَسْجِدًا ، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ سَارِيَّةٌ ، فَيَا يَزْعُمُونَ ، لَا تَطَاعِ
الشَّمْسُ عَائِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا سَمِعَ لَهَا نَقِيضٌ ، فَخَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ .

أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام : وَرَمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَنْجَنِيْقِ .
حَدَّثَنِي مَنْ أَثَقَ بِهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى فِي الْإِسْلَامِ
بِالْمَنْجَنِيْقِ ، رَمَى أَهْلَ الطَّائِفِ .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق : حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الشَّدَخَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ ، دَخَلَ
نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ دَبَابَّةٍ ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى
جِدَارِ الطَّائِفِ لِيَجْرِيَ قَوْهٌ ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكِّكَ الْحَدِيدِ مُخَيَّمَةً بِالْفَارِ ،
فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا ، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالًا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ .

بين أبي سفيان وثقيف

وَتَقَدَّمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى الطَّائِفِ ، فَتَنَادَا ثَقِيفًا :

أَنْ أَمُونَا حَتَّى نَكَلِّمَكَ ، فَأَمَنُوهُمَا ، فَدَعَا نِسَاءَ مَنْ نِسَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ وَبَنَى
كِتَابَانَهُ لِيُخْرِجُنَّ إِلَيْهِمَا ، وَهُمَا يَخَافَانِ عَلَيْهِنَّ السَّبَاءَ ، فَأَبَيْنَ ، مِنْهُنَّ : آمَنَةُ
بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، كَانَتْ عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، لَهُ مِنْهَا دَاوُدُ بْنُ عُرْوَةَ .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سُفْيَانَ ، وكانت
عند أبي مُرَّةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فولدت له داود بن أبي مُرَّةَ .

قال ابن إسحاق : والفِرَاسِيَّةُ بنت سُؤَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ ثَعْلَبَةَ ، لها
عبد الرحمن بن قَارِبٍ ، والفَقْمِيَّةُ أُمَيْمَةُ بنت النَاسِيءِ أُمَيْمَةُ بن قَلْعٍ ؛ فلما
أَبَيْنَ عَلَيْهِمَا ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفْيَانَ وبِامَغِيرَةَ ، ألا أدلكما
على خير مما جئتما له ، إن مالَ بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ حيث قد علمتما ، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلاً بَوَادِي يقال له العقيق ،
لأنه ليس بالطائف مال أبعدُ رِشَاءً ، ولا أشدُّ مُؤَانَةً ، ولا أبعدُ عِمَارَةً من
مال بَنِي الْأَسْوَدِ ، وإن محمداً إن قطعه لم يُعَمَّرَ أبداً ، فكَلِّمَاهُ فليأخذ لنفسه ،
أو ليدعُ الله والرحم ، فإنَّ بيننا وبينه من القرابة مالا يُجْهَلُ ؛ فزعموا أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

تفسير أبي بكر لرؤيا الرسول

وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهو
محاصر نقيفاً : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَةٌ زُبْداً ، فنقرها
ديك ، ففُهِرَاقُ مَا فِيهَا . فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا

ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

سبب ارتحال المسلمين

ثم إنَّ خُوَيْلَةَ بنتَ حَكِيم بنِ أُمَيَّة بنِ حَارِثَةَ بنِ الْأَوْقَص السَّامِيَّة ، وهى امرأة عُثْمَانَ ، قالت : يا رسول الله ، أعطنى إنْ فُتِحَ اللهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَةَ حُلُمَى بَادِيَةِ ابْنَةِ غَيْثَانَ بنِ سَلَمَةَ ، أو حُلُمَى الْفَارَعةِ بنتِ عَقِيل ، وكانتا من أحلى نساء تَمِيف .

فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثِيَمَف ياخُوَيْلَةَ ؟ فخرجت خُوَيْلَةَ ، فذكرت ذلك لعمربن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما حديث حدثتنيهِ خُوَيْلَةَ ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أو ما أُذِنَ لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذَن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذَنُ عُمرُ بالرحيل .

عيينة بن حصن

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عُبَيْد بن أُسَيْد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إنَّ الحىَّ مقيمٌ قول : يقولُ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن : أجل ، واللهُ بِجَدَّةِ كِرَامَا ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيَيْنَةُ ، أتمدح بالمُشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إني والله ما جئت لأقاتل تقيماً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد

الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أنططها ، لعلمها تلد لى رجلا ، فإن تقيفاً
قوم منا كبير .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته بمن كان محاصراً
بالطائف عبيد ، فأسلموا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أنهم ، عن عبد الله بن مكدّم ، عن
رجال من ثقيف ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك
العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان
من تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .

شعر الضحّاك وموضوعه

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً امرؤان بن قيس
الدؤيبى ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ،
فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لمرؤان بن قيس : خذ يامروان بأهلك أول رجل من
قيس تلقاه ، فلقى أبى بن مالك القشيري ، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام
فى ذلك الضحّاك بن سفيان الكلابى ، فكلّم تقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ،

وأطلق لهم أبي بن مالك ، فقال الضحّاك بن مُغيان في شيء كان بينه وبين أبي بن مالك :

أَتَدْعَى بِأَبِي يَا أَبَى بَنَ مَالِكٍ غَدَاةَ الرَّسُولِ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ
يَقُودُكَ مَرْوَانَ بْنَ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ ذَلِيلًا كَمَا قِيدَ الذَّلُولِ الْمُخَيَّسُ
فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ كَقَيْفٍ عِصَابَةٌ مَتَى يَأْتِيهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا
فَكَانُوا هُمْ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ عَلَيْكَ وَقَدْ كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تِيَاسُ

قال ابن هشام : « يُقْبِسُوا » عن غير ابن إسحاق

الشهداء في يوم الطائف

قال ابن إسحاق : هذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

من قُرَيْشٍ ، ثم من بنى أُمَيَّةَ بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص
ابن أُمَيَّةَ ، وعُرْفُطَةَ بن جَدَابٍ ، حليف لهم ، من الأَسَدِ بن الْفَوْثِ .
قال ابن هشام : ويقال : ابن حُبَابِ .

قال ابن إسحاق : ومن بنى قَيْمَ بن مُرَّةَ : عبد الله بن أبي بكر الصديق ،
رُمِيَ بِسَهْمٍ ، فَمَاتَ مَذْمُومًا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن بنى نَحْزُومَ : عبد الله بن أبي أُمَيَّةَ بن المغيرة ، من رَمِيَةِ رُمِيَهَا يَوْمَئِذٍ .
ومن بنى عَدِيَّ بن كَعْبٍ : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه
عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبي صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بحير في حنين والطائف

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال
والحصار ، قال بحير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كَانَتْ عَلَالَةً يَوْمَ بَطْنِ حَنِينٍ	وَعِدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأُبْرَقِ
جَمَعَتْ بَاغَوَاءَ هَوَازِنُ جَمْعَهَا	فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمَتَمَرِّقِ
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا	إِلَّا جِدَارُهُمْ وَبَطْنُ الْحَنْدَقِ
وَأَقْدَمَ تَعَرَّضْنَا لَكَيْمًا يَخْرُجُوا	فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابِ مُفَاقِ
تَرْتَدُّ حَسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ	شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْعَنَايَا فَيَلْقَى

مَلْمُومَةٍ خَضِرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا حَصْنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخَاقِ
مَشَى الضَّرَاءَ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّنَا قُدْرُ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنْتِ كَأَنَّهُنَّ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَقِرِ
جُدُلٌ تَمَسَّ فُضُؤُهُنَّ نَعَانَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرِّقِ

أمر أموال هوازن وسباياها

وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على
دَحْنَا حَتَّى نَزَلَ الْجُمْرَانَةَ فَيَمَنُ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَمَعَهُ مِنْ هَوَازِنِ سَبِيٍّ كَثِيرٍ
وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ ظَعْنٍ عَنْ ثَقِيفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعَ عَلَيْهِمْ ؛
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ .

ثم أناء وفد هوازن بالجفرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سبى هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء
ما لا يُدْرَى ما عدته

قال ابن إسحاق : فخذني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله
ابن عمرو : أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ألهوا ،
فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ،
فامنن علينا ، من الله عليك . قال : وقام رجل من هوازن ، ثم أحد بني سمد

ابن بكر ، يُقال له زهير ، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر عَمَاتُكَ وخالاتُكَ وحواضنُكَ اللاتي كنَّ يكفُلنَّكَ ، ولو أنا مَلَحْنَا للاحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائذته علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويروى : ولو أنا مَلَحْنَا الحارث بن أبي شمر ، أو النعمان ابن المنذر .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَبَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خَيْرُ نَسَائِنَا أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا ، بَلْ تَرُدُّ إِلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فهو أَحَبُّ إِلَيْنَا ؛ فقال لهم : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا . فقالوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيك عند ذلك ، وأسألُكم ، فلما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينةُ بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ،

ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وَهَنُتُمُونِي

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا مِنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا
السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ ، مِنْ أَوْتَى سَبْيَ أُصَيْبِهِ ، فَرُدُّوهُ إِلَى
النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي أَبُو وَجْزَةَ يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدِ السَّمْدِيِّ : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَارِيَةً ،
يُقَالُ لَهَا رِبْطَةُ بِنْتِ هِلَالِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عُمَيْرَةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ قُصَيَّةِ
ابْنِ نَصْرٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَأَعْطَى عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ جَارِيَةً ، يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ
بِنْتُ حَيَّانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَيَّانَ ، وَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَارِيَةً ، فَوَهَبَهَا
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِهِ .

قال ابن إسحاق : فَحَدَّثَنِي نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : بَعَثْتُ بِهَا إِلَى أَخَوَالِي مِنْ بَنِي جُحَجَ ، لِيُصْلِحُوا إِلَى مِنْهَا ،
وَيَهْنُوهَا ، حَتَّى أَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ آتَيْتُهُمْ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُصِيبَهَا إِذَا رَجَعْتُ
إِلَيْهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ حِينَ فَرَغْتُ ، فَإِذَا النَّاسُ يَشْتَدُّونَ ؛ فَقُلْتُ :
مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : رَدَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ؛
فَقُلْتُ : تَلَكُمْ صَاحِبَةُكُمْ فِي بَنِي جُحَجَ ، فَاذْهَبُوا فَخَذُّوْهَا ، فَاذْهَبُوا إِلَيْهَا ،
فَاخْذُوهَا .

قال ابن إسحاق : وأما عُمَيْيْنَةُ بن حِصْن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها في الحى نسباً ، وعسى أن يعظم فِدَاؤُها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ، أبى أن يردّها ، فقال له زُهَيْرُ أَبُو صُرَد : خذها عنك ، فوالله ما فوها بباردٍ ، ولا تَذِيهًا بِنَاهِدٍ ، ولا بطنها بوالدٍ ، ولا زوجها بواجدٍ ، ولا ذُرّها بما كِدِ . فردّها بست فرائض حين قال له زُهَيْر ما قال ؛ فزعموا أن عُمَيْيْنَةَ لَقِيَ الْأَقْرَعَ بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها ببيضاء غريرة ، ولا نصفًا وثيرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مُسَلِّماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأُتِيَ مالكا بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِيَ به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرس ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَسَ ، فركبها ، فلحق برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجُمُرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم بحسن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمِعتُ بمِثْلِهِ في النَّاسِ كَلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ

أَوْفَى وَأَعْطَى لَاجْزِيلَ إِذَا اجْتُمَدَى وَمَتَى تَشَأْ يُنْصِرْكَ عَمَا فِي غَدٍ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عُرِّدَتْ أَنْبَأُهَا بِالسَّهَرَى وَضَرْبَ كُلِّ مُهَنَّدٍ
فَكَأَنَّهُ كَيْتٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرَصَدٍ

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وذلك
القبائل : ثُمَالَةُ ، وَسَلَمَةُ ، وَقَتَمٌ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا ، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرِيحٌ
إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَبُو مِحْجَنَ بْنَ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
عُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ :

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَزُونَا بَنُو أَسَلَمَةَ
وَأَتَانَا مَالَكٌ يَرْمِي نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا وَقَدْ كَفْنَا أُولَى نَقِمَةٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَدِّ سَبَايَا
حُنَيْنٍ إِلَى أَهْلِهَا ، رَكِبَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ يَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْسِمُ عَلَيْكَ
فَيُثَمِّنَا مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ ، حَتَّى أُلْجِئُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ ، فَاحْتَضَطْنَا عَنْهُ رِدَاءَهُ ؛ فَقَالَ :
أَدُّوهُ عَلَى رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بَعْدُ شَجَرٌ تِهَامَةٌ نَعْمًا
لَقَسَمْتُهِ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ مَا أَفْقَيْتُمُونِي بِخَيْلٍ وَلَا جِيَانًا وَلَا كَذَّابًا ، ثُمَّ قَامَ إِلَى
جَنْبِ بَعِيرٍ . فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَابِلِهِ ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَهَا ، ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ قَيْئِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُلُوسُ ، وَالْخُلُوسُ
مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ . فَأَدُّوا الْخِيَاطَ وَالْخَيْطَ ، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا
وَشَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكُتَيْبَةٍ مِنْ خُيُوطِ شَعْرِ ،

فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكُتْبَةَ أعملُ بها بَرْدَةً بِعِيرٍ لِي دَيْرٍ ؛
فقل : أما نصيبي منها فلك ! قال : أمّا إذ بَلَغْتَ هذا فلا حاجة لي بها ،
ثم طَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبَةَ بن ربيعة ، وسيفه متلَطِّخٌ دَمًا ،
فقات : إني قد عرفت أنك قد قتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟
فقال : دونك هذه الإبرة تَخِيطُ بِهَا ثِيَابَكَ ، فدفعها إليها ، فسمع مُنَادِيَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئًا فليردّه ، حتى الخِيَاطُ
والمِخِيطُ . فرجع عَقِيلُ ، فقال : ما أَرَى إِبْرَتَكَ إِلَّا قد ذهبت ، فأخذها ،
فألقاها في الغنائم .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ ،
وكانوا أشرافًا من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى
أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حَكِيمَ
ابن حِزَامٍ مائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلْدَةَ ، أخا بني عبد الدار
مائة بعير .

قال ابن هشام : نصير بن الحارث بن كَلْدَةَ ، ويجوز أن يكون اسمه
الحارث أيضًا .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سُهِيلَ

ابن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى بن أبي قَيْس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية التَّقْفِي ، حَلِيف بن زُهْرَةَ مائة بعير ، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بَدْر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التَّمِيمِي مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النَّصْرِي مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالاً من قُرَيْش ، منهم نَخْرَمَةُ بن نوفل الزُّهْرِي ، وعُمَيْر بن وهب الجَمَحِي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكَةَ ابن عامر بن مخزوم خُسَيْنَ من الإبل ، وأعطى السَّهْمِيَّ خُسَيْنَ من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدى بن قيس .

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أبا عبد الله فسَخِطَها ، فمات ابنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يُعَانِبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كَانَتْ نِيَابَا تَلَايْتُهُمَا بَكَرَى عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرَعِ
وَأَبْقَايَ الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرِمٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُنْمَعْ
إِلَّا أَفْئِلَ أُعْطِيَتْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ

وما كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ
وما كُنْتُ دُونَ امرئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
قال ابن هشام : أنشدني يونسُ النَّحْوِيُّ :

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسٍ فِي الْمَجْمَعِ
قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ،
فأعطاهوا عني لسانَه ، فأعطوه حتى رَضِيَ ، فسكان ذلك قطعَ لسانه الذي أمر به
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن عباسَ بن مرداس أتى
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
أنت القائل :

« فَأَصْبَحَ نَهْيِي وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَةَ وَالْأَفْرَعِ ؛ فقال رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : (وَمَا عَاطَمَاهُ
الشُّعْرَ وَمَا يَنْتَفِي لُهُ) .

قال ابن هشام : وحدثني من أتق به من أهل العلم في إسناده ، عن ابن
شهابٍ لزهرى ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال :
بايع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجعرانة
من غنائم حَمَيْنَ .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطلحي
ابن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : شعبة بن عثمان بن أبي طحة بن عبد المزي
ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السائب بن بكك بن الحارث بن عميلة بن
السباق بن عبد الدار ، وعكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والحارث
ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ،
وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسائب بن
أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة ،
وأبو جهم بن حذيفة بن غانم .

ومن بنى جمح بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف . وأحبة بن
أمية بن خلف ، وعمر بن وهب بن خلف .

ومن بنى سهم : عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤي : حويطب بن عبد المزي بن أبي قيس بن
عبد ود هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية
ابن عروة بن مخر بن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الدليل .

ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن
ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن علاثة بن عوف بن الأخوص بن
جعفر بن كلاب ، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وحرثة بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن ربوع

ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مِرْدَاس بن أبي عامر ، أخو
بنى الحارث بن بُهْمَة بن سُلَيْم .

ومن بنى غطفان ، ثم من بنى فزارة : عَيْيَنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأفرع بن حابس بن عِقال ، من
بنى مُجَاشِع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن
قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت
عَيْيَنَة بن حِصْن والأفرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جُعَيْل بن سُراقَة
الضَّمَرِي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفس محمد بيده
لجُعَيْل بن سُراقَة خيرٌ من طِلاع الأرض ، كلهم مثل عَيْيَنَة بن حِصْن
والأفرع بن حابس ، ولاكني تألفتهما لئسما ، ووكلت جُعَيْل بن سُراقَة
إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن
مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ . مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، قَالَ : خَرَجْتُ
أَنَا وَتَلِيدُ بْنُ كِلَابِ الْأَيْثِيَّةِ ، حَتَّى أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ النَّاصِ ، وَهُوَ
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، مَعْلَقًا نَعْلَهُ بِيَدِهِ . فَقُلْنَا لَهُ : هَلْ حَضَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ كَلَّمَهُ التَّمِيمِيُّ يَوْمَ حُنَيْنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ،
يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَوْبِصِرَةِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَعْطَى النَّاسَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ،
قَدْ رَأَيْتُ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَلُ ،
فَكَيْفَ رَأَيْتَ ؟ فَقَالَ : لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ ؛ قَالَ : فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكَ ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي ، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ ؟ ! فَقَالَ عَمْرٌو
ابْنُ الْخَطَّابِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَقْبَلُهُ ؟ فَقَالَ : لَا ، دَعْنِي فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَيْعَةٌ
يَتَّبِعُونَهُ فِي الدِّينِ حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهُ كَمَا يُخْرِجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ
فِي النَّصْلِ ، فَلَا يَوْجَدُ شَيْءٌ ، ثُمَّ فِي الْقِدْحِ ، فَلَا يَوْجَدُ شَيْءٌ ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ ،
فَلَا يَوْجَدُ شَيْءٌ ، سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَمُّ .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بن
حديث أبي عبيدة ، وسماه ذَا الْخَوْبِصِرَةِ .

شعر حسان في حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيع ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام : وَلَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أُعْطِيَ

قريش وقبائل العرب ، ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، قال حسان بن ثابت يمانيه
في ذلك :

زادتْ هُمومٌ فناءَ العَيْنِ مُنْجَدِرُ سَحَا إِذَا حَقَلَتْهُ عَنَبَةٌ دِرَرُ
وَجَدَا بِشَمَاءَ إِذْ شَمَاءُ بِهِمْ كَلَمَةٌ هَيْفَاءَ لَا ذَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوَرُ
دَعُ عَنْكَ شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزَرُ
وَأَتِ الرَّسُولَ نَقْلُ يَاقِبِرٍ مُؤْتَمِنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشَرُ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمْ دِينَ الْهُدَى وَعَوَّانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ أَلْبَسُوا عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا الشُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزُرُ
نَجَالِدُ النَّاسِ لَا يُبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُوجِي بِهِ السُّورُ
وَلَا تَهْرَ جُنَاةُ الْخَرْبِ نَادِينَا وَنَحْنُ حِينَ تَبْلُطُ نَارُهَا سُعُرُ
كَارِدَدْنَا بِبَذْرِ دُونَ مَا طَدَبُوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يُنْزَلُ الظَّنْفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النِّعْفِ مِنْ أَحَدٍ إِذْ حَزَبْتُ بِطَرَأَ أَحْزَابِهَا مُصَرُ
فَمَا وَرَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا مِنَّا عِثَارًا وَكُلَّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال :
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن أبييد ، عن أبي سعيد الخدري ،
قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ،

في فريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقد آتى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفى الذى أحببت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطاء عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا معشر الأنصار : ما قالة بلغتني عنكم ، وجدّة وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتاكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أنن وأفضل . ثم قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقاتم ، فأصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، وتحذولاً فنصرناك ، وطارداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك . أو جدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسوا بكم ، وولتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟

فوالذي نفسُ محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك
الناس شِعْباً وسَلَكَتِ الأنصارُ شِعْباً ، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الأنصار . اللَّهُمَّ ارْحَمْ
الأنصارَ ، وأبناءَ الأنصارِ ، وأبناءَ أبناءِ الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أَخَضَلُوا لِحَاهُمْ ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسَماً
وَحِظاً . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين
سنة ثمان

اعمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً ،
وأمر بِبَقَايَا النَّفْيِ مُخْفِيَةً بِمَجَنَّةَ ، بِفَاحِيَةِ سَرِّ الظُّهْرِ ، فلما فرغ رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم من عُثْرَتِهِ انصرف راجعاً إلى المدينة واستخاف عَتَّابَ بْنَ
أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وَخَلَّفَ مَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، يَفْقَهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ ، وَيَعْلَمُهُمُ
الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَقَايَا النَّفْيِ .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي
صلى الله عليه وسلم عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ رَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دَرَاهِمًا ، فَقَامَ
نَخْطَبُ النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَجَاعَ اللَّهُ كَبَدَ مَنْ جَاعَ عَلَى دَرَاهِمٍ ،

فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

وقت العمرة

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقيّة ذي القعدة أو في ذي الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني .

قال ابن إسحاق : وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ بالمسالمين تلك السنة عتّاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شرّهم وامتناعهم في طائفهم ، ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بُجَيْر بن زهير بن أبي سُلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلاً بمكة ، ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبعرى وهُبَيْرَة بن أبي وهب ، قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطرّ إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجاتك من الأرض ؛ وكان كعب بن زهير قد قال :

ألا أبلغنا عني بُجَيْراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ ونحك هل لك؟
فبين لنا إن كنتَ لستَ بفاعِلٍ على أي شيءٍ غير ذلك ذلكا
على خُلُقٍ لم أنفِ يوماً أبالهُ عليه وما تُنفِي عليه أباً لك
فإن أنتَ لم تفعلْ فاستُ بآسفٍ ولا قاتلٍ إمّا عثرتَ : لَمَّا لك
سَقَاكَ بها المأمونُ كأساً رويةً فأنه لك المأمونُ منها وعَلَّكَ

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحاق .

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ بالخير هل لك
شربتَ مع المأمون كأساً رويةً فأنه لك المأمونُ منها وعَلَّكَ
وخالفتَ أسبابَ الهدى واتَّبَعْتَهُ على أي شيءٍ وببَ غيرك ذلكا
على خُلُقٍ لم تُنفِ إمّا ولا أباً عليه ولم تُدرك عليه أخاك
فإن أنتَ لم تفعلْ فاستُ بآسفٍ ولا قاتلٍ إمّا عثرتَ : لَمَّا لك

قال : وبعث بها إلى بُجَيْر ، فلما أنت بُجَيْراً كره أن يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سَقَاكَ بها المأمون » . صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون : ولما سمع :

« على خلقت لم تُلَفِ أُمًّا ولا أَبَا عليه » قال : أجل ، لم يُلَفِ عليه أباه ولا أُمّه .
ثم قال يُجَيِّرُ لَكُمب :

مَنْ مُبْلَغٍ كَتَبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ (لَا الْمَرْزَى وَلَا الْإِلَاحَاتِ) وَخَذَهُ فَنَجَّوْهُ إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسَلَّمَ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَا يَسْ بِمُعْلَتٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمٌ
فَدَيْنُ زُهْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَرَّمٍ

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « للآمون » ، ويقال : « للآمور »
في قول ابن هشام ، لقول قريش الذي كانت تقول له لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعباً الكتاب ضافت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، فَقَالُوا : هُوَ مَقْتُولٌ :
فلما لم يجد من شيء بُدَأَ ، قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوْفَهُ وَإِرْجَافَ الْوَشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَزَلَّ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ ، مِنْ جُهَيْنَةَ ، كَاذُ كَرَلِي ،
فَقَدِمَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَمِّ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمَنَهُ . فَذُكِرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فخذني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عفاك ، فإنه قد جاء تائباً ، نازعاً (عما كان عليه) قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، إماماً صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول	مقيم إثرها لم يفد مَكْبُول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غصيص الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مذبرة	لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجملو عوارض ذي ظلم إذا انقسمت	كأنه منهل بالرح معلول
شجت بذى شيم من ماء تحنية	صاف بأبطح أضجى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأقرطه	من صوب غادية بيض يماليل
فيا لها خلة لو أنها صدقت	بوعدها أو لو أن الفصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها	فجع وولع وإخلاف وتبدل
فما تدرم على حال تكون بها	كما تلون في أثوابها الغول

وما تَمَسَّكَ بالعهد الذى زعمت إلا كما يُمَسِّكُ الماءُ الغرابيلُ
فلا يفرَّ نَكَ مَأمَنتُ وما وعدت إنَّ الأمانى والأحلامَ تَضَلُّيلُ
كانت مواعيدُ عُرُوقٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ
أرجو وأملُ أن تَذنو مودَّتُها وما إخال لَدَيْنا مِنْكَ تَنوِيلُ
أُمستُ سعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها إلا العِناقُ النَّحِيباتِ العَراسيلُ
ولن يُبَلِّغُها إلا عُدَّةُ قِرَّةٍ لها على الأينِ إِرْقالُ وَتَبْغِيلُ
من كل نَصَاخَةِ الذِّقْرِى إذا عَرِقت عُرُضُها طَوايسُ الأعلامِ بِجَهْوِلُ
ترمى العُيُوبَ بِمَعْنَى مُفَرَّدٍ لَهَقٍ إذا تَوَقَّدتِ الحِزَانُ وَالْمِيلُ
ضَخَمَ مُقَلَّدُها قَعَمٌ مَقِيدُها فى خَلْقِها عَن بَناتِ الفَعْلِ تَفْضِيلُ
غُلَباءُ وَجَناءُ عُلُكُومٌ مَذَكَّرَةٌ فى دَفِّها سَعَةٌ قُدَّامُها مِيلُ
وجِلْدُها مِن أَطْلومٍ ما بُوِيسَ طَلَحَ بَضَاحِيَّةُ الْمُتَنِينِ مَهْزُولُ
حَرَفٌ، أَخوها أَبُوها مِن مُهَجَّفَةٍ وعُثمُها خالُها قَوْداءُ شِمْلِيلُ
يَمشي القَرادُ عَلَيْها ثُمَّ يَزِقُّهُ مِنْها آبانُ وَأَقْرابُ زَهايلُ
عَبْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّجْضِ عَن عُرُضٍ مِرْفَقُها عَن بَناتِ لَزُورٍ مَفْتُولُ
كأَمَّا فَاتٌ عَيْدُها وَمَذْبَحُها من خَطَمِها وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرِطِيلُ
تَمَرَّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصْلِ فى غارِزٍ لَمْ تَحْوَنهُ الأَحايِلُ
قَتَوَاءُ فى حُرَّتِها لِلْبَصِيرِ بِها عِتْقُ مُبِينٍ وَفى الخَلْدَيْنِ تَسْمِيلُ
تَخْدِي على يَسَرَّاتٍ وَهى لَاحِقَةٌ ذَوابِلِ مَشْهَنِ الأَرْضِ تَحايِلُ

سُمِرَ الْمُجَابَاتِ بِتَرْكَنِ الْحَصَى زَيْمًا لَمْ يَقِمْ رُءُوسَ الْأَكْمِ تَنْفَعِيلُ
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَاحِدًا كَانَ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُوكُ
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَمَلَتْ وَرُزِقُ الْجَنَادِ بِرُكْضِ الْخَصَاقِيلِ
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطِلٍ نَصَفَ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُكْدٌ مَنَّا كَيْلُ
نَوَاحِي رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا أَلَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
تَفَرَّى الْأَبَانُ بِكَفَّيْهَا وَمِذْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَائِلُ
تَسْمَى النُّوَاةَ جَنَابِيهَا وَقَوْلُهُمْ إِنَّكَ يَا بَنَى أَبِي سُلْمَى أَمَقْتُوْلُ
وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلُهُ لَا إِلَهَ يَمُنُّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْفُوعُ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أُبَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءُ مَحْمُولُ
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْمَقْفُوعُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قَرَأَنَ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظَلَّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنْازَعُهُ فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ الْقِيلُ
فَلَمْ يَخَوْفُ عِنْدِي إِذَا كَلَّمَهُ وَقِيلَ لِمَاكَ مَنَسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مَنْ ضَيَّعَ بَصَرَهُ الْأَرْضَ مُخْذَرُهُ فِي بَطْنِ كَعْبَرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ

يَفْدُو وَيَلْحَمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَغْفُورٌ خَرَادِيلُ
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِيلَ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقُولُ
مِنْهُ تَظَلَّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةً وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ
وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُصْرَجُ الْبَزِّ وَالذُّرْسَانِ مَا كُولُ
إِنَّ الرَّسُولَ لِنُورٍ يُسْتَمْتَضَاهُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سَيْوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بَبْطَانِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفُ عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ
شُمُ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ كَبُوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي التَّهْجَاءِ رَابِلُ
بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَنْعَاءِ مَجْدُولُ
أَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا بِجَازِمًا إِذَا نِيلُوا
يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِي عَصِيهِمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ الْقَنَابِيلُ
لَا يَقَعُ الطَّافُنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قول ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وبَيْتُهُ : « حَرَفَ أَخُوهَا أَبُوهَا » وبَيْتُهُ : « يَمْشِي
الْقَرَاد » ، وبَيْتُهُ : « عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ » ، وبَيْتُهُ : « تُمَرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ » ،
وبَيْتُهُ : « تَنْزِي الْأَبَان » وبَيْتُهُ : « إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا » وبَيْتُهُ : « وَلَا يَزَالُ
بِوَادِيهِ » : عن غير ابن إسحاق .

في الغُرِّ من غَسَّانَ من جُرْثُومَةٍ أُغْنِيَتْ حَخَا فِرْهَا عَلَى الْمِنْفَارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بَانَْتُ سَعَادُ فَقَابِي الْيَوْمَ مَتَبُول » : لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهي في قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لي عن علي بن زيد بن جدعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد :

« بَانَْتُ سَعَادُ فَقَابِي الْيَوْمَ مَتَبُول »

غزوة الطائف

ذكر بعض أهل النسب أن الدَّمُون بن الصَّدِف ، واسم الصَّدِف : مَلِكُ ابن مالك بن مُرْتَع بن كِنْدَةَ من حَضْرَمَوْتَ أصاب دَمًا من قومه ، فلاحق بِتَقِيْفٍ ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبني لكم حائطًا يُطِيفُ ببلدكم ، فبناه ، فسُمِّيَ به الطائف ، ذكره البكري هكذا^(١) قال : وإنما هو الدَّمُون بن عُبَيْدِ ابن مالك بن دَهْلِيل ، وهو من الصَّدِف ، وله ابنان أدركا النبي - صلى الله عليه وسلم - وبايعاه ، اسم أحدهما : التُّهْمِيل ، والآخر : قَيْصَةُ ، ولم يذكرهما أبو عمر في الصحابة ، وذكرهما غيره .

(١) ذكر هذا في معجمنا المستعجم .

وذكر أن أصل أعنايها أن قيس^(١) بن مُثَبِّه ، وهو ثقيف أصاب دماً في قومه أيضاً ، وهم إيادٌ ففر إلى الحجاز ، فر بأمر أقيهودية فأوته^(٢) ، وأقام عندها زماناً ، ثم انتقل عنها ، فأعطته قُضْباً من الحُبْلَةِ وأمرته أن يفرسها في أرض وصفتها له ، فأتى بلاد عَدَوَانَ ، وهم سكان الطائف في ذلك الزمان ، فر بسُخَيْلَةٍ^(٣) جارية عامر بن الظَّارِبِ الدَّوَّانِي ، وهي ترضى غنماً ، فأراد سبأها ، وأخذ الغنم ، فقالت له : ألا أدلك على خير مما هَمَمْتَ به ، أقصِدْ إلى سيدي وجاوره فهو أكرم الناس ، فأتاه فزوجه من بنته زينب بنت عامر ، فلما جَلَّتْ عَدَوَانَ عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قيسٌ ، وهو ثقيفٌ ، فنه تناسل أهل الطائف ، وسمى : قَسِيّاً بقسوة قلبه حين قَتَلَ أخاه أو ابن عمه^(٤) ، وقيل : سُمِّيَ ثَقِيفاً لقولهم فيهِ : ما أُنْفِقَه حين ثَقِفَ عامراً حتى أُمِنَهُ وزوجه بنته .

وذكر بعضُ المفسرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائف ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة « ن » حيث يقول : ﴿ فطاف عليها طائفٌ من ربك وهم نائمون ﴾ ن : ١٩ . قال : كان الطائف جبريل عليه السلام أقتلعها من موضعها ، فأصبحت كالصَّريم ، وهو الليل ، أصبح ، وضعها كذلك ،

(١) في الأصل قيس . ولكنه قسى كما سيذكر ، وكما ورد في كتب النسب

(٢) في البكري د فاتخذها أمأ ، واتخذته ابنأ ، .

(٣) في معجم البكري : خصيلة ، وقيل : زينة .

(٤) في البكري : ابن عمه ، وأنه قال هقب قتله :

وحربة ناهل أوجرت عمراً فإلى بعده أبداً قرار

ثم سار بها إلى مكة ، فطاف بها حول البيت ، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم ، فُسِّمَتْ باسم الطائف الذى طاف عليها ، وطاف بها ، وكانت تلك الجنة بَصْرَوَان^(١) على فراسخ من صنعاء ، ومن ثم كان الماء والشجر بالطائف دون ماحولها من الأرضين ، وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بن مريم صلى الله على نبيينا وعليه وسلم يسير ، ذكر هذا الخبر النقاش وغيره^(٢) .

فإن قيل : فإذا كان ثقيف هو قَيْس بن مُنَبِّه ، كما قال ابن إسحاق وغيره ، فكيف قال سيديويه حاكياً عن العرب : ثقيف بن قَيْس ، فجعله ابننا لَقَيْس ؟ قيل : إنما أراد سيديويه أن الخيَّ سُمِّي ثقيفاً ، وهم بنو قَيْس ، كما قالوا باهلة ابن أعصر ، وإنما هي أمهم ، ولكن سُمِّي الخيُّ بها ، ثم قيل فيه : ابنُ أعصر^(٣) ، كذلك قالوا : ثقيف بن قَيْس على هذا ، ويقوى هذا أن سيديويه إنما قال حاكياً : هؤلاء ثقيف بن قَيْس .

(١) فى الأصل : ضوارة والنصوب من البكرى وتفسير ابن كثير ، وهى على بعد ستة أميال من صنعاء كما نقل ابن كثير عن سعيد بن جبير .
(٢) أقوال بلا سند . والنقاش يفتى الكثير ، وقد ورد أنهم من أهل الحبيشة ، وأنهم كانوا أهل كتاب .
فى الاشتقاق : من قبائل سعد بن قيس : أعصر بن سعد ، وهو أبو غنى وباهلة والطفافة ، ولقب أعصر لبيت قاله ، وكان من المتمرين . والبيت كما هو فى اللسان :

أبني إن أباك غير لونه كر اللبالي واختلاف الأعصر
ثم قال عن باهلة إنها امرأة من مذحج أو من همدان ، وإنها حضنت كل أولاد معين بن أعصر أو معين بن مالك بن أعصر .

أَنْزَلَتِ الْحَرْبُ فِي الطَّائِفِ :

فصل: وذكروا تعلم أهل الطائف صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبُور. الدَّابَّاءُ: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبُّون بها إلى الأسوار لينقبوها، والضُّبُور: مثل رموس الأسفاط يُتَّقَى بها في الحرب عند الانصراف، وفي المين: الضُّبُرُ جلود يُعْشَى بها خشب يُتَّقَى بها في الحرب. وفي الحديث عن الزهري أن الله - تبارك وتعالى - حين مسح بنى إسرائيل قردة مسح رؤسهم المَظَّ، وبرَّهم الدُّرَّة، وعينهم الأراك، وجوزهم الضُّبُر، وهو من شجر البرية وله ثمر كالجوز لا تنفع فيه، فهذا معنى آخر غير الأول. وقال أبو حنيفة في الضُّبُر: إنه كالجوز يُنَوَّر ولا يُطعم^(١) قال: ويقال أَظْلُ الظَّلَالِ: ظِلُّ الضُّبْرِ وظل التَّغْنِيمَةِ، وظل الحجر، قل: وورقها كبار كثيفة، فكان ظلها لذلك أَلْمَى^(٢) وأما المَظُّ الذي تقدم ذكره في الحديث فهو رُمَانُ البرِّ يُنَوَّر، ولا يُثْمِر، وله جُلْفَارٌ، كما للرُّمَان^(٣) يُنْتَصَرُّ منه المَدْحُ، وهو عَسَلٌ كثير يُشْبِع من امتصة حتى يملأ بطنه، ذكره أبو حنيفة في النبات.

(١) في اللسان: ولا يعقد.

(٢) ظل ألمى: كثيف.

(٣) الجلنار، زدر الرمان، عرب كلنار. وفي الأصل: الزمان بدلان الرمان.

وأما المجانيق^(١) : معروفة وهى أعجمية عربتها العرب . قال كراع : كل كلمة فيها جيم وقاف ، أو جيم وكاف فهى أعجمية ، وذلك كالجوائق والجواقي^(٢) وجياق والسكينة وهى مكيال صغير ، والسكندرية^(٣) وهى المعرفة والقبح وهو الخجل وما كان نحو ذلك ، وللميم فى منجنيق أصاية عند سيديويه والزون زائدة ، ولذلك سقطت فى الجمع^(٤) .

مول شعر كعب :

وذكر شعر كعب وفيه :

وكم من معشر ألبوا علينا

أى جمعوا ، وصميم الجذم مفعول بألبوا ، وفيه يصف السيوف :

كأمثال العقائيق أخاصتها قيون الهند لم تضرب كتيفا

(١) جمع منجنيق بفتح الميم وكسرهما آله ترى بها الحجارة كالمنجنوق مربة ، وقد تذكر فارسيتهما من جهنيك ، أى : أنا ما أبودنى وجمعها منجنيقات ومجانيق ، وقد جنقوا ، وجنقوا ، ومجنقوا .

(٢) بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرهما وجمعه جوائق كصحائف وجوائق بفتح الجيم وجوائقات بضم الجيم ، أما الخفاجى فى شفاء الغليل فيقول : بالضم مفرد وجمعه جوائق بالفتح نادى معرب . وبعضهم - ومنهم سيديويه - ينسكروا القات لأنهم جمعوا جوائق جمع تكسير . وفى اللسان : الجوائق بضم الجيم وفتح اللام وكسرهما مفرد . ولم أجد جوائق فاعله يعنى : جوسق ، وهو اسم قصر صغير .

(٣) لم أهتم إلى ضبطها .

(٤) فى القاموس جمعها : منجنيقات ومجانيق ومجانيق .

العقائق : جمع عَقِيقَة ، وهو البرقُ تنعق عنه السحاب^(١) .

وقوله : لم تُضْرَبْ كَتِيفًا ، جمع كَتِيفَة ، وهي صحيفة من حديد صغيرة ،
وأصل الكَتِيف : الضَّيْقُ من كَلَّ شئ .

سعر كنان :

وذکر شعر کِنَانَة بن عَبْدِ یَالِیل الثَّقَفِی ، وفيه :

وكانت لنا أطاؤها وكرومها

الأطواء : جمع طَوَى ، وهي البئر ، جُمِعَتْ على غير قياس تَوَهَّمُوا سُقُوطَ
ياء فَعِيلٍ منها إذ كانت زائدة^(٢)

وفيها :

وقد جرَّ بَنَّا قبلُ عمرو بن عامر

إنما قال هذا جواباً للأَنْصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ،
وعمرؤ هو مُزَبَقِيَاءُ ، وعامرٌ هو ماء السماء ، ولم يُرَدَّ أن الأنصار جرّ بنهم قبل
ذلك ، وإنما أراد إخوتهم ، وهم خُزَاعَة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر
في أحد القولين ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقال البكري في معنى

(١) عرفه القاموس : العقيقة من البرق ما يبق في السحاب من شعاعه ، ولعل

تنعق : تنشق .

(٢) يقول ابن الأثير : الطوى في الأصل صفة فَعِيل بمعنى مفعول ، فلذلك
جمعه على الأطواء ، كشریف وأشرف ، وإن كان قد انتقل إلى باب الإسمية

هذا البيت : إنما أَرَادَ بنى عمرو بن عامر بن صَعْمَةَ ، وكانوا مُجَاوِرِينَ
إِثْقِيفٍ وَأُمُّهُمْ عَمْرَةُ بِنْتُ عامر بن الظَّرِبِ المَدَوَانِيِّ ، وأختها زَيْنَبُ كانت
تَحْتَ ثَقِيفٍ ، وأكثَرُ قبائلِ ثَقِيفٍ منها ، وكانت ثَقِيفٌ قد أنزلت بنى عمرو
ابن عامر في أَرْضِهِمْ لِيَعْمَلُوا فِيهَا ، ويكون لهم النُّصْفُ في الزَّرْعِ وَالشَّعْرِ ،
ثم إن ثَقِيفًا منعتهُم ذلك ، وتحصنوا منهم بالحائط الذي بنوه حول حاضرهم ،
فحاربتهُم بنو عمرو بن عامر ، فلم يَظْفَرُوا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ ، وجَلَوْا عن تلك
البلاد ، ولذلك يقول كِنَانَةُ :

وقد جَرَّ بَدْنَا قَبْلَ عَمْرُو بن عامر

البيت ذكره البكري في خبر طويل لخصته ^(١) .

أول من رمى بالجاهلية والاسلام :

فصل : وذكر حِصَارِ الطائف ، وأن أول من رمى بِالْمُنَجَّيْقِ في الإسلام

النبي صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وأما في الجاهلية ، فيذكر أن جَذِيمَةَ بِنَ مَالِكِ بن قَهْمِ بن
غَنَمِ بن دَوْسٍ ، وهو المعروف بالأبرش أول من رمى بِالْمُنَجَّيْقِ ، وكان من
ملوك الطوائف ، وكان يُعرف بالوَضَّاحِ ، ويقال له أيضاً مُنَادِمُ الْفَرَقَدَيْنِ ،
لأنه رَبًّا بِنَفْسِهِ عن مُنَادِمَةِ النَّاسِ ، فكان إذا شرب نادم الْفَرَقَدَيْنِ عُجْبًا

(١) أنظر ص ٧٧، ٧٨ ج١ معجم ما استعجم للبكري، ولكن البكري ينسب هذه
القصيدة إلى الأجداد بن مراد بن عمرو بن عامر بن سيار بن مالك بن حطييط بن
جشم بن قيس .

بنفسه ، ثم نادى بعد ذلك مالكا وعقيل الأذين يقول فيهما مُتَمِّمُ [بن نُؤَيْرَةَ
يرثي أخاه مالكا] :

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا^(١)
ويذكر أيضا أنه أول من أوقد الشمع .

غيلان بن سلمة :

وذكر حليّ بادِية بنت غيلان ، وهو غيلان بن سلمة الثَّقَفِيّ ، وهو
الذي أسلم ، وعنده عشر نسوة ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يُنْسِكَ
أربعا^(٢) ، ويفارق سائرهن ، فقال فقهاء الحجاز : يختار أربعا ، وقال فقهاء

(١) وبه :

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنابا رھط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كآنى ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وكان ضرار بن الأزور الاسدى قد قتل مالكا بأمر خالد بن الوليد . ومالك
وعقيل ابنا فارج هما اللذان عثرا على عمرو بن عدى بن أخت جذيمة في أودية
الساوية بعد ضلاله فيها عدة سنوات ، فحملاه إلى خاله جذيمة ، ثم سألاه منادته ،
فلم يزالا نديمه حتى فرق الموت بينهما . وهما اللذان يذكرهما أبو خراش الهذلي
في شعره بقوله :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خيلا صفاء مالك وعقيل
ويضرب المثل بهما للبتواخين ، فيقال : كندمانى جذيمة وقد دامت لهما
رتبة المنادمة - كما قيل - أربعين سنة .

(٢) روى حديثه هذا أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم . ولحديثه هذا
عند الحفاظ في الإصابة تخريجات عديدة فراجعها في ترجمة غيلان .

العراق : بل يُنسك التي تزوّجَ أولاً ، ثم التي تليها إلى الرابعة^(١) ، واحتج فقهاء الحجاز بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصله أيتن تزوّجَ أوّل ، وتركه للاستفصال دليل على أنه مُخَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلاً من أصول العموم ، فقال أبو المعالي في كتاب البُرْهان : ترك الاستفصال في حكايات الأحوال مع الاحتمال يقتزل منزلة العموم في المقال ، كحديث غَيْلَان . وَغَيْلَانُ هذا هو الذي قدّم على كسرى ، فسأله أى ولده أحب إليه ؟ فقال غيلان : الغائب حتى يُقدّم ، والمرضى حتى يُفيق ، والصغير حتى يكبر ، فقال له كسرى : ما غذاؤك في بلدك ؟ قال : الخبز : قال : هذا عقل الخبز ، تفضيلاً لعقله على عقول أهل الورى ، ونسب للبرد هذه الحكاية مع كسرى إلى هَوَذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحَنْفِيّ ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه ، وكذلك قال أبو الفَرَج .

بادية بنت غيلان :

وأما بادية بنته ، فقد قيل فيها : بادية بالذنوب ، والصحيح بالياء ، وكذلك روى عن مالك ، وهي التي قال فيها هيتُ الحنثُ لعبد الله بن أبي أمية : إن فتح الله عليكم الطائف ، فإن أدلك على بادية بنت غيلان ، فإنها تُقبلُ بأربع وتُدبرُ بثمان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قاتلك

(١) يقول أبو حنيفة : إن تزوجن في عقد واحد فسد نكاح الجميع ، وإن تزوجن متربات ثبت نكاح الأربع ، وفسد نكاح من بعدهن ، ولا تخيير ، أما الجمهور فعلى التخيير .

اللهُ لقد أَمَعَنْتَ النَّظَرَ ، وقال : لا يدخلن هؤلاء عليكم^(١) ثم نفاه إلى روضة خايخ ، فقيل : إنه يموت بها جوعاً فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس ، ويُروى في الحديث زيادةٌ لم تقع في الصحيح بعد قوله : وتُدبر بَئمان^(٢) مع تَغْرِ كالأَفْجَوَانِ ، إن قامت تَمَنَّتٌ ، وإن قعدت تَبَنَّتْ^(٣) ، وإن تكلمت تَغَنَّتْ ، يعني من الغَنَّةِ ، والأصل تَغَنَّنَتْ ، فقلبت لإحدى النونين ياء ، وهي هيفاء^(٤) شَمُوع نَجَلَاءُ كما قال قيسُ بن الخطيم :

يَهْفَاءُ فَرَعَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانَغٍ قَصِيفُ

(١) الرواية في صحيح البخارى : لا يدخل عليكم . هذا ولم تسم بادية في صحيح البخارى . وحديث هيت عند مسلم وأبي داود والنسائي دون تسميته .

(٢) يعنى - كما قال القالى فى الامالى - أنها تقبل بأربع عكن ، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عسكة طرفين ، فصارت ثمانية ص ١٦٠ ، ج ١ الامالى . والممكنة : العلى الذى فى البطن من السمن .

(٣) أى فرجت رجلها لضخم ركبها كأنه شبهها بالقبة من الادم وهى المبناة اسمها وكثرة لحها ، وقيل : شبهها بها إذا ضربت وطنت انفرجت وكذلك هذه إذا قعدت تربعت وفرجت رجلها والنهاية لابن الاثير ، وقيل من تبنت الناقة إذا باعدت ما بين فخذيهما عند الحلب ص ٢٢٢ سمط اللالى .

(٤) فى سمط البكرى : فإنها مبتلة هيفاء شموع نجلاء تناصف وجهها فى القسامة ، وتجزأ معتدلا فى الوسامة . وقد تسب هذا الوصف لنعيمان المخنز وهو يصف عائشة بنت طلحة ص ٢١١ سمط اللالى .

تَنْتَرِقُ الطَّرْفَ ، وهى لاهِيَةٌ كأنما شَفَّ وَجْهَهَا نُرْفُ^(١)
تَنَامُ عن كبر شأنها فإذا قَا مت رُوَيْدًا تسكاد تَنْغَرِفُ^(٢)
وفى هذا البيت صَحَّفَ ابنُ دُرَيْدٍ أَعْنَى قَوْلِهِ : تَنْغَرِقُ ، فقال هو بالعين
المهملة ، حتى هُجِيَ بذلك^(٣) ، فقليل :
أَسْتَقِدُّمَا جَعَلَتْ تَنْغَرِقُ الطَّرْفَ بِجَمَلٍ مَكَانَ تَنْغَرِقُ
وَقُلْتُ : كَانَ الْخِلْبَاءُ مِنْ أَدَمٍ وَهُوَ حِبَالٌ يَهْدَى وَيُصْطَدَّقُ^(٤)

(١) بعده :

بين شكل النساء خلقتها قصد فلا جملة ولا نصف
وقد ضبطت نرف في اللسان كما ذكرت . والنرف الاسم من نرف فلان دمه
ومن نرفه الدم ينرفه إذا خرج منه كثيراً . والنرف : الضعف الحادث عن ذلك .
أما في البيت ، فقد قال ابن الأعرابي : من الضعف والانهار — ولم يزد على ذلك
قال غيره : النرف هنا الجرح الذى ينرف عنه دم الإنسان ، وقال أبو منصور :
أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف . ومعنى تغرق : تستغرق عيون
الناس بالنظر إليها ، وهى غافلة ثم هى رقيقة المحاسن كأن دمها ودم وجهها نرف
والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لانه ذهب تهيج الدم ، فصارت رقيقة
المحاسن . اللسان مادة غرق ومادة نرف . ،
(٢) تثني أو تنقص من دقة خبرها .

(٣) هجاء المفجع البصرى ، وقد تقدم ذكر هذا عند الحديث عن جنب ،
(٤) ذكره الشيخ بدر الدين الزركشى فى كرامته له سماها : عمل من طب لمن
حب ، وروى البيت الاول هكذا :

ألمست بما صحفت تغرق الط ر ف بجم — فقلت تغرق
ورواه التيجاني فى تحفة العروس :

ألم تصحف ، فقلت تغرق الط ر ف بجم — مكان تغرق
ص ٣٦٦ ٢٦ المزهري للسيوطي .

وكان صَدَفَ أيضاً قول مُهَلْمَل ، فقال فيه : الخَبَاءُ ^(١) ، وبادية هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له جُوَيْرِيَّة وهي امرأة المِسْوَر ابن مَخْرَمَةَ .

المختومون الذين كانوا بالمدينة :

وكان المَخْتَمُونَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : هَيْتٌ هذا ، وَهَرَمٌ وَمَاتِيعٌ ^(٢) ، وإِناه ، ولم يكونوا يُزَنُّونَ بالفَاحِشَةَ الكُبْرَى ، وإنما كان تأنيدهم إيماءاً في القول وخِضَاباً في الأيدي والأرجُلِ كخِضَابِ النِّسَاءِ ، ولعباً كَلَمَبِينَ ، وربما لعبَ بعضهم بالكُرْجِ ^(٣) ، وفي مراسيل أبي داود أن عُمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ الله عنه ، رأى لاعباً يلعب بالكُرْجِ ، فقال : لولا أني رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهدِ النبي - صلى الله عليه وسلم - لَنَفَيْتُهُ من المدينة .

عَيْنَةٌ

وذكر عَيْنَةُ بن حِصْنٍ ، واسمه : حُذَيْفَةُ ، وإنما قيل له : عَيْنَةُ لِشَرِّه كان بعيته .

العبيد الذين نزلوا من معصن الطائف

وذكر العبيد الذين نزلوا من الطائف ، ولم يُسمِّهم ، ومنهم أبو بَكْرَةَ

(١) سبق قول مهمل عند الحديث عن جنب .

(٢) ذكرهم البكري في السطح ص ٤٢١ وقد نقله الحافظ في الإصابة عن البكري وقال : هدم بالدال .

(٣) دخيل معرب كره لا أصل له في العربية وهو مثل المهر يتخذ ليلعب وليه ، ولهذا نسب إليه المختف ف قيل عنه : الكرجي .

نُفَيْعُ بْنُ مَسْرُوحٍ تَدَلَّى مِنْ سُورِ الطَّائِفِ عَلَى بَكْرِهٖ ، فَكَفَى أَبَا بَكْرٍ ،
وهو من أفاضل الصحابة ، ومات بالبصرة ، ومنهم الأزرق ، وكان عبداً
للعنبر بن كندة المصطفي ، وهو زوج ثُمَيْمَةَ مَوْلَاةِ الْحَارِثِ أُمِّ زِيَادِ
ابن أَبِي سُفْيَانَ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَبَنُو سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَلَهُمْ
صِدَّتٌ وَذِكْرٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَدْ انْتَسَبُوا إِلَى غَسَّانَ ، وَغَلَطَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ،
فَجَعَلَ ثُمَيْمَةَ هَذِهِ الْمَذْكُورَةَ أُمَّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَجَعَلَ سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ
أَخَا عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ لِأُمِّهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَزْرَقَ خَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ ، فَأَسْلَمَ
وَتُمَيْمَةُ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بَرْمَانَ قَتَلَهَا أَبُو جَهْلٍ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ تَحْتَ يَاسِرٍ
أَبِي عَمَّارٍ ، كَمَا تَقْدُمُ فِي بَابِ الْمُنَبِّئِ . فَتَبَيَّنَ غَلَطُ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَوَهْمُهُ ، وَكَذَلِكَ
قَالَ أَبُو عُمرٍ النَّصْمَرِيُّ كَمَا قُلْتُ . وَمَنْ أَوْلَتْكَ الْعَبِيدُ : الْمُنَبِّئُ ، وَكَانَ اسْمُهُ
الْمُضْطَّجِعُ ، فَبَدَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَهُ ، وَكَانَ عَبْدًا لِعُمَانَ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ مُعْتَبِرٍ .

ومنهم يُحَنِّسُ النَّبَّالُ ، وَكَانَ عَبْدًا لِبَعْضِ آلِ يَسَارٍ .

ومنهم : وَرْدَانُ بْنُ جَدَّةِ الْفَرَاتِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَرْدَانَ ، وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
رَبِيعَةَ بْنِ خَرْشَةَ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ جَابِرٍ ، وَكَانَ أَيْضًا خَلِيشَةً ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَاءَهُ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ إِسَادَتِهِمْ ، حِينَ أَسْلَمُوا . كُلُّ هَذَا
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنِ هِشَامٍ ^(١) .

(١) منهم : يسار ، وأبو السائب . ومرزوق . ص ٤١٨ إمتاع الأسماع
للقريري .

وذكر أبو عمر فيهم نافع بن مشروح، وهو أخو نفع بن أبي هكزة، ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث بن كلفة .

وذكر ابن سلام فيهم نافعاً مولى غيلان بن سلمة الثقفي، وذكر أن ولده رجع إلى غيلان حين أسلم وأحسبه وهما من ابن سلام، أو يمين رواه عنه، وإنما المعروف نافع بن غيلان، والله أعلم .

من نسب بجير بن زهير :

وذكر شعير بجير بن زهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى : ربيعة ، وهو من بني لاطم بن عثمان ، وهم مزينة ، عرفوا بأهمهم ، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وبرة ، وأن أختها الخوالب ، وبها سمي ماء الخوالب ، وعثمان هو ابن أدد بن طابخة .

مول شعير بجير :

وقوله :

كانت علالة يوم بطن حنين

هذا من الإقواء الذي تقدم ذكره ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر القيم الأول من السكامل ، وهو الذي كان الأصمعي يسميه المقعد^(١) .

(١) وكذلك كان يسميه الخليل لنقصانه من عروض البيت قوة . وأبو ذر الحسني يقرأ حينئذ مصفرة أى يتضعيف للياء مع كسرها مصفرة ، وبهذا لا يكون في البيت لإقواء .

وقوله: كانت عَلَالَةً. العُلَالَةُ: جَرَى بعد جَرَى، أو قَعَالَ بعد قَعَالَ^(١)، يريد: أن هَوَازِنَ جمعت بَجَمْعِهَا عَلَالَةً في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عَلَالَةٍ ضرورةً، وأضمر في كالت اسمها، وهو القصة، وإن كانت الرّواية بمنخفض يومٍ، فهو أولى من التزام الضّرورة القبيحة بالنّصب، ولكنّ أَلْفِيَّتُهُ في النسخة البعيدة، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في عَلَالَةٍ أن يكون منصوباً على خبر كان، فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره، ويجوز الرفع في عَلَالَةٍ مع إضافتها إلى يوم على أن تسكون كان تامةً مكثفةً باسم واحدٍ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل بَرَّةٍ وفجَارٍ^(٢)، وينصب يومٌ على الظرف كما تقيّد في النسخة.

وقوله: ترتد حَسْرَانَا، جمع: حَسِير وهو السكّابيل. والرّجْراجة: السكّابية الضيّقة من الرّجْرجَةِ، وهي شدّة الحركة والاضطراب. وفَيَاقٍ: من الفَيْق، وهي الداهية. والهرّاس: شوْك معروف والضّراء: الكلاب، وهي إذا مشّت في الهرّاس ابتغت لأيديها موضعاً، ثم تضع أرجلها في موضع أيديها، شبّه الخيل بها. والفُدُر: الوُعول المُسِنَّة. والنّهي: القدير، سمي بذلك، لأنه ماء نهأه ما ارتفع من الأرض عن السّيلان فوقف.

(١) وهي من العلل: الشرب بعد الشرب، وأراد به هاهنا معنى التسكرار كما قال أبو ذر ص ٤١٠.

(٢) فجار اسم للفجرة والفجور مثل قظام، وهو معرفة علم غير مصروف وبرة كذلك اسم علم غير مصروف بمعنى البر، قال النابغة:
إنا اقتسمنا خططينا بيننا فحملت برة واحتملت فجار

وقوله : جُدُلٌ : جمع جَدَلَاءَ ، وهى الشديدة الفَقْل ، ومن رَوَاه : جَدُلٍ ،
فمعناه : ذات جَدُلٍ .

وقوله : وآل مُحَرَّقٍ يعنى عُمرَ بنِ هِنْدٍ ملكَ الحِمْيَرِ ، وقد تقدم فى أول
الكتاب سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِمُحَرَّقٍ ، وفى زمانه وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم قِيَامًا ذَكَرُوا - والله أعلم .

ومنا ومسح ظهر آدم :

فصل : وذكر انصراف النبي صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دَحْنًا .
ودَحْنًا هذه هى التى خُلِقَ من تُرْبِهَا آدمُ صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه ، وفى
الحديث : إن الله خلق آدمَ من دَحْنًا ، ومسح ظهره بِدَعْمَانِ الْأَرَاكِ^(١) رَوَاه
ابنُ عَبَّاسٍ ، وكان مسحُ ظهرِ آدمَ بعد خروجه من الجنة باتفاقٍ من الروايات ،
واختلفت الروايةُ فى مسحِ ظهره ، فَرَوَى ما تقدم ، وهو أصح ، وروى أن

(١) قال البكرى : موضع سيف البحر ، وفى اللسان : بين الطائف ومكة ،
وعند ياقوت أنها من مخاليف الطائف : ويرى البكرى أن ابن إسحاق أراد أنه
سلك على وحي ، إذ ليس فى الطائف سيف بحر . ونعمان : وادى عرفة دونها إلى
منى ، وهو كثير الأراك . وفى ياقوت : واد يَنْبِت - أى يَنْبِت الأراك - ويصب
إلى ودان بلد غزاة النبی وهو بين مكة والطائف ، يسكنه هذيل ، ومعجم ياقوت
وكتابه المشترك وضعاً ، وزعمه أن الله خلق آدمَ من دَحْنًا قول لا يشته سند
صحيح . ويخالف ما رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من
أن الله خلق آدمَ من قبضة قبضها من جميع الأرض . ثم : ألا يسكتنا ماورد فى
القرآن .

ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض ، وهو قول السدي ، وكلتا الروایتين ذكرهما الطبري .

وقوله : حتى نزل الجِعْرَانَةُ ، بسكون العين فيها هو أصح الروایتين ، وقد ذكر الخطابي أن كثيراً من أهل الحديث يشددون الراء^(١) ، وقد ذكر أن المرأة التي تَقَضَّتْ غَزْلاً من بعد قُوَّةٍ كانت تُلقَّب بالجِعْرَانَةُ ، واسمها : رَيْطَةُ بنت سعد ، وأن الموضع يسمى بها ، والله أعلم .

مول قول زهير أبي صرد :

فصل : وذكر زهيراً أبا صرد ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : ولو أنا مَلَحْنَا للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، وقد تقدم في أول الكتاب التعريف بالحارث والنعمان ، ومَلَحْنَا : أَرْضَعْنَا ، والمِلْعُ : الرضاع قال الشاعر :

فلا يُبْعِدُ اللهُ رَبَّ العِبا دِ والمِلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً

مُ المَطِعمُ الضَّيفُ شَجَمَ السَّنَا مِ والكاسِرُ وَاللَّيْلَةُ البَارِدَةُ

وَمُ يَكْسِرُونَ صُدُورَ القَنَا بَاتِلِيلٍ تُطْرَدُ أَوْ طَارِدَةٌ

فإن يكن الموتُ أفتانهم فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الوَالِدَةَ

وأما زهير الذي ذكره فهو ابن صرد يُكنى أبا صرد ، وقيل أبا جرد ،

(١) بكسر الجيم والعين وتشديد الراء هكذا يقوله المراقبون ، أما الحجازيون فيخففون ، فيقولونها بالاضبط الأول . وكذلك الحديبية ، المراقبون يشددون ، والحجازيون يخففون .

وكان من رؤساء بنى جُشَم ، ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم في رواية البسكائى وذكره في رواية إبراهيم بن سمد عنه وهو :

أُمنن علينا رَسُولَ اللَّهِ في كَرَمٍ فإنك الرءُ نرجوه ونَنْقِظِرُ
أُمنن على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ مُمزَّقٌ شَمَلَهَا في دَهْرٍها غَيْرُ
يا خَيْرَ طِفْلٍ ومَوْلودٍ ومُنْتَخَبٍ في العالمين إذا ما حُصِّلَ البَشَرُ
إن لم تَدَارِكْهُم نِعْماءُ تَنْشُرُها يا أَرْجَحَ الناسِ حِلْمًا حين يُخْتَبَرُ

أُمنن على نِسْوَةٍ قد كنت تَرْضَعُها
إذ فوك تملأه من مَحْضِها الدُّرُ

إذ كنتَ طفلاً صَغِيرًا كُنتَ تَرْضَعُها^(١)

وإذ يَزِينُكَ ما تَأْنِي وما تَدُرُ

لا تَجْعَلُنَا كمن شَاكَ نِعَامَتَهُ واشْتَبَقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعَشَرُ زُهْرٍ

يا خَيْرَ من مَرَحَتِ كُنتَ الجِيَادُ به

عند الهَيَاجِ إذا ما اسْتُوقِدَ الشَّرَرُ

إِنَّا انْشَكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِرْتَ وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ

(١) في البداية : أُمِنَ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا .

إِنَّا نَوْمِلُ عَفْوَكَ مِنْكَ مُتْلِيسُهُ (١) هَذِي الْبَرِيَّةَ إِذْ تَعْفُو وَتَذْتَصِرُ
فَاغْفِرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّافِرُ

من أمطام السبابا :

فصل : وذكر ردَّ السَّابَّاءِ إِلَى هَرَّازِنَ ، وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ تَعْلَبْ نَفْسَهُ بِالرَّدِّ
عَوَضَهُ بِمَا كَانَ بِيَدِهِ ، وَاسْتَطَابَ نَفُوسَ الْبَاقِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَقَامِيمَ كَانَتْ قَدْ
وَقَعَتْ فِيهِمْ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الْأَسْرَى بَعْدَ الْقَتْلِ ، وَيَجُوزُ لَهُ
ذَلِكَ قَبْلَ الْمَقَامِيمِ ، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَهْلِ خَيْبَرَ حِينَ مَنَّ
عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ عُمَّالًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِهِمْ الَّتِي افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً ، كَذَلِكَ
قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، قَالَ : وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ ، فَيُرَدِّمَهُمْ إِلَى دَارِ
الْحَرْبِ ، وَلَسَكَنَ عَلَى أَنْ يُوَدُّوا الْجُزْيَةَ ، وَيَكُونُوا تَحْتَ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ ،
قَالَ : وَالْإِمَامُ مُحَيَّرٌ فِي الْأَسْرَى بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْفِدَاءِ وَالْأَمْنِ وَالِاسْتِزْقَاقِ وَالْفِدَاءِ
بِالنَّفُوسِ لَا بِالْمَالِ كَذَلِكَ ، قَالَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ هَذَا فِي الرِّجَالِ ، وَأَمَّا الذَّرَّارِيُّ
وَالنِّسَاءُ ، فَلَيْسَ إِلَّا الْاسْتِزْقَاقُ ، أَوْ الْمُعَادَاةُ بِالنَّفُوسِ دُونَ الْمَالِ كَمَا تَقْدَمُ .

وذكر الجارية التي أُعْطِيَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَأَنَّهُ بَمَثَبِهَا إِلَى أَخْوَالِهِ
مَنْ بَنَى جُحَجَ لِيَصْلُحُوا لَهُ مِنْهَا كَيْ يَصِيدَهَا ، وَهَذَا لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ أُسْلِمَتْ ، لِأَنَّهُ
لَا يَجُوزُ وَطْهُ وَتَذْيِيقُهُ وَلَا مَجُوسِيَّةُ يَمْلِكُ يَمِينٍ ، وَلَا بِنِكَاحٍ حَتَّى تُسَلِّمَ ، وَإِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : مِنْكَ عَفْوَ .

كانت ذات زَوْج ، فلا بد أيضاً من استبرائها ، وأما الكتابيات ، فلا خلاف في جواز وطئهن بملك البين ، وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار إباحة وطء المجوسية والوثنية بملك البين ، وقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى بُؤْمِنُوا ﴾ تحريم عام إلا ما خصصته آية المائدة من الكتابيات ، والنكاح يقع على الوطء بالعقد والملك .

مول سبي منين :

وكان سبئي حُتَيْنِ ستة آلاف راس^(١) ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ولى أبا سفيان بن حرب أمرهم ، وجعله أميناً عليهم ، قاله الزبير ، وفي حديث آخر ذكره الزبير بإسناد حسن أن أبا جهم بن حذيفة العدوي كان على الأنفال يوم حُتَيْنِ ، فجاءه خالد بن البرصاء ، فأخذ من الأنفال زمام شَعْرِ فَمَانِهِ أبو جهم ، فلما تماها ضربه أبو جهم بالقوس فشجّه مُنْقَلَةً^(٢) ، فاستعدي عليه خالد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : خذ خمسين شاة ودعه ، فقال أقدني منه ، فقال خذ مائة ، ودعه ، فقال : أقدني منه ، فقال : خذ خمسين ومائة ودعه ، وليس لك إلا ذلك ، ولا أقصك من والٍ عليك ، فقوّمتم الخمسون والمائة بخمس عشرة فريضة من الإبل ، فمن هنالك جعلت دية المُنْقَلَةِ خمس عشرة فريضة^(٣) .

(١) رُفِيل كان مع هذا من الإبل أربعة وعشرون ألف ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية .

(٢) منقلة كمحدث : الشجرة التي تنقل منها فراش العظام .

(٣) وردت ديتها في حديث صحيفة عمرو بن حزم . الذي قال عنه أبوودارد =

إعطاء المؤلف قلوبهم صد الغنائم :

فصل : وأما إعطاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم المؤانعة قلوبهم من غنائم حنَين حتى تكلمت الأنصار في ذلك ، وكثرت منهم القالة ، وقالت : يُعطى صناديد العرب ولا يُعطينا ، وأسيفنا تقطر من دمايهم ، فلما علماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال : أحدها أنه أعطاهم من خمس الخمس ، وهذا القول مرزود لأن خمس الخمس ملك له ولا كلام لأحد فيه .

القول الثاني : أنه أعطاهم من رأس الغنيمة ، وأن ذلك خصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى (قل الأنفال لله والرسول) وهذا القول أيضا يرد ما تقدم من نسخ هذه الآية ، وقد تقدم الكلام عليها في غزوة بدر ، غير أن بعض العلماء احتج لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حنين فأيد الله رسوله وأمدّه بملائكته ، فلم يرجعوا حتى كان الفتح ، رد الله تعالى أمر الغنائم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئا وقال لهم : ألا ترضون بما منّ الله عليكم من النصر أن يذهب الفاس بالشاة والبعر ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فطيب نفوسهم بذلك بعد ما فعل ما أمر به .

والقول الثالث : وهو الذي اختاره أبو عبيد أن إعطاهم كان من الخمس حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين .

= لا يصح .. ولا أحدث : وقال ابن حزم في المحلى : صحيفة عمرو بن حزم منقطة لا تامة وم بها حجة . والفريضة : أصلها البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه .

فصل : ومالم يذكر ابن إسحاق يوم حُفْنِ أن خالد بن الوليد أنقل بالجرادة يومئذ ، فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى رَحْلِ خَالِدٍ حَتَّى دُلَّ عَلَيْهِ ، فوجده قد أُسْنِدَ إِلَى مُؤَخَّرَةِ رَحْلِهِ ، فَنَفَثَ عَلَى جُرْحِهِ فَبَرَّيَ ، ذكره الكشي .

وصف عجموز ابن مصعب :

فصل : وذكر عِيَيْسَةَ بن حِصْنٍ ، وقول زُهَيْر بن صُرْدٍ له في العَجُوزِ التي أخذها : مَا فُوهَا بِبَارِدٍ ، وَلَا تَدِيْهَا بِبَاهِدٍ ، وَلَا دَرُّهَا بِمَكِيدٍ ، ويقال أيضاً بِمَكِيدٍ ، يريد : أيسر بغزيرة الدَّرِّ ، والنُّوقُ النُّكْدُ : الغزيراتُ اللَّابِنُ ، وأحسبه من الأضداد ، لأنه قد يقال أيضاً نَكِيدَ لِبَنُهَا إِذَا نَقَصَ ، قاله صاحب المِمين ، والصحيح عند أكثرهم أن النُّكْدَ هي القليلات اللَّابِنُ من قوله عز وجل : (لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا) وأن المَكْدَ بالميم هي الغزيراتُ اللَّابِنُ ، قال ابن مراح ، لأنه من مَكْدَ في المكان إِذَا أَقَامَ فِيهِ ، وقد يقال أيضاً : نَكِيدَ في معنى مَكْدَ ، أي ثَبَتَ .

الأفرع بن حابس :

وذكر الأفرع بن حابس ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حَسَنَ إسلامه بعد ، وهو الذي قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله ؟ قال : لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ ، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أَقْطَعَ أَبَيْضَ بنَ تَمَّالٍ الماء الذي

بمأرب : أتدرى ما أقطعته يا رسول الله ؟ إنما أقطعته الماء المد^(١) ، فاسترجعه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو حديث مشهور ، غير أنه لم يُسمَّ قائل هذا الكلام فيه إلا الدارقطني في روايته ، وزاد فيه أيضاً : قل أبيض : على أن يكون صدقة مني يا رسول الله على المسلمين ، فقال : نعم ، وأما نسب الأقرع بن حابس ، فهو ابن حابس بن عقّال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشع [بن دارم] التميمي المَجاشعي الدارمي ، وأما عيينة ، فاسمه : حذيفة بن حِصن بن حذيفة بن بدر الغزاري ، وقد تقدم ذكره .

مالك بن عوف :

فصل : وذكر تولية النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على ثُمالة وبنى سلمة وفهم . وثُمالة هم بنو أسلم بن أحن بن أمهم : ثُمالة . وقول أبي مُحجّن فيه :

هابت الأعداء جانباً ثم تغزونا بنو سلمة

هكذا تقيّد في النسخة بكسر اللام ، والمعروف في قبائل قيس : سلمة بالفتح إلا أن يكونوا من الأزدي ، فإن ثُمالة المذكورين معهم حتى من الأزدي وفهم من دؤس ، وهم من الأزدي أيضاً ، وأمهم : جديلة وهي من غطفان بن قيس بن غيلان ، على أنه لا يعرف في الأزدي سلمة إلا في الأنصار ، وهم من

(١) أي الدائم الذي لا انقطاع لمادته ، وجمعه : أعداد . وقد روى حديثه هذا أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجة وابن حبان في صحيحه

الأزد وسَلَمَةُ أَيْضاً فِي جُعْفَى هَمْ ، وَسَلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ ذُهَلٍ بْنِ مُرَّانٍ بْنِ جُعْفَى ، وَسَلَمَةُ فِي جُهَيْنَةَ أَيْضاً سَلَمَةُ بْنُ تَعْمَرٍ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ وَجُعْفَى مِنْ مَذْحِجٍ ، وَجُهَيْنَةُ مِنْ قُضَاعَةَ (١) .

وَأَمَّا مَخْجَنُ ، فَاسْمُهُ : مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَقِيلَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُمَيْرٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ قَيْسِ الثَّقَفِيِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُ أَخْجَنٍ عِنْدَ ذِكْرِنَا لَهَبِ بْنِ أَخْجَنٍ قَبْلَ بَابِ الْمَبْعَثِ .

وَذَكَرَ أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْسُكَكُ ، وَاسْمُهُ : حَبَّةُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ شَاعِراً وَحَدِيثُهُ مَعَ سُبَيْحَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ حِينَ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا مَذْكُورٌ فِي الصَّحَّاحِ (٢) .

قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُرْدَاسٍ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنْتَ الْقَائِلُ : فَأَصْبَحَ نَهْيٌ وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ بْنِ الْأَقْرَعِ وَعُمَيْيْنَةَ ؟

(١) فِي الْقَامُوسِ : وَبَنُو سَلَمَةَ بَطْنٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَابْنُ كَهْلَادٍ فِي بَحْيَلَةٍ ، وَابْنُ الْحَارِثِ فِي كَنْدَةَ ، وَابْنُ عَمْرٍو بْنِ ذُهَلٍ ، وَابْنُ غَطَفَانَ بْنِ قَيْسٍ وَهَمِيرَةَ ابْنُ خُثَافٍ بْنِ سَلَمَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ الْبَدْرِيُّ الْأَحْدَى . وَعَمْرٍو بْنُ سَلَمَةَ الْمَهْدَنِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ ، وَأَخْطَأَ الْجَوْهَرِيُّ فِي قَوْلِهِ : وَابْنُ سَلَمَةَ فِي الْعَرَبِ غَيْرَ بَطْنِ الْأَنْصَارِ ، وَقَدْ نَقَلَ اللِّسَانُ قَوْلَ الْجَوْهَرِيِّ وَلَمْ يَتَّبِعْ عَلَيْهِ .

(٢) لَمَّا مَاتَ زَوْجُ سَبِيْعَةَ وَضَعَتْ حَمْلَهَا وَتَهَيَّأَتْ لِلْخُطَابِ ، فَأَنكَرَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ ، وَقَالَ : حَتَّى تَعْتَدِي أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْلَمَهَا أَنَّ قَدْ حَلَّتْ . هَذَا مَا رَوَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ . أَقُولُ : وَفِي الْقُرْآنِ عَنْ عِدَّةِ ذَاتِ الْحَمْلِ : (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) . وَقَدْ رَوَى أَنَّهَا وَلَدَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِنِصْفِ شَهْرٍ . وَقَدْ أَخْرَجَ قِصَّةَ سَبِيْعَةَ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَفِي الْأَصْلِ عَنْ نَسَبِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ .

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَةَ والأَفْرَع ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ، بمعنى في المعنى ، وأما في الفصاحة ، فالذي أُجْرِيَ على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الأَفْصَحُ في تنزيل الكلام وترتيبه ، وذلك أن القَبْلِيَّةَ تكون بالفضل نحو قوله تعالى : ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ﴾ وتكون بالرتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى ، فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة ، فهم في الرتبة قبل النصارى ، وقَبْلِيَّةَ بالزمان نحو ذكر التَّوْرَةِ والإنجيلِ بعده ونوحاً وإبراهيم ، وقَبْلِيَّةَ بالسَّبَب ، وهو أن يَذْكُرَ ما هو عِلَّةُ الشَّيْءِ وَسَبَبُ وجوده ، ثم يَذْكُرُ المُسَبَّبَ بعده ، وهو كثير في الكلام مثل أن يَذْكُرَ مَمْصِيَّةً وَعِقَاباً أو طَاعَةً وَثَوَاباً فالأجود في حكم الفصاحة تقديم السبب.

القَبْلِيَّةُ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ :

والأَفْرَعُ وَعُيَيْنَةُ من باب قَبْلِيَّةِ التَّوَرَتَةِ ، وقَبْلِيَّةِ الْفَضْلِ ، أما قَبْلِيَّةُ الرُّتْبَةِ فإنه من خِنْدَفٍ ، ثم من نبي تَمِيمٍ ، فهو أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عُيَيْنَةَ ، فترتب في الذكر قبله ، وأما قَبْلِيَّةُ الْفَضْلِ ، فإن الأَفْرَعِ حَسَنُ إِسْلَامِهِ وَعُيَيْنَةُ لَمْ يَزَلْ مَعْدُوداً فِي أَهْلِ الْجَفَاءِ حَتَّى ارْتَدَّ وَأَمِنَ بِطُلُوحَةِ ، وَأَخِذَ ، أَسِيرًا فَعَمِلَ الصَّبْيَانُ يَقُولُونَ لَهُ - وَهُوَ يَسَاقُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - وَيَحْكُمُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ارْتَدَدْتَ بَعْدَ إِيمَانِكَ ، فيقول : والله ما كنت آمنتم ، ثم أسلم في الظاهر ، ولم يزل جافياً أحمق حتى مات ،

وَبِحَسْبِكَ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ : الْأَحَقُّ الْمَطَاعُ ^(١) وَمَا يَذْكُرُ مِنْ جَفَائِهِ أَنْ تَعْمُرُوا بَيْنَ مَعْدِي كَرِيبَ نَزَلَ بِهِ ضَيْقًا ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ : هَلْ لَكَ فِي الْخُرِّ نَتْنًا دُمٌ عَلَيْهَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : أَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةً فِي الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ عُيَيْنَةُ : إِنَّمَا قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ، فَهَلْنَا نَحْنُ : لَا ، فَشَرِبَا .

حديث ذى الخويصرة

وَذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الْخَوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ ، وَمَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي شِيعَتِهِ ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : يَخْرُجُ مِنْ ضَيْضِي قَوْمٌ تَحْمُرُونَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ الْحَدِيثُ ^(٢) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَظَهَرَ صِدْقُ الْحَدِيثِ فِي الْخَوَارِجِ ، وَكَانَ أَوْلَاهُمْ مِنْ ضَيْضِي ذَلِكَ الرَّجُلِ ، أَيْ : مَنْ أَصْلِهِ ، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ تَجْدِيدِ التِّي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْهَا يُطْلَعُ قَرْنُ

(١) رواه سعيد بن منصور والطبراني . لأنه كان قد دخل على النبي (ص) بدون استئذان ، وعنده عائشة فقال : من هذه الجليلة إلى جانبك ؟ قال : عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها يعني لمرأتك ؟ فقال له النبي : أخرج فاستأذن ، فقال : إنها يمين على ألا استأذن على مضرى . فقالت عائشة من هذا ؟ فقال لاحق المطاع . وقد ذكر الشافعي في كتاب الام في باب من كتاب الركاز أن عمر قتل عيينة على الردة .

(٢) أصل الحديث في الصحيحين .

الشَّيْطَانِ ، فَسَكَانَ بِدَوْنِهِمْ مِنْ ذِي الْخَوْبِ مِرْقَةٍ ، وَكَانَ آيَتُهُمْ ذُو الشُّدْبَةِ الَّذِي قَتَلَهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَكَانَتْ لِأَحَدِي يَدِهِ كَتْدَى الْمَرْأَةِ ، وَاسِمَ ذِي الشُّدْبَةِ نَافِعَ ، ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَغَيْرُهُ يَقُولُ اسْمُهُ : حُرْقُوصُ [بِنِ زَهْرٍ] ^(١) وَقَوْلُ أَبِي دَاوُدَ أَصَحُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شعر مساره في عتابه صلى الله عليه وسلم :

وذكر شعر حسان وفيه :

هَيْفَاءَ لَا ذَنْنٌ فِيهَا وَلَا خَوَرٌ

الذَّنُّ : الْعَذْرُ وَالْغَفْلُ ، وَالذَّنِينُ الْخَطَا ، وَالذَّنُّ أَيْضاً أَلَّا يَنْقَطِعَ حَيْضُ الْمَرْأَةِ ، يُقَالُ : امْرَأَةٌ ذَنَاءٌ ، وَلَوْ رَوَى بِالْدَالِ الْمُهْمَلَةِ لَسَكَانٌ جَيْدٌ أَيْضاً ، فَإِنَّ الذَّنَّ بِالْدَالِ هُوَ قَصْرُ الْعُنُقِ وَتَطَامُنُهَا ، وَهُوَ عَيْبٌ . وَالْبَهْكَةُ : الضَّخْمَةُ .

مول عتاب النبي للأَنْصَارِ :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأَنْصَارِ : مَا قَالَتْ بِلِقَائِي

(١) كَذَا فِي الْقَامُوسِ ، وَفِي الْمَللِ وَالنَّحْلِ ، لِشَهْرِسْتَانِي ، وَهُوَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْأُولَى الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاجْتَمَعُوا بِمَجْرُورٍ قَرِيبَ بَظَاهِرِ السَّكُوفَةِ . وَيَقُولُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ نَبَا رَوَاهُ الصَّحِيحَانِ عَنْ الْخَوَارِجِ : آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ لِأَحَدِي عَصْدِيهِ مِثْلُ تَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلِ الْبِضْعَةِ تَدْرُدُ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتِلُهُمْ . وَأَنَا مَعَهُ ، وَأَمْرٌ بِذَلِكَ الرَّجُلِ قَاتِلُهُمْ ، فَأَتَى بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتُ ، .

عنكم وجِدَّةٌ رَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ، هَكَذَا الرِّوَايَةُ : جِدَّةٌ وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ
اللُّغَةِ : مَوْجِدَّةٌ إِذَا أُرِدَتْ الْفَضْبُ ، وَإِنَّمَا الْجِدَّةُ فِي الْمَالِ .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا قَاتَلْتُ بِهَا قَوْمًا ، يُسَلِّمُوا . اللَّعَاعَةُ
بَقْلَةٌ نَاعِمَةٌ ، وَهَذَا نَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْمَالُ خُلُوتٌ خَضِرَةٌ ، وَاللُّعَاعَةُ مِنْ
هَذَا الْمَعْنَى ، وَهِيَ الْمُرَاةُ الْمَلِيحَةُ التَّعْفِيفَةُ ، وَاللُّعْلُعُ : التَّسَرُّبُ ، وَلُعَاعُهُ : بَصِيصُهُ ^(١) .

جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ :

وَذَكَرَ جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِ :
وَوَكَلْتُ جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ . نَسَبُ ابْنِ إِسْحَاقَ جُعَيْلًا إِلَى ضَمَرَةَ ،
وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي غِفَّارٍ ، لِأَنَّهُ غِفَّارٌ ، هُمْ بَنُو مُنَائِلَ بْنِ ضَمَرَةَ مِنْ بَنِي لَيْثَ بْنِ بَكْرٍ
ابْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ . وَأَمَّا حَدِيثُ التَّيْمِيِّ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ أُعْطِيَ الْمُوَافَقَةَ قُلُوبُهُمْ : لَمْ أُرَكَ عِدَّتٌ ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
ثُمَّ قَالَ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْقَدْلُ عِنْدِي ، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ ؟ وَقَالَ أَيْضًا : إِنِّي أَرَى
قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيَا مَنُنِي اللَّهُ فِي السَّمَاءِ ،
وَلَا تَأْمَنُونِي ، أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالْجُلُّ هُوَ ذُو الْخُلُوفِ صِرَّةً ، كَذَلِكَ
جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ ^(٢) .

(١) فِي اللِّسَانِ : وَلُعَاعُ الشَّمْسِ : الْمَرَابُ ، وَالْأَكْثَرُ : لُعَابُ الشَّمْسِ وَاللُّعْلُعُ :
الْمَرَابُ ، وَاللُّعْلُعُ : بَصِيصُهُ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَ اسْمُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ : ذُو الْخُلُوفِ صِرَّةً رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ .

ويذكر عن الواقدي أنه قال : هو حُرْقُوصُ بن زُهَيْر السَّعْدِي من سَدِ
نَمِيم ، وقد كان حُرْقُوصٍ هذا مشاهد محمود في حَرْبِ العراق مع الفُرس أيام
عُمَرَ ، ثم كان خارجياً ، وفيه يقول نحيبة الخارجي :

حتى ألقى في الفِرْدَوْسِ حُرْقُوصاً

ولذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون من ضِئْضِئِهِ
قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وذكر صفته الخوارج ، وليس
ذو الخُوَيْصِرَةِ هذا ذا النَّدْبَةِ الذي قتله عليٌّ بالنَّهْرِ ، وأن ذلك اسمه نافعٌ ، ذكره
أبو داود ، وكلام الواقدي حكاه ابن الطلاع في الأحكام له .

شعر بجبر وكعب ابني زهير :

فصل : وذكر قصّة بُجَيْرِ بن زُهَيْرِ بن أَبِي سَلَمَى ، واسم أبي سَلَمَى :
ربيعة بن رِيَّاح أحد بني مُزَيْنَةَ .

وفي شعر كعب إلى أخيه بجبر :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَارِوِيَّةَ

ويُروى : الحمودُ في غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالحمود : محمداً
- صلى الله عليه وسلم - وكذلك المأمون والأمين كانت قریش تسمى بهما
النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

وقوله لأخيه بُجَيْرِ :

على خُلقٍ لم تُنفِ أمّا ولا أباً عليه، ولم تُدرك عليه أخاً لَكَا^(١)

إنما قال ذلك ، لأن أمهما واحدة ، وهي كنبشة بنت عَمَّار الشَّحِيمِيَّة
فيما ذكر ابن الأعرابي عن ابن السكلي .

وقوله : إِمَّا عَثَرْتَ أَمَّا لَكَا ، كلمة تقال للماتر دعاء له بالإقالة . قال الأعشى :

فالتَّمَسُّ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ أَمَّا لَهَا^(٢)
وأنشد أبو عبيد :

فلا لَمَّا لبني فعلان إِذْ عَثَرُوا

وقول بُخَيْر .

ودين زُهَيْر وهو لاشيء ، دينه

روايةٌ مستقيمة ، وقد رواه القالي ، فقال : وهو لاشيء غيره ، وفسره
على التقديم والتأخير أراد : ودين زهير غيره ، وهو لاشيء . ورواية ابن إسحاق
أبعد من الإشكال وأصح ، والله أعلم .

وكعب هذا من خول الشعراء هو وأبوه زُهَيْرٌ ، وكذلك ابنه عُمَيْةُ

(١) في السيرة : .

على خلقٍ لم ألف يوماً أباه عليه وما تلقى عليه أباً لَكَا

(٢) البيت في اللسان هكذا :

بذات لوث عفناة إِذَا عَثَرْتَ فالتَّمَسُّ أدنى لها من أَنْ أقول لها

وكذلك هو في معجم ابن فارس ، وفي ديوان الأعشى . وفي نوادر أبي زيد

ابن كعب بن زهير يُعرف عُقْبَةُ بِالْمَضْرَبِ ، وابن عُقْبَةُ الْعَوَّامُ (١) شاعرٌ
أيضاً ، وهو الذى يقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَمَيَّزَ بَعْدَنَا مَلَا حَةَ عَيْنِي أُمِّ عَمْرِ وَوَجِيدُهَا
وَهَلْ بَلَّيْتُ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ أَلَا حَبَذَ أَخْلَاقُهَا وَجَدِيدُهَا (٢)
وَمَا يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجَادُ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ :

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي سَعَى الْفَتَى وَهُوَ مُحْبُودٌ لَهُ الْقَدَرُ
بِسْمِ الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُذَكَّرُهَا فَالْنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُتَشَاوِرُ
وَالرَّهْ مَاعَاشٍ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهَى الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهَى الْأَثَرُ
وقوله :

إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذُمِّي لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ

(١) كان فى عهد بنى العباس . وفى سبط البكرى عنه : شاعر مفلح مقل من
شعراء الحجاز .. والعوام من المعرفين فى الشعر ، لأنهم خمسة شعراء فى نسق ،
وكان ربيعة أبو سلى شاعراً ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٢) بعده :

نظرت إليها نظرة ما يسرنى بها حر أنعام البلاد وسودها
ومن القصيدة فى حماسة أبى تمام :

ونبت سوداء الغميم مريضة فأقبلت من مصر إليها أعودها
فوالله ما أدرى إذا أنا جئتها أبرئها من دائها أم أزيدها

والشعر فى امرأة كاف بها من بنى عبد الله بن غطفان ، فخرج فى ميرة إلى
مصر فعلم أنها مريضة ، فترك مهرته وكر راجعاً إليها . فلما رآته أشارت إليه أن
يرجع إلى مهرته ، فراجع ، فلما مات رثاها بقصيدة منها :

سقى جدثاً بين الغميم وزلفة أحم الذرى واهى العزالي مطبرها
أنظر الحماسة بشرح التبريزى .

فاخسْ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فَيْكَ لِمَسْمُوعِ خَفَا الْقَائِلِ
فَالسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكِلِ
مَقَالَةُ الشَّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْجَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

قصيدة بانث سعاد :

وذكر قصيدته :

بَانَتْ مُسْعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَقْبُولُ

وفيها قوله :

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ

يعنى : انْخَمَزَ ، وَشُجَّتْ كُسِرَتْ مِنْ أَعْلَاهَا لِأَنَّ الشَّجَّةَ لَا تَسْكُونُ إِلَّا
فِي الرَّأْسِ ، وَالشَّبَمُ الْبَرْذُ ، وَأَقْرَطُهُ : أَيْ مَالَاهُ . وَالْبَيْضُ الْيَمَاعِلُ :
السَّحَابُ ، وَقِيلَ : جِبَالُ يَنْجَدِرُ الْمَاءُ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَالْيَمَاعِلُ أَيْضًا : الْقُدْرَانُ ،
وَاحِدُهَا يُقْلَوُ ؛ لِأَنَّهُ يُعِيلُ الْأَرْضَ بِمَائِهِ .

وقوله : يَا وَيْحَهَا^(١) خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا .

أَيْ خُلِطَ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الَّتِي وَصَفَهَا بِهَا مِنَ الْوَلَعِ وَهُوَ

(١) فِي السَّيْرَةِ : لَكُنْهَا .

الخُلف ، والكذب ، والمُطل ، يقال : ساط الدم والشراب إذا ضرب بعضه ببعض . وقال الشاعر يصف عبد الله بن عباس :

صَمُوتٌ إِذَا مَا زَيْنَ الصَّمْتِ أَهْلَهُ وَفَتَّاقُ أَبْنِكَارِ السَّكَّالِمِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا حَوَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ
وَسَيَّطَتْ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدَمِ

والغُول : التي تترامى بالليل . والسَّعْلَةُ ما ترمى بالنَّهَار من الجن ، وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الغُول حيث قال : لا عَدْوَى وَلَا غُولٌ ^(١) ، وليس يعارض هذا ما رُوِيَ من قوله عليه السلام : إِذَا تَقَوَّلْتَ

(١) لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول ، أحمد ومسلم ، عن جابر . والصفر في زعم العرب : حية تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، وأنها تعدى . وقيل أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام ، فأبطله . والهامة تقدم ذكرها . ويقول ابن الأثير : هي من طير الليل ، وقيل : هي البوم وكان العرب يتشاءمون بها ، وقيل : كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقوني ، فإذا أدرك بثأره طارت . وقيل غير ذلك . والغول عند ابن الأثير جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في القلعة تترامى للناس ، فتتغول تغولا ، أي : تتلون تلونا في صور شتى ، وتغولهم أي : تضلهم عن الطريق وتهلكهم .

والنفي إما للوجود ، وإما للزعم . ولم لا يكون للأمرين ١٢ وقد تناول ابن الأثير نفى العدوى بقوله د وقد أبطله الإسلام ، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى ، فأعلمهم النبي دس ، أنه ليس الأمر كذلك ، وإنما الله هو الذي =

الْفِيلَانُ فَارْقَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْأَذَانِ^(١) ، وكذلك حديث أبي أيوب مع الفول حين أخذها ، لأن قوله عليه السلام : لا غُولَ إِنَّمَا أَبْطَلَ بِهِ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَقُولُهُ مِنْ أَخْبَارِهَا وَخُرَافَاتِهَا مَعَهَا

وقوله :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا .

هو : عُرُقُوبُ بْنُ صَخْرٍ مِنَ الْعَمَالِيقِ الَّذِينَ سَكَنُوا يَثْرِبَ ، وَقِيلَ : بَلْ هُوَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ ، وَقَصَّتْهُ فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ مَشْهُورَةٌ حِينَ وَعَدَ أَخَاهُ بَجَنًا نَخْلَةً لَهُ وَعَدَا مِنْ بَعْدِ وَعْدِهِ ، ثُمَّ جَذَّهَا لَيْلًا ، وَلَمْ يُقَطِّعْهُ شَيْئًا .

وَالْتَّبَعِيلُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ ، وَالْحِزَانُ جَمْعُ حَزَنٍ وَهُوَ مَا غَاظَ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْمِيلُ مَا اتَّسَعَ مِنْهَا :

وقوله : تَرْمِي النَّجَادَ ، وَأَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ : تَرْمِي الْغُيُوبَ ، وَهُوَ جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ مَا غَارَ مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مِقْبَلٍ :

لَزِمَ الْغُلَامَ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

وقوله :

حَرَفَ أَبُوهَا أَخُوهَا مِنْ مُهَجَّجَةٍ وَعَمَّهَا خَالُهَا قَوْدَاهُ شَمْلِيلُ
القَوْدَاهُ : الطَّوِيلَةُ الْعُمُقِ . وَالشَّمْلِيلُ : السَّرِيعَةُ . وَالْحَرْفُ : النَّاقَةُ الضَّامِرُ .

== يمرض وينزل الداء ، ولهذا قال في بعض الأحاديث : فمن أَعْدَى الْبَعِيرِ الْأَوَّلُ ، أَيْ : مَنْ أَيْنَ صَارَ فِيهِ الْجَرْبُ ، هَذَا لِأَنَّ الْوَاقِعَ وَالتَّجَرُّبَةَ تَوْكِدَ وَجُودِ الْعَدْوِيِّ (١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَهُوَ ضَعِيفٌ .

وقوله : من مُهَجَّئَةٍ ، أى : من إبل مُهَجَّئَةٍ مُسْتَكْرَمَةٍ هِجَانٍ .

وقوله : أبوها أخوها أى : لإنهما من جنس واحد فى الكَرَم ، وقيل :
 إنها من فَحْلٍ حَلَّ عَلَى أُمِّهِ فَبَاءَتْ بِهِذِهِ النَاقَةَ ، فهو أبوها وأخوها ، وكانت
 للناقَةِ التى هِىَ أُمُّ هَذِهِ بِنْتٍ أُخْرَى مِنَ الْفَحْلِ الْأَكْبَرِ ، فَعَمَّهَا خَالُهَا عَلَى هَذَا ،
 وهو عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ النَّتَاجِ ، والقول الأول ذكره أبو على القَالِي عَنْ أَبِي
 سَعِيدٍ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقوله : أَقْرَابُ زَهَائِلٍ ، أى : خَوَاصِرُ مُذَسَّسٍ ، وَاحِدُهَا : زُهْلُولٌ
 وَالْبُرْطِيلُ : حَجَرٌ طَوِيلٌ ، وَيُقَالُ : لِلْمِعْوَلِ أَيْضًا : بُرْطِيلٌ .

وقوله : ذَوَابِلُ وَقَمُنٌ^(١) الْأَرْضَ تَحْلِيلُ .

تحليل ، أى قليل . يقال : مَا أَقَامَ عِنْدَنَا إِلَّا كَتَحْلِيلِ الْإِلِيَّةِ ، وَكَتَحْلِيلَةِ
 الْمُقَسِّمِ ، وَعَلَيْهِ حَمْلُ ابْنِ قُتَيْبَةَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَنْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحْلِيلَةَ الْقَسَمِ ،
 وَغَلَطَ أَبَا عُبَيْدٍ حَيْثُ فَسَّرَهُ عَلَى الْقَسَمِ حَقِيقَةً . قَالَ الْقُتَيْبِيُّ : لَيْسَ فِي الْآيَةِ قَسَمٌ
 لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وَلَمْ يُقَسِّمْ . قَالَ : الْخَطَابِيُّ : هَذِهِ غَفْلَةٌ مِنْ
 ابْنِ قُتَيْبَةَ فَإِنَّ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ :
 ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ دَاخِلٌ تَحْتَ الْقَسَمِ الْمُتَقَدِّمِ .

وقوله : بِالْقُورِ الْمَسَاقِلِ . الْقُورُ : جَمْعُ قَارَةٍ ، وَهِيَ الْحِجَارَةُ الشُّودُ .

(١) فى السيرة : مسهن .

وَالْعَسَاقِيلُ هُنَا السَّرَابُ ، وَهَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ ، أَرَادَ وَقَدْ تَلَفَعَتِ الْقَوْدُ
بِالْعَسَاقِيلِ .

وفيهما قوله :

تَمَشَّى ^(١) الْغَوَاةُ بِجَنَدَيْهَا ، أَيْ بِجَنَدَيْ نَاقَتِهِ .

عن النول والقبيل إعراباً ومعنى :

وقوله : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ . وَيُرْوَى : وَقَيْلُهُمْ ، وَهُوَ أَحْسَنُ
فِي الْمَعْنَى ، وَأَوَّلَى بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ الْقَبِيلَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَقُولُ فَهُوَ مُبْتَدَأٌ ،
وقوله : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ : خَبَرٌ ، تَقُولُ : إِذَا سَأَلْتَ مَا قَيْلُكَ ؟
قِيلِي : إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ، فَقَوْلُكَ : إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الْقَبِيلُ ، وَالْقَوْلُ مُصَدَّرٌ
كَالطَّاهِنِ وَالذَّبْحِ ، وَالْقَبِيلُ اسْمٌ لِلْمَقُولِ كَالطَّاهِنِ وَالذَّبْحِ بِكسر أوله ،
وَإِنَّمَا حَسَنَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ ، لِأَنَّ الْقَوْلَ مُصَدَّرٌ فَيَصِيرُ : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ
فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ فِيهِ ، فَيَبْقَى الْمُبْتَدَأُ بَلَا خَبَرٍ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ الْمَقُولَ هُوَ الْقَوْلُ
عَلَى التَّجَارِ ، كَمَا يُسَمَّى الْخَلْقُ خَلْقًا ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَقِيلَ يَا رَأْسُ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنَ الْقَبِيلِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا قِيلًا :
سَلَامًا سَلَامًا ﴾ مُنْتَقِصٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنْ قِيلًا
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ أَيْ : حَدِيثًا مَقُولًا ، وَمَنْ

هذا الباب مسألة من النحو ذكرها سِيدِيَوِيَّة ، وابن السراج في كتابه ، وأخذ الفارسي منهما ، أو من ابن السراج ، فكثيراً ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة ، ولم يفهم ما أراد بها ، وذلك أنهما قالا : إذا قلت أول ما أقول : إني أحمد الله ، بكسر الهمزة ، فهو على الحكاية ، فظن الفارسي أنه يريد على الحكاية بالقول ، فجعل إني أحمد الله في موضع المفعول بأقول ، فلما بقي له المبتدأ بلا خبر تكلف له تقديرًا لا يعقل ، فقال : تقديره أول ما أقول : إني أحمد الله موجود أو ثابت ، فصار معنى كلامه : إني أن أول هذه الكلمة التي هي إني أحمد الله موجود أي : أول هذه الكلمة موجود ، فأخبرها إذا ممدوم ، وهذا خالف من القول ، كما ترى ، وقد وافقه ابن جني عليه ، رأيته في بعض مسائله ، قال : قلت لأبي علي لم لا يكون : إني أحمد الله في موضع الخبر ، كما تقول : أول سورة أقرأها : ﴿ إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكِتَابَ ﴾ أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر ، قال : فسكت ولم يجد جواباً ، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول ، أي : أول القيل الذي أقوله إني أحمد الله على حكاية الكلام المنقول ، وهذا الذي أراد سِيدِيَوِيَّة ، وأبو بكر بن السراج ، فإن فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا أول القيل ، وكانت ما واقعة على المصدر ، وصار معناه : أول قولي الحمد إذ الحمد قول ولم يُبين مع فتحة الهمزة كيف حمد الله ، هل قال : الحمد لله بهذا اللفظ ، أو غيره ، وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ ، أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر ، فقف على

هذه المسألة ، وتدبرها إعراباً ومعنى ، فقل : من أحكمها وحسبك أن الفارسي لم يفهم عن قبله ، وجاء بالفخايط المتقدم ، والله المستعان .

عود إلى بانث سعاد :

والخراديل : القِطْع من اللحم ، وفي الحديث في صفة الصراط : فمنهم المُوْبِقُ بَعْدَهُ ، ومنهم الْمُخْرَدِلُ ، أى تُخْرَدِلُ لَحْمَهُ ^(١) السَّكَلَالِبُ التى حَوَّلَ الصَّراط ، سميت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول : تلك السَّكَلَالِبُ هى الشَّهَوَات ، لأنها تجذب العبدَ فى الدنيا عن الاستقامة على سواء الصَّراطِ ، فتُمَثِّلُ له فى الآخرة على نحو ذلك .

وقوله : بَصْرَاءُ الأَرْضِ . الصَّراءُ : ما وَّارَاكَ من شَجَرٍ ، وانْخَمَرُ : ما وَّارَاكَ من شَجَرٍ وغيره .

وقوله : بواديه الأراجيلُ ، أى : الرَّجَالَةُ ، قيل : إنه يجمع الجُمُوع ، كأنه يجمع الرِّجْلَ ، وهم الرِّجَالَةُ على أَرْجُلٍ ، ثم جمع أَرْجُلًا على أَرَاجِيلٍ ، وزاد الياء ضرورة . والدَّرْسُ : الثوبُ الخَلَقُ . والْفَقْعَاءُ : شجرة لها ثمر كأنه حِلَقٌ .

ويروى أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - حين أنشده كعب :

إِنَّ الرَّسُولَ كَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوفٌ

نظر إلى أصحابه كلمة جيب لهم من حسن القول وجودة الشعر .

(١) خردلت اللحم بالدال والذال : فصلت أعضائه وقطعته .

وقوله :

ليس لهم^(١) عن حياض الموت تهليلُ

التهليلُ : أن يذمَّ كصُ الرجلُ عن الأمرِ جُبْنًا .

وقوله في الأنصار :

ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً^(٢)

بنو علي : هم بنو كِفَانَةَ ، يقال لهم : بنو عليٍّ لما تقدم ذكره في هذا الكتاب ، وأراد : ضربوا قريشاً لأنهم من بني كِفَانَةَ .

وقوله : إذا عَرَدَ^(٣) الشُّودُ التَّنَائِيلُ : جمع تَنَابُلٍ وهو التقصير ، وقوله : عَرَدَ ، أى : هرب . قال الشاعر :

يُعَرِّدُ عَنْهُ صَحْبُهُ وَصَدِيقُهُ وَبَنْبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ

عن السواد في أهل اليمن وشرح بيت لسان :

وجعلهم سُوداً لما خَاطَ أهل اليمن من الشُّودان عند غَايَةِ الحَبَشَةِ على بلادهم^(٤) ، ولذلك قال حسان في آل جَفْنَةَ :

(١) في السيرة : وما لهم .

(٢) هذا من قصيدة ذكعب الراوية .

(٣) عاد إلى اللامية .

(٤) ترك السهيلي كثيراً من مفردات القصيدة دون شرح ، وهنا أنقل عن

الغشنى معاني ما ترك السهيلي : بانث : ذهب وفارقت . متبول : مالك . متيم : =

أولاد جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ آبِيهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

يعنى بقوله : من الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، أن آلَ جَفَنَةَ كانوا من اليَمَن ، ثم اسْتَوْطَنُوا الشَّامَ بعد سَيْلِ الْعَرَمِ ، فلم يخالطهم الشُّودَانُ كما خالطوا مَنْ كان من اليَمَن ، من الطَّرَازِ الْأَوَّلِ الذى كانوا عليه فى أُلُوانِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ .

== معبد مذال . أغن : الطَّبْطَبِ الصَّغِيرِ الذى فى صورته غَنَمَةٌ . غَضِيضٌ : فَاثِرُ الطَّرَفِ هَيْفَاءٌ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ وَالْخَصْرِ . عَجَزَاءُ : عَظِيمَةُ الْعَجِيزَةِ ، وَهُوَ الرَّدْفُ . تَجَلَوُ : تَصَقَّلُ . وَالْعَوَارِضُ : الْأَسْنَانُ هُنَا . الظُّلَمُ : شِدَّةُ بَرَقِ الْأَسْنَانِ ، وَيُقَالُ : هُوَ مَأْوُهُ . مَنَهِلٌ : مَسْقَى . الرَّاحُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْحَجَرِ . مَحْشِيَةٌ : مَتْنَى الْوَادِى ، وَيُقَالُ : مَا انْفَطَفَ مِنْهُ . أَبْطَحَ : مَوْضِعُ سَهْلٍ . مَشْمُولٌ : هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحُ الشَّمَالِ ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ بَارِدَةٌ إِذَا هَبَّتْ . وَالْقَذَا : مَا يَقَعُ فِي الْمَاءِ مِنْ تَبْنٍ أَوْ عُودٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَكَذَا مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ . صَوْبٌ : مَهْرٌ . غَادِيَةٌ : سَحَابَةٌ مَطَرَتْ بِالْغَدْوِ . الْيَعَالِيلُ : الْحَبَابُ الَّذِى يعلو على وجه الماء . وَهِيَ رَغْوَتُهُ ، رَاجِعٌ شَرْحُ السَّهْبِيلِ ، الْخَلَّةُ هُنَا : الصَّدِيقَةُ الْمُرَاسِيلُ : السَّرِيعَةُ . عَذَافَةٌ : نَاقَةٌ ضَخْمَةٌ . الْإَيْنُ : الْفَتُورُ وَالْإِعْيَاءُ . وَالْإِرْقَالُ وَالتَّبَغِيلُ : ضَرْبَانِ مِنَ السَّيْرِ . نَضَاحَةٌ : يَرْشَحُ عَرَقَهَا . الذَّفْرَى : عَظْمٌ فِي أَصْلِ الْأُذُنِ . عَرَضَتَهَا : الشَّيْءُ الَّذِى يَقْوَى عَلَيْهِ ، وَمِنْ رَوَاهُ وَلَاجَهَا ، لَفَعْنَاهُ : أَضْعَفَهَا طَامَسَ : مَتَغَيَّرَ . الْأَعْلَامُ : الْعَلَامَاتُ الَّتِى قَسْكَوْنَ فِي الطَّرِيقِ يَهْتَدِى بِهَا ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ . التَّجَادُّ : جَمْعُ نَجْدٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . الْمَفْرَدَةُ هُنَا الثَّوْرُ الْوَحْشِ الَّذِى انْفَرَدَ فِي الصَّحَرَاءِ . اللَّهْقُ : الْإِبْيَضُ يَفْتَحُ الْمَاءَ وَكُسْرُهَا . مَقْلَدُهَا : عَنَقُهَا . فَعَمٌ : مَمْلُوءٌ . مَقِيدٌ : مَوْضِعُ الْقَيْدِ . قُودَاءُ : طَوِيلَةٌ . شَمْلِيلٌ : سَرِيعَةٌ . لَبَانٌ : صَدْرٌ أَقْرَبُ : جَمْعُ قَرَبٍ وَهِيَ الْخَاصِرَةُ وَمَا يَلِيهَا . زَهَالِيلُ : أَمْلَسَ . عَيْرَانَةٌ : تَشْبَهُ الْعَيْرِ فِي شِدَّتِهِ وَنَشَاطِهِ ، وَالْعَيْرُ هُنَا : حِمَارُ الْوَحْشِ . النَّحْضُ : اللَّحْمُ الزَّوْرُ : أَسْفَلُ الصَّدْرِ . قَنَوءٌ : فِي أَنْفِهَا ارْتِفَاعٌ . حَرَّتَاهَا : أَذْنَاهَا . قَابٌ : قَرَبٌ ، تَقُولُ : بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْقَابُ قَوْسٌ أَوْ قَرَبٌ قَوْسٌ ، لَحْيَاهَا : هُوَ ثَنِيَّةُ لَحْيٍ . وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِى عَلَيْهِ الْخَدُّ ،

وقوله : حول قبر أبيهم ، أى إلههم لعزهم لم يجئوا عن منازلهم قط ، ولا فارقوا

قبر أبيهم .

== والاحية لذى الاحية : والخطم : الانف ، وبرطيل : حجر طويل ، ويقال : هى فاس طويلة ، وتمر : تمد وتحرك ، العسيب : جريد النخل الخصل : جمع خصلة اللافاة من الشعر ، غارز : قليل اللبن ، لم تخونه : لم تنقصه ، ولم تضعفه ، والاحليل جمع لحليل وهو الثقب الذى يخرج منه اللبن ، وهو من الذكر الذى يخرج منه البول . يسرات : يعنى قوائمها لانها تحسن السير بها كلها ، ذوابل : شداد ، عجائبات جمع عجايب ، وهى عصابة تكون فوق مبط القيد من ذى الخف ، ومن ذى الحافر . وزيم : منكسر متفرق : الا كم : السكدى ، واحدها أكمة ، الحرباء : ضرب من العطاء ويقال : هى أم حبش . مرتبى : مرتفع ضاحية : ما برز منه للشمس ، محلول : محرق ، الملة : الحجارة والحمر والرماد ، والحادى : الذى يسوق . والجنادب جمع جندب ، وهو ذكر الجراد ، قيلوا : أمر من القائلة ، أى انزلوا واستريحوا كان أوب ذراعيها : الاوب الرجوع . تلغع : اشتمل ، العساquil : لمع السراب الفاقد : التى فقدت ولدها ، الشمطاء : التى خالطها الشيب . معولة : رافعة صوتها بالبكاء . المثاكيل : جمع مثكال ، وهى الماقد أيضاً ، الضبعان : لحنا المضدين ، تفرى : تقطع ، رعايل : قطع متفرقة ، على آلة حذباء محمول : النعش أو الداهية أى ، لا يستقر عليها ، اطل تردد من وجد بوادره ، البوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف . ضيغم : أسد . مخدر الاسد : غايته وأجته . عثر : اسم موضع تنسب إليه الاسود . غيل : أجمة أيضاً . ياحم : يطعم اللحم . ضرغامين : أسدين ، وأراد بهما شبهه . معفور : ممرغ بالعفر ، وهو الزراب . خراويل : متقطعة . يساور : يواكب ، مفلول . أى قد أثر فيه الجر : موضع . مضرع : مخضب بالدماء . أنكاس : جمع نكس : وهو المقصر عن غاية الكرم أو الضعيف ، ليست من الخشن ، كشف : لا تراس لهم ، أو الذى لا يحسن الركوب ، فيميل عن السرج المعاويل : الذين لا سلاح معهم . الزهر : البيض . العرائين : الانوف . سوابغ : كاملة شكت : أدخل بعضها فى بعض ، فقام : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك تشبه به ==

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

التهيؤ لتبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبی ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وقد ذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ،

صرح آخر لكعب :

ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
تَحْدِي بِهِ الْفَاقَةُ الْأَذْمَاءُ مُفْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيَّ لَيْلَةِ الظُّلَمِ
فَفِي عِطَافِيهِ أَوْ أُنْفَاءِ بُرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَوَنٍ كَرِيمٍ

= حلق الدرع . مجدول : محكم السرد . تحليل : فرار وانتهى من ص ٤١٥ - ص ٤٢١ شرح السيرة لابن خزيمة بن محمد بن مسعود الحشني . وقد أورد ابن إسحاق القصيدة دون إسناد ، ورواها البيهقي في الدلائل بإسناد متصل . ويقول ابن كثير في البداية عن كون النبي صلى الله عليه وسلم أعطى كعباً بردته وهذا من الأمور المشهورة حدا ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه . ص ٣٧٣ ج٤ هذا وقد ذكر الريدی في طبقات النحاة أن بدار الاصمغاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بابت سعاد ، ومنها قول زهير والد كعب بابت سعاد وأمسى حبلاً انقطعا وليت وصلانا من حبلاً رجما
ص ٥٩ ج ٣ المواهب ،

وغيرهم من علمائنا ، كلَّ حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدث ما لا يحدث بعض : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عُسرة الناس ، وشدة من الحرِّ ، وجذب من البلاد : وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المَقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشَّغوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يخرج في غزوة إلا كُنِيَ عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يَصُمِّدُ له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّن لها للناس ، أبعاد الشُّقَّة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يَصُمِّدُ له ، ليتأهب الناس لذلك أهْبَتَه ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

شأن الجعد بن قيس

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجعد ابن قيس أحد بني سَلَمَةَ : يا جعد ، هل لك العام في جِلَادِ بنى الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تَنْتَنِي ؟ فوالله لقد عَرَفَ قومي أنه مامن رجل بأشدَّ عُجْبًا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنتُ لك . ففي الجعد ابن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْذَنْ لِي وَلَا تَنْتَنِي ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ أَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ التوبة : ٤٩ . أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فاسقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَكِنَّ وَرَائِهِ .

المنافقون المبتطون

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، زهادة في الجهاد ، وشكاً في الحق ، وإرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضَحَّكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكِوْا كَثِيراً ، جزاء بما كانوا يَكْسِبُونَ ﴾ التوبة : ٨١ ، ٨٢ .

شعر الضحاك في تحريق بيت سويلم

قال ابن هشام وحدثني الفقه عن حديثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلِمَ الْيَهُودِي ، وكان بيته عند جاسوم ، يُبْتَطُونَ النَّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طلحة ابن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُوَيْلِمَ ، ففعل طلحة . فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك :

كَادَتْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقٍ
وَضَلَّتْ وَقَدْ طَبَّقَتْ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ أَنْوَأُ عَلَى رَجُلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِسَلِيمٍ أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ

حض أهل الغنى على النفقة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانتكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم يُنفق أحدٌ مثلاً .

قال ابن هشام : حدثني من أنفق به : أن عثمان بن عفان أنفق في جيش المُسرّة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرضَ عن عثمان ، فأبى عنه راض .

قصة البكائين والمعذرين والمتخلفين

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكّاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبّة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب ، أخو بنى مازن بن الذّجّار ، وعمرو بن مُحام بن الجموح ، أخو بنى سلّمة ، وعبد الله بن المغنّل المزنيّ - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عمرو المزنيّ - وهرميّ بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعيرباض بن سارية القرظاريّ . فاستعملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ،

فقال : لا أجد ما أحمِلُكم عليه ، فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً
ألا يجدوا ما يُنفِقون .

قال ابن إسحاق : فبلغني أنَّ ابن يامين بن عُمَيْر بن كَعْب
الضُرَي أبا لَيْلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل وهما بَيْكِيان ،
فقال : ما بَيْكِيَاكُمَا ؟ قالا : جئنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد
عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما
ناضحاً له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذِّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم
يعذرهم الله تعالى . وقد ذكر لي أنهم نفرٌ من بني غفار .

ثم استَقْبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان
نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب : منهم : كعبُ بن مالك بن
أبي كعب ، أخو بني سلمة ، ومُرارة بن الربيع ، أخو بني عمرو بن عوف ،
وهلالُ بن أمية ، أخو بني واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بني سالم بن عوف .
وكانوا نفرَ صِدق ، لا ينهمون في إسلامهم .

فما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على كَيْدِيَّةِ الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مَسْلَمَةَ الأنصاري .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، تخرجه إلى تبوك : سباع بن عرفة .

المنافقون المتخلفون

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل المسكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرّيب .

إرجاف المنافقين بعليّ

وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استئقالا له ، وتحققا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ عليّ ابن أبي طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف ، فقال : يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استئقتني وتحققت مني ؛ فقال : كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلعني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانيّ بعدى ، فرجع عليّ إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم

ابن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قصة أبي خيثمة

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله في يوم حار ، ووجد امرأتين له في عريشين كُهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاماً . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهين ، وامراتي حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيتا ، لي زاداً ، ففعلتا . ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجعفي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تخاف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقلوا

يارسول الله هو والله أبو خيثة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك يا أبا خيثة . ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثة في ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قيس :
ألمأ رأيتُ النَّاسَ في الدين نَافَقُوا أتيتُ التي كانتُ أعفً وأكرمًا
وبأيتُ باليمنى يدي لمحمد فلم أكتسب إنما ولم أغشَ نحرًا
تركتُ خضيبًا في العريشِ وصيرمة صفايا كرامًا بُسرُّها قد تحمما
وكنت إذا شك المُنَافِقُ أَسْمَحْتُ إلى الدين نفسي شطره حيثُ يمما

مرور النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بالحجر نزلاً ، واستقى الناسُ من بُرها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من ماءها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الأيلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُفق على مذهبه ؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبل طيء . فأخبر بذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للذى أُصيب على مذهبهِ فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طمى ، فإن طيئناً أهدته لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمَ المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد السَّاعِدَى ، وقد حدثنى عبدُ الله بن أبي بكر أن قد سَمَى له العباسُ الرجلين ، واسكنه استودعَه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميَهُما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْرِ سَجَّى ثوبه على وجهه ، واستحَثَّ راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَّوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأُمطرت حتى أُرْتَوَى الناس ، واحتملوا حاجَتَهُم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن اببيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله . إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه وفي عشيرته ، ثم يلبسُ بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ

من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ونحك ، هل بعد هذا شيء ! قال : سحابة مارة .

مقالة ابن اللصيت

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يُقال له ، عمارة بن حزم ، وكان عقبياً بذريراً ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رَحْله زيدُ بن اللصيت القينقي ، وكان منافقاً .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب ، بالباء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة ، وعمارَة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارَة عنده : إن رجلاً قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبي ، يزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلتني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها

شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تاتوني بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة
ابن حزم إلى رحله ، فقال : والله لهَجَبٌ من شيء حَدَّثَنَاهُ رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم آنفاً ، عن مقالة قاتل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، الذي قال
زيد بن لُصَيْتٍ ؛ فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل عمارة على
زيد يَحْجَا في عُنقه ويقول : إلى عباد الله ، إن في رحلي لداهيةً وما أشعر ،
أُخْرِجْ أَيْ عَدُوَّ الله من رحلي ، فلا تَصْحَبْنِي .

قال ابن إسحاق : فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال
بعض الناس : لم يزل مُتَّهِماً بِشَرٍّ حتى هَلَكَ .

إِبْطَاءُ أَبِي ذَرٍّ

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلفُ عنه
الرجُل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك
فيه خير فسيُلاحِقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ،
حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذَرٍّ ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ،
فإن يك فيه خير فسيُلاحِقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛
وتلوَّم أبو ذَرٍّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه ؛ أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم
خرج يتبع أثرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ماشياً . ونزل رسولُ الله في

بعض منازلهم ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل
يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذر .
فلما تأمله القومُ قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثني بُرَيْدَةُ بْنُ سَفْيَانَ الْأَسْلَمِيُّ ، عن محمد بن
كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفي عثمانُ أبا ذرٍ إلى
الرَبَذَةِ ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاهما
أن اغسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم
فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على
دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق : وأقبل عبدُ الله
ابن مسعود في رهطٍ من أهل العراق عُجَّار ، فلم يرُهم إلا بالجنّازة على ظهر
الطريق ، قد كانت الإبل تطوّها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ
عبد الله بن مسعود ببسكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْهُ ،
ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسيره إلى تبوك .

تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم ودیعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع : حليف لبني سلمة ، يقال له : مُحَشَّن بن حُمَيْر — قال ابن هشام : ويقال نُحْشَى — يُشِيرُونَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : اتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ! والله لاسكاناً بكم غداً مُقَرَّنِينَ في الجبال ، إرجاناً و ترهيباً لاهؤمنين ، فقال مُحَشَّن بن حُمَيْر : والله لوددت أنى أفاضى على أن يُضرب كل رجل مئاة جَلْدَةٍ ، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعَمَّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلمهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلم كذا وكذا . فانطلق إليهم عَمَّار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعتذرون إليه ، فقال ودیعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقيبها يا رسول الله ، إنما كنّا نخوض ونلعب ؛ فانزل الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ سَأَلَتَهُمْ آيَتُونَا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ . وقال مُحَشَّن بن حُمَيْر : يا رسول الله ، قعد بي اسمى واسم أبى ، وكان الذى عُفِيَ عنه في هذه الآية مُحَشَّن بن حُمَيْر ، فسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعْلَم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُوَيْبَةَ ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم .

كتاب الرسول لصاحب أيلة

فكتب ليُحَنَّةُ بن رُوَيْبَةَ :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمحمد النبي رسول الله ليُحَنَّةَ ابن رُوَيْبَةَ وأهل أيلة ، سُبْحَنَهُمْ وَسِيَّارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : لهم ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَذِمَّةُ محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حَدَثًا ، فإنه لا يحول ماله دُونَ نَفْسِهِ ، وإنه طَيِّبٌ مَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ، وإنه لا يَحِلُّ أَنْ يُنْتَمِعُوا مَاءَ يَرْدُونَهُ ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ . من برَّ أَوْ بَحَرَ .

أَكِيدِر

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أَكِيدِرِ دُومَةَ ، وهو أَكِيدِرُ بن عُبْدِ اللَّهِ ، رجل من كِنْدَةَ كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصِيدُ الْبَقَرَ . فرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي أيلة

مُفْتَمِرَةٌ صَانِفَةٌ ، وهو على سَطْحٍ له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحْكُ بِقُرُونِهَا
باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قَطَّ ؟ قل : لا والله !
قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأُتِجَ له ، وركب
معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حَسَّان . فركب ، وخرجوا معه ،
بمطاردهم . فلما خرجوا تلتفتهم خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ،
وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قبَاءٌ من دِيْبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ ، فاستلبه خالد ،
فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ،
قال : رأيت قبَاءً ، أُكَيِّدُ حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل
المسلمون يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ ، ويتمتعون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أتمتعون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمنَادِيْلُ سعد بن مُعَاذٍ في الجنة .
أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدًا قدم بأُكَيِّدٍ على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ،
فقال رجل من طيء : يقال له بُجَيْرُ بْنُ بُجَرَّةٍ ، يذكر قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصِيدُ البَقَرَ ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى
استخرجته ، لتصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِي تَبَوُّكِ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجَمَادِ

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها .
ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

حديث وادى المشقق ومائه

وكان في الطريق مالا يخرج من وشل ، ما يروى الزاكب والراكبين
والثلاثة ، بواد يُقال له وادى المشقق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه
نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف
عليه ، فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ ف قيل له : يا رسول الله ،
فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل
يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضح به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فأنحرق من الماء - كما يقول من
سمعه - ما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم
منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمنن
بهذا الوادى . وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

قيام الرسول على دفن ذى الجادين

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي ، أن عبد الله بن مسعود
كان يحدث ، قال : مُتُّ من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلة من نار في ناحية العسكر ، قال : فاتَّبعتها
أنظر لانيها ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله
ذو الجادين المزنِي قدمات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في حفرة ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أذِنَا إِلَى أَخَاكَمَا ،
فَدَأَيْنَاهُ إِلَيْهِ ، فلما هَيَّاهُ لَشِقِّهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُمِسِّيتُ رَاضِيًا عَنْهُ ، فَارْضَ عَنْهُ .
قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب الحفرة .

لم سمي ذو الجادين ؟

قال ابن هشام : وإنما سُمِّيَ ذُو الْجِدَائِينَ ، لأنه كان يَنَازِعُ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
فِيَمْنَعُهُ قَوْمُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَرَكَوهُ فِي بَجَادِ أَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ،
وَالْبَجَادُ : السَّكْسَاءُ الْغَلِيظُ الْجَلْفُ ، فَهَرَّبَ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ، شَقَّ بِجَادِهِ بَائِثَيْنِ ، فَأَتَزَّرَ بِوَاحِدٍ ، وَاشْتَمَلَ بِالْآخَرِ
ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ لَهُ : ذُو الْجِدَائِينَ لِذَلِكَ ، وَالْبَجَادُ
أَيْضًا : الْمَسْحُ ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينَ وَدَقَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ

أبو رهم في تبوك

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أُمِّ كَيْسَمَةَ الْإِيْشِيِّ ،
عن ابن أخِي أَبِي رُهِمٍ الْغِفَارِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا رُهِمٍ كُنْثُومَ بْنَ الْحُصَيْنِ ، وَكَانَ
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، يَقُولُ :

غَزَوْتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه
ونحن بالأخضر قريباً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا الفعاس
فَطَفِقْتُ أُسْتَيْقِظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ،
فِيُقْرِ عَنِّي دَنَوَهَا مِنْهُ ، مخافة أن أصيب رجله في الغرز ، فطَفِقْتُ أُحَوِّزُ
راحلتى عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونمت في بعض الليل ، فزاحمتُ
راحلتى راحلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورجله في الغرز ، فما استيقظت
إلا بقوله : حَسَّ ، فقلتُ : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال : سر ، فجعل
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألني عَمَّنْ تَخَلَّفَ عَن بَنِي غِفَارٍ ، فأخبره به ؛
فقال وهو يسألني : ما فعل النَّفَرُ الْحُمْرِ الطَّوَالِ النَّطَاطِ . فحَدَّثْتُهُ بِتَخَلُّفِهِمْ .
قال : فما فعل النَّفَرُ السُّودِ الْجُمَادِ الْقَصَارِ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا .
قال : بلى الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخَ ؛ فتذكَّرتهم في بني غِفَارٍ ، ولم أذكُرْهُمْ
حتى ذكرتُ أم لهم رَهْطٌ من أسلم كانوا حُلَفَاءَ فِينَا ، فقلت : يا رسول الله ،
أولئك رَهْطٌ من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
مامنع أحد أولئك حين تَخَلَّفَ أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً
في سبيل الله ؟ إن أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلف عني المهاجرون من قُريش والأنصارُ
وغِفَارٌ وأَسْلَمٌ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي
أُوَانَ ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحابُ مسجدِ الضَّرَارِ

قد كانوا أنوّه وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إننا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة واللايلة المطيرة واللايلة الثانية ، وإننا نحب أن تأتينا ، ففعلنا لنا فيه ؛ فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومغن بن عدي ، وأخاه عاصم بن عدي ، أخا بني العجلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرّقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمغن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي . فدخل إلى أهله ، فأخذ سمعاً من الفخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفَّراً وَتَفَرَّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خذّام بن خالد ، من بني عُجُود بن زَيْد ، أحد بني عمرو بن عَوْف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، واهليّة ابن حاطب من بني أميّة بن زيد ، ومُعْتَب بن قُشَيْر ، من بني ضُبَيْعَة بن زيد ، وأبو حَبِيبَة بن الأَزْعَر ، من بني ضُبَيْعَة بن زيد ، وعَبَاد بن حُنَيْف ، أخو سَهْل بن حُنَيْف ، من بني عمرو بن عَوْف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجعّم بن جارية ، وزَيْد بن جارية ، وَتَبَقْل بن الحارث ، من ضُبَيْعَة ، وبخزّج .

من بنى ضُبَيْعَةَ ، وَبِحَادِ بْنِ عُمَانَ ، مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ ، وَوَدِيعَةَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ زَيْدٍ رَهْطُ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ الْمُنْذِرِ .

وَكَانَتْ مَسَاجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى تَبُوكَ مَعْلُومَةٌ
مَسْمُومَةٌ : مَسْجِدُ بَدْبُوكَ ، وَمَسْجِدُ بَثْنِيَّةٍ مِذْرَانَ ، وَمَسْجِدُ بَذَاتِ الزَّرَّابِ ،
وَمَسْجِدُ بِالْأَخْضَرِ ، وَمَسْجِدُ بَذَاتِ الْخَطْمِيِّ ، وَمَسْجِدُ بِالْأَلَاءِ ، وَمَسْجِدُ
بَطْرَافِ الْبَثْرَاءِ ، مِنْ ذَنْبِ كَوَاكِبَ ، وَمَسْجِدُ بِالشَّقِّ ، شِقِّ تَارَا ، وَمَسْجِدُ بَذَى
الْجَبِيْفَةِ ، وَمَسْجِدُ بَصْدُرِ حَوْضَى ، وَمَسْجِدُ بِالْحَجَرِ ، وَمَسْجِدُ بِالصَّعِيدِ ،
وَمَسْجِدُ بِالْوَادِي ، الْيَوْمَ ، وَادِي الْقُرَى ، وَمَسْجِدُ بِالرُّقْمَةِ مِنَ الشَّقَّةِ ، شِقَّةُ
بَنِي عُذْرَةَ ، وَمَسْجِدُ بَذَى الْمَرْوَةِ ، وَمَسْجِدُ بِالْفَيْفَاءِ ، وَمَسْجِدُ بَذَى خُشْبٍ .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين

في غزوة تبوك

وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَقَدْ كَانَ تَخَافُ عَنْهُ رَهْطُ
مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَتَخَافُ أَوْلَئِكَ الرَهْطُ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا نِفَاقٍ :
كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَمُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَسْكُلُنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَأَنَا مِنْ
تَخَفْتُ عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فُجِعُوا يَخْلُقُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ ، فَصَفَحَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَعْذِرْهُمْ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ . وَاعْتَزَلَ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَ أَوْلَئِكَ
الْزُفْرِ الثَّلَاثَةِ .

حديث كعب عن التخليف

قال ابن إسحاق : فذكر الزهري محمد بن مسلم بن شهاب ، عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه
حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين
تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ،
قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط ، غير أني
كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله
أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير
قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين توافقنا على الإسلام ، وما أحب
أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكرك في الناس منها . قال :
كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله
ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك
الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفراً
بعيداً ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة
وأخبرهم خبره بوجه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم كثير ، لا يحجمهم كتاب حافظ ، يعني بذلك الديوان ، يقول :
لا يحجمهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فَمَلَّ رجل يريد أن يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ سَيَخْفَى لَهُ ذَلِكَ ،
مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة
حين طابت الثمار وأُحِبَّتِ الظُّلُلُ ، فالتَّاس إلىهَا مُعَرِّ ، فتَجَهَّزَ رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم ، وتَجَهَّزَ المسلمون معه ، وجعلت أَعْدُو لَا تَجَهَّزُ معهم ، فأرجع
ولم أَقْضِ حاجة ، فأقول في نفسي ، أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ ، فلم يزل ذلك
يَتِمَادَى بِي حَتَّى شَمَّرَ النَّاسُ بِالْجِدِّ ، فأصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غَادِيَا ،
والمسلمون معه ، ولم أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، فقلت : أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمَ
أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ أَلْحِقُ بِهِمْ ، فغدوت بعد أن فصلوا لَأَتَجَهَّزَ ، فرجعت ولم أَقْضِ
شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فلم يزل ذلك يَتِمَادَى بِي حَتَّى
أَسْرَعُوا ، وَتَفَرَّقَ الْغَزَا ، فمِمَّتْ أَنْ أُرْتَحِلَ ، فأدركهم ، وإِيتَنِي فَعَلْتُ ،
فلم أَفْعَلْ ، وجعلت إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه
وسلم ، فطَفْتُ فِيهِمْ ، يُحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي الْفِنَاقِ ،
أَوْ رَجُلًا مِنْ عِذْرِ اللَّهِ مِنَ الضَّعْفَاءِ ، ولم يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فقال وهو جالس في القوم بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟
فقال رجل من بَنِي سَلِمة : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ ؛
فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قَالَتْ ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا ؛
فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغني أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ ،
حَضَرَنِي بَثٌّ ، فجمعَت أَنَذَاكَرَ الْكَذِبِ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرَجَ مِنْ سَخَطَةِ
رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ؛

فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظّل قادمًا زاح عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدق ، وصبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قَدِم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جالس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويسأل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئتُ فسأمتُ عليه ، فتبسم تبسم الغضب ، ثم قال لى : تعاله ، فجئتُ أمشى ، حتى جالست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إني يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عني ، وليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه ، إني لأرجو عقيبى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أفوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقامت ، وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى فجاؤا لى : والله ما علمناك كفت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، خوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان

«قالا مثل مقاتلك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن
الزبيع العمري ، من بني عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبي) أمية الواقفي ؛
فذكروا لي رجلين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمتُ حين ذكرهما لي ، ونهى
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، من بين من تخلف
عنه ، فاجتمعنا الناسُ ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرتُ لي نفسي والأرضُ ، فاهى
بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأما صاحباي
فاستكانا ، وقعدا في بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدهم ،
فكنتُ أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمني
أحد ، وآتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد
الصلاة ، فأقول في نفسي ، هل حرَّك شَفَتيه بردَ السلام على أم لا ؟ ثم أصلي
قريباً منه ، فأرسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ ، وإذا التفتُ
نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيتُ حتى
تسوّرت جدار حائط أبي قتادة . وهو ابن عمي ، وأحبُّ الناس إليّ ، فسالت
عليه ، فوالله ماردٌ على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم
أنِّي أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت . فعدتُ فناشدته ، فسكت عني ، فعدتُ
فناشدته فسكت عني ، فعدتُ فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت
عيناي ، ووثبت فتسوّرت الحائط ، ثم غدتُ إلى السوق ، فبينما أنا أمشي
بالسوق ، إذا تَبَطَّى يسأل عني من نَبِط الشام ، مما قَدِم بالطعام يبيعه بالمدينة ،
يقول : من يدلّ على كُتب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلى ، حتى جاءني ،
فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتاباً في سرقة من حرير ، فإذا فيه : «أما بعد ،

فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يحملك الله بدار هوان ولا مضيمة ،
 فالحق بنا نواسيك » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ
 بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك . قال : فعمدتُ بها إلى
 ثَنُور ، فَسَجَرْتُهُ بها . فأقفا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين .
 إذا رسولُ رسولِ الله بأُتَيْنى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك
 أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلِّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها
 ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ،
 فكونى عندهم حتى يَقْضَى الله في هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة
 هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال
 ابن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لا خادم له ، أفتركه أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن
 لا يَقْرَبْكَ ؛ قالت : والله يا رسول الله ما به من حركةٍ إلى ، والله ما زال يبكي
 منذ كان من أمره ، ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال :
 فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأته
 هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : قلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدري ما يقول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب .
 قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فأكملنا خمسون ليلة ، من حين نهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح
 خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ،
 قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسى ، وقد كنت ابتغيت
 حَيْمَةَ فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على

ظهر سماع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى النجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، نزع ثوبي ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرها ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهناني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ، ووجهه يبرق من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أومن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكذا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك .

قال: قلت إني مُسك سَهْمِي الذي بخير؛ وقلت: يا رسول الله، إن الله قد نجاني بالصدق، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ماحييت، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلاني الله، والله ما تعمّدت من كذبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرَفِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا...﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٧ - ١١٩.

قال كعب: فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شرّاً ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بما كانوا يكسبون * يَخْلِفُونَ لَكُمْ اتَّضُوا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. التوبة: ٩٥، ٩٦.

قال: وكفنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، حين حلفوا له فمذرم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عن حلف له ، واعتذره إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدث قومه : إنهم فأتوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج بدعو قومه إلى

الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عذبة له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فترغم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يُقال له أوس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك ، وترغم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتاب ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ماترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا ماني الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله في قومه لكم مثل صاحب ياسين في قومه .

ثم أقامت تكيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم انقمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثني يعقوب بن عتبة بن المهيضة بن الأخنس : أن عمر بن أمية ، أخا بني علالج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما سيء ، وكان عمرو بن أمية من أدنى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى ، قال : فقال عبد ياليل للرسول : وَيْلَكَ ! أتعمرؤ أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وما هو ذا واقفاً في دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنه ، أتعمرؤ كان أمنيح في نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت .

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم : فعند ذلك انتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فأعزُّوا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عروة ، فكانوا عبدَ ياليل بن عمرو بن عُمر ، وكان سنَّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِعَ بِمُروَةَ . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجلا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ، ومُخير بن خَرشة بن ربيعة ، أخا بني الحارث . فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو نأبُ القوم وصاحبُ أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنِعَ بِمُروَةَ بن مسعود ، لكي يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف وهبطه . .

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ألقوا بها المغيرة بن شُعبة ، يرعى في نوبته ركابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رعيتهما نوباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهم ترك الركاب عند الثَّقَفِيِّين ، وضرب يشمت ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم عليه ، فلقه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب

ثَقِيفُ أَنْ قَدْ قَدِمُوا يَرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ ، بِأَنْ يَشْرُطَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُرُوطًا ، وَيَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُغِيرَةِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحْدِثُهُ ؛ فَفَعَلَ الْمَغِيرَةُ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِقَدُومِهِمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ خَرَجَ الْمَغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَرَوَّحَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةٌ فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ ، كَمَا يَزْعُمُونَ ، فَسَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ ، هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ . وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ بِيَدِهِ ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ فِيهَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاعِيَةَ ، وَهِيَ اللَّاتُ لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سَنِينَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَمَا بَرَحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً ، وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ حَتَّى سَأَلُوا شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئًا مَسْمُومًا ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَاهَتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قُوَّةَهُمْ بِهِدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ ؛ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ فَيَهْدِمَاهَا ، وَقَدْ كَانَ سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاعِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ .

.

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه .
وأما الصلاة ، فإنه لاخير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسفوتيكها .
وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر
عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم
على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا رسول الله ، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه
في الإسلام ، وتعلم القرآن

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة
الثقفى ، عن بعض وفدكم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وُحِّمنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان ، بفطرننا وسجورنا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسجور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ،
فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجر ، لتأخير السجور ،
ويأتينا بفطرننا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئكم
حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده في الجفنة ،
فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بَطَّورنا وسجورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله
ابن الشَّخِير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عمِد إلى

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز في الصلاة ، واقدّر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدّموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يُقدّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بالله بذي الهمد ؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها بضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو معتب ، خشية أن يرمى أو يُصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسراً يَبْكِينَ عليها ويقنن :

اَلتَّبَسَكِينَ دُفَاعَ اَسْلَمِهَا الرُّضَاعِ

لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعِ

قال ابن هشام : « اَلتَّبَسَكِينَ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يُضربها بالنّاس : واهالك ! آهالك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها بمجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

وقد كان أبو مَلَيْح بن عروة وقارب بن الأسود قَدِمَا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قُتِلَ عروة ، يريدان فراق ثقيف ،

وَأَنْ لَا يَجَامَعَاهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا ، فَأَسَامَا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَوَاتِيَا مِنْ شَتْمَا ؛ فَقَالَا : نَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : وَخَالَسْكَمَا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَقَالَا : وَخَالَتْنَا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ وَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سَفْيَانَ
وَالْمُغِيرَةَ إِلَى هَدْمِ الطَّاعِغِيَّةِ ، سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو مُلَيْحِ بْنِ
عُرْوَةَ أَنْ يَقْضِيَ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَالِ الطَّاعِغِيَّةِ ، فَمَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ قَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَنْ
الْأَسْوَدِ يَارَسُولَ اللَّهِ فَاقْضِهِ ، وَعُرْوَةُ وَالْأَسْوَدُ أَخَوَانِ لِأَبِ وَأُمٍّ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ الْأَسْوَدُ مَاتَ مُشْرِكًا . فَقَالَ قَارِبُ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ تَصِلُ مُسْلِمًا ذَا قَرَابَةٍ ،
يَعْنِي نَفْسَهُ ، إِنَّمَا الدِّينُ عَلَىَّ ، وَإِنَّمَا أَنَا الَّذِي أُطْلَبُ بِهِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سَفْيَانَ أَنْ يَقْضِيَ دَيْنَ عُرْوَةَ وَالْأَسْوَدِ مِنْ مَالِ الطَّاعِغِيَّةِ ،
فَلَمَّا جَمَعَ الْمُغِيرَةَ مَا هَا قَالِ لِأَبِي سَفْيَانَ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَقْضِيَ عَنْ عُرْوَةَ وَالْأَسْوَدِ دَيْنَهُمَا ، فَقَضَى عَنْهُمَا .

وَكَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَى الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ
عِضَاءَهُ وَجَّحَ وَصَيْدَهُ لَا يُفْضَدُ ، مَنْ وَجَدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يُجْلَدُ
وَيُنْزَعُ ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَمَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِنْ هَذَا
أَمَرَ النَّبِيُّ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعمده أحد .
فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب
رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه
وذكر براءة والقصص في تفسيرها

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان
وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقيم
المسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على مفازهم من حجهم . فخرج
أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
من العهد ، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصدّ عن البيت أحد جاءه ،
ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل
الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من
العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه
في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا
يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمي لنا ، ومنهم من لم يُسم لنا ، فقال عز وجل :
(بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . أى لأهل

العهد العام من أهل الشرك ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
 غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ :
 أى بعد هذه الحجة ﴿ فَإِنْ كُنْتُمْ فِيهِمْ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ
 غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ : أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَظَاهَرُوا
 عَدِيْبَكُمْ أَحَدًا فَاتَّبَعُوا أَيْمَنَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ . فَإِذَا
 انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا ﴿ فَاقْعُدُوا الْمُشْرِكِينَ
 حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَأَغْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ،
 فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ : أى من هؤلاء الذين أمرتك
 بقتلهم ﴿ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد
 العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم فى الحرمه ، ولا فى الشهر الحرام ﴿ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ
 وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، وهى قبائل من
 بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى
 كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها
 إلا هذا الحى من قريش ، وهى الدليل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا

وخلوا في عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر
إلى مدته ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ : أى المشركون الذين
لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : الإل : الخلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن
عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإل مرقة ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إل من الآلال بينى وبينكم فلا تألن حهداً

والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمداني ، وهو أبو مسروق
ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمة أن تجاوزوا من الأرض مغروقاً إلينا ومُنكرأ

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له وجمعها : ذمم .

﴿ يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ * اشتروا
بآيات الله تمناً قليلاً ، فصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ أى قد اعندوا

عليكم ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأَخِوانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾
وَنُقَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝

اختصاص الرسول علياً بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن
أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس
الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤذي عني
إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له :
أخرج هذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمي :
أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بحد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ،
ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج
علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمر
أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب
إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ،
حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس
بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل
الجنة كافر ، ولا يحج بحد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن
كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل

الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، يرجع كل قوم إلى ما منهم أو بلادهم ،
ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف
بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من
أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل للمسمى .

ما نزل في الأمر بمجاهد المشركين

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمجاهد أهل الشرك ،
ومن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة
الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوا فيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال :
﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ ، أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * قَاتِلُوهُمْ
يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ ﴾ أى من بعد ذلك ﴿ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ
جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَلَمْ تَكُنْ خِذْلُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَاجْهَدُوا
بِاللَّهِ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِجُ : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ : أى يشغل ، بقول : لم يتخذوا دخيلاً من دونه يُسِرُّونَ إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جُعِلْتَ وليجةً ساقوا إليك الختف غير مشوب

مازل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسُقاة الحاج ، وعمار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَفْعُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يَفْعُرُ مساجد الله أى من عمرها بحقها ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ : أى فأولئك عمارها ﴿ فَمَنْ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَدِينِ ﴾ وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى : ﴿ أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

مازل فى الأمر بقتال المنسركين

ثم الفصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ،

وتوليهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من أنصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً ﴾ وذلك أن الناس قالوا : لنتقطع عنا الأسواق ، فلتهم يكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أى من وجه غير ذلك . ﴿ إِنْ شَاءَ ، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ : أى فى هذا عوض عما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

مانزل فى أهل الكتابين

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ وَلَا يُدْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

مانزل فى النسيء

ثم ذكر النسيء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسيء ما كان يُحَلَّ مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويُحرَّم مما أحلَّ الله منها ، فقال : ﴿ إِنْ عِدَّةٌ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلُمُوا فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ﴿ أَى لَا تَجْمَعُوا حُرَامَهَا حَلَالًا ، وَلَا حَلَالَهَا حُرَامًا : أَى كَمَا فَعَلَ أَهْلُ
الشِّرْكِ ﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ الَّذِى كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضِلُّ بِهِ
الدِّينَ كَفَرُوا بِحُجُوبِهِ عَامًا وَبِحَرَمُونِهِ عَامًا لِيُؤْطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،
فَيُجِئُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل في تبوك

ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تناقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من
غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من
نافق من المنافقين ، حين دُعُوا إلى مَادَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ ، ثم مَا نَعَى عَلَيْهِم
مِنْ إِحْدَانِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ
لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قَدْ لَتَمْنَا إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ، ثُمَّ انْقَضَتْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ ﴾

ما نزل في أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : ﴿ لَوْ كَانَ
عَرِضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ ، وَلَكِنْ بُعِدَتْ عَنْهُمْ الشُّقَّةُ ،

وَسَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا نَخْرُجُنَا مَعَكُمْ ، يُهْدِيكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَمْلِكُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ : أَيْ إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ :
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ، وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ، يَبْغُونَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ : سَارُوا بَيْنَ أَضْعَافِكُمْ ، فَلَا يُضَاعُ :
ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَسْرَعَ مِنَ الْمَشْيِ ؛ قَالَ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ الْهَمْدَانِي :
بَصْطَادُكَ الْوَحْدَ الْمَدْلَ بِشَاوِهِ بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِضَاعِ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

عود إلى منازل في أهل النفاق

قال ابن إسحاق : وَكَانَ الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوهُ مِنْ ذُرَى الشَّرَفِ ، فِيمَا بَلَغْنِي ،
مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولَ ، وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسَ ، وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمِهِمْ ،
فَنَبِطُهُمْ أَقْبَلَهُ لَعَلَّهُ بِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، فَيُفْسِدُوا عَلَيْهِ جَنْدَهُ ، وَكَانَ فِي جَنْدِهِ
قَوْمٌ أَهْلُ مَحَبَّةٍ لَهُمْ ، وَطَاعَةٍ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، لَشَرَفِهِمْ فِيهِمْ . فَقَالَ تَعَالَى :
﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . تَقَدَّ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ :
أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَأْذَنُوكَ ، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ : أَيْ لِيُخَدِّلُوا عَمَكَ
أَصْحَابَكَ وَيَرُدُّوا عَلَيْكَ أَمْرَكَ ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴿١﴾ ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمي لنا ، الجلد بن قيس ، أخو بنى سَلَمَةَ . حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصصة إلى قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَآجِئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴾ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْعَنُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٢﴾ : أى إنما ينههم ورضاهم وسخطهم لدينام .

ما نزل في ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُدُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، قَرِيبَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبی صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَعْمَى ، قُلْ ائْذَنُ خَيْرٌ لَّكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِوَيْدِهِ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَلِلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئاً صدقه . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ ائْذَنُ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ، ثم قال : ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُونَّ إِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فُتُورًا وَنَعْبُ ، قُلْ أَلَا لِلَّهِ آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ ، وكان الذي قال وديعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد ، من بني عمرو بن عوف ، وكان الذي عني عنه ، فيما بلغني : مُحْسِنُ بْنُ مُحَيَّرِ الْأَشْجَعِيِّ ، حايِفُ بْنُ سَلَمَةَ ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسمِع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا كَلِمَ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ... إلى قوله : ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ . وكان الذي قال تلك المقالة أُلْجَاسُ بْنُ سُؤَيْدِ بْنِ صَامِتٍ ، فرفعها عليه رجل كان في حجره ، يقال له عُيمِرُ بْنُ سَعْدٍ ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغني .

ثم قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَنْصَدَّقَنَّا وَلَئِنْ كُنَّا مِنْ الْعَاجِلِينَ﴾ ، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وهما من بني عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ،

وَالَّذِينَ لَا يُجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَسَيَخْرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وكن الطَّوَّاعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَغِبَ فِي الصَّدَقَةِ ، وَحَضَّ عَلَيْهَا ، فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَلَمِنْ زَوْهَا وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رِيَاءٌ ، وَكَانَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِجُهْدِهِ أَبُو عَقِيلٍ أَخُو بَنِي أُنَيْفٍ ، أَتَى بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَأَفْرَغَهَا فِي الصَّدَقَةِ ، فَتَضَاحَكُوا بِهِ ، وَقَالُوا : إِنْ اللَّهُ لَعَنَى عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسَّيْرَ إِلَى تَبُوكَ ، عَلَى شِدَّةِ الْحَرِّ وَجَدِبِ الْبِلَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضَحَّكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) ... إِلَى قَوْلِهِ : (وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ) .

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أبي

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقْبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ تَحَوَّلَتْ حَتَّى قَمْتُ فِي صَدْرِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَصَلِّي عَلَى

عدو الله عبد بن أبي بن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعداء أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا كثرت قائل : يا عمر آخر عني ، إني قد خيبت فاخبرت ، قد قيل لي : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، لذت . قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لي . ولجرتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ وَلَا تَصَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل في المستأذنين

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ، وكان ابن أبي من من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ أَسْكِنِ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَلَهُمُ الْغُلَبَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * أعداء الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ، ذلك الفوز العظيم * وجاء المعتذرون من الأعراب يؤذون لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله . . . إلى آخر القصة . وكان المعتذرون ، فيما بلغني نفراً من بني غفار ، منهم خفاف بن أيماء بن رخصة ،

ثم كانت القصة لأهل المذر ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ وهم البكّاءون .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ، وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .
والخوالف : النساء . ثم ذكر حيفهم المسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربّصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ ﴾ : أى من صدقة أو نفقة في سبيل الله مُعْتَمِرًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَاثِرَ ، عَلَيْهِمْ دَرْتَةُ السَّوءِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴾

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضاهم ، وما وعده

الله من حسن ثوابه إليهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ ﴾ : أى لجأوا فيه ، وأبوا غيره ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾ ، والعذاب الذى أوعدها الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى : غمهم بمام فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ أذالك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وهم الثلاثة الذين خَلَّفُوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ . . . الخ . القصة ثم قال تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى فى زمان النبی صلى الله عليه وسلم وبعده المبغثرة ، لما كُشفت من سراير الناس . وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسان بن ثابت يُعَدُّ أيام الأنصار مع النبی صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خَيْرَ مِمَّنْ كَلَّمَهَا نَفَرًا ومَعَشَرًا إِنْ هُمْ عُمُوا وَإِنْ حُصِلُوا
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بِدِرٍّ بِأَجْمَعِهِمْ مع الرسول فما أَلُوا وما خَذَلُوا
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْفَكْ بِهِ أَحَدٌ منهم ولم يَكُ في إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مَنْ أَحَدٌ ضَرَبَ رَصِينَ كَجَرَّةِ الْفَارِ مُشْتَعِلٌ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتِثْنَارِهِمْ على الجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَسَكَلُوا
وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوا بِخَيْلِهِمْ مع الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ
وَيَوْمَ وَذَانَ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنَ وَالْجَبَلَ
وَأَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
وَعَزَوَةً يَوْمَ تَجْدِيهِمْ كَانَتْ لَهُمْ مع الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالْقَفْلُ
وَأَيْلَةً بِمُحَنِّينَ جَالِدُوا مَعَهُ فِيهَا يَمْلَهُمْ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
وَعَزَوَةً الْقَاعَ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرِبِ الرَّسْلُ
وَيَوْمَ بُوَيْعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ على الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا
وَعَزَوَةً الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا
وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِلٌ بَطْلُ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْإِيْمَانِ عَارِبَةً تَعَوَّجَ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعَدَّلُ
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأَوَّلُ
وَسَاسَةَ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبْدَأَ لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَنْهَلُ

مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عَنْهُمْ وَدُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُتِلُوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ	فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامُ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ
وَأَكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ	إِلَهَ بَأْيَامَ مَضَتْ مَالَهَا شَكْلُ
بِقَضْرِ الْإِلَهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ	وَالْبَسْنَاهُ اسْمًا مَضَى مَالَهُ مِثْلُ
أَوْلَئِكَ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ	فَمَا عُدَّ مِنْ خَيْرٍ قَوْمِي لَهُ أَهْلُ
يَرُبُّونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٍ مِنْ مَضَى	وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قَوْلُ
إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يُفْجِحُوا فِي نَدِيهِمْ	وَلَيْسَ عَلَى سُوءِ أَلَمِهِمْ عِنْدَهُمْ بُحْلُ
وَمِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يُشَبِّهِوْا	خَرْبِهِمْ حَتْفٌ وَسِلْمُهُمْ سَهْلُ
وَجَارُهُمْ مُؤَفٍّ بِمَلِيَاءَةٍ بَيْتِهِ	لَهُ مَا نَوَى فِينَا الْكِرَامَةُ وَالْبَذْلُ
وَحَامِلُهُمْ مُؤَفٍّ بِكُلِّ سَمَالَةٍ	تَحْمِلُ لَا غُرْمٌ عَلَيْهَا وَلَا خَذْلُ
وَقَاتِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَاتِلُ	وَحِلْمُهُمْ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمْ عَدْلُ
وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتِهِ	وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرَّسُلُ

قال ابن هشام : وقوله « وألبسناه اسماً » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قَوْمِي أَوْلَئِكَ إِنْ تَسَالَى كِرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ

عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَيْسَارِهِمْ يَكْتُمُونَ فِيهَا الْمُسِنَّةَ السَّيْمَ
يُؤَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغَنَى وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ
فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِهِمْ يُنَادُونَ عَضْبًا بِأَمْرِ غُشْمٍ
مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ ، لَمْ يَكُونُوا مِنْ الدَّهْرِ بَوْمًا كَحِلِّ الْقَسَمِ
فَأَنْبَتُوا بِمَعَادٍ وَأَشْيَاعِهَا تَمُودَ وَبَعْضِ بَقَايَا إِرَمِ
بِئْتَرَبَ قَدْ شَيْدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجْنَ فِيهَا النِّعَمُ
نَوَاضِحَ قَدْ عَلَّمَهَا الْيَهُو دُ (عَلِ) إِلَيْكَ وَقَوْلَا هَلُمْ
وَفِيهَا اسْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَا ف وَالْعَيْشِ رَخْوًا عَلَى غَيْرِهِمْ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَنْقَالِنَا عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قَطِيمٍ
جَنَبْنَا بِهِمْ نَجِيادَ الْخَلِيو لِي قَدْ جَلَّوْهَا جِلَالِ الْأَدَمِ
فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنَبِي صِرَار وَشَدَّوْا الشَّرُوحَ بَلَى الْخُزَمِ
فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ مُنْجِ الْخَلِيو لِي وَالزَّخْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمِ
فَطَارُوا سِرَاعًا وَقَدْ أَفْرَعُوا وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأَنَّ الْأَجْمِ
عَلَى كُلِّ سَلْمَةِ فِي الصِّيَا ن لَا يَشْتَكِينُ نَحْوَلِ السَّامِ
وَكُلٌّ كَمَيْتٍ مُطَارِ الدُّوَادِ أُمَيْنِ الْفُصُوصِ كَمَثَلِ الزُّلْمِ
عَلَيْهَا قَوَارِسُ قَدْ عَوَّدُوا قَرَاعَ السَّكَاةِ وَضَرْبَ الْبُهْمِ
مُلُوكَ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلَا د لَا يَنْفَكُلُونَ وَلَكِنْ قُدُمِ
فَأَبْنَا بِسَادَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ وَأَوْلَادِهِمْ فِيهِمْ تُقَلَّتْ سَمِ

وَرَيْنَا مَسَاكِينَهُمْ بِفَعْدِهِمْ وَكُنَّا مُلُوكًا بِهَا لَمْ نَرَمْ
 فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيدَ بِالْحَقِّ وَالنُّورَ بَعْدَ الظُّلُمِ
 قَدْ نَا صَدَقَتْ رَسُولَ الْعَلَمِ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ
 فَتَشْهَدَ أَنَّكَ عَبْدُ إِلَهِهِ أَرْسَلَتْ نُورًا بِدِينٍ قِيمِ
 فَإِنَّا وَأَوْلَادُنَا جُنَّةٌ نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمْ
 فَتَحْنُ أَوْلَئِكَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَسَادِ نِدَاءِ وَلَا تَحْتَسِبْ
 وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءِ جَهَارًا وَلَا تَكْتُمِ
 فَصَارَ الْفُؤَادُ بِأَسْيَافِهِمْ إِلَيْهِ يَطْمُونُ أَنْ يُخْتَلَمَ
 فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا نَجَالِدُ عَنْهُ مُبَاقَا الْأُمَمِ
 بِكُلِّ صَغِيلٍ لَهُ مَيِّمَةٌ رَقِيقِ الذَّبَابِ عَضُوضِ خَدَمِ
 إِذَا مَا يَصَادِفُ صَمَّ الْعِظَا م لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَلَمْ يَنْتَلَمِ
 فَذَلِكَ مَا وَرَثْنَا الْقُرُوءُ مُنْجِدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشْمِ
 إِذَا مَرَّ نَسْلُ كَفَى نَسْلُهُ وَغَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْقَصَمِ
 فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا عَنِيهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمِ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته :

فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِهِمْ يُنَادُونَ غَضَبًا بِأَمْرِ غُشْمِ
 وَأُنْشِدَنِي :

يَيْتَرَبَ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ خُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النَّعَمِ

وبيته : « وكل كُمَيْتٍ مطار الفؤاد » عنه .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

انقياد العرب وإسلامهم

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب ترأى بالإسلام أمر هذا الحى من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهادهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت للحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عز وجل ، أفواجاً ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى انبييهم صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان تواباً .

غزوة تبوك

سُمِّيَتْ بَعَيْنُ تَبُوكَ ، وهى العينُ التى أمر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -
الناسَ ألا يَمَسُّوا من مائها شَيْئاً ، فسبِقَ إليها رَجُلَانِ ، وهى تَبِيضُ شَيْءٍ من
ماء ، فجاءا يدخلان فيها سَهْمَيْنِ لِيَكْثُرَ مائُوهَا ، فسبَّهما رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم ، وقال لهما : ما زِلتما تَبُوكَاها منذ اليوم فيما ذَكَرَ الْمُتَّبِعِيُّ ، قال :
وبذلك سُمِّيَتْ العينُ تَبُوكَ^(١) ، والتَّبُوكُ كالتَّنْقِشِ والحفرِ فى الشَّيْءِ ، ويقال
منه : بَاكَ الحِمَارُ الأَتَانَ يَبُوكُهَا إِذَا نَزَا عَلَيْهَا .

ووقع فى السَّيِّرة : فقال : مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا ؟ فَعِيلُ لَهُ : يارَسُولَ اللَّهِ ،
فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : فيما ذَكَرَ لِي ، سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُنَاقِقِينَ
مُعْتَبَرُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الطَّائِي ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَزَيْدُ
ابْنِ لُصَيْتٍ .

وذكر الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، وقولُ النِّبِيِّ صلى الله عليه وسلم له : يَا جَدُّ هَلْ لَكَ
الْعَامُ فى جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، يَقُلُ : إِنْ الرُّومَ قَبِلَ لَهُمْ بَنُو الْأَصْفَرِ ، لَأَنْ عِيصُو
ابْنَ إِسْحَاقَ كَانَ بِهِ صُفْرَةٌ ، وَهُوَ جَدُّهُمْ ، وَقِيلَ : إِنْ الرُّومَ بَنَ عِيصُو
الْأَصْفَرِ ، وَهُوَ أَبُوهُمْ ، وَأُمُّهُ تَسْمَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فى أَوَّلِ
الْكِتَابِ مَنْ وَلَدَتْ مِنَ الْأُمَمِ ، وَلَيْسَ كُلُّ الرُّومِ مِنْ وَلَدِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَإِنْ

(١) هو فى معجم البكرى . وقد روى مالكٌ ومسلمٌ هذا الحديثَ بغيرِ هذا اللفظِ
راجع فتح البارى ص ٨٩ وما بعدها ج ١ .

الرَّومَ الْأَوَّلَ هُمْ فِيمَا زَعَمُوا مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَصَحَّتْهَا .

وذكر يونس بِإِثْرٍ حَدِيثِ الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامَ عَنْ شَيْبَةَ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنْتَ نَبِيٌّ فَالْحَقُّ بِالشَّامِ ، فَإِنَّ الشَّامَ أَرْضُ الْمُحَشَّرِ وَأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ ، فَصَدَّقَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَالُوا . فَفَزَا غَزْوَةً تَبُوكَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الشَّامَ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَعْنَى مَا خُتِمَتِ السُّورَةُ ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لَيُخْرِجَنَّ جُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَانِكَ - إِلَى قَوْلِهِ : نَحْوِيلاً ﴾ . الْإِسْرَاءُ : ٧٧ ، ٧٦ . فَأَمَرَهُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ : فِيهَا تَحْيَاكَ ، وَفِيهَا مَمَاتُكَ ، وَمِنْهَا تَبْعُثُ ^(١) ، ثُمَّ قَالَ ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ نَحْمُودُكَ ﴾ . الْإِسْرَاءُ : ٧٩ ، ٧٨ . فَرَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : سَلْ

(١) بقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث المذكور الذي رواه البيهقي وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) ولقوله تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) الآية وغزاها ليقصص وينتقم ممن قتل أهل مَكَّةَ من أصحابه . وقيل : لأنها نزلت في كفار قريش حين هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع .

رَبِّكَ ، فَإِنْ لَسَكَ نَبِيٌّ مَسْأَلَةً ، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ نَاصِحًا ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ مُطِيعًا ، فَقَالَ : مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَسْأَلَ ؟ قَالَ : (قُلْ : رَبِّ أَذْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) وَهَؤُلَاءِ نَزَلْنَ عَلَيْهِ فِي رَجْعَتِهِ مِنْ تَبْوِكَ ^(١) .

إِبْطَاءُ أَبِي ذَرٍّ :

فصل : وَذَكَرَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ ، وَإِبْطَاءَهُ . وَاسْمُهُ : جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ ، هَذَا أَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : بَرِيرُ بْنُ عَشْرِقَةَ ، وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ السَّكَنِ ^(٢) أَيْضًا .

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا ذَرٍّ ، وَفِي أَبِي خَيْثَمَةَ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ، لَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ ، وَمَعْنَاهُ الدَّعَاءُ ، كَمَا تَقُولُ : أَسْلِمْتَ سَأَلْتُكَ اللَّهُ

إِعْرَابُ كَلِمَتِهِ وَمَعْنَاهُ :

وَقَوْلُهُ فِي أَبِي ذَرٍّ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ بِمَشْيِ وَحْدِهِ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ^(٣) .

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ سَكَنِ ، وَقِيلَ فِي اسْمِهِ بَرِيرٌ بِالتَّصْغِيرِ . وَنَسَبُهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْإِمْتَاعِ لِلْمَقْرِيزِيِّ بَعْدَ جُنَادَةَ : ابْنُ قَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خَلِيلِ بْنِ صُعَيْرِ بْنِ حَرَامِ بْنِ غَفَارٍ ، وَفِي الْإِصَابَةِ وَقِيلَ اسْمُهُ هُوَ السَّكَنِ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ بِيَّاضٍ ، النَّخَعِيُّ كَمَا وَرَدَ فِي الْإِمْتَاعِ .

(٣) يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ : عَنْ سَنَدِ قِصَّةِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَمِنْ ذَلِكَ سَنَدٌ

وَضَعِيفٌ .

أى : يموت منفرداً ، وأكثر ما تستعمل هذه الحال لنفي الاشتراك في الفعل نحو كلنى زيدٌ وحده ، أى : منفرداً بهذا الفعل ، وإن كان حاضراً معه غيره ، أى : كلنى خصوصاً ، وكذلك لو قلت : كلتته من بينهم وحده ، كان معناه خصوصاً كما قرره سيبويه ، وأما الذى فى الحديث ، فلا يتقدّر هذا التقدير ، لأنه من الحال أن يموت خصوصاً ، وإنما معناه : مُنفرداً بذاته ، أى : على حدّته ، كما قال يونس ، فقول يونس صالحٌ فى هذا الموضع ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلح أن يُحمّل عليه فى أكثر المواضع ، وإنما لم يتعرف وحده بالإضافة ، لأن معناه كمعنى لاغير ، ولأنها كلمة تُنبىء عن نفي وعدم ، والقدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مُتَعَرِّفاً مُتَعَيِّناً بالإضافة ، وإنما لم يُشتق منه فعلٌ ، وإن كان مصدرأ فى الظاهر لما قدمناه من أنه لفظ ينبىء عن عدم والفعل يدل على حَدَثٍ وزمانٍ ، فكيف يشتق من شيء ليس بحديث وإنما هو عبارة عن انتفاء الحدث عن كل أحد إلا عن زيد ، مثلاً إذا قلت : جاءنى زيدٌ وحده ، أى : لم يجرى غيره ، وإنما يقال : انعدم وانتفى بعد الوجود لا قبله ، لأنه أمر مُتَجَدِّد كالحديث ، وقد أطمئنا فى هذا الغرض ، وردناه بياناً فى مسألة سبحان الله وبحمده وشرحها .

أباً وسلمي :

فصل : وذكر الرجل الذى طرحته الريح بجبل طىء ، وما أبأ وسلمي وعُرف أبأ بأبأ بن عبد الحى كان صلب فى ذلك الجبل ، وسلمي صلبت

فى الجبل الآخر ، فعرف بها ، وهى سَلَمَى بنت حَامٍ فيما ذكر والله أعلم^(١) .

أ كبيرر والسكتاب النرى أرسل إليه :

فصل : وذكر كتابه لأَكْبِيدِر دُومَة . وودُومَة بضم الدال هى هذه ، وعرفت بدُومَى^(٢) بن إسماعيل فيما ذكروا ، وهى دُومَة الجُنْدَل ، ودُومَة بالضم أُخْرَى ، وهى عند الحِيزَة ، ويقال لها حولها النَّجَف ، وأما دُومَة بالفتح فأخرى مذكورة فى أخبار الرِّدَّة^(٣) .

وذكر أنه كتب لأَكْبِيدِر دُومَة كتاباً فيه عهدٌ وأمانٌ ، قال أبو عبيد : أنا قرأته ، أنا نى به شيخٌ هنالك فى قَضمٍ ، والقَضم الصَّحِيفَةُ ، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأَكْبِيدِر حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيفِ الله فى دُومَة الجُنْدَل وأكنافها ، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضَّخَلِ والبُورِ والأَمَامَى ، وأَغْفَالَ الأرضِ والخَلَقَةِ والسَّلاحِ والحافِرِ والحصنِ والسِّمِ الضَّامِنَةِ من النَّخْلِ والمعين من المعمورِ لا تُعَدُّ سارِحَتُكم ، ولا تُعَدُّ فارِدَتُكم ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ ، تقيمون الصلاةَ لوقتها ، وتُرْتَوُونَ الزَّكَاةَ بحَقِّها ، عليكم بذلك عهدُ الله

(١) أنظر معجم البكرى مادة أجأ وسلبى .

(٢) ويطلق عليه أيضاً : دومان .

(٣) أنظر البكرى فى دومة . فهو يقول عن دومة بفتح الدال موضع بين

الشام والموصل ، وهى من منازل جذيمة الأبرش . ودومة الكوفة بضم الدال هى النجف بعينه .

والميثاق ، ولسكم بذلك الصدق والوفاء . شهد الله ، ومن حَضَرَ من المسلمين ،
الضَّاحِيَةُ : أطرافُ الأرضِ ، وَالْمَآبِي : بَحْجُوهَا ، وَأَغْفَالُ الْأَرْضِ : مالا أُنْزِلَ لهم
فيه من عمارَةٍ أو نحوها ، وَالضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ : ما داخل بَلَدَهُمْ ، وَلَا يُحْظَرُ
عليكم النباتُ ، أَيْ لَا تُنْتَعَمُونَ مِنَ الرَّغْيِ حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَلَا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ ،
أَيْ لَا تُنْشَرُ إِلَى الْمُصَدَّقِ ^(١) وَإِنَّمَا أَخَذَ مِنْهُمْ بَعْضُ هَذِهِ الْأَرْضِينَ مَعَ الْخَلْقَةِ ،
وهي السلاحُ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ أَهْلِ الطَّائِفِ حِينَ جَاءُوا تَائِبِينَ ، لِأَنَّهُمْ لَآءٍ
ظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ أُسِيرًا ، وَلَكِنَّهُ أَبْقَى لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا تَضَمَّنَهُ
الْكِتَابُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقَاتِلْهُمْ ، حَتَّى يَأْخُذَهُمْ عَنُودَةً كَمَا أَخَذَ خَيْبَرَ ، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ
كَذَلِكَ لَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ لَهُ الْخِيَارُ فِي رِقَابِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ
وَلَوْ جَاءُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ أَيْضًا قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا فَعَلْتَ تَقِيْفُ مَا أَخَذَ مِنْ
أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا .

الكتاب إلى هرقل :

وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هِرَقْلٍ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ تَبُوكَ مَعَ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ ، وَنَصَهُ
مَذْكُورٌ فِي الصَّحَاحِ مَشْهُورٌ ، فَأَمَرَ هِرَقْلُ مُنَادِيًا ينادي : أَلَا إِنَّ هِرَقْلَ قَدْ آمَنَ
بِمُحَمَّدٍ وَاتَّبَعَهُ ، فَدَخَلَتْ الْأَجْنَادُ فِي سِلَاحِهَا ، وَأَطَافَتْ بِقَصْرِهِ تَرِيدُ قَتْلَهُ ،

(١) لَا تَعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ فَسَرَّهَا صَاحِبُ النِّهَايَةِ بِقَوْلِهِ : لَا تَصْرِفْ مَا شِئْتُمْ عَنْكُمْ عَنْ
مَرَعَاتِهَا . وَالْفَادِرَةُ : الزَّادَةُ عَلَى الْفَرِيضَةِ ، أَيْ : لَا تَضُمُّ إِلَى غَيْرِهَا ، فَتَعْدُ
مَعَهَا ، وَتَحْسَبُ .

فأرسل إليهم : إني أردت أن أختبر صلاحيتكم في دينكم ، فقد رَضِيت عنكم .
فَرَضُوا عنه ، ثم كتب كتاباً ، وأرسله مع دِخْيَةٍ يقول فيه للنبي - صلى الله عليه -
وسلم - إني مُسلمٌ ، ولكنني مغلوبٌ على أمرى ، وأرسل إليه بهدية ،
فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ،
بل هو على نَصْرٍ نِيَّةٍ .

موقفه صلى الله عليه وسلم من بعض الهزايبا :

وقبل هديته ، وقسمها بين المسلمين ، وكان لا يقبل هدية مُشْرِكٍ مُحَارِبٍ ،
وإنما قبل هذه لأنها في الإسلام ، ولذلك قسمها عليهم ، ولو أتته في بيته
كانت له خالصة ، كما كانت هدية الْمُقَوِّسِ خالصة له ، وقبلها من الْمُقَوِّسِ ؛
لأنه لم يكن مُحَارِباً للإسلام ، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول في الدين ،
وقد رد هدية أبي بَرَاءٍ مُلَاعِبِ الأَسِنَّةِ ، وكان أهدى إليه قَرَساً ، وأرسل إليه :
إني قد أصابني وَجَعٌ أَحْسَبُهُ قال : يقال له : الدَّبِيلَةُ ^(١) ، فأبعثُ إلى بِشْرِ بْنِ
أَنْدَاوَى به ، فأرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بِعُكَّةٍ عَسَلٍ ^(٢) ، وأمره
أن يَسْتَشْفِي به وَرَدَّ عليه هديته ، وقال : إني نُهَيْتُ عن زبد المُشْرِكِينَ ،
وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطُّفَيْلِ عَدُوَّ الله ، وإنما هو

(١) الدبيلة : خراج ودمل كبير تظهر في الجوف ، فتقتل صاحبها غالباً .

(٢) العُكَّة من السمن أو العسل هي وعاء من جلود مستدير يختص بهما . وهو
بالسمن أخص .

عنه عمر بن مالك . وقوله عليه السلام عن زبدي^(١) المشركين ، ولم يقل : عن هديتهم يدل على أنه إنما كره مُلَايَنَتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُمْ ، إذا كانوا حرباً ، لأن الزبدي مُشْتَقٌّ من الزبدي ، كما أن المداهنة مُشْتَقَّةٌ من الدهن ، فعاد المعنى إلى معنى اللين والملاينة ، ووجود الجِدِّ في حربهم والمُجَاشَنَةِ . وقد ردَّ هديّة عياض بن حماد المجاشعي قبل أن يُسَلِّمَ ، وفيها قال : إني نُهِيتُ عن زبدي المشركين . وأهدى إلى أبي سفيان عَجْوَةً واستَهْدَاهُ أدماً فأهداه أبو سفيان وهو على شِرْكِهِ الأدم ، وذلك في زمن الهُدنة التي كانت بينه وبين المسلمين في صلح الحُدَيْبِيَّةِ ، وقد روى أن هِرَقْلَ وضع كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كتب إليه في قَصِيَّةٍ من ذهبٍ تعظيماً له ، وأنهم لم يزالوا يتوراثونه كإرثهم كابر في أرفع صوانٍ ، وأعرَّ مكان حتى كان عند «إذفونش»^(٢) الذي تعلّب على طليطلة ، وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف «بالسليطين» حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سألته رؤيته من قواد أجناد المساميين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد ، قال : فأخرجه إلى فاستعبرته وأردت تقبيله ، وأخذته بيدي ، فمنعني من ذلك صيانة له وضماً به عليّ . ويقال : هِرَقْلَ وهِرَقْلَ .

حول قصة البطيئين :

فصل : وذكر البكتانيين ، وذكر فيهم عُلْبَةَ بن زَيْدٍ ، وفي رواية يونس

(١) زبدي : عطاء .

(٢) يقصد : ألفونس بن فرديناند الذي استولى على طليطلة سنة ١٠٨٥ م .

أن غلبة خرج من الليل ف صلى ماشاء الله ، ثم بكى ، وقال : « اللهم إنيك .
قد أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ، ما أتقوى به مع
رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحميني عليه ، وإني أنصدق على كل
مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض » ثم أصبح مع
الناس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين المتصدق في هذه الليلة ؟ لم يبق
أحد ، ثم قال أين المتصدق في هذه الليلة فليقم ، ولا يترأهد ما صنع هذه الليلة ،
فقام إليه ، فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبشروا والذي نفس محمد
بيده ، لقد كتب في الزكاة المتقبلة . وأما سالم بن عمير وعبد الله بن المغفل ،
فراهما يامين بن كعب يبيكان ، فزودهما ، وحملهما ، فالحقا بالنبي صلى الله
عليه وسلم .

معنى كلمة حسن :

فصل : وقوله خيراً عن أبي رهم : أصابت رجلى رجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجله في الغرز^(١) فما استيقظت إلا بقوله : حسن . الفرز للرجل
كأثر كاهل للفرج ، وحسن : كلمة تقولها العرب عند وجود الألم ، وفي الحديث
أن طلحة لما أصيبت يده يوم أحد ، قال : حسن ، فقال النبي - صلى الله عليه
وسلم - لو أنه قال : بسم الله ، بمعنى مكان حسن ، لدخل الجنة والناس ينظرون ،
أو كلاماً هذا معناه ، وليست حسن باسم ولا بفعل ، إنها لا موضع لها من

(١) يخكى الكلام بمعناه لا بنصه .

الإعراب ، وليست بمنزلة صه ، ومه ، ورؤبد ، لأن تلك أسماء سُمي الفعل بهاء وإنما حس^(١) صوت كالأتين الذي يُخرجه المتألم نحو آه ، ونحو قول الغراب : غاق ، وقد ذكرنا قبل في أف وجهين ، أحدهما : أن تكون من باب الأصوات مَبْدِيَّة ، كأنه يحكى بها صوت النفخ ، والثاني أن يكون مَعْرِقَة مثل تَبًا يُراد بها الوسخ^(٢) .

وقوله : السُّودُ السُّطَّاط^(٣) جمع : سَطَّ ، وهو الذي لاحتية له . قال الشاعر :

كهامة الشيخ اليماني السَطَّ^(٤)

ونحو منه : السَّنَّاط ، ومن المحدثين من يرويه : السُّطَّاط ، وأحسبه تعجيلاً .

وقوله : بشبكة شدخ^(٥) : موضع من بلاد غفار .

(١) يقال بفتح الحاء وكسر السين وبدون تنوين ، وتقول : ضرب فما قاله حس ولا بس بالجر والتنوين ، ومن العرب من يجر ولا ينون ، ومنهم من يكسر حاء حس وباء بس .

(٢) فيها عشرة أوجه أف* له بفتح الفاء وتشديدها وبكسرها وبضمها كل هذا بدون تنوين ثم بنصها وكسرها وضمها مع التنوين ، ثم أفى بإمالة الفاء المشددة إلى الكسر ، ثم أفى بوزن كبرى ثم أفة بتشديد الفاء ، وأفى بإسكان الفاء .

(٣) في السيرة : الحر الطوال السطاط أم السود فقال عنهم : الجعاد القصار والسط أيضاً : ثقل البطن بطى . أو القليل شعر الحاجبين .

(٤) هو لابي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي ، وفي اللسان : كهامة .

(٥) في الأصل : شرح ، والتصويب من معجم البكري .

انحساب مسجد الضرار:

فصل : وذكر المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضراراً .

وذكر فيهم جارية بن عامر ، وكان يُعرَف بِمَآرِ الدار ، وهو جارية ابن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف .

وذكر فيهم ابنته مُجَمَّمَا ، وكان إِذْ ذَاكَ غَلاماً حَدَّثَنَا قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَقَدَّمُوهُ لِإِمَامِنَا هُم ، وهو لا يعلم بِشَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ أَرَادَ عَزْلَهُ عَنِ الْإِمَامَةِ ، وَقَالَ : أَلَيْسَ بِإِمَامِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ ، فَأَنَسَمَ لَهُ مُجَمِّعٌ أَنَّهُ مَا عَلمَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَا ظَنَّ إِلَّا الْخَيْرَ ، فَصَدَقَهُ عُمَرُ ، وَأَقْرَبَهُ ، وَكَانَتْ مَسَاجِدُ الْمَدِينَةِ تِسْعَةً سِوَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُلُّهُمْ يَصْلَوْنَ بِأَذَانِ بِلَالٍ ، كَذَلِكَ قَالَ بَكِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشَجِّ فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ فِي مَرَاسِيلِهِ ، وَالِدَّارُ قُطَيْبِي فِي سُنَنِهِ ، فَهِيَ مَسْجِدُ رَانِجٍ ^(١) ، وَمَسْجِدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَمَسْجِدُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مَبْدُولٍ ، وَمَسْجِدُ جُهَيْنَةَ وَأَسْلَمَ ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ : وَمَسْجِدُ بَنِي سَلَمَةَ ، وَسَائِرُهَا مَذْكَورٌ فِي السُّنَنِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ مَسْجِداً بِذِي الْخَيْفَةِ ، كَذَا وَقَعَ فِي كِتَابِ أَبِي بَحْرٍ بِأَنْخَاءِ مُنْجَمَةٍ ، وَوَقَعَ الْجَيْفَةُ بِالْجَيْمِ فِي كِتَابِ قُرَيْشٍ عَلَى ابْنِ أَبِي سَرَّاجٍ ، وَابْنِ الْإِفْلِيلِ وَأَحْمَدُ ابْنُ خَالِدٍ .

(١) فِي مَعْجَمِ الْبُسْكُرِيِّ عَنْ رَانِجٍ : مَوْضِعٌ تَلْقَاءُ الْمَدِينَةُ ، كَانَ يَنْزِلُهُ بَعْضُ الْأَنْصَارِ ، وَفِي الْمَرَاثِدِ : أَطَمَ مِنْ أَطَامِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ ، وَتَسْمَى النَّاحِيَّةُ بِهِ .

عن الثلاثة الذين خلفوا :

فصل : وذكر الثلاثة الذين خلفوا ، ونهى الناس عن كلامهم ، وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية ، لا من فروض الأعيان ، لكنه في حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا ترأهم يقولون يوم الخندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ غير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فكذاك كان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم ، كذلك قال ابن بطال رحمه الله في هذه المسألة : ولا أعرف لها وجهاً غير الذي قال ، وأما الثلاثة فهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، واسم أبي كعب عمرو بن القين بن كعب ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة ابن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الشلمي ، يكنى : أبا عبدالله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، [وقيل : أبا بشير] أمه : ليلي بنت زيد بن كعبلة من بني سلمة أيضاً ، وهلال بن أمية ، وهو من بني واقف ، ومُرارة بن ربيعة ، ويقال ابن الربيع العمري الأنصاري من بني عمر بن عوف .

زاح عنى الباطل :

فصل : وذكر قول كعب : زاح عنى الباطل ، يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زِيُوحًا وزِيْحَانًا ، إحداهما عن الآخرى ، والأخرى عن الكسائى .

وقوله : فقام إلى طاحه بن عبيد الله يهنئنى ، فكان كعب يراها له ، فيه : جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سر كعب بقيام طاحه إليه ، وقد قال عليه السلام فى خبر سعد بن معاذ : قوموا إلى سيدكم ، وقام هو صلى الله عليه وسلم إلى قوم ، منهم : صفوان بن أمية حين قدم عليه ، وإلى عدى بن حاتم ، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم ، وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ سَرَّه أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ الرَّجُلُ قِيَامًا فَلْيَتَّخِذْهُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ويروى : يَسْتَجِمُّ لَهُ الرَّجُلُ^(١) يَدِ لَأَنَّ هَذَا الْوَعِيدَ إِعْمَالُهُ لِمَنْ تَسَكَّبَ عَلَيْهِ ، وَإِلَى مَنْ يَغْضَبُ ، أَوْ يَسْخَطُ الْإِيْقَامَ لَهُ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّنَفِ : يَقَامُ إِلَى الْوَلَدِ بَرًّا بِهِ ، وَإِلَى الْوَلَدِ سُورًا بِهِ ، وَصَدَقَ هَذَا الْقَائِلُ ، فَإِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُومُ إِلَى أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرًّا بِهِ ، وَكَانَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ إِلَيْهَا سُورًا بِهَارِضِ اللَّهِ عَنْهَا ، وَكَذَلِكَ كُلُّ قِيَامٍ أَثَمَرُهُ الْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالسُّرُورُ بِأَخِيكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ، وَالْبِرُّ بِنِجْبِ بَرٍّ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَنْ حَدِيثِ الْهَيْبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) يجتمعون له فى القيام . والحديث كما قال السيوطى : رواه أحمد فى مسنده والترمذى وأبو داود .

إسلام ثقيف

فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ حين قُتِلَ : مثله كمثل صاحبِ ياسين في قومه ، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) فقتله قومه ، واسمه حَبِيبُ بن مُرَيٍّ ، ويحتمل أن يريد صاحبَ إِيَّاسَ ، وهو الْيَسَّعُ ، فإن إِيَّاسَ يقال في اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبري : هو إِيَّاسُ بن يَاسِينَ ، وفيه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ ﴾ الصافات : ١٣٠ فالله أعلم . وقد بينا في التعريف والإعلام معنى إِيَّاسَ وإِيَّاسِينَ وآلِ يَاسِينَ بياناً شافياً ، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إِيَّاسِينَ جمع كالأشعرين ، وضعف قول من قال : إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فليُنظر هنالك .

زوج عروة :

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونَةُ بنت أبي سُفْيَانَ ، فولدت له أبا مُرَّةَ بن عُرْوَةَ ، وبنت أبي مُرَّةَ هي : ليلي امرأة الحسين بن عَلِيٍّ عليهما السلام ولدت للحسين عَيْنِيًّا الأكبر قتل معه بِالطَّفِّ^(١) ، وأما عليُّ الأصغر فلم يُقْتَلْ معه ، وأُمُّه : أم وَلَدٍ ، واسمها سُلَافَةُ ، وهي بنت كَسْرَى بن يَزْدَجِرْدَ ، وأختها الْقَزَالُ هي أم أبي بَكْرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَامٍ .

(١) الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طرف البرية والمراد ، .

مول هدم اللات :

فصل : وذكر إسلام ثقيف وهدم طاغيتهم ، وهى اللات ، وأن المغيرة وأبا سفيان هما اللذان هدمها ، وذكر بعض من ألف فى السير أن المغيرة قال لأبى سفيان حين هدمها : ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال : بلى ، فأخذ الميغول ، وضرب به اللات ضربة ، ثم صاح وخر على وجهه ، فارتجعت الطائف بالصياح سرورا بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها يامغيرة دونكها إن استطعت ، ألم تعلم أنها هلك من عاداتها ، ونحسكم ألا ترون ما نصنع ؟ فقام المغيرة يضحك منهم ، ويقول لهم : يا خبيثاه والله ما قصصدت إلا ألهمزأ بكم ، ثم أقبل على هدمها ، حتى استأصلها ، وأقبلت عجائز ثقيف تبكي حولها ، وتقول : أسلمها الرضاع ، إذ كرهوا المصاع ، أى أسلمها اللثام حين كرهوا القتال .

فقه حديث كتاب النبي لثقيف :

فصل : وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحاق ، وذكر فيه شهادة على وابنيه الحسن والحسين ، قال : وفيه من الفقه شهادة الصبيان ، وكتابة أسمائهم قبل البلوغ ، وإنما تقبل شهادتهم إذا أدوها بعد البلوغ ، وفيه من الفقه أيضا شهادة الابن مع شهادة أبيه فى عقد واحد .

وذكر فى الكتاب : وجأ ، وأنه حرام عضاهه وشجره ، يعنى حراما على

غير أهله كتحريم المدينة ومكة . وَوَجَّ هِيَ أَرْضُ الطائف ، وهي التي جاء فيها الحديث : **إِنْ آخِرُ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا الرَّبُّ بَوَجٍّ** ، ومعناها عند بعضهم : آخر غزوة وَوَقْعَةٍ كانت بأرض العرب بَوَجٍّ ، لأنها آخرُ غَزَوَاتِهِ - صلى الله عليه وسلم - إلى العرب ، وقد قيل في معنى الحديث غير هذا ، مما ذكره القُتَيْبِيُّ ، ونحن نضرب عن ذكره ، لما فيه من إيهام التشبيه ، والله المُستَعَانُ .

وج :

وقد قيل في وَجٍّ هِيَ الطائفُ نَفْسُهَا ، وقيل : هو اسمُ الوادي بها ، ويشهد لهذا القول قول أُمَيَّةَ بْنِ الْأَسْكَرِ :

إِذَا يَبْكِي الْحُمَامُ بَبْطُنٍ وَجٍّ عَلَى بِيضَاتِهِ بَكِيًّا كِلَابًا^(١)

وقال آخر^(٢) :

أَتَهْدِي لِي الْوَعِيدَ بَبْطُنٍ وَجٍّ كَأَنِّي لَا أُرَاكَ وَلَا تَرَانِي

وقد أُلْفِيتُ في نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

(١) أول القصيدة :

لَمِنْ شِيخَانٍ قَدْ نَشَدَا كِلَابًا كِتَابَ اللَّهِ إِنْ رَقِبَ الْكِتَابَا
وَالْبَيْتَ الَّذِي فِي الرُّوضِ ثَالِثَ بَيْتٍ فِي الْقَصِيدَةِ وَرَوَاتِهِ فِي الْأَمَالِي :
إِذَا هَتَفْتَ حَمَامَةُ بَطْنِ وَادٍ عَلَى بِيضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا
وَلِلشَّعْرِ خَيْرُ طَرِيفٍ فِي الْأَمَالِي ص ١٠٨ ذيل الأمالي ط ٢ .

(٢) نسبه البكري في معجمه للناطقة الديباني .

إِنْ وَجَّأَ وَمَا بِلَى بَطْنٍ وَجَّ دَارُ قَوْمِي بِرَبْوَةٍ وَرُتُوقِ^(١)

وُسِّمَتْ وَجَّأً فَيَا ذِكْرُوا بِوَجِّ بْنِ عَبْدِ الْحَيِّ مِنَ الْقَمَاقَةِ^(٢) ، ويقال :
وَجَّ ، وأج بالهمزة ، قاله يعقوب في كتاب الإبدال ، وكتابه صلى الله عليه
وسلم لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير ، وقد أورده أبو عبيد
بكماله في كتاب الأموال .

إنزال سورة براءة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ ، فذكر مُحَاطَةَ
لِلْمُشْرِكِينَ لِلنَّاسِ فِي حَجَّتِهِمْ ، وَتَلْمِيزَتِهِمْ بِالشُّرْكِ وَطَوَافِهِمْ عُرَاقَ الْبَيْتِ ،
وَكَانُوا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطُوفُوا كَمَا وَلِدُوا بِغَيْرِ الثِّيَابِ الَّتِي أَذْنَبُوا فِيهَا ،
وِظْلَمُوا ، فَأَمْسَكَ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الْحُجِّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ ، وَبَعَثَ
أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِسُورَةِ بَرَاءَةِ لِيُنْذِرَ إِلَى كُلِّ ذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ إِلَّا بَعْضَ بَنِي بَكْرِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ إِلَى أَجَلٍ خَاصٍّ ، ثُمَّ أَرْدَفَ
بِعَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أُنْزِلَ فِي قُرْآنٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَسَكُنْ أَرَدْتَ أَنْ يَبْلُغَ عَنِّي مَنْ
هُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَمَرَنِي عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : رِبْوَةٌ وَرُتُوقٌ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُسْكُرِيِّ وَفِيهِ أَيْضاً :

رِبْوَةٌ بِدَلَالَةٍ مِنْ رِبْوَةٍ .

(٢) فِي مَعْجَمِ الْبُسْكُرِيِّ .

أَطُوفَ فِي الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى بِبِرَاءَةٍ ، فَسَكَنْتُ أَصْبَحَ حَتَّى صَحَلَ حَلْقِي ، فَقِيلَ لَهُ : بِمَ كُنْتَ تَنَادِي ؟ فَقَالَ : بِأَرْبَعٍ : أَلَّا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَأَلَّا يَحْجُجَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَأَلَّا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُزْرِيَانٌ ^(١) ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ ، فَلَهُ أَجَلٌ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ نَحْمُ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا النِّدَاءَ بِبِرَاءَةٍ يَقُولُونَ أَمْلَى : سَتَرَوْنَ بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرَ ، بِأَنَّهُ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّكَ إِلَّا الطَّغْنُ وَالضَّرْبُ ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْمُدَّةِ رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى دَخَلُوا فِيهِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَحَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ ، وَحَجَّ

(١) أصل الحديث في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي . أما الإرداف بعمل وقول أبي بكر : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَلَ فِي شَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا الْحَدِيثَ فَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرِيُّ . وَبِقَوْلِ الطَّبْرِيِّ فِي مُشْكَلِ الْأَثَارِ : هَذَا مُشْكَلٌ ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يَبْعَثُ أَبَا بَكْرَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيًّا ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤْذِنَ ، فَكَيْفَ يَبْعَثُ أَبُو بَكْرُ أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ بِالنَّاذِينَ مَعَ صَرَفِ الْأَمْرِ عَنْهُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَجَابَ بِمَا حَاصِلُهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرَ كَانَ الْأَمِيرَ عَلَى النَّاسِ فِي تِلْكَ الْحِجَّةِ ، وَكَانَ عَلَى هُوَ الْمَأْمُورَ بِالنَّاذِينَ بِذَلِكَ ، وَكَانَ عَلِيًّا لَمْ يُطْلَقِ النَّاذِينَ بِذَلِكَ وَحْدَهُ ، وَاحْتِاجَ إِلَى مَعِينٍ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرُ أَبَا هُرَيْرَةَ . وَغَيْرَهُ لِيَسَاعِدُوهُ . ص ٩٠ ج ٣ المواهب ، وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُؤْذِنَ بِبُضْعِ وَثَلَاثِينَ آيَةً مُنْتَهَاهَا : وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وَقِيلَ : بِأَرْبَعِينَ وَاقْدُ قِيلَ : كَيْفَ يُؤْمَرُ بِالنَّاذِينَ بِبِرَاءَةٍ ، ثُمَّ يُؤْذِنُ بِمِثْلِ مَا ذَكَرَهُ ؟ وَقَدْ أَجِيبَ بِأَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُؤْذِنَ بِبِرَاءَةٍ ، وَمِنْ جَمَلَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَحْجَجُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ مِنْ قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ : (إِنَّمَا لِلْمُشْرِكِينَ نَجَسٌ) . الْآيَةُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُؤْذِنَ بِبِرَاءَةٍ وَبِمَا ذَكَرَ . وَالرَّابِعَةُ الَّتِي أُذِنَ بِهَا وَهِيَ قَوْلُهُ : وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مَدَّتِهِ وَرَدَّتْ فِي رِوَايَةِ لَأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ . وَزَادَ الطَّبْرِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ : وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ .

المسلمون ، وقد عاد الذين كُلُّهُ واحداً لله رَبُّ العالمين .

وأما النداء في أيام التشريق بأنها أيامُ أكل وشرب ، وفي بعض الروايات ، أكل وشرب وبِعال^(١) ، فإن الذي أمر أن ينأى بذلك في أيام التشريق هو كعب بن مالك وأوس بن الحُدَيم ، وفي الصحيح أن زيد بن مَرْبَعٍ ويقال فيه أيضاً : عبد الله بن مَرْبَعٍ كان ممن أمر أن ينأى بذلك ، وروى مثل ذلك عن بشر بن سَحْمٍ الغفاري ، وقد روى أن حذيفة كان للمنادي بذلك ، وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً ، وبلال ، ذكر بعض ذلك البزار في مُسنده ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ أنه أراد ذا الْحِجَّةَ والمُحَرَّم من ذلك العام ، وأنه جعل ذلك أجلاً لمن لا عهد له من المشركين ، ومن كان له عهد جعل له أربعة أشهر أولها يوم النحر من ذلك العام ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ قيل : أراد حين الحج ، أي أيام الموسم كلها ، لأن نداء علي بن أبي طالب ببراءة كان في تلك الأيام .

ما نزل في سورة براءة :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في سورة براءة في غزوة تبوك ه وأملُ التفسير يقولون إن آخرها نزل قبل أولها ، فإن أول ما نزل منها :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ثم نزل أولها في تَبَدُّ كُلِّ عَهْدٍ إِلَى صاحبه كما تقدم .

(١) البعال : مباشرة الرجل زوجته وملاعبتها ..

وقوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) فيه أقوال ، قيل معناه : شُبَّانًا وشُيُوخًا ، وقيل :
أغنياء وفقراء ، وقيل أصحاب شُغْل وغير ذِي شُغْل ، وقيل : رُكبانًا
ورِجَالًا .

عن الأجدع بن مالك :

وأُشِدَّ شاهدًا على أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ للأجدع بن مالك والدِ مَسْرُوقِ .
ابن الأجدع ، وقد غيَّرَ عمرُ رضى الله عنه اسم الأجدع ، وقال : الأجدعُ :
اسمُ شيطانٍ ، فسماه عبد الرحمن ويُكنى مَسْرُوقُ أبا عائشة .

وقوله في البيت : بصطادك الوَحْدَ ، أى : يصطاد بك ، وأراد بالوَحْدِ : الثَّوْرَ
الوَحْشَى .

وقوله : بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِبْضَاعِ ، يقال : هما شَرِيحَانِ ، أى : مختلفان .
وقبل هذا البيت أبيات في شعر الأجدع :

أَسْأَلُنِي بِرُكَاثِي وَرَحَالِهَا وَنَسِيتُ قَتْلَى فَوَارِسِ الْأَرْبَاعِ^(١)
وذكره أبو عليّ [القالى] فى الأمالى ، فقال : وسألتنى^(٢) بالواو ،

(١) كانت امرأته من بنى الحارث فأصاب وقتل من بنى الحصيصة أربعة فقالت
له امرأته : أين الإبل والغنيمه؟ فقال البيت المذكور . وروايته فى السمط : أسألتنى
بنجائب . وفى السمط من القصيدة سبعة أبيات . راجع ص ١٠٩ ، ١٤٦ السمط
(٢) أنظر ص ٢٢ ج ١ ط ٢ . وقد نبه على هذا الخطأ البكرى فى كتابه والتنبيه
على أرواح أبي عليّ فى أماليه ، ص ٣٥ فقال : إنما هو أسألتنى بالهمزة لا بالواو ،
وهو أول الشعر . بركاث منون لا بركاثى ، لأنها إنما سألته عن إبل للقوم =

وقد خطّوه ، وقالوا : إنما هو أسألُتني . وفوارسُ الأرباع قد سماهم أبو علي في الأمالي^(١) ، وذكر لهم خبراً .

إعطاء الجزية عن يده :

وذكر قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ وقيل فيه أربعة أقوال أيضاً :

أحدها : أن يؤديها الذمي بنفسه ، ولا يرسلها مع غيره .

الثاني : أن يؤدّيها قائماً ، والذي يأخذها قاعداً .

الثالث : أن معناه : عن قهروإذلال .

الرابع : أن معناه عَنْ يَدٍ مِنْكُمْ ، أي : إنعام عليهم بحقق دمائهم ، وأخذ الجزية منهم بدلاً من القتل ، كل هذه الأقوال مذكورة في كتب المفسرين ، ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعاني ، والله أعلم .

ومعنى قوله تعالى : في هذه الآية فُقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ﴿ وإن كان أهل الكتاب يصدّقون بالآخرة ، فعنه فيما ذكر ابن سلام

وركاؤهم ، لآل ركائب نفسه ، ثم ساق من القصيدة خمسة أبيات . وفوارس الأرباع هم أبناء الحصين ذى القصة بن يزيد بن شداد الذي رأس بن الحارث مائة سنة . والأرباع أرض قتلهم بها ممدان

(١) من ولد الحصين كثير بن شهاب بن حصين ولاء معاوية الرى ودستبا . ومحمد بن زهير بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير ، ص ٢٥ تنبيه البكري ، حاشية .

أن أهل الكتاب لا يقولون بإعادة الأجساد ويقولون إن الأرواح هي التي تُبعث دون الأجساد^(١).

من المعذرين :

وذكر في المعذرين : خُفَّاف بن إيماء بن رَحْضَةَ ، ويقال فيه : رَحْضَةُ بالضم ابن خربة^(٢) ، وكان له ولأبيه إيماء ، ولجده رَحْضَةُ صحبة . مات خُفَّاف في خلافة عُمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان إماماً لبني غِفَّار .

وذكر أبا عقيل صاحب الصَّاع^(٣) الذي كَتَبَهُ المنافقون ، واسمه جَنْجَاث^(٤) . وقد قيل في صاحب الصَّاع إنه رِفَاعَةُ بن سَهْل^(٥) .

(١) بل لها معنى أوسع من ذلك ، ففهمهم الآخرة عندهم لا بمطهرهم صفة الإيمان بها ، لأنهم يرون يسوع هو مالك يوم الدين ، بل ويرون مع هذا في أعمالهم جهنم ، ويرون القديسين لهم شفعاء ، ويرون أن الجنة لهم وحدهم . الخ .
(٢) قال في الإصابة في ترجمة رَحْضَةَ والد إيماء وجد خُفَّاف : بفتح أوله وثانيه عم ضاء معجمة ابن خزيمة الغفاري ، وفي ترجمة خُفَّاف قال : ابن رَحْضَةَ بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفي ترجمة إيماء قال : ابن رَحْضَةَ بن خزيمة (حريه) بن خُفَّاف بن حارثة . وقال الحافظ : لا أعرف لأبي عمر مستنداً في إثبات صحبة رَحْضَةَ .
(٣) عن أبي مسعود : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحمل على ظهورنا ، فجاء رجل ، فتصدق بشيء كثير فقالوا : مراقي ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صدقة هذا فنزلت (الذين يلزمون المطوعين) الآية رواه البخاري ومسلم .

(٤) ضبط . حشحات

(٥) في بعض الروايات أن الذي تصدق بجمده وبصاع عمر هو أبو عقيل أخو =

قصيدة مسارة الميمية :

فصل : وذكر كلمة حَسَّان الميمية^(١) وفيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدَّةٍ كُلَّهَا نَفَرَا

وحَسَّانُ ليس من مَعَدَّةٍ ، ولكن أَرَادَ : أَلَسْتُ خَيْرَ النَّاسِ ، فَأَقَامَ مَعَدَّةً
لِكَثْرَتِهَا مَقَامَ النَّاسِ .

وفيها :

ونَادَ جِهَاراً وَلَا تَحْتَشِمُ^(٢)

وفيها رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحِشْمَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى النِّقْصِ وَأَنَّهَا
مِمَّا يَضْمَعُهَا النَّاسُ غَيْرَ مَوْضِعِهَا ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : لِكُلِّ طَاعِمٍ حِشْمَةٌ ،
فَابْدَأْهُ بِالْيَمِينِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : لَا يَرْفَعَنَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ قَبْلَ
أَكْلِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَمَّا يَحْشِمُهُ ، وَأَنْشَدَ أَبُو الْقَرَجِ لِحَمْدِ بْنِ بَسِيرٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ
مِثْلَ حَسَّانَ فِي الْحِجَّةِ :

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا جَالَسْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَحَابَتَيْهَا وَقَلَّتْ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ

= بنى أنيف الإراثي حليف بني عمرو بن عوف ، ويقال عبد الرحمن بن عبد الله
ابن تعلية .

(١) هذا سهو من السبيل ، فهو في قصيدته اللامية .

(٢) هذا من قصيدته الميمية . وليست الشطرة هكذا وإنما هي :

« فنَادَ نَدَاءً وَلَا تَحْتَشِمُ ،

وفيها قوله :

وكانوا مملوكاً ، ولم يملكوا من الدهر يوماً كحل القسم^(١)

فيه شاهد لما قاله ابن قتيبة في تفسير كحل القسم ، وخلافه لأبي عبيد ،
وقد قدمنا قوليهما فيما تقدم من شرح قصيدة كعب بن زهير .

وأشد ابن قتيبة :

إذا عصفت ريحٌ فليس بقائم بها وتدٌ إلا تحلةً مُقسِم

وأشد أيضاً :

قليلاً كتحليل الألى ثم أصبحت

البيت .

وقوله : وعزاً أشم ، هو كقول العرب : عزّة قعساء ، يريد : شماء ،
لأن الأقمس الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ، وقد فسرهُ المبرد غير هذا
التفسير ، وبيت حسان يشهد لما قلناه ، إنما هو الشمم الذي يوصف به ذوالعزّة ،
فوصفت العزّة به مجازاً .

تفسير سورة النصر :

فصل : وذكر سورة : إذا جاء نصر الله . وتفسيره لها في الظاهر خلاف

(١) رواية البيت مختلفة عما في السيرة .

ما ذكره ابن عباس حين سأل عمر عن تأويلها ، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها
نبيّه عليه السلام بانقضاء أجله ، فقال له عمر : ما أعلم منها إلا ما قلت . وظاهر هذا
الكلام يدل على ما قاله ابن عباس وعمر ؛ لأن الله تعالى لم يقل : فاشكروا
ربك ، واحمده ، كما قال ابن إسحاق : إنما قال : فسبح بحمد ربك واستغفره ،
إنه كان تواباً ، فهذا أمر لنبيّه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة
إليه ، ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين ، إذ قد فرغ
من ذلك ، وتم مراده فيسه ، فصار جواب إذا من قوله تعالى : ﴿ إذا جاء
نصر الله والفتح ﴾ . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا يحذوفا . وكثيراً
ما يحذف في القرآن الجواب محذوفا ، والتقدير : إذا جاء نصر الله والفتح ،
فقد انقضى الأمر ، ودنا الأجل ، وحان اللقاء ، فسبح بحمد ربك واستغفره ،
إنه كان تواباً . ووقع في مسند البرّار مبيّناً من قول ابن عباس فقال : فيه :
فقد دنا أجلك فسبح ، هذا المعنى هو الذي فهمه ابن عباس ، وهو حذف
جواب إذا ، ولما يتدبّر لهذه النكتة حسب أن جواب إذا في قوله سبحانه :
فسبح ، كما تقول : إذا جاء رمضان فصم ، وليس في هذا التأويل من المشاكلة
لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبره ، فقد وافقه عليه عمر رضي الله عنه ،
وحسبك بهما فهما كتاب الله تبارك وتعالى ، فالقاء على قول ابن عباس
رابطّة الأمر بالفعل المحذوف ، وعلى ما ظهر لغيرهم رابطّة الجواب الشرطي
الذي في إذا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عطارد
ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمي ، في أشراف بني تميم ، منهم الأقرع
ابن حابس التميمي ، والزَّبرقان بن بدر التميمي ، أحد بني سعد ، وعمر بن
الأهتم ، والحُبَّعاب بن يزيد .

شيء عن الحتات

قال ابن هشام : الحتات وهو الذي آخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد آخى
بين نفر من أصحابه من المهاجرين ؛ بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان .
وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين
أبي ذر الغفاري والمقداد بن عمرو البهْراني ، وبين معاوية بن أبي سفيان .
والحتات بن يزيد المُجاشِعي ، فمات الحتات عند معاوية في خلافته ، فأحذم معاوية
ماترك وراثته بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

أبوك وعمي يامعاوي أوزننا تراننا فيحتاز الثراث أقاربنا
فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث حرب جامد لك ذاتية .

وهذان البيتان في أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقَيْس بن الحارث ، وقَيْس بن عاصم ، أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأفرع بن جابس ، أحد بني دارم بن مالك ، والحتات بن يزيد ، أحد بني دارم بن مالك ، والزرقان بن بدر ، أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وقَيْس بن عاصم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهُم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد كان الأفرع بن جابس ، وعُيَيْنَةُ بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحَمَيْنًا والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بني تميم كانوا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذی ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرُك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : قد أذنت لخطيبكم فإيقِل ، فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا ملوكا ،
ووهب لنا أموالا عظيما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق
وأكثره عدداً ، وأيسره عدّة ، فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا براءُوس للناس
وأولى فضلهم ؟ فنفاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا ، وإنا لونشاء لأكثرنا الكلام ،
ولسكننا نحيّا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس

كلمة ثابت في الرد على عطار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى
بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل في خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه
علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ،
واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدقته حديثاً ، وأفضله حسباً ،
فأنزل عليه كتابه وأثمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا
الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ،
أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان
أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن ، فنهض أنصار الله ووزراء رسوله ، فقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن
بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا
يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

شعر الزُّبْرَقَانِ فِي الْفَخْرِ بِقَوْمِهِ

فَقَامَ الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ ، فَقَالَ :

نَحْنُ السِّكْرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا	مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْمُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كَلِّهِمْ	عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبِعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا	مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا بُرَاتُهُمْ	مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ يَا شَمَّ تَصْطَفِيعُ
فَنَنْخَرُ السُّكُومَ عُبْطًا فِي أُرُومَتِنَا	لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ تُفَاخِرُهُمْ	إِلَّا اسْتَفَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَلِكَ نَعْرِفُهُ	فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ	إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَزَّاعُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى :

مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُقَسِّمُ الرَّبْعُ

وَيُرْوَى :

مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانًا ثُمَّ يُنْقَعُ

رَوَاهُ لِي بَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِلزُّبْرَقَانِ .

شعر حسان في الرد على الزُّبْرَقَانِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ حَسَّانُ غَائِبًا ، فَبِعِثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

وسلم . قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيبَ شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنْعَنَا رسول الله إِذْ حَلَّ وَسَطَنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدِّ وَرَاعِمِ
مَنْعَنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
بَبْنَتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَاهِيَّةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُودُ وَالنَّيَّادَى

وَجَاءَ الْمُلُوكُ وَاحْتِمَالِ الْعِظَامِ

قال : فلما انتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال قال : فلما فرغ الزبير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان فقال :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِئْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ كَبَّيْنُوا سُنَّةَ النَّاسِ تُذَبِّعُ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلَّ الْخَيْرِ يَهْطُلُ نَعْمُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَعَةٍ إِنَّ الْخُلَاقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سِبَاقُونَ بِهِدْمٍ فَكُلَّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَاؤُهُتْ أَكْفَهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمَ مَا فَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْنَدَى مَتَمَعُوا

أَعَفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَنْهُمْ لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَعُ وَلَا يَتَمَسَّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَمِعُ إِذَا أَصَابْنَا إِحْيَى لَمْ نَدِبْ لَهُمْ كَمَا يَدُبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا تَحَالِبُهَا إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ كَانَهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ أَسَدٌ بِحَمَلِيَّةٍ فِي أَرْسَاعِهَا فَسَدَعُ خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا وَلَا يَكُنْ تَهْمُكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا غِنًى فِي حَرْبِهِمْ فَاتَرَكْ عَدَاوَتَهُمْ شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلَامُ أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوَارِزُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ فَاهُهُمْ أَفْضَلُ الْأَخْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ تَمَعُوا

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد :

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيْرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

شعر آخر للزبرقان

قال ابن هشام : حدثني بعضُ أهل العلم بالشعر من بني تميم : أن الزبرقان ابن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

بِأَنَّا قُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَطْنٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كِدَارٌ
وَأَنَا نَذُودُ الْمُعْلِمِينَ إِذَا انْتَخَوْا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصِيدِ الْمُتَقَايِمِ
وَأَنْ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ نَغِيرُ بَنَجْدٍ أَوْ بَارِضِ الْأَعَايِمِ

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان

فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا الشُّوْدُدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ
نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِمَحْيٍ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَتَرَاوَهُ بِحَايَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَايِمِ
نَصَرْنَاهُ لِمَا حَلَّ وَسَطِ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَيْنِنَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطِينَنَا لَهُ نَفْسًا بَقِيَّ الْمَغَانِمِ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى دِينِهِ بِالْمُرُفَّاتِ الصَّوَارِمِ
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَّرَكُمْ يَعُودُ وَبِالْأَعْنَدِ ذِكْرُ الْمَسْكَارِمِ
هَمِيلَتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوْلٌ مَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقَسِّمُوا فِي الْمَقَامِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدًّا وَأُسْلُومًا وَلَا تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِي الْأَعَايِمِ

إسلامهم وتجويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ، إن هذا الرجل كموتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، وكشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوّزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهم في هجاء قيس لتحقيره إياه

كان عمرو بن الأهم قد خلفه القوم في ظهرهم ، وكان أصغرهم سناً ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا في رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوهُ :

ظَلَلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُّنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَاِمَ تَصْدُقُ وَلَمْ تُصِيبِ
سُدْنَا كَمْ سُودْدًا رَهْوًا وَسُودْدُكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ عَلَى الذَّنَبِ

قال ابن هشام : بقي بيت واحد تركناه ، لأنه أقدح فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيُظَاهَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفاة عن بني عامر

بعض رجال الوفد

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزي بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلتى بن مالك ابن جعفر . وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول

وقدّم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أساموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنهي حتى تنبع العرب عني ، أفأنا أنبع عقب هذا الفتى من قریش ! ثم قال لأربد : إذا قدّمنا على الرجل ، فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالني ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالني . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به . فجعل أربد لا يحير شيئا ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال يا محمد خالني قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فلما وثق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامر بن الطفيل .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأريد : وَيَلَاكَ
يَا أُرَيْدُ أَيْنَ مَا كُنْتُ أُمَرَأْتُكَ بِهِ ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو
أخوف عندي على نفسي منك . وإني والله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال :
لَا أَبَالُكَ ! لَا تَتَجَلَّ عَلَى ، والله ما هَمَّمتُ بالذي أمرتني به من أمره .
إِلَّا دَخَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ ، حَتَّى مَا أُرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله
على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول ،
فجعل يقول : يَا بَنِيَّ عَامِرُ ، أَغْدَى كَفْدَةُ الْإِبِلِ ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ !
قال ابن هشام : وَيُقَالُ : أَغْدَى كَفْدَةُ الْإِبِلِ ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ .

موت أريد بصاعقة وما نزل فيه وفي عامر

قال ابن إسحاق : ثُمَّ خَرَجَ أَصْحَابُهُ حَيْنَ وَارَوْهُ ، حِينَ قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي
عَامِرٍ شَاتِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أُرَيْدُ ؟ قَالَ : لَأَشْيَاءُ
وَاللَّهِ ، لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوْ دِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرِيهِهِ نَالَتَبَلِ حَقِّ
أَقُولُهُ ، فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَاتِلَتِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَتَّبِعُهُ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً ، فَأَخْرَقَتْهُمَا . وَكَانَ أُرَيْدُ بْنُ قَيْسٍ أَخُو الْبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ لَأُمِّهِ .
قال ابن هشام : وَذَكَرَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ

ابن عباس ، قال : وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

قال : الْمُعْقَبَاتُ : هي من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ .

شعر لبيد في بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكي أربد :

ما إن تُعَدِّيَ التَّنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدًا لُحُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ الذَّسَاءُ فِي كَبَدٍ
إِنْ يَشْعَبُوا لَا يُبَالِ شَفَهُمُ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلُوْ أَرْيَبٌ وَفِي حَلَاوَتِهِ	مُرَّ لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالسَّكَبِ
وَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	أَلَوْتَ رِيَّاحُ الشَّتَاءِ بِالْمَقْصِدِ
وَأَصْبَحَتْ لَافِحًا مُصْرَمَةً	حَتَّى تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الدَّدِ
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةِ لَحْمِ	ذُو نَهْمَةٍ فِي الْإِلَا وَمُنْتَقِدِ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا	لَيْلَةَ تَنْمَى الْجِيَادُ كَالْقِدْدِ
الْبَاعِثُ النَّوْحَ فِي مَاتِمِهِ	مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأَبْسْكَارِ بِالْجَرْدِ

فَجَمَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالسَّفَارِسِ يَوْمَ الْكَرْبَةِ النَّجْدِ
وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيبًا وَإِنْ يَمُدُّ يَمُدُّ
يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّوَالِ كَمَا يُنْمِتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ
كُلَّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْعَدَدِ
إِنْ يُغَبِّطُوا يُهْبِطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالْفَقْدِ

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبي عبيدة ،
وبيته : « يعفو على الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال ليبدأ بيكي أربد :

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْحَامِي وَمَانَعُ ضَمِيمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ
وَأَبْقَنْتُ لِلتَّفَرُّقِ يَوْمَ قَالُوا تُقْسِمُ مَالُ أَرْبَدَ بِالسَّهَامِ
تُطِيرُ عَدَائِدَ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا وَدِرًّا وَالزَّعَامَةُ لِلْفُلَامِ
خَوَدَعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حُرَيْرٍ وَقَالَ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ
وَكُنْتُ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظَامِ
وَأَرْبَدُ فَارِسُ الْمُهَيْجَا إِذَا مَا تَقَعَّرَتِ الْمَشَاوِرُ بِالْفِثَامِ
إِذَا بَكَرَ النَّسَاءُ مُرَدَّاتٍ حَوَاسِرَ لَا يُجِنُّنَ عَلَى الْخِدَامِ
فَوَالِ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَنَاهُ كَمَا وَالَ الْمُحِلُّ إِلَى الْحَرَامِ
وَيَحْمَدُ قَدَرَ أَرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ الْأَحَامِ
وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ لَهَا تَفَلُّ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ

فَإِنْ تَقُمُّدْ فَكُرْمَةٌ حَصَانٌ وَإِنْ تَطْعَنْ فَجُسَيْمَةٌ الْكَلَامِ
وَهَلْ حَدَّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنِي شَمَامِ
وَالَا الْفَرَقْدَيْنِ وَالْ نَعْسِ خَوَالِدَ مَا تُحَدِّثُ بَاهِدَامِ

قال ابن هشام : وهى فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً يبكى أريد :

أَنْعَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَرْبَدَا أَنْعَ الرَّئِيسَ وَاللَّطِيفَ كَبِدَا
يُخَذِّى وَيُعْطِى مَالَهُ لِيُحْمَدَا أَذْمَا يُشَبِّهَنَّ صَوَارَا أَبَدَا
السَّابِلَ الْفَضْلِ إِذَا مَا عُدَدَا وَيَمْلَأُ الْجَنَّةَ مَلَكَا مَدَدَا
رِفْهَا إِذَا بَاتَى ضَرْبُكَ وَرَدَا مِثْلُ الَّذِى فِي الْفِيلِ يَفْرُو جُدَدَا
يَرْدَادُ قُرْبَا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا أَوْرَثْنَا تَرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا
عَبَا وَمَالَا طَارِفَا وَوَلَدَا شَرَحَا صُمُورَا يَافِعَا وَأَمْرَدَا

وقال لبيد أيضاً :

لَنْ تُنْفِىَا خَيْرَاتِ أَرْبَدَا فَابْكِىَا حَتَّى يَمُودَا
قَوْلَا هُوَ الْبَطْلُ الْمُحَا مِى حِينَ يَكْسُونَ الْحَدِيدَا
وَبَصُودُ عَنَا الظَّالِمِينَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صِيدَا
فَانْعَاقَهُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ إِذْ رَأَى أَنْ لَا خُلُودَا
فَقَوَى وَلَمْ يُوجَّعْ وَلَمْ يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا

وقال ليبدأ أيضاً :

يُذْكَرُنِي بِأَرْبَدٍ كُلِّ خَصْمٍ أَلَدَّ تَحَالُ خُطْبَتُهُ ضِرَارًا
إِذَا اقْتَصَدُوا فَمَقْتَصَدَ كَرِيمٌ وَإِنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارًا
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطْلَعًا إِذَا مَا دَلِيلُ الْقَوْمِ بِالْمَوَاطِنِ حَارًا

قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال ليبدأ أيضاً :

أَصْبَحْتُ أُمِّي بِعَدِّ سَلَمَى بْنِ مَالِكٍ
وبعد أبي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالْأَجَبِ
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْفُرَابِ أَضْجَعَهُ حِذَارًا عَلَى بَاقِي السَّنَانِ وَالْعَصَبِ
قال ابن هشام : وهذان البيعان في أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم ، يُقال له ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن الوليد بن نُوَيْفِعٍ عَنْ كُرَيْبٍ ، مَوْلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ
ثَعْلَبَةَ وَافِداً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، وَأَنَاخَ بِعِيرِهِ عَلَى

باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه ؛ وكان ضمَامُ رجلاً جَلَدًا أشعرَ ذا غَدِيرَين ، فأقبل حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابنُ عبدِ المطلب ؟ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابنُ عبدِ المطلب . قال : أعمد ؟ قال : نعم ؛ قال يابن عبدِ المطلب ، إني سائلُك ومُعَلِّظُ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فَلَ عما بدا لك . قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرُك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئا ، وأن نخضع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرُك أن نعبدَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام قريضة قريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يَنشُدُه عند كلِّ قريضة منها كما يَنشُدُه في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسولُ الله ؛ وسأودى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لا ثم أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيده راجعاً . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو القِصتين دخل الجنة .

دعوته قومه للإسلام

قال : فأتى بعيره فأطلق عقله ، ثم خرج حتى قَدِمَ على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بُئِست اللاتُ والعُزَّى ! قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إلهما والله لا يضُرَّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً أسئلكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة .

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنشل أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلَّى في وفد عبد القيس وكان نصيرانياً .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه ، فعرَّض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ،

وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحنلان ، فقال : والله ما عندي ما أحملكم عليه . قال : يا رسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس : أفتبليغ علينا إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حرق النار .

موقفه من قومه في الردة

نفرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، ضليلاً على دينه ، حتى هلك وقد أدرك الردة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الفرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلم ، فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد .

قال ابن هشام : يروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء ابن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدي ، فأسلم فحسن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مُسَيْلِمَةُ
ابن حَبِيب الحنفي الكذاب .

قال ابن هشام : مُسَيْلِمَةُ بن ثُمَامَةَ ، ويكنى أبا ثُمَامَةَ .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ،
ثم من بني النجَّار ، فحدثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بني حنيفة أتت
به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم
جالس في أصحابه . معه عَسِيبٌ من سَعَف النخل في رأسه خوصات ؛ فلما انتهى
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال
له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخٌ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن
حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وخلفوا مُسَيْلِمَةَ في رحالهم ، فلما أساموا ذكروا مكانه ، فقالوا :
يا رسول الله ، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا ، قال :
فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال أما إنه
ليس بشركم مكاناً ، أي لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إني قد أشرّكت في الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشركم مكاناً ؛ ماذا إلا لما كان يعلم أني قد أشرّكت في الأمر معه ، ثم جعل يسّجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسمى ، من بين صيفاق وحشى » وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبيّ ، فأصفتّ معه حنيفة على ذلك ، فأنه أعلم أيّ ذلك كان .

قدوم زيد الخيل في وفد طيء .

إسلامه وموته

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلّموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسّن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً

الخير ، وقطع له قَيْدًا وَأَرْضَيْنَ معه ، وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ مُحَيِّ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : قد سماها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمي ، وغير أمِّ مِلْدَم ، فلم يثبتته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له قَرْدَة ، أصابته الحُمَّى بها فأت ، ولما أحسن زيد بالموت قال :

أُمْرٌ تَحِلُّ قَوْمِي الْمَشَارِقَ غُدُوَّةً وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِقَرْدَةٍ مَنْجِدٍ
لَا رَبَّ يَوْمَ لَوْ مَرَّضْتُ لِمَا دَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرِئْ مِنْهُمْ يَجْمَدُ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التي قطع له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقتها بالنار .

أمر عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأة شريفاً ، وكنت أنصراًنياً ، وكنت أسير في قومي بالمرابح ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكاً في قومي ، لما كان يُصنع بي . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فماتت لعلام كان لي عربي ، وكان راعياً لإبلي : لا أبالك ، أعدد لي من إبلي أجمالا ذُللاً سماناً ، فاحتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأدني ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات

غداة ، فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ،
فإني قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت :
فقرّب إلى أجمالى ، فقرّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألتحق بأهل
دبنى من النصارى بالشام فسلكت الجوشية ، ويقال الحوشية ، فيما قال ابن
هشام - وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر ، فلما قدّمت الشام أقمت بها .

وتخالفنى خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فتصيب ابنة حاتم ، فيمن
أصاب ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طىء ،
وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال فجعلت بنت حاتم
فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبّسن فيها ، فمرّ بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزَلَة ، فقالت : يا رسول الله ،
هَلَكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىَّ ، مَنْ الله عليك . قال : وَمَنْ وافدك ؟
قالت : عَدَى بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرّ بى ، فقلت له
مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بى
وقد بدّست منه ، فأشار إلىّ رجل من خلفه أن قومى فكلّاميه ؛ قالت : فقامت
إليه ، فقامت : يا رسول الله ، هَلَكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىَّ ، مَنْ الله
عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى
من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت
عن الرجل الذى أشار إلىّ أن أكلّمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان

ﷲ عليه ، وأثمت حتى قدم ركب من بليّ أو قضاة ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخى بالشام . قالت : فجنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قدّم رَهْط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدّمت الشام .

قال عدى : فوالله إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى ظمينة تصوب إلىّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت علىّ انسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بغيّة والدك عورتك ، قال : قلت : أيّ أخية ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى من عُدّ ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تدلّ في عزّ اليمين ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأي .

إسلام عدى

قال : فخرجتُ حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه ، إذ لقيته امرأة ضميعة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تسكّمه في حاجتها ؛ قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة

من آدمَ مَحْشُوءَةً لَيْفًا ، فمَقَذَفَهَا إِلَى ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إياه ياعدتي بن حاتم ! ألم تك رَكُوسِيًّا ؟ قال : قلت : بلى . (قال) : أولم تكن تسيرُ في قومك بِالْمَرْبَاعِ ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يَحِلُّ لك في دينك ؛ قال : قلت : أَجَلُ والله ، وقال : وعرفت أنه نبيُّ مُرْسَلٍ ، يعلم ما يُجْهَلُ ، ثم قال : لملك ياعدى إِيَّامًا يَمْنَعُكَ من دُخُولِ في هذا الدين ما تَرَى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حتى لا يُوجَدَ من يأخذه ؛ ولملك إِيَّامًا يَمْنَعُكَ من دخولٍ فيه ما ترى من كثرةِ عدوِّهم وقلةِ عددهم ، فوالله لَيُوشِكَنَّ أَنْ تسمعَ بالمرأة تخرج من القادسيَّةِ على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولملك إِيَّامًا يَمْنَعُكَ من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلُكَ والسلطان في غيرهم ، وإيَّاهُ اللهُ ليوشكنَّ أَنْ تسمعَ بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ عليهم ؛ قال : فأسلت .

وقوع ما وعده به الرسول عديًّا

وكان عديٌّ يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لَتَكُونَنَّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيَّةِ على بعيرها لا تخاف حتى تَحِجَّ هذا البيت ، وإيَّاهُ اللهُ لَتَكُونَنَّ [الثالثة ، لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حتى لا يُوجَدَ من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ فَرَوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ الْمُرَادَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم مفارقاً للملك كِنْدَةَ ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى اُنْتَحَنُوهُمْ في يوم كان يقال له : يوم الرَّدَم ، فكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حريم الهمداني .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك :

مَرَرْنَا عَلَى لُفَاةٍ وَهَنَ خَوْصُ	بِنَازَعِنِ الْأَعِنَّةَ لَنَنْتَحِينَ
فَإِنْ نَقَلَبَ فَنَقَلَّابُونَ قَدَمَا	وَإِنْ نَقَلَبَ فَنَقَلَّابُونَ قَدَمَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ	مَتَايَا وَطُعْمَةً آخِرِينَ
كَذَاكَ لِدَهْرٍ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	نَكُرُّ صُرُوفَهُ حِينًا خَفِينًا
فَبَيْنَا مَا نُسَرَّ بِهِ وَنَرْضَى	وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِينًا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتٌ دَهْرٍ	فَالْفَيْتَ الْأَلَى غُبَطُوا طَحِينًا
فَنَنْ يَنْقَبُطُ بِرَبِّ الدَّهْرِ مِنْهُمْ	يَجِدُ رَبِّبَ الزَّمَانِ لَهُ حُتُونًا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا	وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَنْ بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ سَرَواتِ قَوْمِي	كَمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَ

قال ابن هشام : أوَّل بيت منها ، وقوله : « فَإِنْ نَقَلَبَ » عن غير

ابن إسحاق .

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً للملك كنفدة ، قال :

لما رأيتُ ملوك كنفدة أعرضتُ كالرجل خان الرجل عرق نساءها
فقرّبتُ راحتي أوّمتُ مُحَمَّداً أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَاهَا

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَاهَا » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرّذم ؟ قال يا رسول الله ، مَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرّذمِ لَا يَسُوؤُهُ ذَلِكَ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم له : أَمَا إِنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا .

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزُيِّدَ ومُدْحِجَ كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ،

يقول إنه نبيّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن
ينحني عليك ، وإذا اتبعناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه
قيس ذلك ، وسفّه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدّم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدّقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرواً ، وتحطّم عليه ، وقال : خالفني
وترك رأيي ؛ فقال عمرو بن معديكرب في ذلك :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنَعَا . أَمْرًا بِلَدِيَا رَشَدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَالْمَعْرُوفِ تَتَعَدُّهُ
خَرَجْتُ مِنَ الْمَنَى مِثْلَ الْحُمَيْرِ غَرَرَهُ وَتَدُمُ
تَمْنَانِي عَلَى قَرَمٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسْدُهُ
عَلَى مُفَاضَةٍ كَالنَّهْشَى أَخْلَصَ مَاهُ جَدَدُهُ
تَزِدُّ الرُّمَحَ مُنْتَهَى السُّنَانِ عَوَائِرًا قِصْدُهُ
فَلَوْ لَا قَيْدَنِي لِلْقَيْتِ لَيْتِمَا فَوْقَهُ لِبَدُهُ
تُلَاقِي شَذَبِمَا شَفَى الْبِرَانِ نَاشِرًا كَمَدُهُ
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ نَيْمُهُ فَيَمْتَصُّدُهُ
فِيَاخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ
فَيَدْمُمُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدِرُدُهُ
ظَلَمَ الشَّرْكَ فَمَا أَحْرَزْتُ أَنْبِيَاءَهُ وَيَدُمُ

قال ابن هشام : أنشدني أبو سبيدة :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنَمَا ، أَمْرًا بَيْنَنَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ تَأْتِيهِ وَتَقَعِدُهُ
فَكُنْتُ كَذِي الْحَمِيرِ غَرَّ رُهُ مِمَّا بِهِ وَتَدُهُ
لَمْ يَعْرِفْ سَارَهَا .

ارتداده وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيدة
وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو
ابن معد يكرب ، وقال حين ارتد :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرُوءَ شَرِّ مُلْكٍ حِجَارًا سَافَ مُنْخَرُهُ بِثَقْرِ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْخَوْلَا مِنْ خَبَثٍ وَغَدَرٍ
قال ابن هشام : قوله « بثقر » عن أبي عبيدة .

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث
ابن قيس في وفد كندة ، فحدثني الزهري بن شهاب أنه قَدِمَ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسجده وقد رَجَلُوا جُمُوعَهُمْ وَتَكَجَّلُوا ، وعليهم جُبُبُ الْحَبَرَةِ ،

وقد كفّفوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ألم تُسَلِّموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فقال بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال :
فشقّوه منها ، فالتقوه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل المرار ،
وأنت ابن آكل المرار ، قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :
نأسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان
العباس وربيعة رجلين ، تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئلا من هما ؟
قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعزّزان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا .
ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا أمنا ، ولا نتقي من
أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا
يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ،
وآكل المرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن
معاوية بن ثور بن مُرتَع بن معاوية بن كِنْدِي ، ويقال كِنْدَة ، وإنما سمي
آكل المرار ، لأن عمرو بن الهبولة الفسّاني أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ،
فغنم وسبي ، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن مُحَلَم الشَّيباني ، امرأة
الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو في مسيره : لسكّاني برجل أدلم أسود ،
كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبتيك ، تعني : الحارث ، فسمي

آكل المرار، والمرار : شجر . ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِلْزَة اليشكري : لعمر بن المنذر وهو عمرو بن هند اللخمى :

وَأَقْدَنَّاكَ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْذِرِ كَرْنَهَا إِذْ لَا تُكَالِ الدَّمَاءُ

لأن الحارث الأعرج الغساني قتل المنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعى من استقصائه ما ذكرت من القطع . ويقال بل آكل المرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

إسلامه

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صَرْدُ بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسُن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه : وأسروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرّش

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجرّش ، وهى يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد صوّت إليهم خَشَمٌ ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلاً ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكْر ، ظنّ أهل جرّش أنه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلاً شديداً .

إخبار الرسول وافدى جرّش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جرّش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيّة بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شكّر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلاذنا جبل يقال له كَشْر ؛ وكذلك يسميه أهل جرّش ، فقال : إنه ليس بكَشْر ، واسكنه شكْر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدِنَ الله لثمنحصر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينفعى لكما قومكما ، فقوموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين .

إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصحابهم صُرَد بن عبد الله ، في اليوم
الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها
ما ذكر .

إسلام أهل جرش

وخرج وفدُ جرَش حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة
والمثيرة ، بقرّة الحرث ، فمن رعاه من الناس فإلهم سُحَّتْ . فقال في تلك
الفزوة رجل من الأزد : وكانت خَنَعَم تُصِيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا
يَعُدُّون في الشهر الحرام :

يَا غَزَوَةَ مَا غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ فِيهَا الْبِقَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمُرُ
حَتَّى أَتَيْنَا حُمَيْرًا فِي مَصَانِعِهَا وَجَمْعُ خَنَعَمٍ قَدْ شَاعَتْ لَهَا النُّذُرُ
إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلًا كُنْتُ أَحِلَّهُ فَمَا أَبَالَى أَدَانُوا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حِمِير ، مَقْدَمُهُ
من تَبُوكَ ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم
ابن عبد كلال . والثَّغْنَانُ قِيلُ ذِي رُعَيْنِ وَمَعَاقِرُ وَهَذَانُ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةَ
ذَوِيزَنٍ مَالَكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَآوِي بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمُعَارَقَتِهِمُ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ .

كتاب الرسول إليهم

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث
ابن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى الثعمان ، قَيْلِ ذِي رُعَيْنِ
ومعاقر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمّد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ،
أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلَبًا من أرض الروم ، فلقينا بالدينة ،
فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ،
وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتهم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ،
وآتيتم الزكاة ، وأعطيتهم من المغنم خمس الله ، وسهم الرسول ووصفيه ، وما
كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة من العقار ، عُشر ما سقت العين وسقت السماء ،
وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ؛ وأن فى الإبل الأربعين ابنة لبون ،
وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفى كل خمس من الإبل شاة ، وفى كل
عشر من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفى كل ثلاثين
من البقر تبيع ، جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ؛ وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ،
شاة ، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو
خير له ، ومن أذى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ،
فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمّة الله وذمّة رسوله ، وإنه
من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حرّاً أو عبد ، دينارٌ وافر ، من قيمة المغافر أو عِوَضُهُ ثياباً ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أتاكم رُسُلِي فأوصيكم بهم خيراً : مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبَةُ بن نمر . ومالكُ بن مُرّة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مَخَالِفِكُمْ ، وأبْغَوْهَا رُسُلِي ، وأن أميرم مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِياً . أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالكَ بن مُرّة الرَّهَآوِيَّ قد حدثني أنك أسلمت من أول حير ، وقتلت المشركين ، فأبشّر بخير وأمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو وليُّ غنيّكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُزَكِّيُ بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالسكا قد بَلَغَ الْخَبَرَ ، وحَفِظَ الْغَيْبَ ، وأمركم به خيراً ، وإني قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم ، واللام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذاً على اليمن وشيء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مُعَاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يَسِّرْ .

ولا تمسّر ، وبشّر ولا تنفّر ، وإنك ستقدّم على قوم من أهل الكتاب ، يسألونك ما مِفْتَاحُ الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِمَ اليَمَنَ قام بما أمره به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنته امرأة من أهل اليَمَنَ ، فقالت : يا صاحب رسول الله ، ما حقّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّي حقّ زوجها ، فأجهدى نفسك في أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنك لتعلم ما حقّ الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنشعب منخراة قتيحاً ودمماً ، فمَصِصْتُ ذلك حتى تُذهبيه ما أدّيت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

إسلامه

قال ابن إسحاق : وبث فروة بن عمرو النافرة الجذامي ، ثم الأنثاقى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على مَنْ يلبسهم من العرب ، وكان منزله مُعان وماحولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره في محبسه

فلما باع الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طارقتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ
 صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَ مَا قَدِ رَأَى وَهَمْتُ أَنْ أَغْفَى وَقَدْ أَبْسَكَانِي
 لَأَنْسَكِحَانَ الْعَيْنَ بِمَدَى إِمْدَادٍ سَلَمَى وَلَا تَدِينُ لِلْإِتْيَانِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنْتَى وَسَطَ الْأَعِزَّةِ لَا يُحْصِ إِسَانِي
 فَلَيْتَ هَلَسْتُ لَتَنْقِذَنَّ أَخَاكُمْ وَلَيْتَ بَقِيتُ لَتَعْرِفَنَّ مَسْكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ
 فَلَمَّا أَجَمْتُ الرُّومَ لَصَلْبِهِ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ ، يُقَالُ لَهُ عَفْرَاءُ بِفِلَسْطِينَ ، إِنْ قَالَ :
 أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمَى بِأَنْ حَلِيلَهَا عَلَى مَاءِ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَاهِلِ
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أَمَّهَا مُشْدَّبةٌ أَطْرَافُهَا بِالتَّمْجِيلِ

مقتله

فَزَعِمَ الزَّهْرِيُّ بْنُ شِهَابٍ ، أَنَّهُمْ لَمَّا قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ . قَالَ :
 بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنِّي سَلَّمُ لِرَبِّي أَعْظَمَى وَمَقَامِي
 تَمَّ ضَرْبُوا عُنُقَهُ ، وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، يَرْحَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجْران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِمَ عليهم ، فبعث الرُكبانَ يَضربون في كلِّ وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتابَ الله وسنَّةَ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يُقاتلوا .

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك بعثتني إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنَّةَ نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت

فيهم رُكبانًا ، قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ،
وأنا مُقيم بين أظهرهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ،
وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالجيء

فيكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد .
سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك
جاءني مع رسولاك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقا تلهم ،
وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن
محمدًا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه ، فبشّرهم وأنذرهم ، وأقبل
وأقبل معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدٍ على الرسول

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بني
الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَيْن ذِي الْعُصَّة ، ويزيد بن عبد المَدان ،
ويزيد بن الحُجَّل ، وعبد الله بن قُرد الزِيَادِي ؛ وشداد بن عبد الله القَتَانِي ،
وعمر بن عبد الله الضَّبَّائِي .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء
 القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث
 ابن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّموا عليه ، وقالوا :
 نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ،
 ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم
 منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ،
 نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : لو أن خالدًا لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت
 رؤوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ما حِددناك
 ولا حدنا خالدًا ، قال : فن سجدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذي هدانا
 بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن تغلب أحدًا ؛ قال :
 بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا تغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله
 إنا كنا نجتمع ولا نَفترق ، ولا نبدأ أحدًا بظلم ؛ قال : صدقتم ، وأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحُصَيْن .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم في بقيَّة من شوال ، أوفى صدر

ذِي الْقَعْدَةِ ، فلم يَكْتُمُوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى تَوَفَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعنده إليهم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن وتى وفدُهم عمرو بن حزم ، ليفقَّهم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره .. بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، بالأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى الين . أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشِّر الناس بالخير ، ويأمرهم به . ويُعَلِّم الناس القرآن ، ويفقَّهم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق . ويشد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ، ويبشِّر الناس بالجنة وبعمالها ، ويُذِير الناس النارَ وعملها ، ويستألف الناس حتى يُفَقَّهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ؛ وينهى الناس أن يصلّى أحدٌ في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد يُقضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان

بين الناس هَنَيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وإيـكـن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقطَعُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهرهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَلَسُ بالصبح ، ويَهَجَّرُ بالهجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالجمعة إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسق الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُردُّ عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينارٌ وافرٌ أو عوضه ثياباً .

فمن أدّى ذلك فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه

عدوّ الله ورسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه
ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعه بن زيد الجذامي

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدنة الحُدَيْبِيّة ، قبل خيبر ،
رِفاعه بن زَيْد الجُذَامِيّ ، ثم الضُّبَيْيّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاماً ، وأسلم ، فَخَسَنَ إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتاباً إلى قومه . وفي كتابه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذا كتاب من محمد
رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ،
يدعوه إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ،
ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعه على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة
الرجلاء . ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماءهم وكلمة ابن عطاء بن يدي الرسول

قال ابن هشام : وقدّم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما
حدثني من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدي ، عن أبي إسحاق

السَّيِّعِي، قال : قَدِمَ وفد هَمْدَانَ على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -
منهم : مالك بن نَمَطٍ ، وأبو تَوْرٍ ، وهو ذو الشُّعَارِ ، ومالك بن أبي نَجْمٍ
وَضِمَامُ بن مالك السَّلْمَانِي وَعَمِيرَةُ بن مالك الخَارِثِي ، فَلَقُوا رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم مَرَجِعَهُ من تبوك وعليهم مُقَطَّعاتُ الحَبَرَاتِ . والعاهمُ العَدْنِيَّةُ .
برحال للنيس على المَهْرِيَّةِ والأَرْحَبِيَّةِ ومالك بن نَمَطٍ ورجل آخر يَرْتَجِزَانِدُ
بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدَانُ خَيْرُ سَوْقَةٍ وَأَقْيَالُ لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمثالُ
تَحَلُّهَا التَّهْضُبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ لَهَا إِطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالُ
ويقول الآخر :

إِلَيْكَ جَاوَزَنَ سَوَادَ الرَّيْفِ فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ
مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللَّيْفِ

فقام مالكُ بنُ نَمَطٍ بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، نَهِيَّةٌ من هَمْدَانَ ،
من كلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكُّ على قُلُوصِ نَوَاجٍ ، مُتَّصِلَةٌ بِمَحَابِلِ الْإِسْلَامِ ،
لِإِتَاخِذِهِم في الله لَوْمَةً لَا تُؤْم ، من مِخْلَافٍ خَارِفٍ وَيَأْمٍ وَشَاكِرٍ أَهْلِ الشُّوَدِ
وَالْقُودِ ، أَجَابُوا دعوة الرسول ، وفارقوا آيَاتِ الْأَنْصَابِ عَهْدَهُمْ لَا يُنْقَضُ
مَا أَقَامَتْ لَمَلْعَ ، وما جرى الْيَتَمُورُ بِصُلْعٍ .

فكتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسولِ الله محمد ، لِإِخْلَافِ

خَارِفٍ وَأَهْلَ جَنَابِ الْهَضْبِ وَحِقَافُ الرَّمْلِ ، مَعَ وَفْدِهَا ذِي الْمِشْعَارِ مَالِكُ
ابْنِ نَمَطٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَيَرْعُونَ عَافِيَهَا ، لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ
رَسُولِهِ ، وَشَاهِدُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي فَجْمَةِ الدَّحَى وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلَدَدٍ
وَهُنْ بِنَا خُوصٌ طَلَانُحٌ تَغْتَلِي بُرُكْبَانَهَا فِي لَاحِبٍ مُتَمَدَدٍ
عَلَى كُلِّ قَتْلَاءِ الذَّرَاعَيْنِ جَسْرَةً تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الْهَجَفِ الْخَفِيدِ
حَلَفْتُ رَبِّ الرِّاقِصَاتِ إِلَى مَنَى صَوَادِرِ الْكَبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدٍ
بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدَّقُ

رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مَهْتَدِي
فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأُعْطِيَ إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ وَأَمَضَى بِحِمْدِ الْمَشْرِقِ الْمُهَنْدِ

ذِكْرُ الْكَذَّابِينَ مَسِيلَةَ الْخَنْفَى وَالْأَسْوَدَ الْعَنَسِيَّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ تَكَلَّمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْكَذَّابَانِ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ بِالْيَمَامَةِ فِي حَنْفِيَّةٍ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ كَعْبٍ الْمَنْمِيُّ
بَصَنْعَاءَ .

رُؤْيَا الرُّسُولِ فِيهِمَا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ إِسَارٍ

أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إني قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب ، فسكروهما ، فنفضتهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

الأمراء وأسماء العمال وماتولوه

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر ابن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زيادة بن كبيد ، أخا بني بياضة الأنصاري ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها ، وعلى بني أسد ، وبعث مالك ابن نويرة - قال ابن هشام : اليربوعي - على صدقات بني حنظلة ، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم ، فبعث الزرقان بن بدر على ناحية منها ،

وقيس بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ،
وبعث على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْرَان ، ليجمع صدقاتهم
ويقدم عليه بجزيتهم .

كتاب مسيلة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم : من مُسَيْلِمَةَ رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ،
فإني قد أشركت في الأمر مَعَكَ ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقرش نصف
الأرض والسكن قرشاً قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود
الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول
لها حين قرأ كتابه : فما تقولان أنما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا
أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ،
إلى مسيلة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، الأرض لله
يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .
وذلك في آخر سنة عشر .

قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد عبد القيس :

من أَصَحَّ ما جاء في هذا الباب حديثُ وفدِ عبدِ القيس ، وهم الذين قال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَرْحَبًا بالوفدِ غيرِ خَزَايَا وَلَا نَدَايَ ، وقد تكرر حديثهم في الصَّحِيحَيْنِ دونَ تَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فمنهم أَشَجُّ عبدِ القيس ، وهو الْمُنْذِرُ بنُ عَائِذٍ ، قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنْ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ : الْحَلَمَ وَالْأَنَاءَ ، ومنهم أَبُو الْوَازِعِ الزَّارِعُ بنُ عَامِرٍ وابنُ أَخْتِهِ مَطَرُ بنُ هِلَالِ الْعَنْزِي .

ولما ذَكَرُوا للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ ابنُ أُخْتِهِمْ قال : ابنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ . ومنهم : ابنُ أَخِي الزَّارِعِ ، وكان مَجْنُونًا ، فجاء به معه لِيَدْعُوَ لَهُ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَمَسَحَ ظَهْرَهُ ، ودَعَا لَهُ فَبَرِيَّ لِحَيْنِهِ ، وكان شَيْخًا كَبِيرًا فَكَتَبَنِي بِجَمَالٍ وَشَبَابًا ، حتَّى كَانَ وَجْهُهُ وَجَهَ الْعَذْرَاءِ ، ومنهم الْجَنْهُمُ بنُ قُثَمٍ لَمَّا نَهَاهُمُ النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الشُّرْبِ فِي الْأَوْعِيَةِ وَحَذَّرَهُمْ مَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْجِرَاحِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا شَرَبُوا الْمُسْكِرَ عَمَدَ أَحَدُهُمْ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَجَرَحَهُ ، وكان فِيهِمْ رَجُلٌ قَدْ جُرِحَ فِي ذَلِكَ وَكَانَ يُخْفِي جَرْحَهُ وَيَكْتُمُهُ ، وذلك الرَّجُلُ هُوَ جَنْهُمُ بنُ قُثَمٍ ، عَجَبُوا مِنْ عِلْمِ النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ ، وَإِشارَتِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ :

ومنهم : أَبُو خَيْرَةَ الصُّبَّاحِي مِنْ بَنِي صُبَّاحِ بنِ لُسَكَيْنٍ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، وأنه زَوَّدَهُم
الْأَرَاكَ يَسْتَأْ كُونُ بِهِ ، ومنهم : مَزِيدَةُ ^(١) الْقَصْرِي جَدُّهُودِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٢) بْنِ سَعْدِ
ابْنِ مَزِيدَةَ ، وعلى هُوَ دِيدُور حَدِيثُهُ فِي التَّمْرِ الْبَرِّي ، وأنه دَوَاه ، وليس فيه
دَاء ، ومنهم : قَيْسُ بْنُ الثُّمَّانِ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَشْمِريَّةِ ، فهذا
مَا بَلَغَنِي مِنْ تَسْمِيَةِ مَنْ وَقَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ .

وذكر في الوفود الخُتَاتِ بْنِ يَزِيدَ وَقَوْلَ الْفَرَزْدَقِ لِمَعَاوِيَةَ فِيهِ :

فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْخُتَاتِ أَكَلَتْهُ

الْيَيْتُ ، وبعده في غير سيرة ابن إسحاق :

فَلَوْ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي غَيْرِ مَلِكِكُمْ كَبُئْتُ بِهَا أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

شرح صاحب الخلة :

وذكر فيهم عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ بْنِ زُرَّارَةَ ، وهو صاحب الْخُلَّةِ الَّتِي قَالَ
فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ الْخُلَّةُ مِنْ لَاحِلَاقٍ لَهُ [فِي الْآخِرَةِ] ^(٣)

(١) قَالَ عَنْهُ ابْنُ مَنْدَةَ : مَزِيدَةُ بْنُ جَاهِرِ الْعَبْدِيِّ الْعَمَرِيِّ . وَهَمَاءُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ :
مَزِيدَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ هَمَامِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ شَبَابَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ خُطَمَةَ بْنِ مَحَارِبِ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ لُسَكِيرِ بْنِ أَفْعَى . وَقَالَ الْحَافِظُ : وَهَذَا هُوَ الْمَعْتَمِدُ ، وَالَّذِي
ذَكَرَهُ ابْنُ مَنْدَةَ وَهَم ، فَإِنَّ مَزِيدَةَ بْنَ جَاهِرِ الْعَبْدِيِّ كَانَ قَاضِي الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِ
قَطْرِ بْنِ الْفَجَاءَةِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمِيَّة .

(٢) هُوَ جَدُّهُ لَاوَهُ كَمَا جَاءَ فِي الْإِصَابَةِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الصَّحِيحِ ، هَذَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَرِيقِ جَرِيرِ بْنِ
حَازِمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ : رَأَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَطَارِدًا الْقَيْمِيَّ يَبِيعُ =

وقول عمر رضى الله عنه : أَنْكَسُونِي هَذِهِ ، وقد قلت في حُلَّةِ عَطَّارِدٍ مَا قُتِ ،
وكان سَبَبُ تلكِ الحُلَّةِ أَنْ حاجِبَ بنِ زُرَّارَةَ أبا عَطَّارِدٍ كان وفداً على كِنَسْرَى
ليأخذ منه أماناً لقومه لِيَقْرُبُوا من ريفِ العِراقِ لِيَجْذِبَ أَصَابَ بِلَادِهِمْ ،
فسأله كِنَسْرَى رَهْناً لِيَسْتَوْفِقَ بها منهم ، فدفَعَ إليه قَوْسَهُ رَهْينةً فَاسْتَحَقَّمَهُ
الْمَلِكُ وَضَحِكَ منه ، فَقِيلَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ الْعَرَبُ لَوْ رَهَنْتَ أَحَدَهُمْ تَبْنَةً
مَا أَسْلَمَهَا غَدراً فقبلها منه كِنَسْرَى ، فلما أَخَصَبَتْ بِلَادُهُمْ انْتَشَرُوا رَاجِعِينَ
إِلَيْهَا ، وَجَاءَ حَاجِبٌ يَطْلُبُ قَوْسَهُ ، فَمَعِنَ ذَلِكَ كِسَاءَ كِنَسْرَى تلكِ الحُلَّةِ الَّتِي
كَانَتْ عِنْدَ عَطَّارِدٍ الْمَذْكُورَةِ فِي جَامِعِ الْمُوْطَأِ . ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ
أَوْ مَعْنَاهُ ، وَفِي الْمُوْطَأِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَسَا الحُلَّةَ أَخَاهُ مُشْرِكاً بِمَكَّةَ ،
قَالَ ابْنُ الْحَدَّاءِ : كَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ ، وَاسْمُهُ : عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمِ النَّخَعِيِّ ، وَهُوَ
جَدُّ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لِأُمِّهِ ، هَكَذَا ذَكَرَ فِي تَسْمِيَةِ رِجَالِ الْمُوْطَأِ ، وَغَلَطَ
مِنْ وَجْهِينَ ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ قَالَ : كَانَ أَخَاهُ عُمَرَ لِأُمِّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَخُو زَيْدٍ
ابْنِ الْخَطَّابِ لِأُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ وَهْبٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَأَمَّا أُمُّ عُمَرَ فَهِيَ
حَقِيقَةُ بِنْتِ هَاشِمِ بْنِ الْمُغِيرَةِ [بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْزُومٍ ^(١)] ، وَالْعَلَّافُ الثَّانِي أَنَّهُ
جَعَلَهُ نَقِيفِيّاً وَإِنَّمَا هُوَ سُؤْلِي ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ أُمِّمَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هَالَلٍ .

== فِي الْأَسْوَاقِ حُلَّةُ سِيَرَاءَ ، وَكَانَ رِجَالُ يَغْشَى الْمُلُوكَ ، وَيُصِيبُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ عُمَرُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِستَهَا لَوْ فُودَ الْعَرَبُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا
مَنْ لَا خِلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ شُعْبَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ جَرِيرٍ ، وَلَهُ
زَوَايَا أُخْرَى عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ مَتَدَةَ .

ابن فَالَجَ بن ذَكْوَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم^(١) ، هكذا نسبه الزبيرُ
وبنته أم سعيد ، ولدت سعيد بن المسيَّب .

نسب ابن الأَهمم :

وذكر فيهم عمرو بن الأَهمم ونسبه ، واسم الأَهمم : سُمَيُّ بن سِنَانٍ ،
وهو جد شَيْبِ بن شَيْبَةَ وخالد بن صَفْوَانَ الخَطِيبِ البليغين ، وسُمَيُّ
سُمَيُّ بالأَهمم ، لأن قَيْسَ بن عَاصِمٍ ضربه فَمَتَمَ فاه .

عن كرسى الله :

وذكر خطبة ثابت بن قَيْسٍ ، وفيها وسع كُرْسِيَّه علمه ، وفيه ردُّ على
من قال : الكرسى هو العلم ، وكذلك من قال هو القدرة ، لأنه لا توصف
القدرة والعلم بأن العلم وسعها ، وإنما كرسِيَّه ما أحاط بالسَّمَوَاتِ والأَرْضِينَ ،
وهو دون العرش كما جاءت به الآثارُ ، فعلمه سُبْحَانَهُ قد وَسِعَ الكُرْسِيَّ
بما حواه من دَقَائِقِ الأشياءِ وجلالِها ومَجْلَهَا وَتَفَاصِيلِها ، وقد قيل : إن
الكرسى فى القرآن هو العرشُ ، وهو قول الحَسَنِ ، وفى هذا الحديث ما يكاد
أن يكون حُجَّةً لهذا القول ، لأنه لم يُردَّ أن العلم وسع الكُرْسِيَّ ، فما دونه

(١) أم زيد أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث بن عيسى بن قعين من
بنى أسد بن خزيم . ويقول المصعب الزبيرى فى كتابه : نسب قريش : وأخوه
لامه عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الاوقص السلى ، وعثمان بن حكيم
هو جد سعيد بن المسيَّب أبو أمه ، ص ٣٤٨ .

على الخصوص ، دون ما فوقه ، فجاءت أن يريد به العرش ، وما تحته والله أعلم .
فإن صحت الرواية عن ابن عباس أن الكرسي هو العلم ، فمؤالة ، كأنه لم يقصد
تفسير اللفظ الكرسي ، ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة بفهم
من الآية ، لأن الكرسي الذي هو عند العرب موضع القدمين من سرير
الملك إذا وسع ما وسع ، فقد وسع علم الملك ومملكه وقدرته ، ونحو هذا ،
فليس في أن يسع الكرسي ما وسعه مدح وثناء على الملك سبحانه ، إلا من
حيث تضمن سعة العلم والملك ، وإلا فلا مدح في وصف الكرسي بالسعة ،
والآية لا محالة واردة في معرض المدح والتعظيم للملي العظيم الذي لا يتوذه
حفظ مخلوقاته كلها ، وهو الحى القيوم ، وقري الطبرى قول ابن عباس ،
واحتج له بقوله عز وجل (ولا يتوذه حفظهما) وبأن العرب تسمى العلماء
كراسي . قال : ومنه سمي الكرسي^(١) لما تضمنته^(٢) وتجمعه من العلم ، وأنشد :
تحميهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب^(٣)
أى عالمون بالأحداث .

- (١) فى الأصل : الكراسى . والكراسى : واحدتها كراسية .
(٢) فى الأصل تضمنته فلمعها كما ضبطت أو تضمنه . ونص تعبير الطبرى :
قيل للصحيفة يسكون فيها علم مكتوب : كراسية .
(٣) فى الطبرى : يحف بهم . وفى أساس البلاغة للزحشرى عن قطرب :
تحف بهم .

شعر الزبرقان :

وذكر شعر الزبرقان ، وأن بعض الناس يُنكر الشعر له ، وذكر البرقي أن الشعر لقيس بن عاصم المنقرى ، وكان الزبرقان يُرفع له بيت من عمائم وثياب ، ويُفَضِّخُ بالزعران والطيب ، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت . قال الشاعر ، وهو المخبِّل السَّعْدِي ، واسمه كَعْبُ بن ربيعة بن قتال :

وأشهد من عوف حُلُولاً كَثِيرَةً يَحْجُونَ سِبَّ الزَّبْرَقَانِ الْمَرْعَرَا (١)

(١) في الاصل : ست وهو خطأ في الطبع . ويقول الجاحظ : كان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره للشاعر فقال : ثم ذكر البيت . ويرى قطرب أن المخبل نسب الزبرقان إلى الابنة لأنه كان يصفر إسته ، وأنه يعنى بالسب : الاست السمط ص ١٩١ واللسان مادة زبرق . وفي إصلاح المنطق عن معنى البيت : يكثرون الاختلاف إليه ، والسب : العمامة ، وسب المرأة : خمارها ، وإنما سمي الزبرقان لصفرة عمامته ، ص ١١٤ ، والحلول : الأحياء المجتمعة . أنظر ص ٩٧ ج ٣ البيان ومادى سب وحجج في اللسان . ورواية البيت في الاشتقاق :

فهم أهلات حول قيس بن عاصم النخ . وفيه أيضاً : قال قوم : سمي الزبرقان لحفة لحيته ، وقال قوم : بل لجماله . وقال قوم : لأن كان يصبغ عمامته بالزعران وكانت سادة العرب تفعل ذلك . وعن المخبل قال مغطاي : اسمه : الربيع بن ربيعة ، وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف النافقة شاعر مخضرم خلل يكنى أبا يزيد مات في خلافة عمر أو عثمان . وقال السهيلي : اسمه : كعب بن ربيعة بن قتال ، وهو وهم بينته في كتاب الزهر الباسم ، ص ٢٥٤ الاشتقاق وفي السمط أنه ربيعة بن مالك من بني شماس بن لاي ابن أنف النافقة ص ٤١٨ — وقبل بيت الزبرقان :

والصَّبُّ : العِمَامَةُ ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله :

بَمَا تَرَى النَّاسَ نَأْتِينَا مُسَرَّاتِهِمْ

البيت . وليس السَّرَاةُ جمع سَرَى كَمَا ظَنُّوا ، وإنما هو كما تقول
فِرْوَنُهُمْ وَسَفَامُهُمْ ، وسَرَاةُ كل شيء : أعلاه ، وقد أوضحناه فيما مضى
من هذا الكتاب ، والزُّبْرَقَانُ من أسماء القمر . قال الشاعر :

تُغَيِّيهُ بِهِ الْمُنَابِرُ حِينَ يَرْقَى عَلَيْهَا مِثْلُ ضَوْءِ الزُّبْرَقَانِ

والزُّبْرَقَانُ أيضاً : الخفيفُ العارضين ، وكانت له ثلاثة أسماء : الزُّبْرَقَانُ
وَالْقَمَرُ وَالْخَصَيْنِ ، وثلاثُ كُنَى : أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَأَبُو شَذْرَةَ ، وَأَبُو عَيَّاشٍ ،
وهو الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَذْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْفِ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ
ابْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ .

شعر حسابه في الرد على الزبرقان في المسمية والعينية :

وقول حسان :

بَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتَرَاوُهُ

يريد : بيت شرفهم من غسان وهم ملوك الشام ، وهم وسط الأعاجم ،
والبيت الحر يد : المنفرد عن البيوت ، كما انفردت غسان ، وانقطعت عن أرض

== أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمَّ حَمْرَةَ أَنِّي نَخْطَأُنِي رَبِيبُ الْمَنُونِ لَا كَبْرًا

ولهذا ضبط ابن بري أشهد في البيت بالنصب د مادة زبرق ، اللسان .

العرب ، وكان حسان يضرب بالسانه أَرْزَبَةً أَنفِهِ هو وابنته وأبوه وجدّه ،
 وكان يقول : لو وضعتَه يعنى لسانه على حَجَرٍ لَفَلَقَهُ ، أو على شَفَرٍ لَخَلَقَهُ ،
 وما يسرنى به مِقُولٌ من مَعَدٍّ .
 وقول حسان :

يخاض إليه السَّمُ والسَّلْعُ
 السَّلْعُ : شَجَرٌ مَر قال أُمَيَّة [بن أبي الصَّلْت] :

عُشْرٌ ما وفوقه سَلْعٌ ما عَائِلٌ ما ، وعالت البَيْقُورُ (١)
 يريد أنهم كانوا إذا اسْتَسْقَوْا في الجاهلية رَبَطُوا السَّلْعَ والعُشْرَ
 في أَذْنَابِ البَقَرِ .

وقوله : سَمُّوا ، أَى : ضَحِكُوا وَمَزَحُوا . قال الشاعر [المتنخل الهذلي]
 بصف الأضياف :

وأبـدوهم بِمَشْمَعَةٍ وَأُنِنِي بِمُجْهِدِي من طَعَامٍ أو بَسَاطٍ
 وفي الحديث : مَنْ تَتَبَعَ المَشْمَعَةَ سَمَّ اللهُ بِهِ . يريد مَنْ ضَحِكَ
 مِنَ النَّاسِ وَأَفْرَطَ في المَزَحِ .

(١) البيت في اللسان :

سَلْعٌ ما ومثله عُشْرٌ ما الخ. وفي البيت كما قال الأزهري وقاله السهيلي بعد ، شاهد
 على ما يفعله العرب من استعطافهم بإضرام النار في آذنان البقر ، والسَلْعُ شجر ،
 والعُشْرُ : شجر له صمغ . والبيقور : اسم جمع للبقر .

وقوله : أَوْ وَازِنُوا أَهْلَ تَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَمُّوا

أى : ارتفعوا ، يقال : مَتَعَ النَّهَارُ إِذَا ارْتَفَعَ .

شعر آفر لسانه في الرد علي الزبرقانه :

وقول حسان :

وطيناله أنفسا بِنَفْيِ الْمَغَانِمِ

يريد : طيب نفوسهم يوم حُتَيْنِ حين أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
المؤَلَّفَةَ قلوبهم ، ولم يُعْطِ الْأَنْصَارُ شَيْئًا .

شرح قول ابن الأَهمم لابن عاصم :

فصل : وذكر قول عمرو بن الأَهمم لقيس بن عاصم :

ظَلَمْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي عند النبي فلم تَصْدُقْ ولم تُصِيبْ

الْهَلْبَاءُ : فَعْلَاءٌ مِنَ الْهَلْبِ وَهُوَ الْخَشِينُ مِنَ الشَّعْرِ ، يقال منه : رَجُلٌ
أَهْلَبُ ، ومنه قول الشَّعْبِيِّ فِي مُشْكَلَةٍ نَزَلَتْ : هَلْبَاءُ زَبَاءَ ذَاتُ وَبَرٍ ، كأنه
أَرَادَ بِمُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ ، أَى : مُفْتَرِشًا لِحَيْتِهِ ، ويجوز أن يريد بمفترش
الْهَلْبَاءِ ، بمعنى امرأة . وقيل : الْهَلْبَاءُ ، يريد بها هاهنا دُبْرَهُ ، فإن كان عنى
امرأةً ، فهو نَعَبٌ عَلَى النَّدَاءِ .

مازل في وفد نعيم من الحجرات :

وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم في سورة الْحُجُرَاتِ ، وقد كان

عُمَرُ وأبو بكر اختلفا في أمر الزُّبْرَقَانِ وعُمَرُ بن الأَظْمَ ، فأشار أحدهما بتقديم الزُّبْرَقَانِ ، وأشار الآخرُ بتقديم عُمَرُ بن الأَظْمَ حتى ارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا تَرَفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ فكان عُمَرُ بعد ذلك إذا كلم النبي عليه السلام لا يكلمه إلا كأخى السَّرَارِ^(١) .

إد من البياه لسحرأ :

وفي هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قَدِمَا من مَجْدٍ فخطبا ، فمَجِبِ الناسُ لبيانهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لَسِحْرٌ ، وأدخله مالك في باب ما يُدْمُ من القولِ ، من أجل أن السَّحَرَ مذمومٌ شَرُّهُمَا ، وغيره يذهب إلى أنه مَدْحٌ لهما بالبيان واستمالَةِ القلوب كالسَّحَرِ ، وكان من قولهما . إن عُمَرَ قال للنبي صلى الله عليه وسلم في الزُّبْرَقَانِ : إنه مُطَاعٌ في أَدْنِيهِ سَيِّدٌ في عَشِيرَتِهِ ، فقال الزُّبْرَقَانُ : لقد حَسَدَنِي يارسول الله بِإِشْرَافِي ، ولقد علم أفضل مما قال . قال : فقال عُمَرُ : إنه كَزَمِيرُ الْمَرْوَةِ ضَيْقُ الْقَطَنِ لثَمِيمٌ الخلل ، فَعَرَفَ الْإِنْكَارَ في وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله

(١) عند البخارى في رواية أن أحدهما أشار بالاقرع بر حابس ، والآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي البخ ، وقد انفرد به البخارى دون مسلم . وفي رواية أخرى أن أبا بكر أشار بتأمير القعقاع بن معبد ، وأن عمر أشار بتأمير الاقرع بن حابس . وفي مسند البزار أن أبا بكر هو الذى قال : يارسول الله لا اكلك إلا كأخى السَّرَارِ . وهناك روايات أخرى تخالف هذه حول أسباب نزول الآية ، فانه أعلم .

رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ، وسخطتُ فقلتُ أقبح ما علمتُ ، ولقد صدقتُ في الأول وما كذبتُ في الثانية ، فحينئذٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان أسحراً » وقوله : تميم الخلال ، قيل : إن أمه كانت من بَاهِلَةَ ، قاله ابن ثابت في الدلائل ، وقد أنكر هذا عليه ، وعن أنكره عليه أبو مروان بن سراج ، فأنه أعلم ، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزُّبرقانِ عُكْلِيَّةٌ من بني أقيش ، وعُكْلٌ وإن كانت تجتمع مع تميم في أد بن طابخة لكن تميماً أشرفُ منهم ، ولا سباً بني سعدٍ رهطُ الزُّبرقانِ ، فلذلك جعله عمرو لُتيم الخلال .

فهر عامر وأربد :

فصل : وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد ، وأن أربد قال لعامر : ما هممتُ بقتل محمدٍ إلا رأيْتُك بيني وبينه أم أقتلك ؟ ١ وفي غير رواية ابن إسحاق : إلا رأيت بيني وبينه سوراً من حديد . وكذلك في رواية غيره ، قال عامر : لأملأنها عليك خيلاً جُرُداً ، ورجالا مُرداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ، فجعل أسيدُ ابن حُضَيْرٍ يضرب في رموسهما ويقول : اخرُجا أيها النجرسان ، فقال له عامر : ومن أنت ؟ فقال : أسيدُ بن حُضَيْرٍ ، فقال : أحضير بن سَمَاكٍ ؟ قال : نعم ، قال : أبوك كان خيراً منك ، فقال : بل أنا خيرُ منك ، ومن أبي ، لأن أبي كان مُشركاً ، وأنت مُشركٌ . وذكر سيديويه قول عامر : أغدَّة (١) كغدَّة

(١) مضبوطة في اللسان برفع غدة وكذلك في النهاية لابن كثير .

الْبَعِيرَ ، وموتاً في بيت سُلَيْمِيَّةَ ، في باب ما يَنْتَهَبُ على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، كأنه قال : أَعْدَّ غُدَّةً ، والسُّلُوبُ امرأةٌ منسوبة إلى سُلُولِ بْنِ صَمْعَةَ وهم بنو مُرَّةَ بْنِ صَمْعَةَ ، وسُلُولُ أمهم ، وهي بنت ذُهل بن شَيْهَانَ ، وكان عامر بن الطُّفَيْل من بني عامر بن صَمْعَةَ ، فلذلك اختصها القرب النسب بينهما ، حتى مات في بيتها . وأما أشعارُ لَبِيدٍ في أُرْبَدَ ففيها قوله :

تُطَايِرُ عَدَائِدُ^(١) الْأَشْرَاكِ شَفْعًا وَوِثْرًا وَالزَّعَامَةَ^(٢) لِلْفَلَامِ
الزَّعَامَةُ : الرِّياسة ، وقيل : أراد بالزَّعَامَةِ هنا بَيْضَةَ السَّلَاحِ ، والأَشْرَاكِ :
الشُّرَكَاءُ ، والعَدَائِدُ : الْأَنْصِبَاءُ مأخوذة من الْعَدَدِ ، ويقال : إن أُرْبَدَ حين
أصابته الصَّاعِقَةُ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَيُرْسِلُ
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ بمعنى أُرْبَدَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وعامرٌ وأُرْبَدُ يَجْتَمِعَانِ
في جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وأُمُّهُمَا وَاحِدَةٌ ، وسأثرُ شعر لَبِيدٍ في أُرْبَدَ
مرغوبٌ عن الاشتغال بشعره بقاءً على أصلنا المتقدم ، والله وليُّ التوفيق .

عن لبيد :

على أن لَبِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وعاش في الإسلام ستين
سَنَةً ، لم يقل فيها بيتَ شِعْرِ ، فسأله عمرُ عن تَرَكَه الشعر ، فقال : ما كنتُ
لأقول شِعْرًا بعد أن عَلَّمَنِي اللَّهُ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، فزاده عُمَرُ في عطائه
خَمْسَمِائَةَ دَرَاهِمَ ، من أجل هذا القول ، فكان عطاؤه ألفين وخَمْسِمِائَةَ ،

(١) رواية أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: غدائر .

(٢) قيل عن الزعامة إنها الرياسة أو الدرع .

فلما كان معاوية^١، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسائة، وقال له : ما بَالُ العِلاوةِ فوق الفَؤَدَيْنِ ؟ فقال له ليبيد : الآن أموت ، وتصير لك العِلاوةُ والفَؤَدَانِ ، فرَقَّ له معاويةُ وتركها له ، فمات ليبيد إثر ذلك بأيام قليلة ، وقد قيل : إنه قال بيتاً واحداً في الإسلام :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً

وقد مرسه :

فصل : وذكر وفد جرش ، وأن خنعم ضوت إليها حين حاصرهم صرد^٢ ابن عبد الله ، وأنشد :

حتى أتينا تحيراً في مصانمها وجمع خنعم قد صاغت^(١) لها النذر

ويروى حميراً بالغاء المعجمة ، وفي حمير حمير الأذني ، وهو حمير بن الفوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شداد^(٢) بن زرعة وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب كنف الظلم بن زيد الجمهور ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الفوث ابن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير الأكبر^(٣)

(١) في السيرة : شاعت .

(٢) في جمهرة النسب : شرد

(٣) النسب في جمهرة ابن حزم من أول شرد : بن زرعة بن قيس بن صنعاء ابن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبأ . وهو كما ترى يختلف عما هنا . وعند ابن الكلبي : =

وهو العَرَبُجُ ، وقال الأَبْرَهِيُّ : وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب إلى
أَبْرَهَةَ بن الصَّبَّاحِ الحُمَيْرِيِّ في حَمِيرِ الْأَذَنِيِّ اللبدوء بذكره حَمِيرٌ ، وعلى هذا
القول تَصَحُّ رواية الخاء المنقوطة ، ومن رواه بالخاء المهملة فهو تصغير حَمِيرِ
تصغير التَّزْخِيمِ ، والعَرَبُجُ في لغة حَمِيرِ الْعَمِيقِ .

حديث ضمام :

فصل : وذكر حديث ضمام بن ثُمَلَبَةَ ، وهو الذي قال فيه طَلْحَةُ بن
عُبَيْدِ اللَّهِ : جاءنا أعرابي من أهل نَجْدٍ نائر الرأس يُسْمَعُ دَوِيُّ صوته ،
ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، الحديث ، رواه مالك
في الْمُوطَأَ عن عَمِّه عن جَدِّه عن طَلْحَةَ ، وقد تَرَجَّم عليه أبو داود لما فيه
من دُخُولِ الْمُشْرِكِ الْمَسْجِدَ .

وذكر معه حديث الْيَهُودِ حين دَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، وذكرُوا أن رجلا منهم ،
وامرأة زَنِيَا ، وقال به الشافعي ، وكره مالك دخول الذَّمَّى الْمَسْجِدَ ، وخصص
أبو حنيفة الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ ،
فلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴿ الْآيَةُ ﴾ ، وتعلق مالكُ بِالْعَلَّةِ التي نهت عليها الْآيَةُ ،
وهي التَّنَجِّيسُ ، فَعَمَّ الْمَسَاجِدَ كُلَّهَا .

== كعب بن زيد بن سہل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن
الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن الحميسع . وقد سقط حيدان منه هنا ،
ولكن ذكرها في مكان آخر . انظر ٣٦٤ ، ٣٦٥ المحبر .

مول حديث الجارود

فصل : وذكر الجارود القندي، وهو بشر بن عمرو بن المملى، يكنى أبا المنذر، وقال الحاكم: يكنى أبا غياث وأبا عتاب، وسمى الجارود، لأنه أغار على قوم من بكر، فجردهم^(١) قال الشاعر:

ودُسْنَاهُم بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا جَرَّدَ الْجَارُودُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

وذكر في آخر حديث الجارود الفرور بن النعمان بن المنذر، وكان كسرى حين قتل النعمان صير أمر الخيرة إلى هاني بن قبيصة الشيباني، ولم يبق لآل المنذر رسم ولا أمر يذكر حتى كانت الردة، ومات هاني ابن قبيصة فأظهر أهل الردة أمر الفرور بن النعمان، واسمه: المنذر، وإنما سمي الفرور، لأنه غرّ قومه في تلك الردة، أو غرّوه واستعانوا به على حربهم فقتل هناك، وزعم وثيمة بن موسى أنه أسلم بعد ارتداده، والله أعلم.

وفد بني حنيفة ونسب صليحة:

فصل: وذكر وفد بني حنيفة، واسم حنيفة أنال بن الجسيم بن سعد بن علي ابن بكر بن وائل مع مسيلة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مسيلة

(١) في اللسان: لأنه فر بإبله إلى أخواله من بني شيبان، وإبله داء، ففشا ذلك الداء في إبل أخواله، فأهلكها.

ابن مُنَافَةَ بن كَبِير^(١) بن حُبَيْب بن الحارث بن عَبْدِ الحارث بن هِفَان بن
ذُهْل بن الدُّوَل بن حَنِيفَةَ يَكْنَى أبا مُنَافَةَ ، وَقِيلَ : أبا هَارُونَ ، وَكَانَ يُسَمَّى
بِالرَّحْمَنِ فِيمَا رَوَى عَنْ الزُّهْرِيِّ قَبْلَ مَوْلَدِ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ حِينَ سَمِعَتْ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ قَائِلُهُمْ : دَقُّ قَوْلِكَ ، إِنَّمَا تَذْكُرُ مُسَيِّمَةَ رَحْمَانَ
الْيَمَامَةِ ، وَكَانَ الرَّحَّالُ الْخَنْفِيُّ^(٢) ، وَاسْمُهُ نَهَارُ بْنُ عُغْفُورَةَ ، وَالْعُغْفُورَةُ يَابَسُ
الْحَلِيِّ ، وَهُوَ نَبَاتٌ ، وَذَكَرَهُ أَبُو حَنِيفَةَ ، فَقَالَ فِيهِ : عُغْفُورٌ بِالنَّاءِ الثَّلَاثَةِ ،
وَقَالَ : هُوَ يَابَسُ الْحَلِيِّ ، وَالْحَلِيُّ : النَّصْبِيُّ ، وَهُوَ نَبْتُ - قَدِمَ فِي وَفْدِ الْيَمَامَةِ
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَنَ وَتَعَلَّمَ سُورَاتِ الْقُرْآنِ ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا جَالِسًا مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَحَدُهُمَا قُرَاتُ بْنُ
حَيَّانَ ، وَالْآخَرُ : أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ : ضَرَسْتُ أَحَدَكُمْ فِي الْفَارِ مِثْلُ أُحُدٍ ، فَاذْأَلَا
خَائِفَيْنِ حَتَّى ارْتَدَّ الرَّحَّالُ ، وَأَمَنَ بِمُسَيِّمَةَ وَشَهِدَ زُورًا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ شَرِكَهُ مَعَهُ فِي النَّبُوءَةِ ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ بَعْضَ مَا تَعَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَانَ
مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ عَلَى بَنِي حَنِيفَةَ ، وَقَتْلَهُ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ،
ثُمَّ قَتَلَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ سَلَمَةَ بْنَ صُبَيْحٍ الْخَنْفِيَّ ، وَكَانَ مُسَيِّمَةَ صَاحِبَ

(١) فِي جَهْرَةِ ابْنِ حَزْم : كَثِيرٌ .

(٢) ذَكَرَهُ الْقَاسِمُوسُ بِالْجِيمِ عَلَى وَزْنِ شِدَادٍ ، وَقَالَ : وَوَمِنْ مَنْ
ضَبَطَهُ بِالْهَاءِ .

نِزْوَجاتٍ^(١) يقال : إنه أول من أدخل البيضة في القارورة^(٢) ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدعى أن ظبيّة تأتيه من الجبل ، فيحلب لبنها ، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

لَهْفَى عَلَيْكَ أَبَا ثُمَامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شِمَامِهِ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمُ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ عَمَامَتِهِ
وَكَذَبَ بَلْ كَانَتْ آيَاتُهُ مَنكُوسَةً ، نَهَلَ فِي بئرِ قَوْمٍ سَأَلُوهُ ذَلِكَ نَبْرُكًا
فَمُلِّحَ مَاوُهَا ، وَمَسَحَ رَأْسَ صَبِيٍّ فَقَرَعَ قَرَعًا فَاخْشَا ، ودعا لرجل
في أبنين له بالبركة ، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر ، والآخر
قد أكله الذئب ، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه ، فابيضت عيناه .
مؤذنا مبلحة وسباح :

واسم مؤذنه : حُجَيْر ، وكان أول ما أمر أن يذكر مُسَيْلِمَةَ في الأذان
توقف ، فقال له مُحْكَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ : صرّح حُجَيْر ، فذهبت مثلا . وأما
سباح التي تذبّأت في زمانه وتزوجها ، فكان مؤذنها جَمْبَةُ بْنُ طَارِقٍ ،
وقال القَتَيْبِيُّ : اسمه : زُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو ، وقيل : إن شُبَيْثَ بْنَ رُبَيْعٍ أَذَّنَ لَهَا
أيضاً ، وتُكْنَى أُمُّ صَادِرٍ ، وكان آخر أمرها أن أسلمت في زمان عُمر ، كل
هذا من كتاب الواقدي وغيره . وكان مُحْكَمُ بْنُ طُّفَيْلٍ الحنفِيّ ، صاحب

(١) النيرنج : أخذ كالسحر وليس به ، وجمعها : نيرنجات ونيارج .

(٢) عمل مين يأتيه طلابنا في معاملهم .

حَرْبُهُ وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِ، وَكَانَ أَشْرَفَ مَنْهُ فِي حَنِيفَةٍ، وَيُقَالُ فِيهِ: مُحْكَمٌ وَمُحْكَمٌ،
وَفِيهِ يَقُولُ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ :

يَا مُحْكَمُ بْنُ طَانِيْلٍ قَدْ أَتَيْتُكَ لِسَمِّهِ دَرُّ أَبِيكَ حَيَّةُ الْوَادِي
وَقَالَ أَيْضًا :

يَجْبِطُنَ بِالْأَيْدِي حِيَاضُ مُحْكَمٍ

امرأة صليحة :

وقول ابن إسحاق : أنزلوا ، يعني وفدَ بني حَنِيفَةَ بدارِ الحارِثِ الصواب :
بنت الحارِثِ ، واسمها : كَيْسَةُ بنت الحارِثِ بن كُرَيْزٍ بن حَبِيبِ بن عَبْدِ شَمْسٍ ،
وقد تقدم في غزوة قُرَيْبَةَ الكلام على كَيْسَةَ : وكَيْسَةُ بالتخفيف ، وأنها كانت
امرأة مُسَيِّمَةَ قبل ذلك ، فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مُسَيِّمَةَ ،
ثم خلف عليها عبدالله بن عامر ، وذكرنا هنالك أن الصواب ما قاله ابن إسحاق
أنَّ اسم تلك المرأة زَيْنَبُ بنت الحارِثِ ، كذا وقع في رواية يونس عن ابن
إسحاق ، والمذكورة هاهنا كَيْسَةُ بنتُ الحارِثِ ، وإياه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين خَطَبَ ، فقال : أُرِيتُ في يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ
فَكَرِهْتُهُمَا ، فَنَفَخْتُ فِيهِمَا فَطَارَا فَأَوَّلَتْهُمَا كَذَابُ الْيَمَامَةِ وَالْقَنْسَى ، صاحب
صنعاء ، ، فَأَمَّا مُسَيِّمَةُ فقتله خالد بن الوليد ، وأَفْنَى قَوْمَهُ قَتْلًا وَسَبْيًا .

مسعود القنسي :

وأما مسعود بن كَعْبِ الْقَنْسِيِّ ، وَعَنْسٌ مِنْ مَذْحِجٍ ، فاتبعتهُ قَبَائِلُ مِنْ

مَذْحِجَ وَالْأَيْنِ عَلَى أَمْرِهِ ، وَغَلَبَ عَلَى صَنْعَاءَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخِجَارِ ،
وَيُلَقَّبُ : عَيْهَلَةً ، وَكَانَ يَدَّعَى أَنْ سَجِيحًا وَشَرِيفًا بِأَنْبِيَانِهِ بِالْوَحَى ، وَيَقُولُ :
هَما مَلَكَانِ يَتَكَلَّمَانِ عَلَى لِسَانِي ، فِي خَدْعِ كَثِيرَةٍ يُزْخَرِفُ بِهَا ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ
مَالِكِ بْنِ عَنَسٍ ، وَبَنُو عَنَسٍ جُشَمٌ وَجُشَيْمٌ وَمَالِكٌ وَعَامِرٌ وَعَمْرُو ، وَعَزِيزٌ
وَمُعَاوِيَةُ وَعَتِيكَةُ وَشَهَابٌ وَالْقَرِيَّةُ وَيَامٌ ^(١) وَمِنْ وَلَدِ يَامِ بْنِ عَنَسٍ عَمَّارٌ
ابْنُ يَاسِرٍ ، وَأَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَزِيدُ ابْنُ يَاسِرٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَالِكٍ ، قَتَلَهُ قَيْزُرُوزُ
الدَّيْلَمِيُّ ، وَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ وَدَاوُدُ بْنُ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ
سِرْبٍ صَدَقَتْ لَهُمْ امْرَأَةٌ كَانَتْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَبْنَاءِ ، فَوَجَدُوهُ سَكْرَانًا
لَا يَقِفُ مِنَ الْخَمْرِ ، فَخَبَطُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ :

ضَلَّ نَبِيٌّ مَاتَ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَالنَّاسُ تَلْقَى جُلُومَهُمْ كَالذَّبَّانِ
النُّورَ وَالنَّارَ لَدَيْهِمْ سَيَّانِ

ذَكَرَهُ الدُّوَلَابِيُّ ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَتَهُ سَمَّتَهُ
الْبَنْجَجَ فِي شَرَابِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَفَرَتْ السَّرْبَ لِلدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
اغْتَصَبَهَا ، لِأَنَّهُ كَانَتْ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، وَكَانَتْ مُسَلِّمَةً صَالِحَةً ، وَكَانَتْ تُحَدِّثُ
عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَفْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَاسْمُهَا الْمَرْزُبَانَةُ ، وَفِي صُورَةٍ قَتَلَهُ اخْتِلَافٌ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرِيتُ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَفَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا ،
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّعْبِيرِ : تَأْوِيلُ نَفَخَهُ لَهَا أَنَّهُمَا بِرِيحِهِ قُتِلَا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْزُحْهُمَا

(١) فِي الْجُمْلَةِ هُمْ : سَعْدُ الْأَكْبَرُ وَسَعْدُ الْأَصْغَرُ ، وَعَمْرُو ، وَعَامِرٌ وَمُعَاوِيَةُ ،
وَعَزِيزٌ وَعَتِيكٌ وَشَهَابٌ وَمَالِكٌ وَيَامٌ وَجُشَمٌ وَالْقَرِيَّةُ .

بنفسه ، وتأويل الذهب أنه زُخْرُفٌ ، فدل لفظه على زَخْرَفْتِهما ، وكذبهما ،
ودل الإسواران بلفظهما على مَلِكَيْنِ لأن الأساورة هم الملوك ، وبمعناها على
التضيق عليه لكون السوار مُضَيِّقًا على الذراع .

زبد الخيل :

فصل : وذكر زيد الخيل ، وهو زَيْدُ بن مُهْمَلِ بن زَيْدِ بن مُنْهَبِ ،
يكنى : أبا مُسْكِنِ الطَّائِي ، واسم طَيِّءٍ أَدَدٌ ، وقيل له : زَيْدُ الخَيْلِ الخمس
أَفْرَاسٍ ، كانت له ، لها أسماء أعلام ذهب عنى حِفْظُهَا الآن ^(١) .

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم : إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُجَى الدِّينَةِ .

أسماء الحمى :

قال الراوى : وَلَمْ يُسَمَّ بِاسْمِهَا الْحُمَى ، وَلَا أُمَّ مِلْدَمَ ، سماها باسم آخر
ذهب عنى ، والاسم الذى ذهب عن الراوى مِنْ أَسْمَاءِ الْحُمَى ، هو أُمُّ كَلْبَةٍ ،
ذكر لى أن أبا عُبَيْدَةَ ذكره فى مَقَاتِلِ الْفُرْسَانِ ، ولم أره ، ولكن رأيت
الْبَكْرِى ذكره فى باب أفرده من أسماء البلاد ، ولها أيضاً اسمٌ سِوَى هذه
الأسماء ذكره ابن دُرَيْدٍ فى الْجُمُهرَةِ ، قال : سَمَاطٌ ، من أسماء الْحُمَى على وزن

(١) ضبط منهب فى السمط بوزن منبر ، ويقول البكرى : « ولما سمى زيد
الخيل لكثرة خيله ، لأنه لم يكن لاحد من قومه ، ولا لكثير من العرب إلا
الفرس والفرسان ، وكانت لزيد خيل كثيرة ، فالتى ذكر منها فى شعره ستة :
المطال والمكيت والورد والسكامل وذوول ، « ولاحق » .

رَقَاشٍ ، وأما أم مَلْدَم ، فيقال بالدَّال ، وبالذال وبكسر الميم وفتحها ، وهو [من] اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كُتْلَبَة هذا الاسم مُعَيَّرًا من كُتْلَبَة بضم الكاف ؛ والكُتْلَبَة شِدَّة الرُّعْدَة ، وكُتْلَبُ البَرْدِ شدائده ، فهذه أم كُتْلَبَة بالهاء ، وهى الحُمَّى ، وأما أم كُتْلَبِ ، فَسَجَرَةٌ لها نَوْرٌ حَسَنٌ ، وهى إِذَا حُرِّكَتْ أَنتَنُ شَيْءٌ ، وزعم أبو حنيفة أن الغنم إِذَا مسَّتها لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شِدَّةِ إِنْتَانِهَا .

فهر زبى فى رواية أخرى :

وذكر فى خبر زيد الخليل فى رواية أبى على البغدادى ما هذا نَصُّه : خَرَجَ فَمِنْ طَيِّءٍ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ وَفُودًا ، وَمَعَهُمْ زَيْدُ الْخَلِيلِ ، وَوَزَرَ بْنِ سُدُوسٍ النَّبْهَانِيَّ وَقَبِيصَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جَوْينَ الْجَرْمِيَّ ، وَهُوَ النَّصْرَانِي ، وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبَرٍ - بَنِ أَفْلَتَ بْنِ سُلَيْسَةَ وَقَعْنِ بْنِ خُلَيْفِ الطَّرِيفِيِّ رَجُلٍ مِنْ جَدِيلَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي بَوَّلَانَ ، فَعَقَلُوا رِوَا حِلْمِهِمْ بِفَنَاءِ الْمَسْجِدِ ، وَدَخَلُوا ، فَجَلَسُوا قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ ، قَالَ : إِنِّي خَيْرُكُمْ مِنَ الْمُزَنِيِّ ، وَلَاتِهَا ، وَمَنْ الْجَمَلِ الْأَسْوَدِ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمِمَّا حَازَتْ مَنَافِعُ ^(١) ، مِنْ كُلِّ ضَارَّةٍ غَيْرِ نَفَاعٍ ، فَقَامَ زَيْدُ الْخَلِيلِ ، فَسَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ خَلْقًا وَأَحْسَنِهِمْ وَجْهًا وَشَعْرًا ، وَكَانَ يَرْكَبُ الْفَرَسَ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ

(١) فى معجم البكرى : منافع : هضبة فى جبال طىء ، أو هو اسم لاجأ ، معى بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم .

فَتَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ حِمَارٌ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَى بِكَ مِنْ سَهْلِكَ وَحَزَنِكَ ، وَسَهَّلَ قَلْبَكَ الْإِيمَانَ ، ثُمَّ قَبِضْ عَلَى يَدِهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مُهْلِبٍ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْلِ ، ثُمَّ قَالَ : يَزِيدُ مَا خُبْرْتُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا قَطَّ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا خُبْرْتُ عَنْهُ غَيْرِكَ ، فَبَايَعَهُ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا عَلَى مَا أَرَادَ ، وَأُطْعِمَهُ قُرْبَى كَثِيرَةً ، مِنْهَا : قَيْدٌ ، وَكُتِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْمِهِ إِلَّا وَزَرَ بْنِ سُدُوسٍ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا لَا يَمْلِكُ رِقَابَ الْعَرَبِ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ رَقَبَتِي عَرَبِيٌّ أَبَدًا ، ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ ، وَتَنَصَّرَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا قَامَ زَيْدٌ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَيُّ فِتْنَةٍ لَمْ تَدْرِكْهُ أَمْ كَلْبِيَّةٌ ، يَعْنِي : الْخُمَيْ ، وَيُقَالُ : بَلْ قَالَ : إِنَّ نَجْمًا مِنْ أَجَامِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ زَيْدٌ حِينَ انْصَرَفَ :

أَنِيمْتُ بِأَجَامِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَعَشْرًا يُغْنِي فَوْقَهَا اللَّيْلَ طَائِرٌ
فَلَمَّا قَضَتْ أَصْحَابُهَا كُلُّ بُغْيَةٍ وَخَطَّ كِتَابًا فِي الصَّحِيفَةِ سَاطِرٌ
شَدَّدَتْ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَشَلِيلَهَا مِنَ الدَّرْسِ وَالشَّعْرَاءِ وَالْبَطْنِ ضَامِرٌ

الدَّرْسُ : الْجَرْبُ . وَالشَّعْرَاءُ : ذُبَابٌ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي حَدِيثِهِ :
وَأَهْدَى زَيْدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْذُومًا وَالرَّسُوبَ ، وَكَانَا
سَيِّفَيْنِ لِيَصْنَمَ بِلَى الْفَلَسِ^(١) ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) الْفَلَسُ بِضَمِّ الْفَاءِ وَاللَّامِ ، أَوْ سَكُونِهَا أَوْ يَفْتَحُ الْفَاءُ وَسَكُونِ اللَّامِ هُوَ

ما قَدَمَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ يُفَضِّلُهُ قَوْمُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ زَيْدٍ ، فَإِنْ بَنُجُ زَيْدٌ مِنْ مُحَيِّ الْمَدِينَةِ فَلَا مُرَّ مَا هُوَ . وَقَوْلُهُ :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرِزْ مِنْهُمْ يَجْهَدِ

وبعده :

فَلَيْتَ اللَّوَاتِي عُدَّتَنِي لَمْ يَمُدَّنِي وَلَيْتَ اللَّوَاتِي غَبَنَ عَنِّي شُهُدِي

قدوم عدى بن حاتم

وهو عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَاشِرِجِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ابْنِ عَدِيٍّ^(١) بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَرُولِ بْنِ ثَعْلٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقَوْثِ بْنِ طَيٍّ يَكْنَى أَبَا ظَرِيفٍ^(٢) ، وَحَدِيثُ إِسْلَامِهِ صَحِيحٌ مُعْجِبٌ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَأَخْتُهُ الَّتِي ذَكَرَ إِسْلَامُهَا أَحْسَبُ اسْمُهَا سَفَّانَةُ ، لِأَنِّي وَجَدْتُ فِي خَبَرٍ عَنْ امْرَأَةٍ حَاتِمٌ تَذَكَّرَ فِيهِ مِنْ سَخَائِهِ قَالَتْ : فَأَخَذَ حَاتِمٌ عَدِيًّا مُعَلِّقًا مِنَ الْجُوعِ ، وَأَخَذَتْ أُنَاسَفَانَةَ ، وَلَا يَعْرِفُ أَعْدِيٌّ وَلَدًا نَقَرَضَ عَقْبُهُ ، وَلِحَاتِمِ عَقْبٍ مِنْ قَبْلِ

== صنم طيء الذي بعث النبي د ص ، علياً لخدمته سنة تسع . وكان آنفاً أحمر في وسط أجأ كأنه تمثال لإنسان . وأخذ سيفين مشهورين يقال لهما الخدم ورسوب كان الجارث بن أبي شمر الغساني يئذه إليهما . أنظر الطبري ص ١٧٧ ج ٣ط المعارف ، ولسان العرب مادة خذم والمراد .

(١) في إمتاع الأسماع بعد عدى : ابن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن ثعل

ابن جرول .

(٢) في الإصابة : طريف .

عبد الله بن حاتم، ذكره القتيبي، ولا يعرف له بنت إلا سَفَانَة ، فهي إذاً هذه المذكورة في السيرة والله أعلم، وأم حاتم : عِنْبَة^(١) بنت عفيف [بن عمرو^(٢) ابن عبد القيس] كانت من أكرم الناس وهي التي تقول :

لَعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضَّنِي الْجَوْعُ عَضَّةً فَأَلَيْتُ إِلَّا أَحْرِمَ الدَّهْرَ جَانِئاً^(٣)
وَالسَّفَانَةَ : الدَّرَّةُ ، وبها كان يُكْنَى حاتم .

محدث فروة «معنى فرو»

وذكر ابن إسحاق حديث فروة وقوله :

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْعَابِي وَالرُّومَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقُرْوَانَ^(٤)

الْقُرْوَانُ : يَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ يَجْمَعُ قُرْوً ، وهو حوض الماء مثل صِنْوَان ،

(١) قال عنها القالي: غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس. وقال البكري :
وصواب اسمها عنبه . . وقد تصحف في عامة الكتب بعنبه وغنية . ص ٢٢ - ٢٣
ط ٢ الأماي وص ١٣ - ٢ سمط اللالي .

(٢) الزيادة من الأماي المسكان السابق .

(٣) في الأماي ألا أمتع ، وقد حبر أهلها عليها لإتلافها ما لها في الكرم ،
فلما غلوا أنها قد وجدت لم ذلك أعطوها صرمة من إبلها . لجأته هوازنية ،
فأعطتها إياها ، ثم أئشدت هذا البيت ، وبعده :

فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمِ الْيَوْمَ أَعْفَى فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَمَعْضُ الْأَصَابِعَا
فَإِذَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَقُولُوا لِأَخْتِكُمْ سَوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ مَانِعاً
وَلَا مَا تَرُونَ الْخَافِقَ إِلَّا طَبِيعَةً فَكَيْفَ بَتَرَكِي يَا بِنَ أُمِ الْعُطْبَانِئَا

ص ٢٤ - ٢ الأماي ط ١ .

(٤) هذا البيت ليس في السيرة .

ويحوز أن يكون جمع : قَرَى مُثْل صَلِيبٍ وَمُثْلَانِ . وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِي الْقَرَوِ لِمَا
حُوِيضٌ مِنْ خَشَبٍ تُسْقَى فِيهِ الدَّوَابُّ ، وَتَلْعُ فِيهِ السُّكَلَابُ ، وَفِي الْمَثَلِ : مَا فِيهَا
لَا عِيَّ قَرَوٍ ، أَيْ : ^(١) مَا فِي الدَّارِ حَيَوَانٌ ، وَأَرَادَ : بِلَاعِي قَرَوٍ ، لَا عِيَّ قَرَوٍ ، وَقَابِ
الْقَابِ الْأَوَّلِي يَاءٌ لِلتَّضْمِينِ .

إبدال آخر حرف في اسم الفاعل :

وَحَسَنَ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْمُ فَاعِلٍ ، وَقَدْ يُبَدَّلُونَ مِنْ آخِرِ حَرْفٍ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ يَاءٌ ،
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ تَضْعِيفٌ ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْخَامِسِ : خَامِيهِمْ ، وَفِي السَّادِسِ سَادِيهِمْ ،
وَكَذَلِكَ إِلَى الْعَاثِرِ ، وَنَحْوُ مِنْهُ : مَا أَنْشَدَ سَيِّبَوِيهِ .

وَلِضَعْفَادِي جَمَّهُ نَقَاتِي ^(٢)

أَي لِيضَعْفَادِي جَمَّهُ ، وَأَنْشَدَ :

مِنْ الشَّعَالِي وَوَحْزٍ مِنْ أَرَانِيهَا ^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ : قَرَوَانِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : جَبِيهِ . وَأَوَّلُ الْبَيْتِ :

وَمَنْ لَيْسَ لَهُ حَوَازِقُ

وَقِيلَ : إِنْ صَانَعَ الْبَيْتِ : خَلْفَ الْأَحْمَرِ . وَالْحَوَازِقُ الْجَاعَاتُ . وَالْجَمُّ : جَمْعُ
جَمَّةٍ ، وَهِيَ مَعْظَمُ الْمَاءِ وَبَحْتَمُهُ مِنْ ٣٤٤ - ١ كِتَابُ سَيِّبَوِيهِ .

(٣) الْبَيْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ . وَأَوَّلُهُ :

لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمِ تَمْرَةٍ

وَالْأَشَارِيرُ : جَمْعُ إِشْرَادَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ يَحْفَظُ الْإِدْخَارَ . وَتَمْرَةٍ :

تَحْفَظُهُ . وَالْبَيْتُ فِي وَصْفِ عَقَابٍ ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ، .

أراد الثعالبَ وأرأَنِها ، وإذا كان هذا معروفاً فَلَا عَيْ قَرْوٍ أَحَقُّ أَنْ يُقْلَبَ آخِرُهُ بَاءً كَرَاهَةً أَجْتِمَاعِ قَافَيْنِ .

وَذِكْرُ قَدُومٍ وَفَدٍ كِنْدَةٍ ، وفيه قوله عليه السلام : لَا نَقْفُو أُمَّنَا ، وَلَا نَنْتَقِي مِنْ أَيْدِينَا ، وفي هذا ما يدل على أَنَّ الْأَشْعَثَ قَدْ أَصَابَ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ : نَحْنُ وَأَنْتَ بَنُو آكِلِ الْمُرَارِ ، وذلك أَنَّ فِي جَدَّاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ ، مِنْهُنَّ : دَعْدُ بِنْتُ سُرَيْرِ بْنِ تَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْكِنْدِيِّ الْمَذْكُورِ ، وَهِيَ أُمُّ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، وَقِيلَ : بَلْ هِيَ جَدَّةُ كِلَابِ أُمِّ أُمِّهِ هِنْدُ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ هِنْدًا هَذِهِ ، وَأَنَّهَا وَلَدَتْ كِلَابًا .

قَدُومٌ وَفَدٌ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ

ذَكَرَ فِيهِمْ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، وَاسْمُ عَبِيدِ الْمَدَّانِ عَمْرُو بْنُ الدَّبَّانِ ، وَالدَّبَّانُ اسْمُهُ : يَزِيدُ بْنُ قَطَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ الْحَارِثِيِّ .

وَذَكَرَ فِيهِمْ أَيْضًا ذَا الْفُصَّةِ ، وَاسْمُهُ الْخَصَيْنُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَدَادِ الْحَارِثِيِّ ، وَقِيلَ لَهُ : ذُو الْفُصَّةِ ، الْفُصَّةُ كَانَتْ فِي حَلْقِهِ لَا يَكَادُ يَبِينُ مِنْهَا ، وَذَكَرَهُ عَمْرُو ابْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا ، فَقَالَ : لَا تُزَادُ امْرَأَةٌ فِي صَدَاقِهَا عَلَى كَذَا وَكَذَا ، وَلَوْ كَانَتْ بِنْتُ ذِي الْفُصَّةِ .

وَذَكَرَ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَّابِيِّ ، وَهُوَ ضِبَّابٌ بِكسْرِ الضَّادِ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَذْحِجٍ ، وَضِبَّابٌ أَيْضًا فِي قُرَيْشٍ وَهُوَ ابْنُ حُجَيْرٍ

ابن عَبد بن مَعِيص بن عامر أخو حَجَر بن عَبد ، وفي حَجَرٍ وَحَجَرٍ
يقول الشاعر :

أَنْدَبْتُ أَنْ غَوَاةً مِنْ بَنِي حَجَرٍ وَمِنْ حُجَيْرٍ بِلَا ذَنْبٍ أَرَاغُونِي
أَغْنُوا بَنِي حَجَرٍ عَنَا غَوَاتِكُمْ وَيَا حُجَيْرُ إِلَيْكُمْ لَا تُبْثِرُونِي
والضُّبَابُ فِي بَنِي عامر بن صَمَصَمَةَ ، وَهُمْ ضُبَابٌ وَمُضِبٌّ وَحِشَلٌ وَحُسَيْلٌ
بنو معاوية بن كِلَابٍ ، وَأَمَّا الضُّبَابُ بِالْفَتْحِ ، فِي نَسَبِ النَابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ
ضُبَابٌ بَنِي يَرْبُوعَ بْنِ غَيْظٍ ، وَأَمَّا الضُّبَابُ بِالضَّمِّ فَرَبْدٌ وَمَنْجَا^(١) ابْنَا ضُبَابٍ
مِنْ بَنِي بَكْرِ ، ذَكَرَهُ الدَّارُ قُطْنِي .

وفود رفاعه :

فصل : وذكر وفود رفاعه الضَّبِّيِّ ، وَأَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا ، وَذَلِكَ الْغُلَامُ هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : مِدْعَمٌ ، وَقَعَ ذِكْرُهُ
فِي الْمَوْطِأِ^(٢) .

وَذَكَرَ وَفَدَ هَمْدَانَ ، وَمَالِكُ بْنُ نَمَطٍ الْهَمْدَانِيُّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ذُو الْمِشْعَارِ ،
وَكُنْيَتُهُ : أَبُو ثَوْرٍ وَقَعَ فِي النُّسخَةِ ، وَفِي أَكْثَرِ النُّسخِ : وَأَبُو ثَوْرٍ بِالْوَاوِ ،
كَأَنَّهُ غَيْرُهُ ، وَالصَّوَابُ سَقُوطُ الْوَاوِ ، لِأَنَّهُ هُوَ هُوَ ، وَقَدْ يَخْرُجُ إِنْثَابُ الْوَاوِ عَلَى

(١) فِي الْقَامُوسِ : وَالْمَنْجَى لِلْفِعُولِ : سَيْفٌ وَاسِمٌ .

(٢) وَقَعَ ذِكْرُهُ أَيْضًا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ مَوْلَى ابْنِ مَطْلِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

فِي فَتْحِ خَيْبَرَ . وَقِيلَ أَنَّ مِدْعَمًا أَصَابَهُ سَهْمٌ عَاتَرَ فَقَتَلَهُ .

إضمار هو، كأنه قال : وهو أبو ثور ذو المشعار، وقد ذكره ابن قتيبة ، فقال
في غريب الحديث : مالك ذو المشعار ، وذكره أبو عمر فقال : هو ذو المشعار
يكنى : أبا ثور ، وفي الكتاب الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مخالف خارف وبأم وأهل جناب الثمضب
وجفاف الرمل مع وإفديها ذي المشعار مالك بن نمط ، فهذا كله يدل على
أن الواو في قوله : وأبو ثور ذو المشعار لا معنى له .

وقوله : عليهم مقطعات الخبرات : المقطعات من الثياب في تفسير أبي
عبيد ، هي القصار ، واحتج بحديث ابن عباس في صلاة الضحى إذا انقطعت
الظلال ، أى : قصرت ، ويقولم في الأراجيز : مقطعات ، وخطأه ابن قتيبة
في هذا التأويل ، وقال : إنما المقطعات الثياب المخرطة كالمقص ونحوها ،
نخيت بذلك ، لأنها تُقطع وتفصل ثم تُخاط^(١) ، واحتج بحديث رواه عن
بعض ولد عبد الملك بن مروان ، وفيه أنه خرج وعليه مقطعات يجرها ،
فقال له شيخ من بنى أمية : لقد رأيت أباك ، وكان مشعراً غير جرار لثيابه ،
فقال له الفتى : لقد هممت بتقصيرها ، فمنعنى قول الشاعر في أبيك :

قصير الثياب فأحش عند ضيفه لشرقرش^(٢) في قرش مركبا

(١) في شرح السيرة لأبي ذر : مقطعات : ثياب وشى يصنع بالين . والمليس
خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهر الإبل .

(٢) في السمطة : عند بيته وشر قرش . والقصة أن هشام بن عبد الملك خرج
وهو سوفة إلى بيت المقدس ، فربده شق ، فلقبه محمد بن الصنعاك بن قيس =

والظاهرُ في قوله عليهم مُقَطَّعَاتِ الْحَبَرَاتِ مَا قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ ، وَلَا مَعْنَى لَوْضَفِهَا بِالْقَصْرِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ . وَالْمَهْرِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَهْرَةَ بْنِ حَيْدَانَ ^(١) ابْنِ الْخَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ^(٢) . وَالْأَرْحَبِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَرْحَبَ بَطْنٍ مِنْ هَمْدَانَ . وَيَا مُهُوَ يَامُ بْنُ أَصْبَى ، وَخَارِفُ بْنُ الْحَارِثِ بَطْنَانِ مِنْ هَمْدَانَ يُنْسَبُ إِلَى يَامُ : زُبَيْدُ [بِنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ] الْيَأْمِيُّ الْمُحَدَّثُ ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ فِيهِ : الْيَأْمِيُّ وَالْفِرَاعُ : مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ . وَالْوِهَاطُ : مَا انْخَفَضَ مِنْهَا ، وَاحِدُهَا : وَهْطٌ . وَتَلَعٌ : اسْمُ جَبَلٍ . وَالصَّلْعُ : الْأَرْضُ الْمُسَاءُ . وَالْخَفِيدُ : وَلَدُ النَّعَامَةِ . وَالْمِهْجَفُ : الضَّخْمُ .

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَمْرٍو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ ، وَقَيْسِ بْنِ مَسْكُوحَ .

== الْفَهْرِيُّ ، وَهُوَ وَالْيَا يَوْمَئِذٍ ، وَعَلَى هِشَامِ ثِيَابٍ يَجْرُهَا ، فَقَالَ لَهُ : أَمَارَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْرِضُ لَهُ بِجَمْرِ ثِيَابِهِ ؟ فَقَالَ هِشَامُ : بَلَى ، قَالَ : فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَ مَهْجَرًا مَشْمُرًا ، قَالَ : فَا بِأَلَاكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فَعَلَاتِ هَذَا لِقَوْلِ الشَّاعِرِ . ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ . أَنْظِرْ ص ١٦٥ سَمَطُ اللَّكْلِ ، وَص ١٧٤ ٦٠ الْحَيَوَانُ لِلْجَاهِظِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : الْمَهْدِيَّةُ وَمَهْدَةُ بْنُ حَيْرَانَ وَهُوَ خَطَاٌ وَهُوَ فِي الْأَشْتِقَاقِ : مَهْرَةُ بْنُ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرَانَ بْنِ الْخَافِ بْنِ قُضَاعَةَ وَصَوَابُهُ حَيْدَانَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْخَافِ ، وَكَذَا فِي جَمْعَةِ الْأَنْسَابِ لِابْنِ السَّكْبِيِّ ، وَفِي الْجُمْهُرَةِ لِابْنِ حَزْمٍ ، أَنْظِرْ ص ٥٥٢ الْأَشْتِقَاقِ . ص ٥٢ قَلَانْدُ الْجَمَانِ لِلْمَقْلَقِ شَنْدَى وَلِسْكَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ نَهَايَةُ الْأَرْبِ مَهْرَةُ بْنُ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرَانَ بْنِ الْخَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ص ٢٤٧ وَأَنْظِرْ ص ١٢٤ الْجُمْهُرَةُ لِابْنِ حَزْمٍ وَص ٢٩٦ ٢٠ نَهَايَةُ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ .

(٢) ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ زِيَادَةُ مِنْ لِبَابِ الْأَنْسَابِ ، وَأَصْبَى كَمَا وَرَدَ فِي اللَّبَابِ ابْنُ رَافِعٍ بْنُ مَالِكٍ بْنُ حَسَمٍ بْنُ حَاشِدٍ بْنُ جِشْمٍ بْنُ خَيْوَانَ بْنِ نَوْفٍ بْنِ هَمْدَانَ .

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبادجانة

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذوالقعدة ،
تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ،
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبادجانة الساعدي ، ويقال : سباع
ابن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيِّ .

وذكر في الشعر :

تَلَّاقٍ شَذْبِنًا شَنْنَ الْبَرَّائِينَ نَاشِزًا قَتَدَهُ^(١) .

أُلْقِيَتْ بِحَطِّ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ قَالَ : قَالَ الْقَاضِي : لَا أَعْرِفُ
شَذْبِنًا الْآنَ ، وَلَمَّا لُهُ تَلَّاقٍ شَرُّ نَبْتًا^(٢) ، وَجَزَمُ تَلَّاقٍ لَمَّا فِي قَوْلِهِ :

فَلَوْ لَا قَيْمَتِي مِنْ قُوَّةِ الشَّرِّطِ ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَا قَيْمَتِي تَلَّاقٍ .

(١) فِي السِّيرَةِ : كَتَدَهُ

(٢) لِلْغَلِيظِ الْكَفَيْنِ وَالرَّجُلَيْنِ وَالْأَشَدِّ .

ما أمر به الرسول عائشة في حيضها

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكروا ولا يذكرون الناس إلا بالحج ، حتى إذا كان بَسْرٍ وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلُّوا بِعُمْرَةٍ ، إلا مَنْ ساق الهدى ؛ قالت : وحِضَّتْ ذلك اليوم ، فدخل عليّ وأنا أبكي ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلكِ نَفِسْتِ ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لو ددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر ؛ فقال : لا تقولين ذلك ، فإنكِ تَقْضِينَ كُلَّ مَا يَقْضِي الْحَاجُ إِلَّا أَمْلَكَ لَا تَطُوفِينَ بِالْبَيْتِ قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحلَّ كُلُّ مَنْ كَانَ لَا هَدْيَ معه ، وحلَّ نساؤه بِعُمْرَةٍ ، فلما كان يوم النحر أُتِيَ بِلَحْمٍ بِقَرِّ كَثِيرٍ ، فطُرح في بيتي ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نساؤه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الخُصْبَةِ ، بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التَّعْمِيمِ ، مكان عُمرتي التي فانتني .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حَفْصَةَ بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يُحِلِّلْنَ بِعُمْرَةٍ ، قُلْنَ : فما يمنعك يا رسول الله أن تُحِلَّ معنا ؟ فقال : إني أهديتُ ولَبِذْتُ ، فلا أُحِلُّ حتى أنحر هَدْيِي .

موافاة عليّ في قفوله من اليمين رسول الله في الحج

به ما أمر الرسول علياً من أمور الحج

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نجران ، فلقىه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحمل بعمره فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل بأصحابك . قال : يا رسول الله إني أهلت كما أهلت ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ؛ قال : يا رسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبـدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

شكا علياً جنده إلى الرسول لا تنزاعه عنهم حللاً من بئر اليمين

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمين ليلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، واستخلف على جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَمِدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ
فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ حُلَّةً مِنَ الْبَزِّ الَّذِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
فَلَمَّا دَنَا جَيْشُهُ خَرَجَ لِيَلْقَاهُمْ ، فَإِذَا عَلَيْهِمُ الْحُلَالُ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! مَا هَذَا ؟ قَالَ :
كَسَوْتُ الْقَوْمَ لِيَتَجَمَّلُوا بِهِ إِذَا قَدَمُوا فِي النَّاسِ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! انْزِعْ قَبْلَ أَنْ
تَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَانْزَعْتُ الْحُلُلَ مِنَ النَّاسِ ،
فَرَدَّهَا فِي الْبَزِّ ، قَالَ : وَأَظْهَرَ الْجَيْشَ شَكْوَاهُ لِمَا صُنِعَ بِهِمْ .

قال ابن إسحاق : أَخَذَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ حَزْمٍ ، عَنْ
سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عُجْبَةَ عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبِ بِنْتِ كَعْبٍ ، وَكَانَتْ
عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : اشْتَكَى النَّاسُ عَلِيًّا
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا ، فَسَمِعْتُهُ
يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَا خَشْنَ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، مِنْ أَنْ يَشْكِيَ .

خطبة الرسول في حجة الوداع

قال ابن إسحاق : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَجَّهِ ،
فَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجَّتِهِمْ ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً الَّتِي
بَيَّنَّ فِيهَا مَا بَيَّنَّ ، خَدَّمَ اللَّهُ وَأَنْفَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ،
فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَتَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ
دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ،
وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ،

وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل رباً موضوعٌ ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا رباً ، وإن رباً عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولسكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن الذنبي زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرّمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلّوا ما حرم الله ، ويحرّموا ما أحلّ الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرّم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مُضَرّ ، الذي بين جُمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ، ولهنّ عليكم حقاً ، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهنّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنني قد بلغت ، وقد تركت

فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيننا ، كتاب الله وسنة نبيه .
أيها الناس ، اسمعوا قولي واعتقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن
المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ،
فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم اشهد .

اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه
عباد قل : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
هلا تدرون أي شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول :
قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم
كحُرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال :
فيقولون . البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم
وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحُرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل : يا أيها
الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟
قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم :
إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول في حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن أنعامها ليقع على رأسي ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفرش ، وللعاهر الحجر ، ومن أدعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بعض تعليم الرسول في الحج

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذي هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمِنًى قال : هذا المنحر ، وكل مِنًى منحر . فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجَّهم : من للموقف ، ورَمَى الجِار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجَّهم ، وما حرَّم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحجَّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة ببقية ذى الحجة والحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطىء التحليل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأوثون .

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين

حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أثنى به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكأفة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فسكره وجهه وتناقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم باخنة الأمة التي بُعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث رَحِيه بن خليفة السكلي إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إلى كَسْرَى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِي إلى النَّجَاشِي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب ابن أبي بلتعة إلى الْمُقَوْس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السَّهْمِي إلى جَبِيْفَر وَعِيَاد ابْنَيْ الْجُلَنْدِي الْأَزْدِيَيْنِ ، مَلِكَيْ عُمَّان ، وبعث سَلِيْط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى مُنَمَّة بن أُنَال ، وهَوْذَة بن علي الحنفيين ، مَلِكِي الْيَمَامَة ، وبعث الملاء بن الحَضْرَمِي إلى الْمُنْذَر بن سَاوَى الْعَبْدِي ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الفسَّاني ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شُجَاع بن وهب إلى جَبَلَة بن الْأَيْهَم الفسَّاني ، وبعث المهاجر بن أبي أُمَيَّة الْحَزْزَمِي إلى الحارث بن عبد كُلال الْحِمَيرِي ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيْطاً وَمُنَمَّةً وَهَوْذَةً وَالْمُنْذَرَ .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب

والمعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرّفه ؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمةً وكافّةً ، فأدّوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأدّا من قرّب به فأحبّ وسلم ، وأمّا من بعد به فبكره وأبى ، فشكّا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجهه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق : وكان منّ بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأنبياء ، الذين كانوا بمدّهم في الأرض : بطرُسُ الحواريّ ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأنبياء ، ولم يكن من الحواريين ، إلى رومية ، وأندرائس وممتنا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وثوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ؛ وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهي إفريقية ، ويحذس ، إلى إفسوس ، قرية الفتيّة ، أصحاب الكهف ، ويمقوبس إلى أوراشليم ، وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن تلميذ إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمون إلى أرض اللبر ، ويهوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان بولس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا رباد بن عبد الله البسكاني عن محمد بن إسحاق المطلبي : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، منها غزوة ودّان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ، ثم غزوة العُشَيْرَةِ ، من بطن يَذْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى ، بطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قُرَيْش ، ثم غزوة بنى سليم ، حتى بلغ السكدر ، ثم غزوة السيوف ، بطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمير ، ثم غزوة بخران ، ممدن بالبحاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل . ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى الحبيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضا ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بعث
وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة ، ثم غزوة حمزة
ابن عبد المطالب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة
حمزة قبل غزوة عبيدة ؛ وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله
ابن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القرادة ، وغزوة محمد بن مسلمة
كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع ، وغزوة
المنذر بن عمرو بنر مونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة ،
من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب ثرية من أرض بني عامر ، وغزوة
علي بن أبي طالب اليممن ، وغزوة غالب بن عبد الله السكابي ، كلب ليث ،
السكديد ، فأصاب بني الملوح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثني عن
مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهمي ، عن المنذر ، عن جندب بن مكيث
الجهمي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله السكابي ،
كلب بن عوف بن ليث ، في سرية كفت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على
بني الملوح ، وهم بالسكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بتدند لقينا الحارث

ابن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يصيرك رباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كئنا قد استوثقنا منك ، فشدناه رباطاً ، ثم خَلَفْنَا عليه رجلاً من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك فاحترز رأسه .

بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة

قال : ثم سرنا حتى أتينا السكديد عند غروب الشمس ، فسكنّا في ناحية الوادي ، وبمضى أصحابي ربيّة لهم ، فخرجت حتى آتيت تلاً مُشرفاً على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التلّ ، إذ خرج رجل منهم من خيائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التلّ سواداً ما رأيته في أول يومى ، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرّت بعضها ، قال : فنظرتُ ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، قال : فناوليني قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبي ، فأنزِعْهُ ، فأضعه ، وثبتتُ مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبى ، فأنزِعْهُ فأضعه ، وثبتتُ مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيّة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهمى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتنفيهما ، خُفْذيهما ، لا يمتصّعهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

نجاء المسلمين بالنعيم

قال : وأمنهم لنهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السّحر شدتناً

عليهم الغارة ، قال : ففتننا ، واستقمنا النعم ، وخرج صريخ القوم ، فجاءنا دهم لا قبيل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناها معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى فرروا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نتخذوها سراعا ، حتى فتنناهم ، فلم يقدرُوا على طلبنا .

شعار المسلمين في هذه الغزوة

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الآية : أَمِيتْ أَمِيتْ . فقال راجزٌ من المسلمين وهو يتخذوها :

أَبِي أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ نَعَزَّيْ فِي خَضِيلِ نَبَاتِهِ مُغْلَوَابِ
صُفْرِ أَعَالِيهِ كَلَوْنِ الْمُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذهب » .

ثم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث .

تعريف بعدة غزوات

قال ابن إسحاق : وغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنى عبد الله

ابن سعد من أهل فدك ، وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بني سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة ، وغزوة أبي سلمة ابن عبد الأسد قطناً ، ماء من مياه بني أسد ، من ناحية نجد ، قُتل بها مسعود ابن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة أخى بني حارثة ، القرطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجوم من أرض بني سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض خشين .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِمْيَر .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سبيلهم

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لا آتهم ، عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامي ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواحد من أوديتهم يقال له شنار ، أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضمعيان . والضامع : بطن من جذام ، فأصابا

كل شيء كان معه ، فبالغ ذلك قومًا من الضَّبَّيْب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضَّبَّيْب الثُّمَّان بن أبي جِمال ، حتى لقوهم ، فانتلوا ، وامتلى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضَّفَّارِي ثم الضُّكْمِي ، فقال : أنا ابن لُبَيْ ، ورمى الثُّمَّان بن أبي جِمال بسهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبَيْ ، وكانت له أم تُدعى لُبَيْ ، وقد كان حسان بن مَلَّة الضَّبَّيْبِي قد صحب دِحْيَةَ بن خليفة قبل ذلك ، فملأه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشقر الضَّفَّارِي ، وحَيَّان بن مِلَّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، قال : فاستنفذوا ما كان في يد الهنيد وابنه ، فردّوه على دِحْيَةَ ، فخرج دحية ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذَام ، وبعث معه جيشًا ، وقد وَجَّهَتْ غَطَفَانُ من جُذَام ووائل ومن كان من سَلَامَانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ، حرة الرِّجْلَاء ، ورفاعة بن زيد بكراع رِبَّة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضَّبَّيْب ، وسائر بنى الضَّبَّيْب بوادي مَدَان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مُشْرِقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قِبَلِ الحرة ،

فَجَمَعُوا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ أَوْ نَاسٍ ، وَقَتَلُوا الْهَمَيْدَ وَابْنَهُ وَرَجُلَيْنِ مِنْ
بَنِي الْأَجْنَفِ .

قال ابن هشام : من بني الأحنف .

شأن حسان وأنيف ابني ملة

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلان من بني الخصيب . فلما سمعتُ
بذلك بنو الضَّبْيَبِ والجيش بقِيَاءَ مَدَانٍ ركب نفرٌ منهم ، وكان فيمن ركب
مَعَهُمْ حَسَّانُ بْنُ مِلَّةٍ ، عَلَى فَرَسٍ سُودٍ بَنِي زَيْدٍ ، يُقَالُ لَهَا الْعَجَاجَةُ ، وَأُنَيْفُ
ابْنِ مِلَّةٍ عَلَى فَرَسٍ لَمْلَمَةٍ يُقَالُ لَهَا : رِغَالٌ ، وَأَبُو زَيْدٍ بَنِي عَمْرٍو عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ
لَهَا شِمِيرٌ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْجَيْشِ ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَحَسَّانُ لِأُنَيْفِ
ابْنِ مِلَّةٍ : كُفَّ عَنَّا وَانصَرِفْ ، فَإِنَّا نَخْشَى لِسَانَكَ ، فَوَقَفَ عَنْهُمَا فَلَمْ يَبْعُدَا
مِنْهُ حَتَّى جَعَلَتْ فَرَسُهُ تَبْعَثُ بِيَدَيْهَا وَتَوَثَّبُ ، فَقَالَ : لَأَنَا أَضْنُ بِالرَّجُلَيْنِ مِنْكَ
بِالْفَرَسَيْنِ ، فَأَرْخِي لِهَـمَا ، حَتَّى أُدْرِكَهُمَا ، فَقَالَا لَهُ : أَمَا إِذَا فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ
فَكُفَّ عَنَّا لِسَانَكَ ، وَلَا تَشَاؤُنَا الْيَوْمَ ، فَتَوَاصَوْا أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ مِنْهُمْ إِلَّا حَسَّانُ
ابْنُ مِلَّةٍ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ كَلِمَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ عَرَفَهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ،
إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ قَالَ : بُورِي أَوْ ثُورِي ، فَلَمَّا بَرَزُوا عَلَى
الْجَيْشِ ، أَقْبَلَ الْقَوْمُ يَتَبَدَّرُونَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ حَسَّانُ : إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، وَكَانَ
أَوَّلُ مَنْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَدَمٍ ، فَأَقْبَلَ يَسْأَلُهُمْ ، فَقَالَ أُنَيْفُ : بُورِي ،
فَقَالَ حَسَّانُ : مَهْلًا ، فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ حَسَّانُ : إِنَّا قَوْمٌ
مُسْلِمُونَ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَاقْرَءُوا أُمَّ السَّكْتَابِ ، فَقَرَأَهَا حَسَّانُ ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ

حارثة : نادوا في الجيش : أن الله قد حرّم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر .

قدومهم على الرسول وشعر أبي جمال

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي ورن عدي بن أمية بن الضبئ في الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقوقه ، فقالت أم الفرز الضلمية : أنفطون بيناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بني الخصيب : إنها بنو الضبئ وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسميها بمض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقوقه ، وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فجمعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه ، فأمنوا في أهلهم ، واستمعوا ذودا لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتة منهم ، ركبوا إلى رفاعه بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعه بن زيد تلك الليلة ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومخربة بن عدي ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا رفاعه بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرّة على بئر هنالك من حرة لينلى ، فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المغزى ونساء جذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به ، فدعا رفاعه ابن زيد بجمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أَنْتَ حَيٌّ أَوْ تُنَادِي حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الخصبى المقتول ، مبكرين من
 ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا
 إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تُنذخوا إيلسكم ، فتقطع
 أيديهم ، فزولوا عنهم وهم قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ورآهم ، ألاح إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد
 المنطق ، قام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة ،
 فرددناهم مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يخذنا في يومه هذا
 إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه ، حديثاً غدره فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام ، وأعلن ؛ فلما قرأ كتابه استخبره
 فأخبرهم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى ؟
 (ثلاث مرات) . فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لانحرم عليك حلالاً ،
 ولا نحمّل لك حراماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من
 كان حياً ، ومن قُتل فهو تحت قدمي هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا على فقال له على رضى الله عنه : إن
 زيد أن يطيعنى يا رسول الله ، قال : فخذ سيفي هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال على :
 ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبية بن عمرو ، يقال له
 مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على فائتة من إبل أبى وبرة ،
 يقال لها : الشير ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ، ماشأنى ؟ فقال : ما لهم ،
 عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجليش بنيفاء الفحلتيين ، فأخذوا مافى أيديهم ،

حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرجل ، فقال أبو جمال حين فرغوا
من شأنهم :

وَعَاذِلْهُ وَلَمْ تَفْذُلْ بِطِبِّهِ وَلَوْلَا نَحْنُ حُشَّ بِهَا السَّعِيرُ
تُدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بِابْنَتَيْهَا وَلَا يُرْجَى لَهَا عِتْقُ يَسِيرِ
وَلَوْ وَكَلْتَ إِلَى عَوْصٍ وَأَوْسٍ لَخَارَ بِهَا عَنِ الْعِتْقِ الْأُمُورُ
وَلَوْ شَهِدْتَ رَكَابِدْنَا بِمَضْرٍ تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِهَا الْمَسِيرُ
وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفَاطِ لَرَبْعَ إِنَّهُ قَرَبَ ضَرِيرُ
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسَّيْدِ نَهْدٍ عَلَى أَفْتَادٍ نَاحِيَةِ صَبُورُ
فِدَى لَأَبِي سُلَيْمَى كُلِّ جَيْشٍ بِيَثْرِبَ إِذْ تَنَاطَلَّتِ الدُّجُورُ
غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَبْكِيْنَا خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله : ﴿ وَلَا يُرْجَى لَهَا عِتْقُ يَسِيرٍ ﴾ . وقوله : ﴿ عَنْ
الْعِتْقِ الْأُمُورُ ﴾ عن غير ابن إسحاق .

تَمَّتِ الْفَرَاةُ ، وَهَدْنَا إِلَى تَفْصِيلِ ذِكْرِ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطَّرَفَ مِنْ نَاحِيَةِ نَحْلٍ .
من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أصيب بها

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى ، أتى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتدت زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو ابن مداش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .
قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

معاودة زيد لهم

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يفزوا بنى فزارة ؛ فلما استقبل من جراحتهم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة في جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحّر اليممرى مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزاً كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحّر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلاً عنيفاً ؛ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة ، وبابن مسعدة .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

وكانت في بيت شرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم
قِرْفَة مازدت . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةً ، فوهبها له ، فأهداها
لخاله حَزَن بن وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حَزَن .

شعر ابن المسحر في قتل مسعدة

فقال قيس بن المسحر في قتل مسعدة :

سَمِعْتُ بَوْرِدٍ مِثْلَ سَعْيِ ابْنِ أُمِّهِ وَإِنِّي بَوْرِدٌ فِي الْحَيَاةِ لَأَثَارُ
كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمَهْرَ كَمَا رَأَيْتُهُ عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَذْرِ مُغَاوِرِ
فَرَكَبْتُ فِيهِ قَعَصِيًّا كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِمَعْرَاةٍ يُذَكِّى لِنَظِيرِ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خيرَ مرتين : إحداهما التي أصاب فيها اليسير
بن رزام . قال ابن هشام : ويقال ابن رازم .

مقتل اليسير

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان اغزو
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن رواحة في نفرٍ من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بني
سَلَمَةَ ، فلما قَدِمُوا عليه كَأَمُوهُ ، وَقَرَّبُوا لَهُ ، وقالوا له : إنك إن قَدِمْتَ على
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزلوا به ، حتى خرج

معه في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فافتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخروش في يده من شوحط ، فأثمه ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسام على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله ؛ فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل على شجته ، فلم تقع ولم تؤذ .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس

لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بمرنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليفزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله

ابن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن أبي نعيم الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني ، وهو بنخله أو بمرنة ، فأنته فانتله . قلت : يا رسول الله ، انعمتُ لي حتى أعرفه . قل : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة . قال : فخرجت مُتَوَشِّحًا سَيْفِي ، حتى دُفِعْتُ إليه وهو في ظُئْرٍ يرتاد لمن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشَعْريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تسكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة ، فصَلَّيت وأنا أُنشئ نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أَجَلْ ، إني لفي ذلك . قال فَمَشَيْتَ معه شيئًا ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظمآنه مُنْكَبَّاتٍ عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأني ، أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

إهداء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بي ، فأدخلني بيته ، فأعطاني عصًا ، فقال : أُمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أُمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَسْأَلُهُ لِمَ ذلِكَ ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني

هذه العصا؟ قال : آية بني وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخضرون يومئذ ، قال : فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت في كفنه ، ثم دُفنا جميعاً .

شعر ابن أنيس في قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

رَكَتُ ابْنَ نُوَيْرٍ كَالْحَوَارِ وَحَوْلَهُ نَوَاحٍ تُفَرِّى كُلَّ جَنْبٍ مُقَدَّدٍ
تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّمْنُ خَلْفِي وَخَلْفُهُ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٍ
عَجُومِ إِيَّاهُم الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهُ شِهَابٌ غَضَى مِنْ مُدْهَبٍ مُتَوَقَّدٍ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يُعْجِمُ رَأْسَهُ أَنَا ابْنُ أَنْيْسٍ فَارِسًا غَيْرَ قُعْدَدٍ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ رَحِيبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزَنَّدٍ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِدِ حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا مَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ لَأَيْسِهِ بِاللَّسَانِ وَبِالْيَدِ
تَمَّتِ الْغَزَاةُ ، وَعُدْنَا إِلَى خَيْرِ الْبَعُوثِ .

غزوات أخر

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة مؤنثة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاق ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن العنبر من بني تميم .

عزوة عيينة بن حصن بن العنبر من بني تميم

وعد الرسول عائشة بإعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبي منهم أناساً .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إن عليّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْيُ بني العنبر يَقدِّمُ الآن ، فتمطيك منهم إنساناً فتمتقينه .

بعض من سبي وبعض من قتل وشعر سلمى في ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قُدِّمَ بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن رُفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقَعْقَاع بن معبد ، وورْذَان ابن مُحْرِز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِراس ابن حابس ؛ فكلَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضاً ، وكان ممن قُتل يومئذ من بني العنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشَدَّاد بن فِرَاس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سُبِيَ من نسايتهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكلاس بنت أريّ ونَجْوة بنت نهد ، ومُجمِعة بنت قيس ، وعمرة بنت مَطَر . فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عَتَّاب :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقْتُ عَدِيَّ بْنَ جَنْدَبٍ مِنْ الشَّرِّ مَهْوَاً شَدِيداً كَثُودَهَا
تَكْنَفَهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغُيِّبَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجُدُودَهَا

شعر الفرزدق في ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ ابْنُ حَابِسٍ بِخُطَّةٍ سَوَّارٍ إِلَى الْمَجْدِ حَازِمٍ -
لَهُ أَطْلَقَ الْأَمْرَى الَّتِي فِي حِبَالِهِ مُغَالَّةً اغْنَاقُهَا فِي الشُّكَاثِمِ -
كَفَى أُمَمَاتِ الْخَلَائِفِينَ عَلَيْهِمْ غِلَاءَ الْمُفَادِي أَوْ شِهَامَ الْقَاسِمِ -
وهذه الأبيات في قصيدة له . وعديُّ بن جندب من بني العنبر ، والعنبر
ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلاب ليث - أرض
بني مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفاً لهم من الحُرقة ، من جُهينة ،
قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرقة ، فيما حدثني عُبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته

أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهِرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله .
 قال : فلم نَنزِعْ عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت :
 يا رسول الله ، إنه إنما قالها نعوذاً بها من القتل قال : فمن لك بها يا أسامة ؟
 قال : فوالذي بعثه بالحق ما زال يردّدها عليّ حتى لوددت أن ماضى من
 إسلامي لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت :
 أنظرنى يا رسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ،
 قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عُذرة ، وكان من
 حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام وذلك
 أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ . فبعثه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يُقال له
 السَّلسَل . وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه
 خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتمّده ، فبعث إليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر
 وعمر ؛ وقال لأبي عُبَيْدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عُبَيْدة حتى إذا قَدِمَ
 عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مدداً لي ، قال أبو عُبَيْدة : لا ، ولكنى على

ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عُبَيْدَةَ رجلاً لينكسها ، هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مددلى ، فقال أبو عُبَيْدَةَ . يا عمرو ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لا تَخْتَلِفَا ، وإنا لك إن عصيتنى أطعْتُكَ ، قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مددلى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

وصية أبى بكر رافع بن رافع

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانياً ، وسميت سَرْجِسَ ، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلببنى فيه ، حتى أمرت بذلك الماء الذى خَبأت فى بيض النعام وأستخرجه ، فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال فقلت : والله لأختارنّ لنفسى صاحباً ، قال : فصحبت أبابكر ، قال : فكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدَكية ، فكان إذا نزلنا بسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفاراً : نحن نبائع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبابكر ، إنا أصحابك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : أمرك أن توحّد الله ولا تُشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ،

وتصوم رمضان ، وتمج هذا البيت ، وتفقتل من الجنابة ، ولا تأمّر على رجل من المسلمين أبداً . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فإن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أودها إن شاء الله ، وأما رمضان فإن أتركه أبداً إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فساغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرّفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهاني عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهدك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، لجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ لله وجيرانه ، وفي ذمته ، فإياك لا تخفّر الله في جيرانه ، فيتبعك الله في خفرتة ، فإن أحدكم يخفّر في جاره ، فيظل نائماً عضله ، غضباً لجاره أن أصيب له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدّمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن تأمّر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حلك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بداً ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة .

تقسيم عوف الأشجعي الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق : أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف ابن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصَحِبْتُ أبا بكر وعمر ، فررتُ بقوم على جَزُور لهم قد نَحَرُواها ، وهم لا يتقدرون على أن يُنْضَوْها ، قال : وكنت امرأً كَبِيقًا جازراً ، قال : فقلت : أتعطوني منها عَشِيرًا على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشَّفَرَتَيْنِ ، فجزَّأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً ، فحملته إلى أصحابي ، فاطَّبخناه فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أتَّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتُهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيَّان مافي بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجنَّته وهو يصلي في بيته ؛ قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي ، قال أصحاب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئاً .

غزوة ابن أبي حدرد بطن إصم وقتل عامر

ابن الأضبط الأشجعي

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبي حَدرَد ، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد ، قال بَعَثْنَا

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إِحْضَمَ في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة
الخارث بن رَبِيعٍ وَحَلْمٌ بن جَثَامَةَ بن قَيْسٍ ، نخرجنا حتى إذا كنا ببطن
إِحْضَمَ ، مرت بنا عامر بن الأضبط الأشجعي ، على قَمُود له ، ومعه مُتَمِيعٌ له ووطب
من لبن . قال : فلما مرت بنا سلمَ علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه
حَلْمٌ بن جَثَامَةَ ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ مُتَمِيعَهُ . قال : فلما
قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى
إِلَيْنَا السَّلَامَ أَسْتَ مُؤْمِنًا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ النساء :
٩٤ . . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْنَا السَّلَامَ أَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن

يختصمان في دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد
ابن ضَمِيرَةَ بن سعد السُّلَمِيَّ يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ،
وكانا شهدا حُنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظلِّ شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بمُحَنِّين ،
فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر ، يختصمان

في عامر بن أضيظ الأشجعي : عُيِّنَةُ يَطْلُبُ بَدَمَ عَامِرٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ رَئِيسُ
غَطَفَانَ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَدْفَعُ عَنْ مُحَلِّمِ بْنِ جَثَامَةَ ، لَمَّا كَانَ مِنْ خَنْدَفٍ ،
فَتَدَاوَلَا الْخَصُومَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، فَسَمِعْنَا
عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ لِأَدْعُهُ حَتَّى أَذِيقَ نِسَاءَهُ مِنَ الْحَرْقَةِ
مِثْلَ مَا أَذَاقَ نِسَائِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ
خَمْسِينَ فِي سَفَرِنَا هَذَا ، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا ، وَهُوَ يَأْبَى عَلَيْهِ ، إِذَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي لَيْثٍ ، يُقَالُ لَهُ : مُكَيِّثٌ ، قَصِيرٌ مُجْمُوعٌ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : مُكَيِّثٌ -
فَقَالَ : وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ لِهَذَا الْقَتِيلِ شَبَهًا فِي غُرَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا كَفَنِمُ
وَرَدَتْ فَرُمِيَّتٌ أَوْلَاهَا ، فَفَرَّتْ أُخْرَاهَا ، أَسْنَنَ الْيَوْمَ ، وَغَيْرُ غَدَاً . قَالَ : فَرَفَعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ . فَقَالَ : بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِي سَفَرِنَا
هَذَا ، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا . قَالَ : فَاقْبَلُوا الدِّيَةَ . قَالَ : ثُمَّ قَالُوا : أَيْنَ صَاحِبُكُمْ هَذَا ،
يَسْتَعْفِرُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ آدَمُ ضَرْبُ طَوِيلٍ ،
عَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ ، قَدْ كَانَ تَهِيئًا لِلْقَتْلِ فِيهَا : حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : أَنَا مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَغْفِرْ لِمُحَلِّمِ بْنِ جَثَامَةَ ثَلَاثًا . قَالَ :
فَهَامَ وَهُوَ يَتَلَقَّى دَمْعَهُ بِفَضْلِ رَدَائِهِ . قَالَ : فَأَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ فِيمَا بَيْنُنَا : إِنَّا نَرْجُو
أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَغْفَرَ لَهُ ، وَأَمَّا مَا ظَهَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ هَذَا .

موت محم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أَمْنَتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقَالَةُ لَأَتِي قَالَ ؛ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا مَكَثَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا سَبْعًا حَتَّى مَاتَ ، فَلَفَظْتَهُ - وَالَّذِي نَفْسُ الْحَسَنِ بِيَدِهِ - الْأَرْضُ ، ثُمَّ عَادُوا لَهُ ، فَلَفَظْتَهُ الْأَرْضُ ، ثُمَّ عَادُوا فَلَفَظْتَهُ ؛ فَلَمَّا غُلِبَ قَوْمُهُ عَمِدُوا إِلَى صُودَيْنَ ، فَسَطَّحُوهُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ رَضَعُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ . قَالَ : فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ الْأَرْضَ لَتَطَّابِقَ عَلَيَّ مِنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، وَلَسَكَنَ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْظِمَكُمْ فِي حَرَمٍ مَا يَنْبَغُكُمْ بِمَا أَرَأَيْتُمْ مِنْهُ .

دية بن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حَدَّثَ : أَنَّ مُعَيِّنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَقَيْسًا حِينَ قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَخِلَافَهُمْ ، يَامُشِرُ قَيْسُ ، مَنَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَتِيلًا يَسْتَصْلِحُ بِهِ الْفَاسَ ، أَفَأَمَعْتُمْ أَنْ يَلْعَنَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَلْعَنَكُمْ اللَّهُ بِلَعْنَتِهِ ، أَوْ أَنْ يَفْضَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِفَضْبِهِ ؟ وَاللَّهِ الَّذِي نَفْسُ الْأَقْرَعِ بِيَدِهِ لَتَسْلِمُنَّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَصْنَعَنَّ فِيهِ مَا أَرَادَ ، أَوْ لَاتَيْنَّ بِخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَشْهَدُونَ بِاللَّهِ كُلُّهُمْ . اقْتُلْ صَاحِبَكُمْ كَافِرًا ، مَا صَلَّى قَطُّ ، فَلَا تُطْلَنَ دَمُهُ ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ ، قَبِلُوا الدِّيَةَ .

قال ابن هشام : محمّل في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محمّل
ابن جثامة بن قيس اللبني .

قال ابن إسحاق : ما جئتم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي

سبهم

قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبي حدرد الأسدي الغنابة .

وكان من حديثها فيما بلغني ، عن لا أنهم ، عن ابن أبي حدرد ، قال :
تزوجت امرأة من قومي ، وأصدقتهما مائتي درهم ، قال : فجئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسأله عن نكاحي ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتي
درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن
واد ما زدتم ، والله ما أعدي ما أعينك به . قال : فلبثت أياما ، وأقبل رجل
من بني جُشم بن معاوية ، يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه ،
في بطن جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغنابة ، يريد أن يجمع قيسا على
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم في جُشم وشرف . قال :
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين ، فقال :
اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارقا عجماء ،

فحمل عليها أحدها ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دَعَمَهَا الرجالُ من خلفها
بأيديهم ، حتى استَقَلَّتْ وما كادت ، ثم قال : تَبَلَّغُوا عَلَيْهَا وَاعْتَقِبُوهَا .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدرد

من فيء استمان به على الزواج

قال : فرجنا ومعنا سلاحنا من النَّيْلِ والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من
الحاضر عُشَيْشِيَّةً مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ في ناحية ، وأمرت صاحبي ،
فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقالت لهما : إذا سمعنا أني قد كَبُرَتْ
وشدَّتْ في ناحية العسكر فسكِّبَّا وشُدَّا معي . قال : فوالله إنا لسكذلك
ننظر غِرَّةَ القوم ، أو أن نُصِيبَ منهم شيئاً . قال : وقد غَشِينَا اللَّيْلَ حتى
ذهبت فَحْمَةُ الْعِشَاءِ ، وقد كان لهم راع قد سرَّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم
حتى تخَوَّفُوا عليه قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعَةُ بن قيس ، فأخذ سَيْفَهُ ، فجعله
في عنقه ، ثم قال : والله لأتَّبِعَنَّ أثرَ راعينا هذا ، ولقد أصابه شرٌّ ، فقال له
نفر مَّعَهُ : والله لا نذهب ، نحن نَكْفِيكَ ؛ قال : والله لا يذهب إلا أنا ؛
قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لا يتبعني أحد منكم قال : وخرج حتى يمر بي .
قال : فلما أمكنني نفحته بسهمي ، فوضعتُه في فؤاده . قال : فوالله ما نكَلَّمْ ،
ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال . وشدت في ناحية العسكر ، وكَبُرَتْ ،
وشدَّ أصحابي وكَبُرَا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ،
بكل ما قدروا عليه من نساءهم وأبنائهم ، وما خفَّ معهم من أموالهم . قال :
واستقمنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وجئت برأسه أحمله معي . قال : فأعانتني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بغيراً في صدّاقى ، فجمعتُ إلى أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شئ من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال الإمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدريّ ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلمَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أئى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ؛ قال : فأئى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكرًا للموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يامعشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزان بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يُعْلِنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تسكن في أسلافهم الذين مضَوْا ؛ ولم يَنْقُصُوا المسكيات والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ؛

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا ؛
وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدوٌّ من غيرهم ، فأخذ بعضُ
ما كان في أيديهم ؛ وما لم يُنحَكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله
إلا جمل الله بأسهم بينهم » .

تأثير ابن عوف واعيانه

ثم أسَرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد
اعتم بعمامة من كرايس سوداء ، فأدناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه ،
ثم نقضها ، ثم عَمَّه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك ،
ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن
يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه فحمد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه
يابن عوف ، اغزُوا جميعاً في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تُفَلُّوا ،
ولا تغدروا ، ولا تُمَثِّلُوا ، ولا تَقْتُلُوا وليداً ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيِّه فيكم .
فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد الطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق : وحدثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه ،
عن جدِّه عُبادة بن الصامت ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

سَرِيَّةً إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ ، عَلَيْهِمْ أَبُو مُعْبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَزَوْدُهُمْ جَرَابًا مِنْ تَمْرٍ ،
فَجَمَلُ يَتُوتِهِمْ إِيَّاهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى أَنْ يَمُدَّهُ عَلَيْهِمْ عَدَدًا . قَالَ : ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ ، حَتَّى
كَانَ يَمْلِكُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً . قَالَ : فَقَسَمَهَا يَوْمًا بَيْنَنَا . قَالَ :
فَنَقَصَتْ تَمْرَةٌ عَنْ رَجُلٍ ، فَوَجَدْنَا فَقْدَهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ . قَالَ : فَلَمَّا جَهَدْنَا الْجُوعَ
أَخْرَجَ اللَّهُ لَنَا دَابَّةً مِنَ الْبَحْرِ ، فَأَصْبَنَّا مِنْ لَحْمِهَا وَوَدَّكُهَا ، وَأَقْنَا عَلَيْهَا عَشْرِينَ
لَيْلَةً ، حَتَّى سَمْنَا وَابْتَلَنَّا ، وَأَخَذَ أَمِيرُنَا ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهَا ، فَوَضَعَهَا عَلَى طَرِيقِهِ ،
ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسَمِ بَعِيرٍ مَعَنَا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَجْسَمَ رَجُلٍ مَنَا . قَالَ : فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، قَالَ :
نَفْرَجُ مِنْ تَحْتِهَا وَمَا مَسَّتْ رَأْسَهُ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْنَاهُ خَبَرَهَا ، وَسَأَلْنَاهُ عَمَّا صَنَعْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَكْلِنَا إِيَّاهُ ، فَقَالَ :
رَزَقَ رِزْقَكُمْوهُ اللَّهُ .

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه قدومه مكة وتعرف القوم عليه

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعُوثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَرَايَاهُ بَعَثُ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا حَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، بَعْدَ مَقْتَلِ حُبَيْبِ بْنِ عَدَى
وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ جُبَّارَ
ابْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيَّ نَفَرًا حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ وَحَبَسَا جَمْلِيهِمَا بِشُعْبٍ مِنْ شِعَابِ

يَأْجِجُ ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جَبَّارُ عمرو : لو أنا طُفْنَا بالبَيْتِ وَصَلَّيْنَا رَكَعَتَيْنِ ؟ فقال عمرو : إِنْ الْقَوْمُ إِذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَفْنِيتِهِمْ ، فقال : كَلَّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فقال عمرو : فَطُفْنَا بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّيْنَا ، ثم خَرَجْنَا نُرِيدُ أَبَا سَفْيَانَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَمَشَى بِمَكَّةَ إِذْ نَظَرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفْنِي ، فقال عمرو بنُ أُمَيَّةَ : وَاللَّهِ إِنْ قَدِمَهَا إِلَّا لَشَرٍّ ، فقلت لصاحبي : النَّجَاءُ ، فخرَجْنَا نَشْتَدُّ ، حَتَّى أَصْعَدْنَا فِي جَبَلٍ ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِنَا ، حَتَّى إِذَا عَلَوْنَا الْجَبَلَ يَبْئِسُوا مِنَّا ، فَرَجَعْنَا ، فَدَخَلْنَا كَهْمًا فِي الْجَبَلِ ، فَبَقَيْنَا فِيهِ ، وَقَدْ أَخَذْنَا حِجَارَةً قَرَضْنَاهَا دُونَنَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا عَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَوَدُّ فِرْسَالَهُ ، وَيُخْلِي عَلَيْهَا ، فَفَشَّيْنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ ، فقلت : إِنْ رَأَى صَاحِبُ بَنِي ، فَأَخَذْنَا فَقُتِلْنَا .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومضى خِنْجَرٌ قَدْ أَعَدَدْتَهُ لِأَبِي سَفْيَانَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ ، فَأَضْرَبَهُ عَلَى نَدْيِهِ ضَرْبَةً ، وَصَاحَ صَيِّحَةً أَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ ، وَأَرْجِعُ فَأَدْخُلُ مَكَانِي ، وَجَاءَهُ النَّاسُ يَشْتَدُّونَ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، فَقَالُوا : مَنْ ضَرَبَكَ ؟ فقال : عمرو بنُ أُمَيَّةَ ، وَغَلِبَهُ الْمَوْتُ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ ، وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى مَكَانِنَا ، فَاحْتَمَلُوهُ . فقلت لصاحبي ، لِمَا أَمْسَيْنَا : النَّجَاءُ ، فخرَجْنَا لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَعَمَّرْنَا بِالْحَرَسِ وَهُمْ يَحْرُسُونَ جِيْفَةَ خُبَيْبِ بْنِ عَدَى ، فقال أحدهم : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ أَشْبَهَ بِمِثْلَةِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ ، لَوْلَا أَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ لَقَاتَ هُوَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، قَالَ : فَلَمَّا حَازَى الْخَشْبَةَ شَدَّ عَلَيْهَا ، فَأَخَذَهَا فَاحْتَمَلَهَا ، وَخَرَجَا شَدًّا ، وَخَرَجُوا وَرَاءَهُ حَتَّى أَتَى جُرُفًا بِمَهْطٍ مَسِيلٍ يَأْجِجُ ، فَرَمَى بِالْخَشْبَةِ فِي الْجُرُفِ ،

فَمَيَّيْهِ اللهُ عَنْهُمْ ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النجاء النجاء ، حتى
تَأْتِي بِمِيرِكَ فَتَقْعِدَ عَلَيْهِ ، فَإِنِّي سَأَشْغَلُ عَنْكَ الْقَوْمَ ، وكان الأنصارى
لَا رُجْلَةَ لَهُ .

قتله بكرياً في غار

قال : ومضيتُ حتى أخرج على ضَجَنَانِ ثُمَّ أُوتِيتُ إِلَى جَبَلٍ ، فادخل
كَهْفًا ، فبينما أنا فيه ، إذ دخل على شيخ من بنى الدَّيْلِ أَعُورٌ ، في غُتَيْمَةٍ لَهُ ،
فقال : مَنِ الرَّجُلُ ؟ فقلت : من بنى بَكْرٍ ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بَكْرٍ ،
فقلت : مَرَحِبًا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا دَانٍ لِلدِّينِ الْمُسْلِمِينَ
فقلت في نفسي : ستعلم ، فأملهته ، حتى إذا نام أخذتُ قَوْسِي ، فجعلت
سَيْفِيهَا فِي عَيْنِهِ الْعَصِيصَةِ ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ الْعَظْمَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ
النَّجَاءَ ، حَتَّى جُمْتُ الْعَرَجَ ، ثُمَّ سَلَكْتُ رَكُوبَةَ ، حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ النَّفِيعَ
إِذَا رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، كَانَتْ قُرَيْشٌ بَعْثَتُهُمَا عَيْنًا إِلَى الْمَدِينَةِ
يَنْظُرَانِ وَيَتَحَسَّسَانِ ، فقلت : اسْتَأْذِنَا ، فَأَبَيَا ، فَأَرَمِي أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ فَأَقْتَلُهُ ،
وَاسْتَأْذِنَا الْآخَرُ ، فَأَوْتَقَهُ رِبَاطًا ، وَقَدِمْتُ بِهِ الْمَدِينَةَ .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بمنه هو وضميرة وقصة السبي

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن
حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم رضوان الله ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زبد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضَمِيرَة
مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَدْبِيَا من
أهل مِيفَاء ، وهى السواحل ، وفيها جُمَاع من الناس ، فبِيعُوا ، ففُرِّقَ بينهم ،
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يَبْكَون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل :
يارسول الله ، فُرِّقَ بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَبْيعُوهم
إِلَّا جَمِيعًا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبي علفك

سبب نفاق أبي علفك

قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي علفك ، أحد بنى عمرو
ابن عوف ثم من بنى عبيدة ، وكان قد نجم نفاقه ، حين قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحارث بن سُوَيْد بن صامت ، فقال :

لَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إِن أَرَى مِنْ النَّاسِ دَارًا وَلَا تَجْمَعَا
أَبْرَءَهُمْ—وَدَا وَأَوْفَى لِمَنْ يُعَاقِدُ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَبِيلَةٍ فِي تَجْمَعِهِمْ يَهْدُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَعَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَالًا حَرَامًا لِشَتَّى مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَقْتُمْ أَوْ الْمُلْكِ تَابَعْتُمْ تُبَّعَا

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم
ابن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ، فقالت
أمامة المزيرية فى ذلك :

نُكَذَّبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحَدًا لِعَمْرٍو الَّذِى أَمْنَاكَ أَنْ يَنْسُ مَا يَمْنِى
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَمَعَنَ أَبَا عَفْكَ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السَّنِ

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

نفاقها وشعرها فى ذلك

وغزوة عمير بن عدى الخطمى عَصْمَاءَ بِنْتَ مَرْوَانَ ، وهى من بنى أُمَيَّة
ابن زيد ، فلما قُتِلَ أَبُو عَفْكَ نَافَقَتْ ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفضيل
عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد
فقاتل تعيب الإسلام وأهله :

بَاسَتْ بَنَى مَالِكٍ وَالْفَيْيْتِ وَعَوَفٍ وَبَاسَتْ بَنَى الْخَزَرَجِ
أَطْفَعْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْهِجِ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّهْوسِ كَمَا يُرْتَجَى مَرَقَ الْمُنْضَجِ
أَلَا أَنْفَ يَبْدَعْنِى غِرَّةً فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجَى

شعر حسان في الرد عليها

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزَرَجِ
مَتَى مَادَعَتْ سَفْهًا وَنَحَهَا بِعَوَاتِهَا وَالْمَنَاسِيَا تَجِي
فَهَزَّتْ قَتَى مَا جِدَا عِرْقَهُ كَرِيمُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
فَقَصَّرَ جِهَا مِنْ تَجْمِيعِ الدِّمَا ۚ بَعْدَ الْهُدُوءِ فَلَمْ يَخْرُجِ

خروج الخطمي لقتلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخِذُ لِي مِنْ ابْنَةِ
مِروان ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ
الْخَطْمِيُّ ، وَهُوَ عِنْدَهُ ؛ فَلَمَّا أُمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَرَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا ،
ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي
قَدْ قَتَلْتُهَا . فَقَالَ نَهَرَتْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ ، فَقَالَ : هَلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنَزَانُ .

شأن بني خطمة

فَرَجَعَ عُمَيْرٌ إِلَى قَوْمِهِ ، وَبَنُو خَطْمَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ مُوْجِهٌ فِي شَأْنِ بِنْتِ
مِروان ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ بَنُونَ خَمْسَةَ رِجَالٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ مِنْ عِنْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : يَا بَنِي خَطْمَةَ ، أَنَا قَتَلْتُ ابْنَةَ مِروان ،

فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . فذلك اليوم أول ما عَزَّ الإسلام في دار
بنى خَطْمَة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم
من بنى خَطْمَة عُمَيْر بن عَدَى ، وهو الذى يُدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ،
ابن ثابت ، وأسام ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمَة ، لما رأوا
وخزيمة من عز الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه

والسرية التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي

إسلامه

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبَرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلاً من بنى حَنَيفَة ، لا يشعرون
من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتدرون من
أخذتم ، هذا ثَمَامَة بن أثال الحنفي ، أحسنوا إيساره . ورجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به
إليه ، وأمر بِلَفْحَتِهِ أَنْ يُغْدَى عليه بها ويراح ، فجعل لا يقع من ثمامة موقعاً
ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إني يا محمد ،
إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن ترد القداء فسَلْ ماشئت ، فسكت ما شاء الله أن يكس ،
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى
أتى البقيع ، فقطَّه فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم

على الإسلام ؛ فلما أُمسى جاءوه بما جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وبالأفحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيراً ، فمجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمّن رجل أكل أوّل النهار في مَعَى كافرٍ ، وأكل آخر النهار في مَعَى مسلم ! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل في مَعَى واحد .

خروجه إلى مكة وقصته مع قريش

قال ابن هشام : فبلغني أنه خرج مُعْتَمِراً ، حتى إذا كان ببطن مكة لَبّى ، فكان أوّل من دخل مكة يُلبّي ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة أطعامكم ، نخلّوه ، فقال الحنفى في ذلك :

وَمِمَّا الَّذِي أَتَى بِمَكَّةَ مُعَلِّمًا بَرَّغَمَ أَبِي سُفْيَانَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

حدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلىّ ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إلىّ . وقال في الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمراً ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت يا نمام ؟ فقال : لا ، ولكفى اتبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا نصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمَنَعَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى مَكَّةَ شَيْئًا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك

تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ،
والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يحلّ بينهم
وبين الخمل .

سرية علقمة بن مجز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجز .

لما قُتل وقاص بن مجز المذلي يوم ذي قرد ، سأل علقمة بن مجز
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن
الحكم بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم علقمة بن مجز - قال أبو سعيد الخدري : وأنا فيهم - حتى إذا
بلغنا رأس غزاتنا أو كفا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل
عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال
للقوم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفأنا أكرمكم شيء
إلا فعملتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا نوابتم

في هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز ، حتى ظنّ أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدّموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمَعْصِيَةٍ منهم فلا تُطِيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مُجَزَز رجع هو وأصحابه ولم يبق كيداً .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً

شأن يسار

حدثني بعض أهل العلم ، عن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاح له كانت تروى في ناحية الجلاء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كُتِبَ من بجيلة ، فاستوْبثوا ، وطَحَلوا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبث رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُزُز بن جابر ، فَلَاحِقَهُم ، فَأَتَى بِهِم رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم مَرَجِيَهُ مِنْ غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ،
وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
على بن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جُندٍ آخر ، وقال :
إن التقيتما فالأمير على بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعَثَ خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة
البعوث والسرائيا ، فينبغى أن تكون العِدَّةُ فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد
ابن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يُوطىء الخيل تُحْمَمُ بالبقاء والداروم ، من أرض
فلسطين فتَجْهَزُ الناسُ ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى إيام بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، فيما ذكرلى ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحسك بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مؤيّهية ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مؤيّهية ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنئ لاكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال : يا أبا مؤيّهية ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مؤيّهية ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ،

ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبضه الله فيه .

تمريره في بيت عائشة

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مُتَّ قبلي ، فمُتَّ عليك وكففتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنني بك ، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتي ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهنَّ في أن يُمرَّضَ في بيتي ، فأذنَّ له .

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها : فأهللنا بالحجِّ وما نذكر إلا أمر الحجِّ ، وهذا يدل على أنهم أفردوا ، وقد بين ذلك جابر في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أفرد الحجَّ ، وهذا هو الصحيح في حديث جابر^(١) ، وقد روى

(١) يقول الإمام ابن القيم : « ولما قلنا إنه أحرم قارناً لبضعة وعشرين حديثاً صحيحة صريحة في ذلك ، ثم ساق - رضي الله عنه - اثنين وعشرين حديثاً =

من طُرُقِ فِيهَا لَيْنٌ عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ قَرَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، وَطَافَ لَهَا طَوَافًا وَاحِدًا ، وَسَمِيَ لَهَا سَفْيًا وَاحِدًا ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ^(١) ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ جَابِرًا قَالَ : حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ حِجَّاتٍ ، حِجَّتَيْنِ قَبْلَ الْمَجْعَةِ ، وَحِجَّتَهُ الَّتِي قَرَنَهَا بِعُمْرَتِهِ ^(٢) ، وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَصَحِيحٌ ، وَقَالَ فِيهِ : طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حِجَّتِهِ وَعُمْرَتِهِ طَوَافًا وَاحِدًا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَنْ عَلِيٍّ ، فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ طَافَ عَنْهُمَا طَوَافَيْنِ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ قَارِنًا ، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُمَيْدٍ ، فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَارِنًا ، وَأَمَّا حَدِيثُ أَنَسٍ فَصَرَّحَ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ قَارِنًا ، وَقَالَ : مَا تَعُدُّونَا إِلَّا صَنِيعًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرُخُ بِهِمْ — أَجْمَعًا ^(٣) يَعْنِي الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، فَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي إِحْرَامِ

== يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْرَمٌ قَارِنًا لَا مَفْرَدًا ، ثُمَّ نَقَلَ عَنْ شَيْخِهِ الْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مَا يُؤَكِّدُ بِهِ أَنَّ الْإِحْرَامَ فِي هَذَا مُتَّفَقٌ لَا مُخْتَلَفٌ ، وَإِنْ بَدَتْ بظواهرها مختلفة . فَرَأَيْتُهُ فِي فَصْلِ رَأَيْتُ مَعَ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ ٣٦٩ وَمَا بَعْدَهَا ١٠ زَادَ الْمَعَاد .

(١) وَرَوَاهُ أَحَدُ التِّرْمِذِيِّ . وَفِيهِ الْحِجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةٍ . وَحَدِيثُهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ لَا يَنْزِلُ عَنْ دَرَجَةِ الْحَسَنِ مَا لَمْ يَنْفَرِدْ بِشَيْءٍ . أَوْ يَخَالِفُ الْإِثْقَاتِ .
(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ . قَالَ : وَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا — يَعْنِي الْبُخَارِيَّ — عَنْ هَذَا فَلَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ ، وَفِي رِوَايَةٍ : لَا يَعِدُ هَذَا الْحَدِيثَ مَحْفُوظًا . وَلِنَّمَا يَرَوِي عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ مَرْسَلًا .

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ دُحًى ، يَقُولُ : لِيَبْكُ حِجَابًا وَعُمْرَةً ، وَحَدِيثُ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى : هل كان مُفْرِداً أو قَارِناً ، أو مُتَمَتِّعاً ، وكلها صِحَّاحٌ إِلَّا مَنْ قَالَ : كَانَ مُتَمَتِّعاً ، وأراد به أنه أَهْلُ بَعْمَرَةٍ ، وأما مَنْ قَالَ : تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَي : أَمَرَ بِالْتَمَتُّعِ ، وَفَسَخَ الْحَجَّ بِالْعُمْرَةِ ، فَقَدْ يَصِحُّ هَذَا التَّأْوِيلُ ، وَيَصِحُّ أَيْضاً أَنْ يُقَالَ تَمَتَّعَ إِذَا قَرَنَ ، لِأَنَّ الْقَرْنَ ضَرْبٌ مِنَ الْمُتَمَتُّعِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِسْقَاطِ أَحَدِ السَّفَرَيْنِ . وَالَّذِي يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ أَهْلُ بِالْحَجِّ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْعَقِيقِ أَتَاهُ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ بِهَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ ، فَقُل : كَلْبَيْكَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ مَعاً ، فَقَدْ صَارَ قَارِناً بَعْدَ أَنْ كَانَ مُفْرِداً ، وَصَحَّ الْقَوْلَانِ جَمِيعاً ، وَأَمْرُهُ لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَفْسُخُوا الْحَجَّ بِالْعُمْرَةِ خُصُوصاً لَهُمْ ، وَلَيْسَ لغيرِهِمْ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيُذْهِبَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي تَحْرِيمِهِمُ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ، فَكَانُوا يَرُونَ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ، وَيَقُولُونَ : إِذَا بَرَأَ الدَّبَرُ ^(١) وَغَفَا الْأَثَرُ ، وَانْسَلَخَ صَفَرُ حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرَ ، وَلَمْ يَفْسَخْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَجَّهَ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُهُ ، لِأَنَّهُ سَاقُ الْهَدْيِ ، وَقَلَّدهُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ وَقَالَ حِينَ رَأَى أَصْحَابَهُ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ خِلَافُهُ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَقْبَلْتُ لَجْعَاتِهَا عُمْرَةً ، وَأَمَّا سَقْتُ الْهَدْيِ ^(٢) ، قَالَ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّمَا نَدِمَ عَلَى تَرْكِ

(١) الدبر : الجرح الذي يكون في ظهر البعير . . وقيل : هو أن يقرح خف البعير .

(٢) في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : « أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي » ص ، في حجة الوداع ، وأملنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله =

ماهو أسهلُ ، وأزفقُ ، لأعلى ترك ما هو أفضلُ ، وأوفقُ ، وذلك لما رأى من كراهة أصحابه لخالفته ، ولم يكن ساق الهدى معه من أصحابه إلا طححة

== صلى الله عليه وسلم اجعلوا إلهالكُم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى ، ويعلق الإمام ابن القيم على هذا الحديث ؛ ورواية السنن له : « ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمنا بحج لرأينا فرضاً علينا فسخه إلى عمرة تنادياً من غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعاً لأمره : فوالله ما نسخ هذا في حياته ولا بعده ، ولا صح حرف واحد يعارضه ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه وتعالى على لسان سراقه أن يسأله : هل ذلك يختص بهم ؟ فأجاب بأن ذلك كائن لأبد الأبد . فما ندري ما نقدم على هذه الأحاديث ، ص ٢٦٤ ، ١٣٠ زاد المعاد . وفي هذا رد على السهيلي في زعمه أن فسخ الحج بالعمرة كان خصوصاً لأصحاب النبي . ولقد قال سلمة بن شبيب لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله كل أمرك عندي حسن إلا خلة واحدة قال : وما هي : قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة ، فقال : يا سلمة كنت أرى لك عقلاً عندي في ذلك أحد عشر حديثاً صحاحاً عن رسول الله ، ص ، أتركها لقولك ؟ المصدر السابق . ويقول : الإمام ابن القيم أيضاً عن الذين غلطوا في حج النبي ، ص ، : وهم في حجة خمس طوائف :

الطائفة الأولى التي قالت : حج حجاً مفرداً لم يعتمر معه . الثانية : من قال : حج متمتعاً متمتعاً حل منه ، ثم أحرم بعده بالحج كما قاله القاضي أبو يعلى وغيره . الثالثة : من قال حج متمتعاً متمتعاً لم يحل منه لأجل سوق الهدى ، ولم يكن قارناً كما قاله أبو محمد بن قدامة صاحب المغنى .

الرابعة : من قال حج قارناً قارناً طاف له طوافين وسعاً له سبعين . الخامسة : من قال : حج حجاً مفرداً . اعتمر بعده من التمتع . ثم بين رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارناً وساق الأدلة بالأحاديث . كما قال : حصل الترجيح لرواية من روى القرآن لوجوه عشرة ثم ذكر هذه الوجوه وزاد عليها خمسة أوجه أنظر ص ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ١٣٠ زاد المعاد .

ابن عَبِيدِ اللَّهِ ، فلم يَحِلَّ حَتَّى نَحَرَ ، وَعَلَى أَيْضًا أُنِي مِنَ الْيَمَنِ وَسَاقِ الْمَدَى
فلم يَحِلَّ إِلَّا بِإِحْسَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقوله عليه السلام في خُطْبَةِ الْوَدَاعِ : وَرَجَبُ مُضَرٍّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى
وَشَعْبَانَ ، إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ رَبِيعَةَ كَانَتْ تُحْرِمُ فِي رَمَضَانَ ، وَتَسْمِيهِ : رَجَبًا
مَنْ رَجَبَتْ الرُّجُلُ وَرَجَبَتْهُ إِذَا عَظُمَتْهُ ، وَرَجَبَتْ النُّخْلَةُ إِذَا دَعَمَتْهَا ^(١) ، فَبَيْنَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ رَجَبُ مُضَرٍّ لَا رَجَبُ رَبِيعَةَ ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ^(٢)
وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ قَوْلُهُ : إِنَّ الزَّيْمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ ، وَتَقَدَّمَ اسْمُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ
الْمُسْتَرْضِعِ فِي هُذَيْلٍ ، وَأَنَّ اسْمَهُ آدَمُ ، وَقِيلَ : تَمَامٌ ، وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ
حَرْبٌ كَانَتْ بَيْنَ قَبَائِلِ هُذَيْلٍ تَقَاذَفُوا فِيهَا بِالْحِجَارَةِ فَأَصَابَ الطِّفْلَ حَجَرٌ
وَهُوَ يَحْبُو بَيْنَ الْبُيُوتِ ، كَذَلِكَ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ .

بعث أسامة

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ عَلَى جَيْشٍ كَثِيفٍ ، وَأَمَرَهُ
أَنْ يَغِيرَ عَلَى ابْنِ أَبِي صَبَّاحًا ، وَأَنْ يَحْرِقَ . وَأَبْنَاءُ ، هِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي عِنْدَ مُؤْتَةَ حَيْثُ

(١) الزَّجِيبُ أَنْ يَبْنَى تَحْتَ النُّخْلَةِ دُكَّانٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ .

(٢) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : دُ أَصَافُ رَجَبًا إِلَى مُضَرٍّ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَمِدُونَهُ خِلَافَ
غَيْرِهِمْ ، فَكَأَنَّهُمْ اخْتَصَرُوا بِهِ . وَقَوْلُهُ : بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ تَأْكِيدٌ لِلْبَيَانِ وَإِلْبَاحٌ ،
لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسُبُونَهُ وَيُؤَخِّرُونَهُ مِنْ شَهْرِ إِلَى شَهْرٍ ، فَيَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ الْمُخْتَصِ بِهِ ،
فَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ لَا مَا كَانُوا يَسْمُونَهُ عَلَى حَسَابِ النَّسَبِ .

قُتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ ، وَلِذَلِكَ أُمِّرَ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ لِيُذَرِكَ ثَأْرُهُ ، وَطَعَنَ فِي إِمَارَتِهِ أَهْلُ الرِّيبِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنَّهُ تَخْلِيقُ بِالْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ تَخْلِيقًا بِهَا ^(١) ، وَإِنَّمَا طَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، لِأَنَّهُ مَوْلى مَعَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ ابْنُ ثَمَانٍ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَبْيَضَ صَافِي الْبَيَاضِ ، نَزَعَ فِي اللَّوْنِ إِلَى أُمِّهِ بَرَكَةٍ ، وَهِيَ أُمُّ أَيْمَنَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَيَسْحُ خَشَمَهُ ، وَهُوَ صَغِيرٌ بِثَوْبِهِ ، وَعَثَرَ يَوْمًا فَأَصَابَهُ جِرْحٌ فِي رَأْسِهِ ، فَجَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُ دَمَهُ وَيَمُجُّهُ ، وَيَقُولُ : لَوْ كَانَ أَسَامَةُ جَارِيَةً لَحَمَيْنَاهَا ، حَتَّى يُرْغَبَ فِيهَا ، وَكَانَ يُسَمَّى الْحَبَّ مِنَ الْحُبِّ ^(٢) .

عمرة الغزوات :

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عِدَّةَ الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ سِتُّ وَعِشْرُونَ ، وَقَالَ الْوَائِلِيُّ : كَانَتْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْخِلَافُ ، لِأَنَّ غَزْوَةَ خَيْبَرَ انْصَلَتْ بِغَزْوَةِ وَادِي الْقَرْيِ ، فَجَعَلَهَا بِمَضْمَنِهِمْ غَزْوَةً وَاحِدَةً ، وَأَمَّا الْبُغُوثُ وَالسَّرَايَا فَتَعْمَلُ : هِيَ سِتُّ وَثَلَاثُونَ كَمَا فِي السِّكِّتَابِ ، وَقِيلَ : ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ وَهُوَ قَوْلُ الْوَائِلِيِّ ،

(١) رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ : ص ، بَعَثَ بَعَثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ النَّاسَ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُتِمَ تَطَعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ خَلِيفَةً لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ لِلنَّاسِ إِلَى ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَى بَعْدِهِ .

(٢) لَهَا . الْحُبُّ مِنَ الْحُبِّ .

ونسب المسمودى إلى بعضهم أَنَّ البُعْوثَ والسَّرايا كانت ستين . قاتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات ، وقال الوافدى : قاتل في إحدى عشرة غزوة ، منها الغابة ووادى القرى والله أعلم .

إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

الحواريون :

ذكر فيه إرسال عيسى بن مريم الخواريين ، وأصح ما قيل في معنى الخواريين أن الخواريَّ هو الخُلصَانُ ، أى الخالصُ الصافي من كل شيء ، ومنه الخواريُّ ، والخور ، وقول المفسرين هو : الخُلصَانُ كلمة فصیحة ، أنشد أبو حنيفة :

خَلِيلِيَّ خُلصَانِيَّ لم يُبقِ حُبُّها من القلب إِلَّا عَوْدًا سَبِيًّا لها^(١)
قال : والعَوْدُ ما لم تُدرِكْهُ الماشية لارتفاعه ، أو لأنه بأهداف ، فكانه قد عاذ منها .

: معنى المسبح ونهايته :

وأصح ما قيل في معنى المسيح على كثرة الأقوال في ذلك أنه الصَّدِّيق

(١) البيت للكيت . وروايته في اللسان : خليلي ، و : سبيلها . بدلا من : خليلي ، و : سبيلها . والعوذ : ما عيذ به من شجر أو غيره وما لم يرتفع إلى الأغصان . ومنعه الشجر من أن يرعى من ذلك . وقيل : هى أشياء تكون في غلظ لا ينالها المال واللسان .

بلغتهم ، ثم عَرَّبَتْهُ العربُ . وكان إرسالُ الْمَسِيحِ للحواريين بعد مارِ فِيمَ
وصَابُ الَّذِي شُبِّهَ بِهِ ، فجاءت مريمُ الصَّدِّيقَةُ والمرأةُ الَّتِي كَانَتْ مَجْنُونَةً ،
فأَبْرَأَهَا الْمَسِيحُ ، وقعدتا عندَ الجذعِ تبْكِيانِ ، وقد أَصَابَ أُمَّهُ مِنَ الْحُزْنِ عَلَيْهِ
مَالاً يَعْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ ، فَأُهْبِطَ إِلَيْهِمَا ، وَقَالَ : عَلَى مَ تَبْكِيانِ ؟ فَقَالَتَا : عَلَيْكَ ،
فَقَالَ لِي لِمَ أَقْتُلُ ، وَلِمَ أَصَابَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ رَأْسِي وَكَرِهَنِي ، رَشَّيَ عَلَيْهِمْ
فِي أَمْرِي ، أبلغا عَنِ الْحَوَارِيِّينَ أَمْرِي ، أَنْ يَلْقَوْنِي فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَيْلًا ،
فجاء الْحَوَارِيُّونَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، فإذا الْجَبَلُ قد اشْتَعَلَ نَوْرًا لِنُزُولِهِ بِهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ
أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى دِينِهِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِمْ ، فوجههم إِلَى الْأُمَمِ الَّتِي ذَكَرَ ابْنُ
إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ كَسَى كِسْوَةَ الْمَلَائِكَةِ ، فَعَرَجَ مَعَهُمْ ، فَصَارَ مَلَكَيًا
إِنْسِيًّا سَمَائيًّا أَرْضِيًّا^(١) .

فصل : وذكر في الأُمَمِ : الْأُمَّةَ الَّذِينَ يَأْكُونُ النَّاسُ ، وَهُمْ مِنَ
الْأَسَاوِدَةِ فِيمَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِي .

أُسْطُورَةُ زُرَيْبٍ :

وذكر في الْحَوَارِيِّينَ زُرَيْبَ بْنَ بَرْتُولَمَيْ^(٢) وهو الَّذِي عَاشَ إِلَى زَمَنِ

(١) قصة مخترعة لا ينسبها إلى الحق سند صحيح . ولكنها في كتب المسيحيين
والحق الثابت الذي لا ريب . فيه أنهم ما قتلوه وما صابوه ، ولكن شبه لهم .

(٢) في الإصابة ترملا وترملى . وفي سفر أعمال الرسل من العهد الجديد :
برثولماوس بدون زريب وسند قصة زريب سند ضعيف . وعند ابن أبي حاتم
أن صاحبه هو جعونة بن فضالة ، وعند غيره فضالة بن معاوية .

عُمَرَ وَسَمِعَ نَزْلَةَ بْنِ معاويةَ أَذَانَهُ فِي الْجَبَلِ فَكَلَّمَهُ ، فَإِذَا رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ رَأْسُهُ كَدُورُ الرَّحَى ، فَسَأَلَ نَزْلَةَ وَالْجَيْشَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : قُبِضَ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالُوا : قُبِضَ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ عُمَرَ ، فَقَالُوا : هُوَ حَيٌّ ، وَنَحْنُ جَيْشُهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَقْرَبُوا مِنِّي السَّلَامَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا عَنْهُ وَصَايَا كَثِيرَةً ، وَأَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْ خِصَالٍ إِذَا ظَهَرَتْ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ، فَقَدْ قَرُبَ الْأَمْرُ ، وَمِنْهَا لِبَسُ الْحَرِيرِ ، وَشَرَبُ الْخَمْرِ ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ الرَّجَالُ الرَّجَالَ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ^(١) .

وَذَكَرَ فِيهَا أَيْضًا لِلْمَازِفِ وَالْقِيَمَانِ وَأَشْيَاءَ غَيْرِ هَذِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ زُرَيْبُ بْنُ بَرْثُمَالٍ حَوْرِيٌّ عَيْسَى بْنُ مَرْثَمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُحْيِيَنِي ، حَتَّى أَرَى أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، أَوْ نَحْنُ هَذَا الْكَلَامُ ، وَقَدْ أَرَدْتُ الْخُلُوصَ إِلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ أُسْتَطِعْ ، حَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْكُفَّارُ .

وَذَكَرَ الدَّارُ قُطَيْبِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِنَزْلَةَ إِنْ أَقْبَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ بِذَلِكَ الْجَبَلِ وَصِيًّا مِنْ أَوْصِيَاءِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْخَبَرُ بِهِذَا مَشْهُورٌ عَنْهُ ، وَفِيهِ طَوْلٌ فَاخْتَصَرْنَاهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ . وَمَنْ قَالَ : إِنْ الْخَلِيفَةُ وَالْإِيكْسَ قَدْ مَاتَا ، فَمَنْ أَصْلُهُ أَيْضًا أَنْ زُرَيْبًا قَدْ مَاتَ ، لِأَنَّهُمْ يَحْتَجُّونَ

(١) كل هذا سندُه ضعيف كما قرر الحافظ في التمهيد . والعجب أن يفتري في بعض الروايات أنه سيقى إلى نزول عيسى !!

بالحديث الصحيح : إلى رأس مائة سنة ، لا يبقى على الأرض مَن هو عليها
أحد^(١) .

رسول إلى النجاشي وقبصر :

فصل : وذكر إرسال عمرو بن أمية إلى النجاشي ، وقد قدمنا ذكر ما قال
وما قيل له ، وكذلك ذكرنا خبر سليط مع هوذة ، وما قال له ، وخبر عبد الله بن
حذافة مع كسرى ، وكلامه معه ، ونذكر هنا بقية الإرسال ، وكلامهم
فمنهم : دحية بن خليفة الكلبي ، فقدم دحية على قيصر ، وقد ذكرنا معنى
هذا الاسم ، أعنى اسم دحية ، واسم قيصر فيما مضى من الكتاب ، فلما قدم
دحية على قيصر ، قال له : « يا قيصر أرسلني إليك مَنْ هو خير منك ، والذي
أرسله هو خير منه ومنك ، فاسمع بذلك » ، ثم أجب بنصح ، فأبى أن لم تذلل
لم تفهم ، وإن لم تنصح لم تنصف ، قال : هات ، قال : هل تعلم أكان المسيح
يُصلي ؟ قال : نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يُصلي له ، وأدعوك

(١) وعلى هذا أجمع الأئمة . فقد كان صاحب موسى عبداً صالحاً بشراً ،
والبشر لا يخلدون في الدنيا . وإلياس كذلك .

كلمة عن الحوارين : ما ذكر في السيرة عنهم مستمد من أسفار المسيحيين وبين
اعتمادهم في السيرة وأسمائهم في الأسفار اختلاف يسير . ولست أدري كيف يعمل
من يواس تابعاً طيباً ؟ وهو الذي افترى أصول المسيحية للمائة المؤلدة لعبد الله
ورسوله عيسى وعاش يمجّد اليهودية وحدها بأحقاها ١١

أنظر رسائله في العهد الجديد .

إلى من دَبَّرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَسِيحَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وأدعوك إلى هذا
الذي الأُمِّيُّ الذي بشر به موسى ، وبشر به عيسى بن مَرْيَمَ بعده ، وعندك
من ذلك أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ تَكْفِي مِنَ الْعِيَانِ وَتَشْفِي مِنَ الْخَبَرِ ، فَإِنْ أُجِبْتَ كَانَتْ
لَكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَإِلَّا ذَهَبَتْ عَنْكَ الْآخِرَةُ وَشُورِكَتْ فِي الدُّنْيَا ، وَاعْلَمْ
أَنَّ لَكَ رَبًّا يَقْضِي الْجُبَابَ رَقًّا ، وَيَقْبِضُ النِّعَمَ ، « فَأَخَذَ قَيْصَرُ الْكِتَابَ فَوَضَعَهُ
عَلَى عَيْنَيْهِ وَرَأْسِهِ وَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا رَكْتُ كِتَابًا إِلَّا وَقَرَأْتُهُ ، وَلَا عَالَمًا
إِلَّا سَأَلْتُهُ ، فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا ، فَأَمْنِي حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُصَلِّي لَهُ ،
فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُجِيبَكَ الْيَوْمَ بِأَمْرٍ أَرَى غَدًا مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَأَرْجِعْ عَنْهُ ،
فَيُضَرَّرَ نِي ذَلِكْ ، وَلَا يَنْفَعْنِي ، أَقِمْ حَتَّى أَنْظُرَ ، فَلَمْ يَأْبَثْ أَنْ أَتَاهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بَقِيَّةُ حَدِيثِ قَيْصَرٍ ، فَانْظُرْ هُنَاكَ .

رسوله إلى المقوقس :

وَأَمَّا حَاطِبٌ فَقَدِمَ عَلَى الْمُقَوَّقِسِ ، وَاسْمُهُ : جُرْبَنْجُ بْنُ مَيْمَنَاءَ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ :
« إِنَّهُ قَدْ كَانَ رَجُلٌ قَبْلَكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ،
وَالْأُولَى ، فَانْقَطَعَ بِهِ ، ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ ، فَأَعْتَبِرْ بِنِيرِكْ ، وَلَا يَتَّبِعْ بِكَ غَيْرُكَ ،
قَالَ : هَاتِ ، قَالَ : إِنْ لَكَ دِينًا أَنْ تَدْعَهُ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَهُوَ
الْإِسْلَامُ ^(٢) ، السَّكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقَدْ مَسَّوَاهُ . إِنْ هَذَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ابن مينا بن قرقوبو. وفي الإصابة : ومنهم من لم يذكر مينا كما جزم به
أبو عمر الكندي في أمراء مصر .

(٢) في المواهب : قَالَ : إِنْ لَنَا دِينًا أَنْ تَدْعَهُ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، فَقَالَ
حَاطِبٌ : تَدْعُوكَ اللَّهُ إِلَى دِينِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ

دعا الناس ، فكان أشدهم عليه قُرَيْشٌ ، وأعداهم له يَهُودُ ، وأقربهم منه
النصارى ، واتمري ما بشارة موسى بعيسى إلاً كبشارة عيسى بمحمد —
صلى الله عليه وسلم— ومادعائونا إياك إلى القرآن إلاً كدعائك أهل التَّوراة
إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته فخلق عليهم أن يطيعوه ،
فانت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهك عن دين المسيح ، ولكن نأمرك
به « قال المقوقس : » إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر
بمزهود فيه ، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضال ،
ولا الكاذب ، ووجدت معه آله ^(١) النبوة بإخراج الخبء والإخبار
بالنجوى ^(٢) ، وسأنظر فأهدي للنبي صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم القبطية ،
واسمها : ماريّة بنت شمعون ، وأختها معها ، واسمها سيرين وهي أم عبد الرحمن

(١) في شرح المواهب : كذا في العيون ، ي : علامتها ، عبر عنها بالآلة .
لأنها سبب في تحقيقها ، وإظهارها . وفي الروض : آية . وهي العلامة بلا تكلف ،
غير أن الروض كما ترى ذكر آله فلعل صاحب المواهب كان يطلع على نسخة
أخرى .

(٢) يقال : إن المقوقس علم هذا من الأخبار الواردة عليه بذلك قبل كتابة
النبي إليه فقد ذكر الوافدي أن المخيرة بن شعبة لقي المقوقس ، وسأله
عن النبي ، فلما أجابه بما أجابه به قال : هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب
القبط والروم لا تبعوه . وعند ابن عبد الحكم أنه أخذ كتاب النبي د ص ، رخصه
إلى صدره ، وقال : هذا زمان النبي الذي نجد نفعه في كتاب الله ، وحفظ الكتاب
في حق من عاج . وقد ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً . وانظر ص ٥٤ ، وما بعدها
كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم .

ابن حَسَّان بن ثَابِت^(١)، وغلاماً اسمه مَأْبُور^(٢)، وبغلة اسمها دُلْدُل، وكِسْوَة، وقدحاً من قَوَارِير كان يشرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وكتبه^(٣).

رسوله إلى المنذر بن ساوى :

وأما القلاء بن الحضرمي، فقدم على المنذر بن ساوى^(٤) فقال له :
« يا مُنْذِرُ إنك عظيمُ العقل في الدنيا ، فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخرة ، إن هذه
المَجُوسِيَّة شر دينٍ أبس فيها تَكْرُمُ العرب ، ولا علمُ أهلِ الكتاب ،
يَنْفَكُجُونَ ما يُسْتَحْيَا من نِكَاحه ، وبأكلون ما يُعْكَرَّمُ على أكله ، ويعبدون

(١) وقيل إنه دس ، وهما لجهنم بن قيس ، وقيل لمحمد بن مسلمة ، وقيل لدحية
ابن خليفة .

(٢) كان مأبور خصياً ، ولم يعلموا بأمره بادی الامر ، فصار يدخل على مارية ،
كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ؛ فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، حتى قيل
إنه الذي أمر النبي علياً بقتله ، فوجده خصياً فزكه . والحديث في صحيح مسلم
من طريق حماد بن مسلمة البداية لابن كثير ، ص ٢٧٣ ص ٤ ، وقد تقدم الكلام
عن هذا .

(٣) ورد أن السكرة كانت عشرين ثوباً من القباطي كما ورد أنه أهدى إليه
حماراً اسمه : يعفور ، وعدلاً من بينها وألف مثقال ذهباً وخمسين ساذجين أسودين
واقراً ما كتبه المقوقس في كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٧ .

(٤) ابن الأختى بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم
القمي الدارمي العبدي ، لأنه من ولد عبد الله بن دارم هذاعارم فيه السبيل زعم أن
الرسول دس ، بعث جبراً مع حاطب ، فجبر من القبط . وهو رسول المقوقس
يعاربه إلى النبي دس ، كما جاء في الإصابة والاستيعاب .

في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، واستَ بعديم عقلٍ ، ولا رأي ، فانظر : هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه ، ومن لا يخون أن لا تأمنه ، ومن لا يخلف أن لا تثق به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبي الأئى الذى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول : ليت ما أمر به نهى عنه ، أو ما نهى عنه أمر به ، أو ليتّه زاد في عفوّه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلك منه على أمانة أهل العقل وفكر أهل البصر .

فقال المنذر : قد نظرت في هذه الأمر الذى فى يدى ، فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت فى دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمننى من قبول دين فيه أمانة الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت أُمس ، ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن برّؤه ، وإن من إنظام من جاء به أن يُعظم رسوله ، وسأُنظر .

مفتاح الجنة :

فصل : وما وقع فى السيرة فى حديث القلاء قولُ النبي عليه السلام له : إذا سُئِلتَ عن مفتاح الجنة فقل : مفتاحها : لا إله إلا الله ، وفى البخارى : قبل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ فقال : بلى ، ولستكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان ففتح لك ، وإلا لم يفتح لك ، وفى رواية غيره : أن ابن عباس ذكر له قول وهب ، فقال : صدق وهب ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هى ، فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

عمرو والجلندي :

وأما عمرو بن العاصي ، فقدم على الجلندي^(١) ، فقال له : يا جلندي إنك وإن كنت منّا بعيداً ، فإنك من الله غير بعيد ، إن الذي تفرد بخلقك أهل أن تفرد به عبادتك ، وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك ، واعلم أنه يُميتك الذي أحياك ، ويُعيدك الذي بدأك ، فانظر في هذا النبي الأُمّي الذي جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنع ، أو يمل به هوى قدغه ، ثم أنظر فيما يحى به : هل يشبه ما يحى به الناس ، فإن كان يشبهه ، فسلكه العيان ، وتخصّر عليه في الخبر ، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال ، وخف ما وعد ، قال الجلندي : إنه والله لقد داني على هذا النبي الأُمّي أنه لا يأمر بخير إلا كان أوّل من أخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أوّل تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يضجر^(٢) وأنه يفي بالعهود ، ويُنجز المواعيد ، وأنه لا يزال سرّ قد اطلع عليه يساوي فيه أهله ، وأشهد أنه نبي^(٣) .

(١) ضبطه الجوهري بفتح اللام ، وجعله القاموس من أوهامه ، وقد ضبطه الحافظ في الفتح والإصابة بضبط الجوهري غير مبال بضبط شيخه صاحب القاموس ، وفي السيرة أنه أرسله إلى ابن الجلندي . وأما وثيمة فيذكر في كتاب الردة عن ابن إسحاق أنه أرسل إلى الجلندي .

(٢) في الإصابة . فلا يجر .

(٣) في الإصابة أنه أنشد أبياتاً هي :

من الحق ثوب والنصيح نصيح

جلندي عمان في عمان يصيح

ينادي بها في الواديين فصيح

أتاني عمرو بالتّي ليس بعدها

فقلت له : ما زدت أن جئت بالتّي

فيا عمرو قد أسلت لله جهرة

شجاع ومجيد :

وأما شجاع بن وهب ، فقدم على جبلة بن الأيهم ، وهو جبلة بن الأيهم ابن الحارث بن أبي شمر ، وجبلة ، وهو الذى أسلم ثم تنصّر من أجل لطمية حاكم فيها إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان طوله اثنتى عشر شبراً ، وكان يمسح برجليه الأرض ، وهو راكب ، فقال له : يا جبلة إن قومك نكّلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم ، يعنى : الأنصار ، فأووه ، ومنعوه ، وإن هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ، ولكنك ملكك الشام وجاورت بها الروم ، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس للملك العرق ، وقد أفرّ بهذا النبي الأمي من أهل دينك من إن فضّلناه عليك لم يُغضبك ، وإن فضّلناك عليه لم يُرضك ، فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم ، وإن لم يُفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة ، وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع ، والأذان بالناقوس ، والجمع بالشمازين^(١) ، والقيلة بالصايب ، وكان معاً عند الله خير وأبقى ، فقال له جبلة : إني والله لوددت أن الناس أجمعوا على هذا النبي الأمي اجتماعهم على خلق السموات والأرض ، ولقد سرني اجتماع قومي له ، وأعجبني قتله أهل الأوثان واليهود ، واستبقاؤه النصارى ، ولقد دعاني فَيَصْرُ إلى قتال أصحابه يوم مؤتة ، فأبيت عليه ، فانتدب مالك بن نافلة

(١) عيد صليبي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السعف

ذكرى لدخول المسيح - كما قيل - بيت المقدس

من سعد المشيرة فقتله الله ، ولكنى است أرى حقاً ينفعه ، ولا باطلا يضره .
والذى يمدنى إليه أقوى من الذى يَحْتَلِجُنِي عنه ، وسأُنظر .

المهاجر وابن كلال :

وأما المهاجر بن أبى أمية ، فقدم على الحارث بن عبد كلال ، وقول له :
يا حارثُ إراك كنت أول من عَرَضَ عليه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ،
فخُطِّتْ عنه ، وأنت أعظمُ الملوك قَدْرًا ، فإذا نظرت في غلبة الملوك ، فانظر
في غالب الملوك ، وإذا سَرَّكَ يومك فَخَفَ غَدُكَ ، وقد كان قبلك ملوكٌ ذهبت
آثارُها وبقيت أخبارُها ، عاشوا طويلاً ، وأمَلُوا بعيداً وزَوَدُوا قليلاً ، منهم
من أدركه الموتُ ، ومنهم من أكلته النِّقَمُ ، وإني أدعوك إلى الرب الذى إن
أردت الهدى لم يَمَنِّعْكَ ، وإن أَرَادَكَ لم يَمْنَعْهُ منك أحدٌ ، وأدعوك إلى النبيِّ
الأميِّ الذى ليس له شيء أحسن مما يأمر به ، ولا أفتح مما ينهى عنه ، واعلم
أن لك رباً يُمِيتُ الحىَّ ويُحْيِي المِيتَ ، ويعلم خائنة الأعين ، وما تُخْفِي
الصدورُ ، فقال الحارث : قد كان هذا النبيُّ عَرَضَ نفسه على فُخِطَّتْ عنه ، وكان
ذُخْرًا لمن صار إليه ، وكان أمرُهُ أمرًا سَبَقَ ، فخره اليأسُ وغاب عنه الطَّمَعُ ،
ولم يكن لى قرابة احتجُّ عليها ، ولا لى فيه هوى أتبعه له ، غير أنى أرى
أمرًا لم يُوسَّسْهُ الكَذِبُ ، ولم يسندْهُ الباطلُ ، به بدءُ سارٍ ، وعاقبة نافعةٌ ،
وسأُنظر . ومما قوله دحية بن خليفة فى قدومه على قيصر :

أَلَا هَلْ أَنَا هَا عَلَى نَائِيهَا فَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ
فَقَدَرْتَهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَخْضَرِ

وتدبـير ربك أمر السما والأرض فأغشى ولم يُنـسـكر
 وقلت : تقر ببشرى المسـيح ، فقال : سأنظر ، قلت : انظر
 فكاد يُـقـرُّ بأمر الرسـول لـ فقال إلى البـدـل الأعـور
 فشكَّ وجاشت له نفسه وجاشت نفوسُ بنى الأصغر
 على وضمه بيديه الكتـفـا بـ على الرأس والعين والمنخر
 فأصبح قيصرٌ من أمره بمـنـزلة الفرس الأشقر

يريد بالفرس الأشقر مثلاً للعرب يقولون :

أشقرُ إن يـتـقدّم ينـحـر وإن يـتـأخـر يُـعـقـر
 وقال الشاعر في هذا المعنى :

وهل كنت^(١) إلا مثل سَيِّقَةِ العـدا

إن استقدمتْ نحرٌ ، وإن جَبَّأتْ عقرٌ

وفي حديث دحيةَ من رواية الحارث في مُسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يَنْطَلِقَ بكتابي هذا إلى قَيْصَرَ وله الجنة ، فقالوا : وإن لم يقتل بأمر رسول الله ؟ قال : وإن لم يقتل ، فانطلق به رجل يعني دحية ، وذكر الحديث

غزوة عمر :

فصل : وذكر غزوةَ عُمرَ إلى تَرْبَةَ ، وهى تَرْبَةُ بفتح الراء أرضٌ

١ — رواه اللسان في حادى جبا وسوق بدون نسبة : وهل أنا ، وفي جبا :
 نحر ، وفي سوق : نجر

كانت تَحْمَعَمَ وفيها جاء المثل: صادف بطنه بطنَ ثُرْبَةٍ (١)، يريدون الشَّعْبَ والخِصْبَ. قال البكري: وكذلك: عُرْنَةٌ بفتح الراء يعني التي عند عُرْفَةٍ.

ذكر غزوة ذات السلاسل

والسَّلاسل: مِيَاهُ واحدا سَلَسَل (٢) وأن عمرو بن العاصي كان الأمير يومئذ، وكان عليه السلام أمره أن يسير إلى بَيْلَى، وأن أم أبيه العاصي كانت من بَيْلَى: واسمها: سَلَمَى فيما ذكر الزبير (٣)، وأما أم عمرو، فهي لَيْلَى مُلقَّب بالنايَقة سُبَيْت من بني جِلَّان بن عَنقَرَة بن ربيعة (٤).

وذكر في هذه السَّريَّة صحبة رافع بن أبي رافع لأبي بكر، وهو رافع بن عُمَيْرَة ويقال فيه: ابن عُمَيْر (٥)، وهو الذي كلفه الذئب، وله شعر مشهور في تَسْكِيم

(١) في معجم البكري: عرف بطنى بطن ثربة، يضرب للرجل يصير إلى الأمر الجلى، وأول من قاله عامر بن مالك أبو براء.

(٢) في المراءد، السلاسل: جمع سلسلة ماء بأرض جذام، سميت به غزوة ذات السلاسل. وفي معجم البكري ذات السلاسل جمع سلسلة رمل بالبادية ثم ذكر رواية ابن إسحاق، ثم قال: والسلاسل في غير هذه الرواية ماء لجذام، وبه سميت تلك الغزوة: ذات السلاسل.

(٣) أنظر ص ٨٠. في من كتاب نسب قريش.

(٤) في نسب قريش: وأمه سببية من عنزة ص ٤٠٩. وفي الإصابة: أمه النايقة من بني عنزة بفتح المهملة والنون.

(٥) في الإصابة: رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة بن عمرو بن محسن، ويقال: ابن عميرة. وقد ينسب لجدّه، وقيل هو رافع بن أبي رافع عده بعضهم في التابعين مثل ابن سعد والعجلي.

الذَّئِبِ له^(١)، وكان الذئبُ قد أغار على غنمه فاتبعه ، فقال له الذئب : ألا أدلك على ما هو خيرٌ لك ، قد بعثَ نبيُّ الله ، وهو يدعو إلى الله ، فالحقُّ به ، فعمل ذلك رافعٌ وأسلم .

وذكر في حديثه مع أبي بكر أنه أطعمه وعمرَ لحمَ جزورٍ ، كان قد أخذ منها عَشِيرًا على أن يُجْزَّئَهَا لأهلها ، فقام أبو بكر وعمرَ فَمَقَّيَا مَا كَلَا . وقالَا : أَتُطْعِمُنَا مِثْلَ هَذَا ، وذلك ، والله أعلم أنهما كرها أجرةَ مجهولة ، لأن العشير واحدُ الأعْشَارِ على غير^(٢) قياس ، يقال : بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ إِذَا انْكَسَرَتْ . ويجوز أن يكون العَشِيرُ بمعنى العُشْرِ كالشمين بمعنى الثمن ، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجزور من جلدها ، وقبل النظر إليها ، أو يكونا كرها أَجْزَارَةً^(٣) الجزار على كل حال والله أعلم .

مرفقة :

وذكر غزوة غالب بن عبد الله وقتله مُرْدَاسَ بن نَهْيَك من الحُرَّة ،

(١) منه :

فلما أن سمعت الذئب نادى يبشرني بأحد من قريب
فألفيت النبي يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوب
وليس للقصة سند يعتد به ، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمها أهل الحديث .
ولا ريب في أنها أسطورة .

(٢) في اللسان : دوا عشر الجذور : الانصباء ، والعشر : قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع . والجمع أعشار ، وقدح أعشار .
(٣) إن كانت بكسر الجيم فهي حرقه الجزار ، وإن كانت بضمها فهي ما يأخذه الجزار من الذبيحة عن أجرته .

وقال ابن هشام : الحُرْقَةُ فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب : في يَشْكُرُ حُرْقَةً .
ابن ثعلبة ، وحُرْقَةُ بن مالك كلاهما من بنى حبيب بن كعب بن يَشْكُرَ ،
وفي قضاة : حُرْقَةُ (١) بن جذيمة بن نهيد ، وفي تميم حُرْقَةُ بن زيد بن مالك .
ابن حنظلة ، وقال القاضي أبو الوليد : هكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالقاف ،
وذكرها الدارقطني كلها بالغاء .

أَنساب :

وذكر غزوة محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وهم بنو قُرْطٍ وقَرِيْطٍ ، وقُرَيْطٍ .
بنو أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وذكر حَيَّان بن مِلَّة ، وهو حَسَّان بن مِلَّة ، وكذلك قاله في موضع آخر
من الكتاب ، وهو قول ابن هشام .

وذكر سعد بن هُذَيْم ، وإنما هو سعد بن زيد بن لَيْث بن سُوْدٍ بن أَسْلَم .
ابن أَخاف بن قُضَاعَةَ ، وإنما نُسِبَ إلى هُذَيْم ، لأن هُذَيْمًا حَضَنَهُ ، وهو
عَبْدُ حَبْشَى .

(١) في القاموس ضبطها بسكون الراء والحرقة بالضم اسم ، من الأتراق ، وحى
من قضاة ، ولهمزة بنت النعمان بن المنذر . والحرقتان - بفتح الراء والقاف - تميم .
وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عكابة ، وفي اللسان ضبط حرقي تميم وسعد
مذكور الراء . وقال : والحرقة بفتح الراء - حى من العرب .

حديث أم قرفة

التي جرى فيها المثل : أُمْنَعُ من أُمِّ قِرْفَةَ ، لأنها كانت يُعَلَّقُ في بيتها
 خمسون سَنَفًا [لخمسین فارساً ^(١)] كُلُّهُمْ لها ذوو محرم ، واسمها فاطمة بنت حُذَيْفَةَ
 ابن بَدْرِ ^(٢) كُنيت بأبنها قِرْفَةَ ، قتله النبي عليه السلام فيما ذكر الواقدي .
 وذكر أن سائر بنيتها ، وهم تِسْعَةٌ قُتِلُوا مع طَلْحَةَ بن بُزَافَةَ في الرِّدَّةِ
 وهم حَسَكَمَةُ وَخَرَشَةُ وَجَلَّةُ وَشُرَيْكُ وَالْأَنْوَرُ وَحُصَيْنٌ وذكر باقيهم .
 وذكر أن قِرْفَةَ قُتِلَتْ يوم بُزَافَةَ أيضاً ^(٣) ، وذكر عن عبد الله بن جعفر
 أنه أنكر ذلك ، وهو الصحيح كما في هذا الكتاب ، وذكر الدَّوْلَابِيُّ أن زيد
 ابن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين ، ثم رَكَّضَ بها حتى ماتت ، وذلك لسببها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر المرأة التي سألتها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من سَلَمَةَ وهي بنت أُمِّ قِرْفَةَ ، وفي مصنف أبي داود ، وخرجه مسلم
 أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لِسَلَمَةَ : هَبْ لِي الْمَرْأَةَ بِسَلَمَةَ ، اللَّهُ أَبُوكَ ،
 فقال : هي لك يا رسول الله فَقَدَى بها أسيراً كان في قریش من المسلمين ، وهذه
 الرواية أصح ، وأحسن من رواية ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهبها لخاله بِمَكَّةَ ، وهو حَزَنُ بن أَبِي وَهَبٍ بن عَائِدِ بن عِمْرَانَ
 ابن تَحْرُومٍ ، وفاطمة جدة النبي صلى الله عليه وسلم أم أبيه هي بنت عمرو بن

(١) الزيادة من مجمع الأمثال للميداني .

(٢) وفي السيرة والإمتاع للمقرزي : بنت ربيعة بن بدر .

(٣) وفيقال : إن قاتلها هو قيس بن المسحر أو المحمر اليعمرى ص ٢٧٠

الإمتاع للمقرزي .

عائذ ، فهذه الخنوة التي ذكر ، وقُتل عبد الرحمن بن حزن بالبيعة شهيداً ، وحزن هذا هو جد سميد بن المسيب بن حزن ، ومسعدة الذي ذكر في هذا الحديث أنه قتل هو ابن حكمة بن حذيفة بن بدر ، وسلمة الذي كانت هذه الجارية ، قيل : هو سلمة بن الأكوع ، واسم الأكوع : سنان ، وقيل : هو سلمة بن سلامة بن وقش ، قاله الزبير .

غزوة أبي هريرة :

وذكر غزوة أبي حذرد ، واسمه : سلمة بن عمرو ، وقيل : عبيدة

ابن عامر .

وذكر قتل محم بن جثامة ، وخبره في غير رواية ابن إسحاق أن محم ابن جثامة مات بجمص في إمارة ابن الزبير ، وأما الذي نزلت فيه الآية : ﴿ لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامُ ﴾ والاختلاف فيه شديد ، فقد قيل اسمه فليت^(١) وقيل وهو محم كاتدم ، وقيل نزلت في المقداد بن عمرو ، وقيل في أسامة ، وقيل في أبي الدرداء ، واختلاف أيضاً في المقتول فقيل : مرداس بن نهيك ، وقيل : هامر الأصبطي ، والله أعلم . كل هذا مذكور في التفاسير والمسنّات .

ثمارة بن أمال :

وذكر ابن إسحاق ثمارة بن أمال الخنفي وإسلامه ، وقد خرج أهل

(١) وقيل قليب . ويقول ابن حجر في الإصابة : والذي يظهر أن كلا منهما

مصحف وإنما هو غالب القبي .

الحديث حديث إسلامه ، وفيه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : **إِنْ تَقُتِلْ : تَقُتِلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْفَعِمْ تُنْفَعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ تُرِدِ الْمَالَ تُعْطَاكَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ أَكَلَّةٌ مِنْ جَزُورٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دَمٍ مُنَمَّاةٍ ، فَأُطْلَقَهُ ، فَطَهَّرَ وَأَسْلَمَ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ كَثِيرًا ، وَقَامَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا حَمِيدًا حِينَ ارْتَدَّتِ الْيَمَامَةُ مَعَ مُسَيْلِمَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا ، وَقَالَ : يَا بَنِي حَنْفِيَّةَ أَيْنَ عَزَبَتْ عَقُولُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الْحَمْدُ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿ أَيْنَ هَذَا مِنْ بَاضِفْدَعٍ يَقِي كَمَا ^(١) تَقِيَّانَ لَا الشَّرَابُ تُسَكِّدُ بَيْنَ ، وَلَا الْمَاءُ تَمْنَعُ بَيْنَ ^(٢) ، مِمَّا كَانَ يَهْدِي بِهِ مُسَيْلِمَةُ ، فَأُطَاعَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَانْحَازُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ حَنْفِيَّةَ . وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ بِأَكْلِ**

(١) فِي الرِّوَايَةِ : كَمْ .

(٢) وَزَادُوا فِيمَا لَسَبَ إِلَيْهِ : أَهْلَكَ فِي الْمَاءِ وَأَسْفَلَكَ فِي الطَّلِينِ ، وَقَدْ نَسَبَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْهَذْيَانِ الَّذِي أَوْقَرْنَا مَا جَازَ عَلَى عَقُولِ أَوَائِكَ الَّذِينَ طَاشُوا دَهْرَهُ عَزَّاسْتِهِمْ مَعَهُ الْحَقُّ ، فَلَمَّا كَانَ صَحِيحًا فَإِنَّمَا تَرَاهُ وَابْتِصَادِيهِ بِحَاقِلِهِ مِنْهُمْ لَمْ تَهْدِنَا سَمَارَ الْأَحْقَادِ الَّتِي تَضُرُّهُمْ فِي أَعْمَاقِهِمْ ، وَإِلَّا فَنَ الَّذِي يَصْدُقُ أَنَّ هَذْيَانَا . **وَإِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَوَاهِرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرَ ، إِنَّ مَبِغْضَكَ لِفَاجِرَ ، أَوْ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَاهِرَ ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَبَادِرَ ، وَاحْذَرِ أَنْ تَحْرُسَ أَوْ تَكَاثُرَ ، مِنْ ذَا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْهَذْيَانَ يَخْدَعُ أَحَدًا عَنْ جَلَالِ الْحَقِيقَةِ الْعَالِيَا وَسُوءِ الْجَمَالِ الْأَعْظَمِ فِي قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ السُّكُوتَ) ١٤ : أَنْظَرِ ص ١٤ . ١٥ : الْفَتْوَحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَحْمَدَ بْنِ زَيْنِي دَحْلَانَ فَقَدْ حَشَدَ فِيهِ طَائِفَةٌ مِنَ هَذْيَانِ حَقَائِقِهِ .**

في مَعْنَى وَاحِدٍ [وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ] ^(١) الْحَدِيثُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ هُوَ أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ ، وَفِي مُسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّهُ جَهَنَّمِيُّ [بَن مَسْعُودِ ابْنِ سَعْدِ بْنِ حَرَامٍ] ^(٢) الْغِفَارِيُّ ، وَفِي الدَّلَائِلِ أَنَّ اسْمَهُ نَضْلَةٌ ، وَقَدْ أَمَانَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ نَحْوًا مِنْ كُرَّاسَةٍ رَدَدْنَا فِيهِ قَوْلَ مَنْ قَالَ : لِمَنْ مَخْصُوصَ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَبَيْنَا مَعْنَى الْأَكْلِ وَالسَّبْعَةِ الْأَمْعَاءَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ عَامٌ ، وَأَتَيْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا فِيهِ شِفَاءٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٣) ، وَقَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : ذَا دَمٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ : ذَا ذِمٍّ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ^(٤) .

مازاده ابن هشام بما لم يذكره ابن إسحاق

وذكر الشيخ الحافظ أبو بجر سفيان بن العاصي رحمه في هذا الموضع ،

(١) متفق عليه ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر ، وأحمد ومسلم عز جابر ، والبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة ، ومسلم وابن ماجه عن أبي موسى والجامع الصغير للسيوطي .

(٢) ابن سعيد وقيل ابن قيس شهد بيعة الرضوان .

(٣) يقول ابن الأثير عن الحديث : « هذا مثل ضربه للمؤمن وزهده في الدنيا ، والكافر وحرصه عليها ، وإس من معناه كثرة الأكل دون الانساع في الدنيا ، ولهذا قيل الرغب شؤم ، لأنه يحل صاحبه على اقتحام النار ، وقيل : هو تخصيص المؤمن ونحو ما يجره الشبع من القسوة والجوعاء القسوة ، ووصف الكافر بكثرة الأكل أغلاظ على المؤمن . وتأكيده لما رسم له ، وقيل : هو خاص في رجل بعينه ، كان يأكل كثيراً ، واسلم ، أقل أكله . والمعنى واحد الأمعاء وهي المصارين .

(٤) ذا دم . أي من هو مطالب بدم ، أو صاحب دم ، مطلوب ، ويروى : وذا ذم أي ذا ذمام وحرمة في قومه ، وإذا عقد ذمة وفي له .

قال : نقلتُ من حاشية نسخة من كتاب السَّيَر منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخو به محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخي قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء عن ابن إسحاق ، والقائل في الحاشية : وجدت بخط أخي هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبي مرة . إلى هاهنا انتهى سماعى من أخى ، وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

عن غريب بن عدي :

وذكر سرية عمرو بن أمية وحلة الحبيب بن عدي من خشية التي هلب فيها ، وفي مسند ابن أبي شيبَةَ زيادة حسنة أنهما حين حلاهما من الخشب التَّمَمْتَهُ الأرض .

وذكر ابن هشام مقتل التَّمَمَاء بنت مروان ، وفي خبرها قال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْتَطِحُ فيها عَزَّانٍ ، وكانت تسبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلها بعلمها على ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا أن دَمَهَا هَدْرٌ . قال الدَّارُ قُطْنِي : من هاهنا يقوم أصلُ التَّسْجِيلِ في الفقه ، لأنه قد أشهد على نفسه بإمضاء الحُكَم ، ووقع في مُصَنَّف حماد بن سلمة أنها كانت يهودية ،

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسمائهن

قال ابن هشام : وكنّ تسعاً : عائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب ، وأمّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان بن حرب ، وأمّ سَلَمَةَ بنت أبي أمية ابن المُنْظَرِ ، وسودة بنت زَمْعَةَ بن قيس ، وزينب بنت جَحْش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي بن أخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خُوَيْلِد ، وهي أول من تزوج ، وزوجه إياها أبوها خُوَيْلِد بن أسد ،

وكانت تعارح النجاشي في مسجد نبي - صلّاته - ، فأعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه ، وقال : لا يُلْتَمَحُ فيها عَنَزَان^(١) .

(١) أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان ، لأن النطاح من شأن النبوس ، والكباش لا ينزول ، وهو إشارة إلى قضية محمودة لا يجري فيها خوف ونزاع . وابن الأثير .

ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين
بَكْرَةً ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت
قبله عند أبي هالة بن مالك ، أحد بنى أَسَيْد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى
عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل
أبي هالة عند عَتَيْق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ،
وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صَيْفِي بن أبي رفاعة .

زواجه بعائشة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق
بِعَمَّة ، وهى بنت سبع سنين ، وبني بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ،
ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها ، تزوجه إياها أبوها أبو بكر ،
وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

زواجه بسودة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن
عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر بن لُؤَيٍّ ، تزوجه
إياها سَلَيْط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود
ابن نصر بن مالك بن حِثْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطاً
«أباً حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .
وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر
ابن مالك بن حسل .

زواجه بزینب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب
الأسدية . زوجته إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبحها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ
مِنْهَا وَطَرَأَ زَوْجُنَا كُهَا ﴾ .

زو بأم سلمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة
الخزومية ، واسمها هند ؛ زوجته إياها سلمة بنت أبي سلمة ابنها ، وأصدقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشاً حشوه ليف ، وقلداً وصحفة ، ومجشدة ؛
وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، واسمها عبد الله ، فولدت له سلمة
ومهر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه

إيا أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

زواجه بأم حبيبة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب ، وزوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

زواجه بجويرية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضمرار الأنزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، فوَقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشَّمس الأنصاري ، فمكاتبها على نفسها ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْتَمِينَا في كتابتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجبل ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، ففقيهما في شئب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران الذين غيبت بالعقيق في شئب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما أطاع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودُفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحنن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

زواجه بصفية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب .

سباها من خيبر ، فاصطفاه لنفسه ، وأولم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وليمة ،
ما فيها شحم ولا لحم ، كان سَوِيْقًا وتمرًا ، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن
أبي الحقيق .

زواجه بميمونة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَيمونة بنت الحارث بن حَزَن
ابن بَحِير بن هُزَم بن رُوَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ،
زوجه إياها العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رُفَهِم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لُؤَيٍّ ؛ ويقال : إنها التي
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبَةَ النبي صلى الله عليه وسلم
انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ورسوله ؛ فأنزل
الله تبارك وتعالى : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ،
ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن مَعِيص
ابن عامر بن لُؤَيٍّ ، ويقال : بل هي امرأة من بني سامة بن لُؤَيٍّ ، فأرجأها
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن

عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أمّ المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجها إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عُبَيْدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبَيْدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمّها .

عَدْتِهِنَّ وشأن الرسول معهن

فهمـؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خُوَيْلِد ، وزينب بنت خُزَيْمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن في أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان السكندرية ، تزوّجها فوجد بها بياضاً ، فمَتَّعَهَا وردّها إلى أهلها ، وعمره بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكُفْر ؛ فلما قَدِمَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعازت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعازت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِنْدِيَّة بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤْتِي ولا نَأْتِي ؛ فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خُوَيْلِد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛
وعائشة بنت أبي بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن نيم
ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن
مُنفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُروط بن رياح بن رزاح بن عدى بن
كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سلمة
بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
ابن كعب بن لؤى ؛ وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود
ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

تسمية العربيات وغيرهن

والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يغمر بن
صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دؤدان بن أسد بن خزيمه ؛ وميمونة
بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزَم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن
عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خضيمة بن قيس بن عيلان ؛ وزينب بنت خزيمه بن الحارث بن عبد الله بن عمرو
ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجؤيرة بنت
الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ؛
وعمرة بنت يزيد السكلبية .

غير العربيات

ومن غير العربيات : صفية بنت حُي بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله في بيت عائشة

محيته إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتي . قال عبيد الله ، كُفِدَتْ هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب .

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم نغمز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجهه ، فقال هـر يقوا على سبع قَرَب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طَفِقَ يقول : حسبكم حسبكم .

كلمة للنبي واختصاصه أبا بكر بالذكور

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أيوب بن بشير : أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فسكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد ، فسددوها إلا بيت أبي بكر ، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن الملقى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولسكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإفناذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطن الناس في بعث أسامة بن زيد ، وهو في وجهه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان للناس قالوا في إمرة أسامة : أمّر غلاماً حدثاً على جيلة المهاجرين والأنصار .

حَمِدَ اللهُ وَأَتَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَتَيْدُوا بَعْثَ
أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لَنْ قَلِمَ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قَلِمَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنَّهُ خَلِيقٌ
لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ خَلِيقًا لَهَا .

قال : ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْكَشَفَ النَّاسُ فِي جِهَازِهِمْ ،
وَاسْتَعَزَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَهُ ، فَخَرَجَ أُسَامَةُ ، وَخَرَجَ جَيْشُهُ
مَعَهُ حَتَّى نَزَلُوا الْجُرُفَ ، مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى قَرْسِخٍ ، فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، وَتَنَاقَرَّ
إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَثَقُلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ أُسَامَةُ وَالنَّاسُ ،
لِيَنْظُرُوا مَا اللهُ قَاضٍ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وصية الرسول بالأنصار

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ :
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ صَلَّى وَاسْتَقْفَرَ لِأَصْحَابِ أُحُدٍ ،
وَذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرَ مَعَ مَقَالَتِهِ يَوْمَئِذٍ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اسْتَوْصُوا
بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لَا تَزِيدُ ، وَلِأَنَّهُمْ
كَانُوا عَائِدَتِي الَّتِي أُوْبِتَ إِلَيْهَا ، فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ .

قال عبد الله : ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ ، وَتَنَاقَرَّ
بِهِ وَجَعُهُ ، حَتَّى تُغِيرَ .

شأن اللدود

قال عبد الله : فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءُ مِنْ نِسَائِهِ : أُمُّ سَلَمَةَ ، وَمَيْمُونَةُ ، وَنِسَاءُ .

من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عه ، فأجمعوا أن يلدوه ، وقال العباس : لألدنّه . قال : فلدّوه ، فلما أفان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هـذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عثك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به ، لا يبق في البيت أحدٌ إلّا لدّ إلّا عي ، فلقد لدّت سيمونة وإمها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أضميت فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعولي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخبره . قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت :

قلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخَيَّرَ .

صلاة أبي بكر بالناس

قال الزُّهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُّوا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير الهكاء إذا قرأ القرآن ، قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولي ، فقال : إن كن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر ، وعرفت أن الناس لا يُحِبُّون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيئتُشَاءَ مَوْنٌ به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود ابن المطلب بن أسد ، قال : لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاء بلال إلى الصلاة ، فقال : مُرُّوا مَنْ يَصِلُ بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس . وكان أبو بكر غائبا ؛ فقلت : قم يا عمر فصل بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مَجْهَرًا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يَأْبَى الله ذلك والمسلمون ، يَأْبَى الله ذلك والمسلمون .

قال فُبِعْثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَبَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عَمْرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ .
قال : قال عبد الله بن زمرة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ،
والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ،
ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة .
بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثنى أنس بن مالك : أنه لما كان
يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ،
وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتنون فى صلاتهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرتجوا ، فأشار إليهم أن ائبتوا
على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من
هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه .
تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالشئح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن
محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة :

أَبْنُ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْتِي اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمَسَامُونَ . فَلَوْلَا مَقَالَةٌ قَالَهَا عُمَرُ عِنْدَ وَفَاتِهِ ،
لَمْ يَشْكُ الْمَسَامُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ ،
وَلَكِنَّهُ قَالَ عِنْدَ وَفَاتِهِ : إِنْ أَسْتَخْلَفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِنْ
أَتْرَكَهُمْ فَقَدْ تَرَكَهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . فَقَرَفَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا ، وَكَانَ عُمَرُ غَيْرَ مَتَّهِمٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ :
لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصِبًا رَأْسَهُ إِلَى
الصُّبْحِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يَصْلِي بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَفَرَّجَ النَّاسُ ، فَقَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَصْنَعُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَصَّ عَنْ مُصَلَّاهُ ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : صَلِّ بِالنَّاسِ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
جَنْبِهِ ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ،
فَسَكَّاهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ ، حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
سُعِّرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمَسَّكَ بِي شَيْءٌ ،
إِنِّي لَمْ أُحِلَّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ .

قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَلَامِهِ ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ كَمَا تُحِبُّ ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ
بَنَتْ خَارِجَةٌ ، أَفَاتِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ .

ن العشأباس وعل

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس . قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال ، فأخذ العباس بيده ، ثم قال : يا على ، أنت والله عبد العصى بعد ثلاث ، أهلك بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فىنا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن مُنعتنا لا يؤتيناها تأخذ بعده .

فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضجاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريد ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، أنجب أن أعطيك هذا

السَّوَاكُ ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فوضفته له حتى لَبِنْتَهُ ، ثم أعطيته إِيَّاهُ ،
قالت : فاسْتَنَّ به كأشدَّ ما رأيته يَسْتَنُّ بِسِوَاكِ قَطٍّ ، ثم وضعه ، ووجدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْثُلُ في حِجْرِي ، فذهبت أنظرُ في وجهه ،
فإذا بعصره قد شَخَصَ ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت :
فقلت : خُبِّرْتِ فاخترت والذي بعثك بالحق . قالت : وقُبِضَ رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه
عباد . قال : سمعت عائشة تقول : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين
سَحْرَى وَنَحْرَى وفي دَوْلَتِي ، لم أظلم فيه أحداً ، فَمِنْ سَقَمِي وَحَدَائَةِ سِنِي أَنْ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ وهو في حِجْرِي ، ثم وضعت رأسه على
وسادة ، ووقت أَلْتَدِمُ مع النساء ، وأضرب وجهي .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني سميد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة
قال : لما تُوفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطَّاب ، فقال : إن
رجالا من الْمُتَنَاقِضِينَ يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تَوُفِّي ، وإنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى
ابن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل
قد مات ؛ والله ليرجعَنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ،
فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات .

موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسَجَّى في ناحية البيت ، عليه بُرْد حَبْرَة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم آن نصيبك بعدها مَوْتَةٌ أَبَدًا . قال : ثم ردَّ البُرْد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : علي رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْمَلِكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْفَلِقْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَإِنَّ يَظُرَ اللَّهُ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم ؛ قال :

فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فمقرت
حتى وقعت إلى الأرض ما تحمِلُنِي رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بني ساعدة

تفرق السكامة

قال ابن إسحاق : ولما قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا
الحِجْءُ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل على بن
أبي طالب والزبير بن العوام وطليحة بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بَقِيَّةُ
المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز معهم أُسَيد بن حُصَير ، في بني عبد الأشهل ،
فأتى آت إلى أبي بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحِجْءُ من الأنصار مع سعد بن عُبادة
في سقيفة بني ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة
فأدركوا قبل أن يتفارق أمرهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يُفرغ
من أمره قد أغلق دُونَهُ الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا
إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبي بكر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ،
أن عبد الله بن أبي بكر ، حدثني عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن

ابن عوف قال : وكنت في منزله بنى أنتظره ، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قل ابن عباس ، فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا قلته فتئت . قال : فنضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله أقام المشية في الناس ، فحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن ينصبوهم أسرم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاي الناس وغوغاهم ، وإنهم هم الذين يطلبون على قُربك ، حين تقوم في الناس ، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أوائلك عنك كل مطير ، ولا يموها ، ولا يضعوها على مواضعها ، فأهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخاص بأهل الثقة وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعي أهل الفقه مقاتلك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك . أول مقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبي بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة مجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن أخرج عمر ابن الخطاب ، فلما رأيتة مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : أيقوان المشية على هذا

المنبر مقالة لم يقامها منذ استخفاف ؛ قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ،
وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبـله ، فحاس عمر على المنبر ، فلما سكـت
الأمويون ، قام فأتى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإني قائل لكم
اليوم مقالة قد قدر لي أن أقولها ، ولا أدري لعلمها بين يدي أجلى ، فمن عفاها
ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يبيها فلا يحل
لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان
مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعظمناها ووعينناها ، ورجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورجننا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل :
والله ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم
في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت
البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كتبنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب
الله : ﴿ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ فَإِنَّهُ كُفِّرُ بَكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ ۖ ﴾
إلا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى بْنُ
مَرْيَمَ ، وَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » ؛ ثم إنه قد بلغني أن فلاناً قال : والله
لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايت فلاناً ، فلا يعرف امرأ أن يقول : إن
بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وفق
شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلاً عن
غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه بغيره أن يقتل ،
لأنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ،
فاجتمعوا بأشرفهم في سقيفة بني ساعدة ، وتحالف عنا على بن أبي طالب

والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت
للأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى
لقينا منهم رجلاً صالحاً ، فذكرنا لنا ما تملاً عليه القوم ، وقال : أين تريدون
يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قال : فلا عليكم
أن لا تقر بوم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم : قال : قلت : والله لأتبنهم .
فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرائهم رجلٌ مُزَمِّلٌ
فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجيع .
فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ،
فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ،
وقد دقت دافّة من قومكم ، قال . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ،
ويفضّبونا الأمر ، فلما سكّت أردت أن أتكلّم ، وقد زوّرت في نفسى مقالة
قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أدارى منه بعض
الحدّ ، فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ يا عمر ، فسكرت أن أغضبه ، فتكلّم ،
وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها
في يديّته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكّت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من
خير ، فأنتم له أهل ، وإن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ،
هم أوسط العرب نسباً وداراً ؛ وقد رضيت لىكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا
أيهما شئتم ، وأخذ بيدي وييد أبي عُبيدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ،
ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يُقرّبنى
ذلك إلى إني ، أحبّ إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جُذِلَها المَحَكُّ وعُذِّقَها المرَجَبُ ،
«منا أمير ومنكم أمير ياممشر قریش . قال : فكثُر اللَّغَطُ ، وارتفعت الأصوات ،
حتى تحوّفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ،
فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد بن عُبادة ،
فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبادة : قل : فقلت : قتل الله سعد بن عُبادة .

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر

في طريقهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : أخبرني عروة بن الزبير أن أحد الرجلين
الذين آقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر
معن بن عدي ، أخو بني المجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذي بلغنا أنه
«قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : ﴿فَرِيقَهُ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ؛ وأما معن بن عدي ، فبلغنا أن الناس
«بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا :
«والله لو ددنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفقن بعده . قال معن بن عدي :
«لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً ؛ فقتل معن
يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر ، يوم مُسَيْلِمة الكذاب .

خطبة عمر قبل أبي بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال :

لما بويج أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدُّ أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هذاكم الله ما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثاني اثنين إذ هما في الفار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبي بكر

فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم واست بختياركم ، فإن أحسنتم فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوتوني ، الصديق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى . حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا أعظمهم الله بالبلاء ؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عائد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ومامعه غيرى ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشياً . قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلى ، فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق : فلما بويج أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين ابن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولوا غسله ، وأن أوس بن خويلد ، أحد بني عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : انشدك الله

بأعلى وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل الخُلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يلقبونه معه وكان أسامة بن زيد وشُقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يُغسله ، فقد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لا يُفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً ! ولم يُر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يُرى من الميت .

كيف غسل الرسول ؟

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندري ، أنجزد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجزد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مُسكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَابٍ ثَوْبَيْنِ صَحَارِيَيْنِ وَبُرْدَ حَبْرَةٍ ، أُذْجِرَ فِيهَا إِدْزَاجًا ،
كَمَا حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ وَالزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ .

حضر القبر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَرُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ يَضْرَحُ كَحَفْرِ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو طَاعَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ هُوَ
الَّذِي يَحْفَرُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَلْحَدُ ، فَدَعَا الْعَبَّاسَ رَجَائِنَ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا :
اذهب إلى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَالْآخِرَ اذهب إلى أَبِي طَلْحَةَ . اللَّهُمَّ خَرِّ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ صَاحِبَ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ ، فَجَاءَ بِهِ ،
فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دفن الرسول والصلاة عليه

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَضَعَهُ فِي سَرِيرِهِ
فِي بَيْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ . فَقَالَ قَائِلٌ : نَدْفِنُهُ فِي مَسْجِدِهِ .
وَقَالَ قَائِلٌ : بَلْ نَدْفِنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا يُقْبَضُ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ ، فَرَفَعَ فِرَاشَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوفِي عَلَيْهِ ، فَحَفَرَ لَهُ تَحْتَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا ، دَخَلَ الرِّجَالُ ، حَتَّى

إِذَا فَرَّغُوا أُدْخِلَ النِّسَاءَ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ النِّسَاءُ أُدْخِلَ الصَّبِيَّانَ . وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ .

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَسْطِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ .

دفن الرسول

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُعَمَّرَةَ ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْمَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : جُوزِيَ اللَّيْلُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ .

من توفن لى د الرسول

وَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوا فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَقُثَيْبُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ قَالَ أَوْسُ بْنُ خُوَلَيْلٍ لَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ : يَا عَلِيُّ ، أَنْشُدْكَ اللَّهَ ، وَحُظُنَّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : انْزِلْ ، فَتَزَلْ مَعَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ كَانَ مَوْلَاهُ شُقْرَانُ حِينَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُفْرَتِهِ وَبَنَى عَلَيْهِ . قَدْ أَخَذَ قَطِيفَةً ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِسُهَا وَيَقْتَرِشُهَا ، دَفَنَهَا فِي الْقَبْرِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَلْبِسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ أَبَدًا .

قَالَ : فَدُفِنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أحدث الناس عهداً بالرسول

وقد كان المُغيرة بن شُعبة يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقط مني ، وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَم ، أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل علي أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غُسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه ؟ قال : أظنّ المُغيرة ابن شُعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم فُثمّ بن عباس .

خميصة الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان علي رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجهه ، قالت : فهو يضعها مرة على

وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

قال ابن إسحاق : ولما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمَت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واثراُبت لليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطيَّرة في الليلة الشَّاتية ، افقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد ، فتواري ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يرد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا خربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لاتذمه .

شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

بَطِيئَةً رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعَهُدٌ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمِدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مَنْبَرُ الْمَاهِي الَّذِي كَانَ يَضْمَدُ
وَوَاضِحٌ آثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ	وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُهَيَّأٌ وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا	مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا	أَنَاهَا الْبَحْلَى فَلَايَ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدْتُ	عُيُونَ وَمَثَلَهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ
بِذِكْرِنَ آلَاءِ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُخْصِيًا نَفْسِي فَتَنْفَسِي تَبْلُدُ
مُفْجَعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ	فَظَلْتُ لِإِلَاءِ الرَّسُولِ تَعْدُدُ
وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَاعَاتٍ وَفُوقًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُحْدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكَتْ يَاقَبْرِ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ	بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لَحْدُ مَنْكَ ضَمْنِ طَيِّبَا	عَلَيْهِ بَنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَبَدٌ وَأَعْيُنٍ	عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حُلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً	عَشِيَّةَ عُلُوِّهِ التُّرَى لَا يُوسَدُ

وراحوا يحزنون ليس فيهم نبيهم
 يبسكون من نبيكي السماوات يومه
 وهل عدلت يوما رزية هالك
 تقطع فيه منزل الوحي عنهم
 يدل على الرحمن من يقتدى به
 امام لهم يهديهم الحق جاهدا
 عفو عن الزلات يقبل عذرهم
 وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
 فبينناهم في نعمة الله بينهم
 عزيز عليه أن يجرؤوا عن الهدى
 عطف عليهم لا يثنى جناحه
 فبينناهم في ذلك الدور إذ غدا
 فأصبح محموداً إلى الله راجعاً
 وأمسّت بلاد الحرم وحشا بقاعها
 قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها
 ومسجده فالموحشات لفقده
 وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
 فبكى رسول الله يابن عبدة
 ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
 وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
 ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
 رزية يوم مات فيه محمد
 وقد كان ذا نور يغور ويوجد
 ويُنقذ من هول الخزايا ويرشد
 معلّم صدق إن يطيعوه يستعدوا
 وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
 فن عنده تيسير ما يشدد
 دليل به نهج الطريقة يقصد
 حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
 إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
 إلى نورهم سهم من الموت مقصد
 يسكنه حق المرسلات ومحمد
 الغيبة ما كانت من الوحي تفهد
 فقيد يسكنه بلاط وغرقد
 خلا له فيه مقام ومقعد
 ديار وعرضات وزرع ومولد
 ولا أعرفك الدهر دمك يحمّد
 على الناس منها ما يغتفم

مُجُودِي عَلَيْهِ بِالْمُوعِ وَأَقُولِي لَقَدْ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ
وَمَا قَعَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بِذِمَّةٍ وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يَنْسَكُدُ
وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَنَالِدٍ إِذَا ضَنَّ مِنْطَلَهُ بِمَا كَانَ يُنْتَلَدُ
وَأَكْرَمَ صَيْتَاكَ فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وَأَمْتَعَ ذُرُوعًا وَأَنْبَتَ فِي الْعُلَا دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ
وَأَنْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتَا وَعُودًا غِذَاءَ الدُّنْى فَالْعُودُ أَغِيدُ
رَبَاهُ وَلَيْسَ دَأْفَاسْتَمَ تَمَامُهُ عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبُّهُ مَجْدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَمِّهِ فَلَا الْعِلْمُ مَجْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلَا يُبَالِي لِقَوْلِي عَائِبٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَارِضُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ كِفَائِهِ أَمَلِي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مَعَ الْمُضْطَافِي أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارَهُ وَفِي نَيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْمَى وَأَجْهَدُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كَحِلَّتْ مَا قِيَهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلَى الْمُهْدَى أَصْبَحَ نَاوِيًا يَأْخِرُ مِنْ وَطْئِ الْخَصَى لَا تَبْعَدِ
وَجِئْتِي بِعَيْكَ التَّرَبُّ لَهْفِي لَيْتَنِي غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْفَرَقْدِ
بَأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِ
فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُقَبِّلًا مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

أُقِيمُ بِعَدِكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ يَا لَيْتَنِي صُبَّحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ
أَوْ حَلَ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَتَلْقَى طَيِّبًا مَحْضًا ضَرَايِبُهُ كَرِيمَ الْمُحْتَدِ
يَا بَكْرَ آمَنَةِ الْمُبَارَكِ بِكُرْهَا وَلَدَتُهُ مُخَصَّنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْمَدِ
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ يَهْدٍ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا فِي جَنَّةٍ نَشْنِي عُيُونُ الْحُسَدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَارْتَبِهَا لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالشُّودِ
وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهِ الْكَ إِلَّا بِكَانَتْ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
يَا وَبِحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغْتِيبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْجَدِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَضْبَحُوا سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِمْدِ
وَلَقَدْ وَلَدَنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بَنَّا لَمْ نَجْعَدِ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
صَلَّى الْإِلَهِ وَمَنْ يَحْفَ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحَرًا
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي وَرَزَقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُوْنِسُوا إِلَهَ طَرَا
أَمْ مَنْ نَعَائِبٍ لَا تَحْشَى جَفَادَعَهُ إِذَا الْأَسَانُ عَنَّا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا
كَانَ الضَّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ تَتَبَعُهُ بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا

فَلْيَتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمُحِجِّهِ وَغَيَّبُوهُ وَالْقَوَا فَوْقَهُ الْقَدَرَا
لَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنَّا بَنَدَهُ أَحَدًا وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أَثْنَى وَلَا ذَكَرَا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَّارِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدِيرَا
وَاقْتَسِمَ النَّاسُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَبَدَّدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدَرَا

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

أَكَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرَ إِنْفَادِ
تَاللهِ مَا سَحَلْتُ أَثْنَى وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيَّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
وَلَا بَرَّ اللهَ خَلَقًا مِنْ بَرِّيَّتِهِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ
مِنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِشَادِ
أَمْسَى نَسَاؤُكَ عَطَلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضْرِبُ بَنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرِ بَاوْتَادِ
مِثْلَ الرَّوَاحِبِ يَلْبَسُنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ أَيقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعَمَةِ الْبَادِي
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهَرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُرْدِ الصَّادِي

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

ذكر أزواج النبي عليه السلام

خبرجته رضى الله عنها :

قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن ، وذكر هاهنا خديجة ، وأنها كانت عند أبي هالة ، وكانت قبيلة عند عتيق ابن عائذ^(١) ، قال ابن أبي خيثمة : ولدت لعتيق عبد مناف ، وكان اسم أبي هالة هند بن زُرارة بن النباش^(٢) وقيل : بل أبو هالة هو زُرارة ، وابنه هند ، مات هند في طاعون البصرة .

عن عائشة :

ومما نزيده هنا في ذكر عائشة ، أنها كانت تُسكني أم عبد الله ، روى ابن الأعرابي في المعجم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جنيناً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسُمي : عبد الله ، فكانت تُسكني به ، وهذا الحديث يدور على داود بن المغيرة وهو ضعيف ، وأصح منه حديث أبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لها : تُسكني يا ابن أخيك عبد الله بن الزبير ، ويروى

(١) وقيل : عابد .

(٢) وقيل اسمه : النباش بن زُرارة كما جزم أبو عبيد ، وقدمه منطلقاً وقيل مالك كما حكاه الزبير بن بكار والدارقطني . وصدر به في الفتح . . هذا وبعضهم يقول إن عتيقاً تزوجها بعد أبي هالة . أما ما ذكره السهيلي فهو قوله قتادة وابن شهاب وابن إسحاق .

بابك عبد الله بن الزبير ، لأنها كانت قد استوفيت من أبويه ، فكان
في حجرها يدوها ، أمّا ذكره ابن إسحاق وغيره ، وأصح ما روى في فضلها
على النساء قوله عليه السلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام ،
وأراد الثريد باللحم ، كذا رواه مَعْمَرُ في جامعه مُقَسَّراً عن قتادة ، وأبان
يرفعه ، فقال فيه كفضل الثريد باللحم ، ووجه التفضيل من هذا الحديث أنه
قال في حديث آخر : سيّد إدام الدنيا والآخرة اللحم ، مع أن الثريد إذا أطبق
لفظه ، فهو ثريد اللحم ، وأنشد سيّبويه :

إذا ما أُلْخِزُ تَأَدِمُهُ بِلَحْمٍ فَذَكَ أَمَانَةٌ اللَّهِ الثَّرِيدُ^(٣)

فربما وعائشة ومريم :

ولولا ما تقدم من الحديث المحض لخديجة بالفضل عليها حيث قال : والله
ما أبداني الله خيراً منها ، قلنا بتفضيلها على خديجة ، وعلى نساء العالمين ،
وكذلك القول في مريم الصديقة ، فإنها عند كثير من العلماء نبيّة نزل
عليها جبريل عليه السلام بالوحى ، ولا يُفَضَّلُ على الأنبياء غيرهم ، ومن قال :
لم تكن نبيّة ، وجعل قوله تعالى : ﴿ اصطفاك على نساء العالمين ﴾ مخصوصاً
بعالم زمانها ، فن قوله : إن عائشة وخديجة أفضل منها ، وكذلك يقولون
في سائر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إهن أفضل نساء العالمين ،

(٣) ص ٤٢٤ - ١ - ١٤٤ ، كتاب سيّبويه . ويقال : إن النحويين هم الذين

وضعوا هذا البيت :

ونزعوا في تصحيح هذا المذهب بما يطول ذكره والله أعلم ، وفي مسند البزار
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في فاطمة هي سيّدة نساء أهل الجنة
إلا سرّيم .

أم سلمة :

وذكر أم سلمة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مِجَشَّة ، وهي
الرّحى ، ومنه سمى الجشيش . وذكر مع المِجَشَّة أشياء لا نعرف قيمتها ، منها جَفَنَةٌ
وفِرَاشٌ . وفي مسند البزار ذكر قيمتها ، قال أنس : أصدقها مَتَاعًا قيمته عَشْرَةُ
دراهم ، قال البزار : ويروى أربعون درهما .

جويرية

وذكر جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضمرار ، وكانت قبيلة عند مُسَافِعِ
ابن صفوان الخُزَاعِي^(١) وقال : أسلم الحارث ، وأسلم ابنه ، ولم يُسمِّهما ، وهما
الحارث بن الحارث وعمرو بن الحارث ، ذكره البخاري .

زينب بنت جحش :

وذكر زينب بنت جَحْش ، وأن أخاها أبا أُمِّدَّه هو الذي أنكحها من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا خلاف ما ثبت في الحديث أنها
كانت تفخر على صَوَّاحِبِها ، وتقول : زَوَّجَكُنَّ أَهْلُوكُنَّ من رسول الله صلى الله

(١) قتل كافرًا يوم المريسيع كما جزم به ابن أبي خيثمة والواقدي .

عليه وسلم وزوجني رب العالمين من فوق سبع سموات^(١) وفي حديث آخر أنه لما نزلت الآية ﴿زَوَّجْنَا كُهَا﴾ قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليها بغير إذن^(٢) ولم يذكر ابن إسحاق في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت ربيعة بن خليفة الكلبي ، وذكرها غيره ، ولم يُقَمَّ عنده إلا بسيراً حتى ماتت^(٣) وكذلك العالمة^(٤) بنت ظبيان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] ذكرها غيره في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك ونسب بنت الصلت^(٥) تزوجها ثم خلّى سبيلها ، ويقال فيها : سفا بنت أسماء بنت الصلت . ومنهن أسماء بنت الثممان بن الجون الكنديّة^(٦) اتفقوا على تزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلفوا ، في سبب فراق النبي صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل في : شراف بنت

(١) أخرجه الترمذى وصححه من حديث أنس

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي ، وقد حدث هذا بعد انقضاء عدتها .

(٣) وجزم ابن عبد البر . أنها ماتت في الطريق قبل وصولها إليه .

(٤) ويقال : إنه طلقها وقد رواه ابن سعد عن هشام الكلبي عن رجل من بني بكر . وقد قيل إنه طلقها لأنه رأى بها بياضاً ، والله أعلم . والزائدة في نسبها عن ابن حبيب في المحبر ص ٩٣ .

(٥) وقيل : سنى بفتح السين وتخفيف النون ، وسماها قتادة أسماء أما ابن حبيب في المحبر فيقول إنها بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمالك ابن عوف السلمى . ويقول : إنها ماتت قبل أن تصل إليه .

(٦) وقيل أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندی ابن الجرن . وبعضهم يحمل اسماء هذه وأسماء بنت كعب الجونية امرأة واحدة . ولكن ابن حبيب وغيره فرق بينهما .

خَافِيفَةً : إنها هلكت قبل أن يدخل بها، فالله أعلم .

وذكر خَوْلَةٌ، ويقال فيها خُويلَّةٌ، ذكرت فيمن تزوجهم النبي عليه السلام، ويقال : هي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام ^(١).

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم في مرضه إلى المسجد، وأن أبا بكر كان الإمام، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأنم به، وهذا الحديث مُرْسَلٌ في السيرة، والمعروف في الصَّحاح أن أبا بكر كان يُصَلِّي بِصَلَاةِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناسُ يَصَلُّون بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، ولَسَكَنَ قَدْ رَوَى عَنْ أَنَسٍ مِنْ طَرِيقٍ مُتَّصِلٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ الْإِمَامَ يَوْمَئِذٍ، واختلف فيه عن عائشة رضى الله عنها، وروى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : مَا مَاتَ نَبِيٌّ حَتَّى يَوْمُهُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِهِ ^(١)، وذكر

(١) ويقال إنها أم شريك القرشية العامرية، واسمها : غزبة بضم الغين وفتح الزاي وتشديد الياء - بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي . وقيل : غزبة بنت داردان بن عوف . وقيل : هي أم شريك غزبة الانصارية من بني النجار، وفي الصفوة لابن الجوزي هي أم شريك غزبة بنت جابر الدوسية . قال : والأكثرون على أنها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم، فلم يقبلها أكبر سنهما . وما ذكره السهيلي هو قول ابن قتبية في المعارف . وقيل إن اللاتي وهبن أنفسهن : أم شريك وخولة وليلى بنت الحطيم ولم يدخل بهن وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين . وانظر زاد المعاد ص ٥١ إلى ص ٥٨ ١٠ عن أزواج النبي . ص ، وكذلك شرح المواهب اللدنية ص ٣٠ من ص ٢١٦ إلى ص ٢٧١ .

(١) أخرجه ابن سعد عن محمد بن إبراهيم .

أبو مُعَرٍّ هذا الحديث إلا أنه ساقه عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن مُرسلاً ، وقد أسنده البزار أيضاً من طريق ابن الزبير عن مُعَرٍّ عن أبي بكر ، وفي سنده الحسن البصري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرض عشرة أيام صلى أبو بكر بالناس تسعة أيام منها ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم العاشر منها يهادي بين رجلين أسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف أبي بكر ، رواه الدارقطني . ففي هذا الحديث أنه مريض عشرة أيام ، وهو غريب ، وفيه أن أحد الرجلين كان أسامة ، والمعروف عن ابن عباس أنه كان على بن أبي طالب ، وفيه صلاته عليه السلام خلف أبي بكر .

حديث العباس :

فصل : وذكر حديث العباس ، وأنه قال : لأُذَنَّهُ ، فَلَدُّوهُ ، وحسبوا أن به ذات الجنب^(١) ، ففي هذا الحديث أن العباس حضره ولده مع من لد . وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَبْقَيْنَ أَحَدٌ بِالْبَيْتِ إِلَّا لَدُ^(٢) إِلَّا عَمَى الْعَبَّاسُ ، فإنه لم يشهدكم ، وهذه أصح من رواية ابن اسحاق

(١) ذر الجنب الذي يشتكى جنبه إلا أن ذر للمذكر ، وذات للمؤنث ، وصارت ذات الجنب علماً لها ، وإن كانت في الأصل سفة مضافة . والادود من الادوية . إسقاطها المريض في أحد شقي الفم ، وتديدا الفم : جانباه . ولدوه : فعلوا به ذلك .

(٢) يقول ابن الأثير : إنه فعل ذلك عقوبة لهم لأنهم ادوه بعير إذنه .

وإنما لدُّوه لأنه عليه السلام قد قال في القُسط^(١) : فيه سبعةُ أشْفِيَةٍ يُلدُّ به من ذات الجنب ، ويسقطُ به من العُذْرَةِ ، ولم يذكر الخمسة . قال ابنُ شهاب : فنحن نستعمله في أذويتنا كُلِّها لعلمنا نصيحتها ، والدُّود في جانبِ الفم من داخله يُجمل هناك الدَّواء ويُحكُّ بالإصْبَع قليلا .

وقوله : في ذات الجنب : ذاك داء ما كان الله ليغذِفني به ، وقيل في هذا الحديث من رواية الطبري له : أنا أكرم على الله من أن يَغْذِفني بها ، وفي رواية أخرى : وهى من الشيطان ، وما كان الله لِيُسلِّطَهَا عَلَيَّ . وهذا يدل على أنها من سَيِّئِ الأسقام التي تعوذُ النبيُّ عليه السلام منها في دعائه حيث يقول : اللهم إني أعوذ بك من الجُنُونِ والجُدَامِ وسَيِّئِ الأسقام ، وإن كان صاحبها من الشهداء السبعة ، ولكنه عليه السلام قد تعوذ من العَرَقِ والحَرَقِ مع قوله عليه السلام : الغريق شهيد ، والحريق شهيد . وقد ذكر أن أسماء بنت عميس هي التي لدَّته فالله أعلم . والوجع الذي كان بالنبي عليه السلام قُلْدٌ هو الوجع الذي يُسمَّى خَاصِرَةً ، وقد جاء ذكره في كتاب التَّذْوِيرِ من الموطأ ، قال فيه : فأصابني خَاصِرَةٌ ، قالت عائشة : وكثيراً ما كان يصيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الخَاصِرَةُ . قالت ولا نهتدي لاسم الخَاصِرَةِ ، ونقول : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عِرْقٌ في الكُفْيَةِ . وفي مُسْنَدِ الحارث بن أبي أسامة يرفعه إلى النبي عليه السلام ، قال : الخَاصِرَةُ عِرْقٌ في الكُفْيَةِ إذا

(١) القسط : عقار معروف في الادوية طيب الريح ، يبخر به النساء والأطفال .

تَحْرُكُ وَجَعِ صَاحِبِهِ دَوَاؤُهُ الْعَسَلُ بِالنَّسَاءِ الْمُحْرَقِ ، وَهُوَ حَدِيثٌ يَرْوِيهِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ الرَّقْرَقِيِّ عَنْ دُرَّةَ ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ ضَعِيفٌ مَذْكُورٌ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ فِي الضَّعْفَاءِ ، وَلَكِنْ قَدِ رَوَتْ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ .

وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَذَا يَوْمُ بِنْتِ خَارِجَةَ يَارَسُولَ اللَّهِ . بِنْتُ خَارِجَةَ اسْمُهَا : حَبِيبَةُ ، وَقِيلَ مَلَكَيَّةٌ ، وَخَارِجَةُ هِيَ ابْنَةُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ، وَابْنُ خَارِجَةَ هُوَ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ الَّذِي تَكَلَّمَ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيَا رَوَى ثِقَاتُ أَهْلِ الْحَدِيثِ لَا يَخْتَلَفُونَ فِي ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ ، فَلَمَّا سُئِلَ عَلَيْهِ تَمِيمُوا جَنَازَتَهُ فِي صَدْرِهِ ، نِمَ تَكَلَّمَ ، فَقَالَ : أَحْمَدُ أَحْمَدُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ صَدَقَ صَدَقَ ، وَأَبُو بَكْرٍ النَّصْدِيقُ الضَّعِيفُ فِي نَفْسِهِ الْقَوِيُّ فِي أَمْرِ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، صَدَقَ صَدَقَ ، مُعَمَّرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، الْقَوِيُّ الْأَمِينُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ صَدَقَ صَدَقَ ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ مَضَتْ أَرْبَعٌ وَبَقِيَتْ سَلْتَانٌ ، أَنْتَ الْفَتْنُ ، وَأَكَلَ الشَّدِيدُ الضَّعِيفَ ، وَقَامَتِ السَّاعَةُ وَسَيَأْتِيكُمْ خَبْرُ بَثْرِ أَرِيَسَ ، وَمَا بَثْرِ أَرِيَسَ ^(١) . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : نِمَ هَلَكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ فَسُجِّي بِثَوْبٍ ، فَسَمِعُوا جَنَازَتَهُ فِي صَدْرِهِ نِمَ تَكَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنْ أَخَابَنِي الْحَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ صَدَقَ صَدَقَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ عَرَضَ مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ لِرَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ أَخِي رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ ، قَالَ : رَبِيعِيُّ : مَاتَ أَخِي فَسَجَّيْنَاهُ ، وَجَلَسْنَا عَنْدَهُ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ كَشَفَ لِلثَّوْبِ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! أَبْعَدَ لِلْمَوْتِ ؟

(١) بَثْرُ قَرْيَةٍ مِنْ مَسْجِدِ قَبَاءَ .

قال : إني لقيت رَبِّي فَتَلَقَانِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ ، وَرَبٌّ غَيْرُ غَضَبَانَ ، وَكَسَانِي ثِيَاباً خُضْراً مِنْ مُسْنَدَيْنِ وَإِسْتَبْرَقٍ ؛ أَسْرَعُوا بَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُ قَدْ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَبْرَحَ حَتَّى آتِيَهُ وَأَدْرِكَهُ ، وَإِنْ الْأُمَرَاءُ هَوْنٌ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ فَلَا تَمُتُّوْا ، ثُمَّ وَاللَّهِ كَأَنَّمَا كَانَتْ نَفْسُهُ حَصَاةً فَأُلْقِيَتْ فِي طَسْتٍ (١) .

آخر كلمة تسكلم بها عليه السلام :

فصل : وذكر أن آخر كلمة تسكلم بها عليه السلام : اللهم الرفيق الأعلى ، وهذا مُنتزَعٌ من قوله تبارك وتعالى ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء ، لما قدمناه في هذا الكتاب مما حَسَنَ ذلك ، مع أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، فهذه آخر كلمة تسكلم بها عليه السلام ، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، لأنه قال : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ثم بَيَّنَّ في الآية المقدمة مَنْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَذَكَرَهُمْ ، وهم الرفيقُ الأعلى الذين ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين خَبَّرَ فَأَخْتَارَ ، وبعض الرواة يقولون عن عائشة في هذا الحديث : فأشار

(١) لا تصور في هذه القصة إلا أحاديثين ، وإما أن يكون وراءها هوى لنبيم الذكاء . وإما أن تكون غداة عميقة ، أفاق بعدها زيد . فقال ما رأى في غيبوبته ، وإلا فإن هدى القرآن والسنة في جانب . وهذان هذه الأسطورة في جانب آخر .

بِأَصْبَحِهِ ، وقال : في الرقيق ، وفي رواية أخرى أنه قال : اللَّهُمَّ الرقيق^(١) ، وأشار بالسَّبَّابَةِ ، يريد : التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام : مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دخل الجنة ، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ، ولولم يُبَشِّرْ ، ولكن ذكرنا هذا للتلايقول القائل : لم يَلَمْ يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله ، وأول كلمة تسكلم بهارسل الله وهو مُسْتَرْضِعٌ عند حَلِيمَةٍ أن قال : الله أكبر ، رأيتُ ذلك في بعض كتب الواقدي .

وأما آخرُ ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم . حَرَك بها لسانه وما يكادُ يبين ، وفي قوله : مَلَكْتَ أيمانكم قولان : قيل : أراد الرِّفْقَ بِالْمَمْلُوكِ ، وقيل : أراد الرِّكَكَةَ ، لأنها في القرآن مقرونةٌ بالصلاة ، وهي من مِلْكِ اليمين ، قلله الخطابي .

وقول عائشة رضي الله عنها : فن سَنَيْهِ وَجَدَانَتِهِ سَنَى أَنَّهُ قَبِضَ ، في حِجْرِي فوضعتُ رأسه على الوِسَادَةِ ، وقت أَلْتَدِمُ مع النساء . الالْتِدَامُ : ضَرْبُ الْخَدِّ بِالْيَدِ ، ولم يدخل هذا في التحريم ، لأن التحريم إنما وقع على الصَّراخ والتَّذَوُّج ، وَلُعِفَتِ الْخَارِيقَةُ وَالْحَالِقَةُ وَالْعَالِقَةُ وهي الرافعة لصوتها ،

(١) في روايه للبخاري قالت عائشة : كانت آخر كلمة نسكلم بها : اللهم في الرقيق الاعلى . وفي أخرى أنها سمعته يقول قبل أن يموت : اللهم اغفر لي وارحمني موالحقني بالرفيق الاعلى .

ولم يذكر اللّذم^(١) لكنّه ، وإن لم يذكره ، فإنه مكروه في حال المصيبة ، وتركه أحمد إلا على أحمد صلى الله عليه وسلم :

فَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٢)
مَنْ تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ :

واتفقوا أنه تُوْفِيَ - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين إلا شيئاً ذكره
ابن قُتَيْبَةَ في المعارف : الأَرْبَعَاءُ^(٣) ، قالوا كلهم : وفي ربيع الأول ، غير أنهم

(١) ما نظن أن سيدة في مثل دين عائشة رضى الله عنها وتقواها وأخذها
الكتاب بقوة يلزم المصاب عقابها ، فيدفعها إلى إقتراف فعل الجاهلية . هذا وقد
روى ابن مسعود أن رسول الله ، ص ، قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق
الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ، البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه
ومل اللذم إلا الظلم ؟ قد تبكى ، ونظيل البيكاه ، أما أن نلطم ، ومع النساء ؟
وفي بيت قدسته روح النبوة ؟ أما هذا ، فلا يجوز تصويره ولا قوله .

(٢) ذاك شعر ليس بينه وبين هذى السنة رحم . فالصبر محمود في كل مصيبة
ترى أكان صبر أبى بكر على وفاة خليله ، ص ، كان غير حميد ؟ والجاذع لا يمكن
أن يسمى حامداً ، إنما هو زخرف من القول . وأجل من هذا قول القائل :

اصبر لكل مصيبة وتخلد واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب لليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

(٣) قال ابن تتيبة أولاً : قبض الله عز وجل رسوله ، ص ، يوم الاثنين وفر أن
ذلك كان في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة . ثم قال : ويقال =

قالوا ، أو قال أكثرهم في الثاني عشر من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفي صلى الله عليه وسلم إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذى الحجة ، فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان الحرم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة ، فقد كان صفرًا إما السبت وإما الأحد ، فإن كان السبت ، فقد كان ربيعًا الأحد أو الاثنين ، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب ، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ، ولا الأربعاء أيضًا ^(١) كما قال القتيبي ، وذكر الطبري عن ابن السكلي وأبي مخنف أنه توفي في الثاني من ربيع الأول ^(٢) ، وهذا القول وإن كان خلاف أهل الجمهور فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبره ، فإنه صحيح ، ولم أر أحداً نقطن له ، وقد رأيت للخوارزمي أنه توفي عليه السلام في أول يوم من ربيع الأول ، وهذا أقرب في القياس بما ذكر الطبري عن ابن السكلي وأبي مخنف .

= لأنه ولد يوم الاثنين ، وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض ، ص ، يوم الاثنين . ودفن ليلة الأربعاء في حجرة عائشة ، وفيها قبض ، ص ٥٥ المعارف .

(١) يذكر في المعارف أنه دفن يوم الأربعاء ، أما الوفاة فذكر أنها كانت يوم الاثنين فليس تمت خلاف . ويصح الحاكم أنه دفن يوم الاثنين عند الزوال . أما ابن عبد البر فيقول : أكثر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء .

(٢) وقد صححه ابن حزم وغيره .

السواك :

فصل : وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها ناولته السَّوَاك حين رآته
 ينظر إليه ، فاستأكَ به ^(١) ، وفيه من الفقه : التَّنَظُّفُ والتَطَهُّرُ للموت ، ولذلك
 يُسْتَحَبُّ الاستِحْدَادُ لمن استَشَمَرَ القَتْلَ أو المَوْتَ كما فعل حُثَيْبٌ ، لأن
 الميتَ فادِمَ على ربِّه ، كما أن المصلِي مُنَاجٍ لربِّه ، فالنظافة من شأنهما ، وفي
 الحديث : إن الله نظيفٌ يُحِبُّ النظافةَ ، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وإن كان مَعْلُولَ
 السِّنَدِ ، فإن معناه صحيح ، وليس النظيفُ من أسماء الربِّ ، واسكنه حَسَنَ
 في هذا الحديث ، لازِدِوْاجَ السَّكَّالَمِ ، واقرب معنى النظافة من معنى المقدَّس ،
 ومن أسمائه سبحانه : القُدُّوسُ ، وكان السَّوَاكُ للذكور في هذا الحديث من
 عَصَبٍ نَحْلٍ فيما روى بعضهم ، والعربُ تَسْتَأْكُ بالعَصَبِ ^(٢) ، وكان أحبَّ
 السَّوَاكِ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - صُرْعُ الْأَرَاكِ ، واحداها صَرِيعٌ
 وهو قضيبٌ يَنْطَوِي من الْأَرَاكِ حتى يبلغ الترابَ ، فيبقى في ظِلِّها فهو أَلْيَنُ
 من فَرْعِها .

وعما روى من قول عائشة - رضى الله عنها - في معنى قولها : بين سَجَرِي
 ونَخْرِي ، أنها قالت : قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين حافَتَيْ

(١) كان سواك عبد الرحمن بن أبي بكر كما ورد في البخارى . وكان السواك
 من جريدة رطبة . تقول عائشة : إن من نعم الله تعالى على أن الله جمع بين ريقى
 وريقه عند موته . دخل على عبد الرحمن ، وبه سواك رأنا مسندة رسول الله ، الخ
 الحديث .

(٢) سبق السكلام عن السواك كما ورد في البخارى .

وَدَاقِنَتِي ، فَالْحَاقِنَةُ الثُّغْرَةُ^(١) ، وَالدَّاقِنَةُ : تَحْتَ الدَّقْنِ ، وَيُقَالُ لَهَا : الثُّنُونَةُ
أَيْضًا . وَرَوَى أَيْضًا : بَيْنَ شَجَرِي - بِالشَّيْنِ وَالْجِيمِ - وَنَحْرِي ، وَسَبَلُ عُمَارَةَ بْنِ
عَقِيلٍ عَنْ مَعْنَاهُ ، فَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ، وَضَمَّهَا إِلَى نَحْرِهِ .
وَعُسِّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قُبِضَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ خَيْثَمَةَ يَقَالُ لَهَا بَنُو
الْفَرَسِ .

كرامات ومعجزات :

فصل : وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كُتِّمُوا حِينَ أَرَادُوا نَزْعَ قِمِيصِهِ لِلْفَسْلِ ، وَكَلَّمَهُمْ سَمْعُ
الصَّوْتِ ، وَلَمْ يَرِ الشَّخْصَ ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) ، وَمِنْ
آيَاتِ نُبُوَّتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَرَامَاتٌ وَمُعْجِزَاتٌ^(٣)
فِي حَيَاتِهِ ، وَقَبْلَ مَوْلَاهُ وَبَعْدَ مَوْتِهِ . وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّمْهِيدِ
مِنْ طَرِيقِ صِحَاحٍ : أَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ سَمِعُوا وَهُوَ مُسَجَّى بَيْنَهُمْ قَائِلًا يَقُولُ :
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّ فِي اللَّهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ تَالِفٍ ،
وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَعَزَاءٌ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، فَاصْبِرُوا وَاحْتَسِبُوا ، إِنْ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ ، وَهُوَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ . قَالَ : فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ اتَّخَضَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ^(٤) . وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُغَسِّلُهُ

(١) أَوْ هِيَ كَأَعْرَافِهَا ابْنُ الْأَثِيرِ : لَوْهَدَةُ الْمُنْتَخَفِضَةُ بَيْنَ التَّرْفُوتَيْنِ مِنَ الْحَلَقِ .

(٢) الرِّوَايَةُ تَقُولُ . إِنَّ اللَّهَ أَلْقَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا نِمُّهُمْ رَجُلٌ إِلَّا ذُقْتُهِ فِي صَدْرِهِ .
فَهِيَ إِذَا رَوَّيَا رَنَدًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ وَابَيْهَقِي .

(٣) قُلْتُ مِنْ قَبْلِ : لَنَسَمَ مَا مِنْ بِهِ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ تَأْيِيدًا لَهُمْ : آيَاتُ .

(٤) وَصَاحِبُ مُوسَى هَذَا قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِ مِائَتَاتِ السَّنِينَ .

هو وعليّ، فجعل الفضل وهو يصبّ الماء يقول : أَرِحْنِي أَرِحْنِي ، فإنّ أجد شيئاً يَقْتَرِزَلْ على ظَهْرِي . ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى ، ولا تغيرت له رائحةٌ ، وقد طال مُسْكُنتُهُ في البيت . قبل أن يُدْفَنَ ، وكان موتهُ في شهر أَيْلُولَ ، فكان طَيِّباً حَيّاً ومَيِّتاً ، وإن كان عمُّه العباس قد قال لعليّ : إن ابن أخى مات لاشكّ ، وهو من بنى آدم يَأْسِنُ كما يَأْسِنُونَ ^(١) ، فواروهُ . وكان مما زاد العباسُ يقيناً بموته عليه السلام أنه كان قد رأى قبل ذلك بيسيرٍ كأنّ القمر رُفِعَ من الأرض إلى السماء بأشطانٍ ، فقصّها على نَجِيٍّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هو ابنُ أخيك . وروى يونس بن بكير في السيرة أن أم سلمة قالت : وضعتُ يدي على صدرِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مَيِّتٌ فَمَرَّتْ عَلَى مُجْمَعٍ لَا آكل ولا أَتَوَضَّأُ إِلَّا وجدت دِيحَ الْمِسْكِ من يدي ، وفي روايته أيضاً : أن عليّاً نودى ، وهو يُفَسِّلهُ أن اِرْفَعْ طَرَفَكَ إلى السماء . وفيها أيضاً أن عليّاً والفضل حين انْتَهَمَا في الْغَسَلِ إلى أسفله سَمِعُوا منادياً يقول : لَا تَنْكُشِفُوا عَوْرَةَ نَبِيِّكُمْ عليه السلام .

موازنة بين عمر وبين أبي بكر :

وأما جَزَعُ عمر رضي الله عنه وقوله : والله ما مات رسولُ الله صلى الله عليه

(١) لا ريب في أن العباس صدر في كلمته هذه عن يقين الإيمان ببشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم النبيين ، وأن عظمته تتجلى فيما صدر عنه في حياته لا فيما ينسب إلى هذا الجسد المسجى وليس فيما روى هنا حديث عند أصحاب الصحيح .

وسلم ، وأَيَزَجَمَنَّ كَارَجَعَ موسى عليه السلام ، حتى كَلَّمَهُ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ،
وَذَكَّرَهُ بِالْآيَةِ ، فَهَمَزَ حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَا كَانَ مِنْ ثَبَاتٍ جَاشٍ
أَبَى بِكْرٍ وَقُوتهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ^(١) ، فَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مِنْ شِدَّةِ النَّأَلِ ، وَتَمَلَّقَ الْقَلْبَ بِالْإِلَهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ،
فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدِمَات ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَتَّى لَا يَمُوت . وَمِنْ قُوَّةِ
نَأَالِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
رَدِّ جَيْشِ أُسَامَةَ حِينَ رَأَوْا الرَّدَّةَ قَدْ اسْتَعَرَّتْ نَارُهَا ، وَخَافُوا عَلَى نِسَاءِ
الْمَدِينَةِ وَذَرَارِيِّهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ لَعِبَتِ الْكَلَابُ بِتَحْلِيلِ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ ،
مَارَدَدْتُ جَيْشًا أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَّمَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ،
وَسَالَمَ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ ، وَكَانَ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنْ يُخَالِفَ رَأْيَهُ رَأَى سَالِمًا ،
فَكَلَّمُوهُ أَنْ يَدْعَ لِلْعَرَبِ زَكَاةَ ذَلِكَ الْعَامِ تَأَلَّفًا لَهُمْ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ الْأَمْرُ ، فَقَدْ
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَأَلَّفُهُمْ ، وَكَلَّمَهُ عُمَرُ أَنْ يُؤَلَّى مَكَانَ
أُسَامَةَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْهُ ، وَأَجْلَدُ ، فَأَخَذَ بِلُحْيَةِ عُمَرَ ، وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ
أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ حَالٍ عَقْدًا عَقْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَاللَّهُ لَأَنْ أُخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَتَخْطِفَنِي الطَّيْرُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) مَا أَجَلَ مَا عَبَّرَتْ بِهِ عَائِشَةُ عَنْ مَوْقِفِهِمَا حِينَ قَالَتْ - كَأُورِدُنِي الْبُخَارَى -
وَقَالَ كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا ، لَقَدْ خُوفَ هَرَمُ النَّاسِ ،
وَلَمْ يَفْهَمُوا لِنَفَاقَا ، فَرَدَّمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَقِيَ بَصْرَ أَبِي بَكْرٍ النَّاسِ الْهَدَى ، وَعَرَفَهُمْ
الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِمْ ،

أَمَّا لَكُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَقَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ لَوْ أَفْرَدْتُ مِنْ جَمِيعِكُمْ لِقَاتِلَهُمْ
وَحَدَى حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالَفَتِي ، وَلَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا ، لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، أَوْ فِي شَكِّ
أَنْتُمْ ، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ لَحَقُّ . وَإِنْ قَوْلُهُ أَصْدَقُ ، وَلَيُظَاهِرَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، وَلَوْ كَرِهَ
الشُّرَكَوْنَ . ثُمَّ خَرَجَ وَحْدَهُ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ ^(١) حَتَّى اتَّبَعُوهُ ، وَسَمِعَ الصَّوْتَ بَيْنَ
يَدَيْهِ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ إِلَّا إِنْ الْخَلِيفَةَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ الْهَرَبَ الْهَرَبَ ، حَتَّى اتَّصَلَ
الصَّوْتُ مِنْ يَوْمِهِ بِبِلَادِ حَمِيرَ ، وَكَذَلِكَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ
يُلَوِّحُ الْفَرْقُ فِي الثَّأْلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ حِينَ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ بَعْنِي فِي صَلَاةِ
الْأَيْلِ ، فَقَالَ : قَدْ أَسَمِعْتُ مَنْ نَاجَيْتَ ، وَقَالَ : لِلْفَارُوقِ : سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَرَفَعُ
مِنْ صَوْتِكَ ، فَقَالَ : كَيْ أَطْرُدَ الشَّيْطَانَ ، وَأَوْقُظَ الْوَسْطَانَ . قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ
ابْنُ هَوَازِنَ الْقَشِيرِيُّ ^(٢) ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ : انْظُرُوا إِلَى فَضْلِ الصَّدِّيقِ عَلَى
الْفَارُوقِ ، هَذَا فِي مَقَامِ الْمَجَاهِدَةِ ، وَهَذَا فِي بَسَاطَةِ الْمُشَاهَدَةِ ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ
مِنْهُ يَوْمَ بَدْرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَقَالَاتِهِ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَهُوَ مَعَهُ
فِي الْقَرِيشِ ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِ الصَّدَقَةِ حِينَ رَغِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِيهَا ، فَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ ، وَجَاءَ الصَّدِّيقُ بِجَمِيعِ مَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَقِيَتْ لَأَهْلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَكَذَلِكَ فُتِيَ فِي قَسَمِ
النَّبِيِّ حِينَ سَوَّى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ : هُمْ إِخْوَةٌ ، أَبُومُ الْإِسْلَامِ ، فَهُمْ فِي هَذَا

(١) مكان على جريد من المدينة. وهناك غيرة، فانظر المشترك وضماً لياقوت.

(٢) هو صاحب الرسالة القشيرية التي دس فيها من التصوف نزغات صارفة

النبي أسوة ، وأجور أهل السوابق على الله . وفضل عمر في قسم النبي بعضهم على بعض على حسب سوابقهم ، ثم قال في آخر عمره : لن يبيت إلى قائل لا سوين بين الناس ، وأراد الرجوع إلى رأي أبي بكر ، ذكره أبو عبيد رضي الله عنه ، وعن جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

صاحبت الصحابة عقب وفاته صلى الله عليه وسلم :

ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قبض ، وارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة ، دُهِشَ الناس ، وطاشت عقولهم وأفعموا ، واختلطوا . فمنهم من خيل ، ومنهم من أضيّت ، ومنهم من أقعد إلى أرض ، فكان عمر من خيل وجعل يصيح ، ويخلف : ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان ممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويُبجأ ، ولا يستطيع كلاما ، وكان ممن أقعد : علي ، رضي الله عنه ، فلم يستطع حراكا ، وأما عبيد الله بن أنيس ، فأضني حتى مات كمدًا ، وبلغ الخبر أبا بكر رضي الله عنه ، وهو بالشُّج (١) ، فجاء وعيناه مملأتان ، وزفراته تتردد في صدره ، وغصصه ترتفع كقطع الجرة ، وهو في ذلك رضوان الله عليه ، جلد القمل والمقالة ، حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكب عليه ، وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه ، وجعل يبكي ، ويقول : بأبي

(١) ضبطها البكري بهم النون وغيره بسكونها .

أَنْتِ وَأُمِّي طَيِّبَتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك مالم يَنْقَطِعْ لموتِ أَحَدٍ من
الأنبياء من الذُّبُورَةِ ، فَعَظُمْتَ عن الصُّفَةِ ، وَجَلَّتْ عن البُكَاءِ ، وخصصت
حتى صِرْتَ مَسَلَّةً ، وعممت حتى صِرنا فيك سَوَاءً ، ولو أن مَوْتَكَ كان
اختياراً لُجِدْنَا لمَوْتِكَ بالنفوسِ ، ولولا أنك نَهَيْتَ عن البُكَاءِ لَأَنفَدْنَا
عليك ماءَ الشُّنُونِ ، فأما مالا نستطيع نَفْيَهُ فَكَمَدًا وَإِذْنًا يَتَحَالَفَانِ
لَا يَبْرَحَانِ ، اللهم أبلغه عَنَّا ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدٌ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلَدَسْكُنْ مِنْ
بَالِكَ (١) ، فلولاً مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ ، لَمْ تَقُمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ،
اللهم أبلغ نَبِيِّكَ عَنَّا ، واحفظه فينا ، ثم خرج لما قَضَى النَّاسُ عُجْرَاتِهِمْ ، وقام
خطيباً فيهم بِخُطْبَةٍ جُلِّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال
فيها : اشهد أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الكتابَ كما نزل ، وأن الدينَ كما شرع ،
وأن الحديثَ كما حَدَّثَ ، وأن القولَ كما قال ، وأن الله هو الحقُّ المبين ، في كلامٍ
طويلٍ ، ثم قال : أيها الناسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ
يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وأن الله قد تقدم لكم في أمرِهِ ، فلا تدَعُوهُ
جزعاً ، وأن الله تبارك وتعالى قد اختارَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما عنده على ما عندهم ،
وقبضه إلى ثوابِهِ ، وخلفَ فيكم كتابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، فمن أخذَ بهما عَرَفَ ،
ومن فرقَ بينهما أُنْكَرَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾
وَلَا يَسْخَفَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَلَا يَلْفَقَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، وَعَاجِلُوا

الشيطان بِالْخَزَى تُعْجِزُوهُ ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيَلْحَقَ بِكُمْ . فلما فرغ من خُطْبَتِهِ ، قال : يَا عُمَرُ أَنْتَ الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ عَلَى بَابِ نَبِيِّ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ : مَا مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا ، وَكَذَا ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنْكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فقال عمر : وَاللَّهِ لَسْكَأُنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْآنَ لِمَا نَزَلَ بِنَاءً أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ لَا يَمُوتُ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ صلواتُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ ، وَعَفْدُ اللَّهِ تَحْتَسِبُ رَسُولُهُ . وقال عمر فيما كَانَ مِنْهُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقَيْتُ أَنَّكَ مَيِّتٌ وَلَكِنَّمَا أَبْدَى الَّذِي قَلْبُهُ الْجَزَعُ ^(١)

وَقُلْتُ يَفْقِيْبُ الْوَحْيُ عِنَّا لَفَقْدِهِ كَمَا غَابَ مُوسَى ، ثُمَّ يَرْجِعُ كَارْجِعٍ

وَكَلَنْ هَوَايَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي بَقَا مَيِّتٍ طَمَعٌ

فَلَمَّا كَشَفْنَا الْبُرْدَ عَنْ حُرٍّ وَجْهِهِ إِذَا الْأَمْرُ بِالْجَزَعِ الْمَوْهَبِ قَدْ وَقَمٌ

فَلَمْ تَكُ لِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حِيلَةٌ أَرَدْتُ بِهَا أَهْلَ الشَّمَاتَةِ وَالْقَدَعِ

سَرَوَى آذَنَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ وَمَا آذَنَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ يَبْعُ

وَقَدْ قُلْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَقَالَةِ قَوْلَةً لَهَا فِي خُلُوقِ الشَّامِتِينَ بِهِ بَشْعٌ

أَلَا إِنْمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ إِلَى أَجَلٍ وَافٍ بِهِ الْوَقْتُ فَانْقَطَعَ

نَدِينَ عَلَى الْعَمَلَاتِ مِنْهَا بِدِينِهِ وَنُعْمَى الَّذِي أُعْطِيَ ، وَنَمْنَعُ مَا مَنَعَ

(١) جزم بدون سبب . وليس في الشعر راتحة من عمر .

ووليت مخزوناً بعين سَخِينَةٍ أَكْفَكِفُ دَمْعِي وَالْفؤَادُ قَدْ انْصَدَعَ
وقلت لعيني : كُلِّ دَمْعٍ ذَخْرَتِهِ مَجْجُودِي بِهِ إِنْ الشَّجِيءُ لَهُ دَفْعُ

وفي هذا الخبر أن عمر قال : فَعِقِرْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، يعني حين قال له
أبو بكر ما قال ، يقال : عَقَرَ الرَّجُلُ إِذَا سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ قَامَتِهِ ، وَحَكَاهُ .
بِقُيُوبٍ عَفَرَ بِالْفَاءِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَفَرِ وَهُوَ التُّرَابُ ، وَصَوَّبَ ابْنُ كَيْسَانَ
الرَّوَايَتَيْنِ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
فَلَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ الثَّمَمُ مَانِزِلَ أَبِي لَهَاضٍ ، ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَاشْتَرَبَ النَّفَاقُ ،
فَمَا اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَةٍ إِلَّا طَارَ أَبِي بَحْطَاءُ وَغَنَاءُهَا ، وَيُرْوَى فِي بُقْطَةٍ بِالْبَاءِ ، قَالَ -
الْهَرَوِيُّ فِي الْغَرَبِيِّينَ ، وَفَسَّرَهُ بِاللَّامَةِ ^(١) ، وَنَحْوُهَا ، وَاسْتَشْهَدَ بِالْحَدِيثِ .
فِي النَّهْيِ عَنِ بَقْعِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ أَنْ يُقَطَّعَ شَجَرُهَا فَتَتَخَذَ بُقْعًا لِلزَّرْعِ ،
وَبُقْطُهَا ضَرْبٌ مِنَ الْمُخَابَرَةِ قَدْ فُسِّرَ .

كيف صلى على جنازته عليه السلام؟

ذكر ابن إسحاق وغيره أن المسلمين صَلُّوا عَلَيْهِ أَفْذَاذًا ، لَا يَوْمُهُمْ أَحَدٌ ،
كَمَا جَاءَتْ طَائِفَةٌ صَلَّتْ عَلَيْهِ ، وَهَذَا خُصُوصٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَا يَكُونُ هَذَا الْفِعْلُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ ^(٢) ، وَكَذَلِكَ رَوَى أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ ،

(١) فِي اللَّسَانِ : الْبُقْطَةُ : الْبُقْعَةُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ أَوْ الْفَرَقَةِ مِنَ النَّاسِ .
(٢) حَدَّثَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ . وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي التَّمَتُّعِ ،
إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمِيمَةَ . وَعَنْ أَبِي عَسِيبٍ —

ذكره الطبري مُسنّداً ، ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية ألا تكون بإمام ، والصلاة عليه عند موته داخلة في لفظ الآية ، وهي مُتَنَاولَةٌ لها ، وللصلاة عليه على كل حال ، وأيضاً فإن الرب تبارك وتعالى ، قد أخبر أنه يُصَلَّى عليه وملائكته ، فإذا كان الرب تعالى هو المصلّي والملائكة قبل المؤمنين ، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تبعاً لصلاة الملائكة ، وأن تكون الملائكة هم الإمام ، والحديث الذي ذكرته عن الطبري فيه طول ، وقد رَوَاهُ البزار أيضاً من طريق مُرَّة عن ابن مسعود ، وفيه أنه حين جمع أهله في بيت عائشة - رضى الله عنها - أنهم قالوا : فمن يُصَلِّي عليك يا رسول الله؟

== عند أحد أنه شهد الصلاة على رسول الله ص ، يقال : كيف نصلى عليك؟ قال . ادخلوا أرسالا . وعن جابر وابن عباس أيضاً عند الطبراني ، وفي إسناده عبد المنعم ابن إدريس وهو كذاب ، وفيه قال البزار : إنه موضوع . وعن ابن مسعود عند الحاكم بسند واه . وعن نبيط بن شريط عند البيهقي وذكره مالك بلاغا . وفي الحديث أن الصلاة كانت عليه فرادى ، الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان . قال ابن عبد البر : وصلاة الناس عليه أفراداً بجمع عليه عند أهل السير ، وجماعة : أهل القل لا يختلفون فيه ، وذهب ابن دحية بأن ابن القصار - بكى الخلاف فيه ، هل صلوا عليه الصلاة المأمودة أو دعوا فقط ، وهل صلوا فرادى أو جماعة .. قال ابن دحية : والصحيح أن المسلمين صلوا عليه أفراداً لا يؤمهم أحد ، وبه جزم الشافعي ، قال : وذلك لعظم رسول الله ص ، بأبي هو وأمي ، وتنافسهم في ألا يتول الإمامة عليه في الصلاة واحد . قال ابن دحية : كان المصلون عليه ثلاثون ألفاً . أنظر نيل الأوطار ص ٤١ - ٤٢ ط ١٣٥٧ ، والخمسة نص للسيوطي ص ٢٩٤ ط دار الكتب الحديثة بتحقيق الاستاذ محمد خليل هراس .

قال : قَهَّلاً غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خيراً ، فَبَسَكُنَا وَبَكَى النَّبِيُّ -
صلى الله عليه وسلم- فقال : إِذَا غَسَلْتُمُونِي ، وَكَفَنْتُمُونِي ، فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي
فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً ، فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَصَلُّى
عَلَى جَلِيسِي وَخَلِيلِي جِبْرِيلُ ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ
جُنُودِهِ ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَى فَوْجاً بَعْدَ فَوْجٍ ، فَصَلُّوا عَلَى
وَسَلِّمُوا ، تَسْلِيماً ، وَلَا تُؤْذُونِي بِتَرْكِئَةٍ ، وَلَا ضَجَّةٍ ، وَلَا رَنَّةٍ ، وَابْتَدِءُوا بِالصَّلَاةِ
عَلَى رِجَالِ بَيْتِي ثُمَّ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْتُمْ بَعْدَ اقْرَؤُوا أَنْفُسَكُمْ السَّلَامَ مِنِّي ، وَمَنْ غَابَ
مِنْ أَصْحَابِي فَاقْرَءُوهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَمَنْ تَابِعَكُمْ بَعْدِي عَلَى دِينِي ، فَاقْرَءُوهُ مِنِّي
السَّلَامَ ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ تَابَعَنِي عَلَى دِينِي مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، قُلْتُ : فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةِ كَثِيرٍ
يُرُونَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ^(١) .

مَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ خُطْبَانِ :

فَقُصِّلُ : وَكَانَ مَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُطْباً كَالِحاً ، وَرُزْزَءُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
فَادْحاً ، كَادَتْ تُهْدِلُهُ الْجِبَالُ ، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ ، وَتَسْكُفُ النَّيِّرَاتُ ، -
لَا نَقْطَاعَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَفَقْدَ مَنْ لَا عِوَضَ مِنْهُ ، مَعَ مَا آذَنَ بِهِ مَوْتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
مِنَ الْفِتَنِ السُّخْمِ ، وَالْخُودَاتِ الْوُثْمِ ، وَالْكَرْبِ الْمُدَاهِمَةِ ، وَالْهَزَازِ

(١) لَا أَدْرِي كَيْفَ يَعْتَمَدُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ
الصَّحِيحِ وَالَّذِي طَعَنَ فِيهِ تَقْدَةُ الْحَدِيثِ ؟

الْمُضْلَعَةُ ، فَلَوْلَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ السَّكِينَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَسْرَجَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ ، وَشَرَحَ لَهُ صُدُورَهُمْ مِنْ فَهْمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ
لَا تَقْصَمَتِ الظُّهُورُ ، وَضَاقَتْ عَنِ الْكَرْبِ الصُّدُورُ ، وَلَمَّا قَهُمُ الْجَزَعُ عَنْ تَذْيِيرِ
الْأُمُورِ ، فَقَدْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ ، وَمَدَّ إِلَى إِبْغَائِهِمْ مَطَامِعَهُ ،
فَأَوْقَدَ نَارَ الشَّنَآنِ ، وَنَصَبَ رَايَةَ الْخِلَافِ ، وَلَكِنْ أَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
إِلَّا أَنْ يُنْمَ نُورُهُ ، وَيُعْلَى كَلَامَتُهُ ، وَيُنْجِزَ مَوْعِدَهُ ، فَأُطْفِئَ نَارَ الرَّدَّةِ ، وَحَسِمَ
قَادَةَ الْخِلَافِ وَالْفِتْنَةِ عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهْلَكَتْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، وَلَقَدْ كَانَ مَنْ قَدَّمَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَئِذٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا سَمِعُوا أَهْلَهَا ضَجِيجًا ، وَلِلْبَكَاءِ فِي جَمِيعِ
أَرْجَائِهَا عَجِيجًا ، حَتَّى صَحِبَتِ الْخُلُوفُ ، وَزُفَّتِ الدَّمُوعُ ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ ،
وَلَنْ بَعْدَهُمْ ، كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي ذُوئَيْبٍ الْهَذَلِيُّ ، وَاسْمُهُ : خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ ،
وَقِيلَ ابْنُ مُحَرَّثٍ ^(١) قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيلٌ
فَاسْتَشْعَرَتْ حُزْنًا وَبَثُّ بِأَطْوَلِ لَيْلَةٍ لَا يَنْجَابُ دَيْجُورُهَا ، وَلَا يَطْلُعُ نُورُهَا ،
فَظَلَّتْ أَقَاسِي طَوْلَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحَرِ أَغْفَيْتُ ، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ ،
وَهُوَ يَقُولُ :

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الْأَطَامِ
فِيضُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَيُونُنَا تُذْهِبُ الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

(١) هو شاعر جاهلي إسلامي مات أيام عثمان ، وعامة شعره في إسلامه ، وحضر

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزِعاً ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سَمَدَ الذَّابِح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العَرَب ، وعلمت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قُبِض ، وهو ميت من علَّته ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجرُ به ، فعَنَ لِي شَيْهَمٌ ، يعني : القُنْفُذَ قد قَبِضَ على صِلَةٍ ، يعني : الحَيَّة ، فهي تَلْتَوِي عليه ، والشَّيْهَمُ يَقْضُمُها حتى أكلها ، فزَجَرْتُ ذلك ، وقلت : شَيْهَمٌ شَيْءٌ مِنْهُمْ ، وَالتَّوَاء الصَّلَّ التَّوَاء الناس عن الحق على القائم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أَكَلُ الشَّيْهَمَ إِبَّاهَا غلبَةُ القائم بعده على الأمر . فَحَدَّثْتُ نَاقَتِي ، حتى إذا كنتُ بِالعَابَةِ زَجَرْتُ الطَّائِرَ فَأَخْبَرَنِي بِوَفَاتِهِ ، وَنَعَبَ غُرَابٌ سَائِحٌ فنطق مثل ذلك ، فتعوَّذْتُ بالله من شرِّ ما عَنَ لِي في طريقي ، وقدمت المدينة ولها ضَجِيجٌ بالبكاء كضَجِيجِ الخُجَيج ، إذا أَهْلُوا بِالْإِحْرَامِ ، فقلت : مَنْه ؟ فقالوا : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ فوجدته خالياً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصْبَتُ بَابَهُ مُرْتَجِجاً ، وقيل هو مُسَجِّجٌ قد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، صاروا إلى الْأَنْصَار ، فَجِئْتُ إلى السَّقِيفَةِ فَأَصْبَتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ وسالماً وجماعةً من قُرَيْشٍ ، ورأيت الْأَنْصَارَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وفيهم شعراؤهم حسانُ بنُ ثابتٍ وكُثُوبُ بْنُ مَالِكٍ وَمَلَأَ مِنْهُمْ ، فَأَوَيْتُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وتكلمت الْأَنْصَارُ ، فأطالوا الْخُطَابَ وَأَكْثَرُوا الصَّوَابَ وتكلم أبو بكر رضي الله عنه ، فَاللهَ دَرَّه مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الْكَلَامَ . ويعلم مواضع فصلِ الْخُطَابِ ، واللهِ لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامعٌ إِلَّا انْقَادَ لَهُ ، ومال إليه ، ثم تكلم عُمرُ ، رضي الله عنه ، بعده دون كلامه ، ومدَّ يده ،

فبايعه وبايعوه ، ورجع أبو بكر ، ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت
الصلاة على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه ، ثم أنشد أبو ذؤيب
بيكي النبي صلى الله عليه وسلم :

لما رأيتُ الناسَ في عَسَلَانِهِم من بين مَلْحُودٍ له ومُضَرَّحٍ
مُتَبَادِرِينَ لِشَرَجٍ بِأَكْثَمِهِم نَصَّ الرِّقَابِ لِقَدِ أَبْيَضَ أَزْوَاجِ
فَهَنَّاكَ صَرْتُ إِلَى الْمُؤَمِّمِ ، وَمَنْ يَدِئُ جَارَ الْهُمُومِ بَيْتِ غَيْرِ مُرَوَّحٍ
كَسَمْتُ لِمَصْرَعِ النَّجُومِ وَبَدْرُهَا وَتَزَعَزَعَتْ آطَامُ بَطْنِ الْأَبْطَحِ
وَتَزَعَزَعَتْ أَجْنَالُ يَثْرِبَ كُلِّهَا وَنَحِيلُهَا لِحُلُولِ خَطْبِ مُنْدَحِ
وَلَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمُصَابِهِ ، وَزَجَرْتُ سَعْدَ الْأَذْبَحِ
وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بَيْكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم :

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي الْمَصِيبَةِ فِيهِ طَوْلُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَلِكَ فِيمَا أُصِيبَ السَّلْمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قَيْلٍ : قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاها نَكَادُ بِنَا جَوَانِبَهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالنَّزِيلَ فِينَا بِرُوحٍ بِهِ وَيَقْدُو جِبْرِيلُ
وَذَلِكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ نَفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَرَبْتَ تَسِيلُ
نَهْيٌ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
(م ٢٨ — الروض الأفج ٧)

ويَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عَذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ، ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرِ أَيْيِكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ
ولما توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودفن ورجع المهاجرون والأنصار
لى رحالهم ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْقَصْرَانِ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ
فَلْيَبْنِكِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَتَبْنِكِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِ
وَلْيَبْنِكِ الطَّوْدُ الْعَظِيمُ جَوْهَ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَانِمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ ضَوْؤُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ
[نَفَعِي فِدَاؤُكَ مَا لِرَأْسِكَ مَائِلًا مَا وَسَّدُوكَ وَمَادَّةَ الْوَسْثَانِ]

الاختلاف في كفنه :

فصل : وأما الاختلاف في كفنه عليه السلام كم ثوباً كان ، وفي الدين أدخلوه قبره ونزلوا فيه ، فـكثير ، وأصح ما روى في كفنه أنه كُفِّنَ في ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضٍ سَحَوِيَّةٍ^(١) ، وكانت تلك الأثوابُ من كُرْسُفٍ^(٢) ، وكه ملك قميصُه عليه السلام كان من قُطْنٍ ، ووقع في السيرة من غير رواية البَكاكِي أنها كانت إزاراً ورداء ، ولُفَافَةً ، وهو موجود في كتب الحديث وفي الشُّرُوحات ، وكانت اللَّيْنُ التي نُضِدَّتْ عليه في قبره نِسْعَ كِبَنَاتٍ .

وذكر ابن إسحاق فيمن أَلَحَّدَهُ شُعْرَانُ مَوْلَاهُ ، واسمه : صَالِحٌ . وشهد بديراً ، وهو عبد قبل أن يُعْتَقَ ، فلم يُسَمِّهِمْ لَهُ ، انقرض عقبه فلا عقب له .

وذكر ابن إسحاق مَرَّائِي حَسَّانَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس فيها ما يُشْكَلُ فَتَشْرُحُهُ ، وقد رثاه كثيرٌ من الشعراء وغيرهم . وأكثروا

(١) يضم السين والحاء ، ويفتح السين أشهر نسبة إلى سحول قرية باليمن . قال ابن الأعرابي : رهي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن . وقال ابن قتيبة ثياب بيض ، ولم يخصها بالقطن ، وفي رواية للبخاري . سحول بدوئ نسبة . وهو جمع سحل ، والسحل : الثوب الأبيض النقي . وقيل هي بالضم نسبة إلى القرية ، وبالفتح نسبة إلى القصار لأنه يسحل الثياب ، أي ينقيها . وكونه كفن في ثلاثة أثواب بيض سحواية جدد يمانية ليس فيها قبص ولا عمامة أدرج فيها إزاراً هو من رواية الجماعة .

(٢) القطن .

أُخْمِمَ المصائبُ عن القول ، وأعجزتهم الصَّفةُ عن التَّأْيِينِ ، ولن يبلغ بالإطْغاب
في مَدْح ولا رِثاء في كُنْه محاسنه عليه السلام ولا قَدْر مصيبة فقده على أهل
الإسلام ، فصلَّى الله عليه وعلى آله صلاةً تتَّصل مَدَى اللَّيَالِي والأَيَّام ، وأَحْلَه
أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام ، وجزاه عنا أَفْضَلَ ما جَزَى به نَبِيًّا
عن أُمَّته ، ولا خالف بنا عن مِلَّتِهِ ، إِنَّهُ وَلِيُّ الطَّوْلِ وَالْمُضِلِّ والإِنْعَام ، وهو
حَسْبُنَا ونَعْم الوَكِيلُ ، والحمد لله رب العالمين .

« تم الكتاب بحمد الله رب العالمين »

وكان الفراغ من تحقيقه في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين

صباح يوم الاثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ - ١٨ من

نوفبر سنة ١٩٦٨ م بمدينة الزهراء بوادي حوف

خاتمة

الحمد لله رب العالمين

بهذا الحمد الذى يجيش به القلب ، وتفيض الحياة ، ويتجاوب الوجود ،
أختم على فى هذا الكتاب الذى يتناول سيرة أقدس وأنبل حياة بشرية ،
كانت للناس نوراً وحياة ورحمة ، حياة خاتم النبيين محمد « صلوات الله وسلامه
عليه » الذى بمشه الله لأمته ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويملهم الكتاب
والحكمة فنه ، محقق ما وعد به الله ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، إيماناً ،
وخلقاً ، وسلوكاً فى الحياة ، وتحكماً لهدى القرآن فى شئون الحياة .

وشهد الله لقد بذلت من الجهد ما أملك ، وحاولت أن أقوم بما هو
مفروض على نحو هذا الكتاب « الروض الأنف » الذى سيطر على المعارف
الإسلامية قروناً متطاوالت .

فهو فوق كونه شرحاً وتحقيقاً لسيرة ابن هشام ، يضم بين دفتيه كل أثر
للتقافة الشاملة ، التى كان الإمام السهيلي عليها فى عصره ، والتى بسببها كان
مصدراً لأمثال هؤلاء الأعلام « الإمام ابن القيم ، والإمام الحافظ ابن حجر
المستقلان ، وابن منظور » فى لسان العرب .

الكتاب سيرة ، وتاريخ ، وفقه ، وعقيدة ، ونحو ، وأدب . والسميلى إمام
كبير فى كل ذلك .

وقد حاولتُ جهدى تحقيق كل مسائله بالرجوع إلى نفس مصادره التى عنها أخذ ، أو بالرجوع إلى المكتب التى عنه أخذت ونقدت ، حتى استوى الكتاب على هذه الصورة المشرفة المشرقة التى صوّبت ما كان من أخطاء كثيرة فى طبعته الأولى .

ولقد كان فى طبعته الأولى جزءين فى مجلد ، وهما هو فى سبعة أجزاء كبار ، تجمع بين سيرة ابن هشام ، وبين « الروض الأنف » وبين تحقيقى لاروض . ومثل هذه المكتب الجادة التى تمثل تراثنا الفكرى الإسلامى أصدق تمثيل ، لا يُقبل عليها الناشرون كثيراً . ولكن صاحب « دار المكتب الحديثة » أقدم على هذا ، مصابراً الزمن الذى قضيته فى تحقيق الكتاب ومقداره ثلاث سنوات ، استغرقتُ فيها اليوم كله إلا قليلا . ولقد كنتُ حين أقبل على الكتاب أضمرع إلى الله أن ياهمنى الصواب فيما أكتب ، وأضمرع إليه الآن سبحانه أن يكون قد استجاب دعائى .

وفى السهلى مَسٌّ من أشعرية ، كان يبتعد به أحيانا عن السلفية ، فلم تمنعنا إمامته الكبرى عن نقده ، وبيان الصواب فى المسألة .

ولقد قمتُ بتصحيح تجارب طبع ثلاثة أجزاء من الكتاب ، ثم انتدبتُ لتدريس مادة العقيدة الإسلامية فى قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة ، فى مكة المكرمة ، حرسها الله ، وكلاهما برعايته وحفظه ، فوكلت الدار إلى الأخ « محمود غام غيث » تصحيح تجارب الطبع فى بقية الأجزاء ، والله يجزيه على ما قدم أحسن وأطيب الجزاء .

وأخيراً وبعد حمد الله وشكره أشكر الشاب الكريم « أحمد حمدى شعبان »

صاحب دار النصر للطباعة ، والإخوة العاملين في الدار ، على هذا الجهد الكريم
السخي ، الذي بذلوه في طبع الكتاب .

وجزى الله صاحب «دار الكتب الحديثة» على ما ينشر من كتب الخير
والحق والموسوعات الإسلامية الجلادة .

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين محمد .

والحمد لله رب العالمين

مكة المكرمة ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٠
٥ يونيو سنة ١٩٧٠

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

أستاذ العقيدة الإسلامية
في قسم الدراسات العليا
بكلية الشريعة

فهرس

الجزء السابع من الروض الأتف

ص	ص
٢١ شعر كمب في بكاء قتل مؤنة وس.	٥ مقدمة الجزء السابع
٢٢ شعر حسان في بكاء جعفر بن أبي طالب وس.	٧ عمرة القضاء في ذى القعدة سنة سبع وس. (١)
٢٣ شعر حسان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة وس.	١٥ ذكر غزوة مؤنة في جادى الأولى سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة وس.
٢٤ شهداء مؤنة وس.	١٤ لقاء الروم وس.
٢٥ عمرة للقضية	١٤ مقتل ابن حارثة وس.
٢٧ حكم العمرة	١٤ إمارة جعفر ومقتله وس.
٢٨ تفسير شعر عمار	١٥ استشهاد جعفر وابن رواحة وس.
٢٨ حكم الزواج المحرم	١٦ عمل خالد وس.
٢١ غزوة مؤنة	١٦ تنبؤ الرسول بما حدث وس.
٢١ تفسير (ولمن نسك إلا وادها)	١٧ حزن الرسول على جعفر وس.
٢٢ شرح شعر ابن رواحة	١٨ كاهنة حدش وس.
٣٦ تقرر جعفر فرسه ومقتله	١٩ كيف تلقى الجيش وس.
٣٨ معنى الجناحين	١٩ شعر نفيس في الاعتذار عن تفهقر خالد وس.
٣٩ فضل ابن رواحة	٢٠ شعر حسان في بكاء قتل مؤنة وس.
٤٠ فضل زيد	
٤٠ رجوع أهل مؤنة	

(١) س رمز عن السيرة . و دن . ل . رمز عن النحو والافه . و ش رمز

عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

ص	ص
٦٥ عرض الجيش س	٤٢ طعام التعزية وغيرها
٦٦ أبو سفيان يحذر أهل مكة س	٤٣ من شعر حسان في رثاء جعفر
٦٦ وصول النبي من إلى ذي طوى س	٤٥ حول شعر كعب
٦٧ إسلام والد أبي بكر س	٤٦ الاسقفاء للقبور عند العرب
٦٨ جيوش المسلمين تدخل مكة س	٤٧ من شعر حسان في رثاء جعفر
٦٨ المهاجرون وسعد س	٤٩ ذكر الأسباب الموجبة للمسير
٦٨ كيف دخل الجيش مكة ؟ س	إلى مكة . وذكر فتح مكة في شهر
٦٩ الذين تعرضوا للمسلمين س	رمضان سنة ثمان س
٧٠ شعار المسلمين يوم الفتح س	٥١ شعر تميم في الاعتذار من فراره
٧١ من أمر الرسول بقتلهم س	عن منبه س
٧٣ أم هانئ تؤمن رجلين س	٥٢ شعر الأخضر في الحرب بين كنانة
٧٤ طواف الرسول بالكعبة س	وخزاعة س
٧٤ خطبته على باب الكعبة س	٥٣ بدبل يرد على الأخضر س
٧٥ إقرار الرسول عثمان بن طلحة على	٥٣ شعر حسان في الحرب بين كنانة
السدانة س	وخزاعة س
٧٥ طعن الصور التي بالبيت س	٥٤ شعر عمرو الخزاز على الرسول
٧٦ دخول الكعبة والصلاة فيها س	يستنصره ورده عليه س
٧٦ إسلام عتاب والحارث بن هشام س	٥٥ ابن ورقاء يشكو إلى الرسول
٧٧ خراش وابن الأنوع س	بالمدينة س
٧٨ بين أبي شريح وابن سعد س	٥٦ أبو سفيان يحاول المصالحة س
٧٩ أول من ودى يوم الفتح س	٥٧ الرسول من بعد لفتح مكة س
٨٠ بدء فتح مكة .	٥٨ حسان يحرض الناس س
٨٠ حول شعر تميم	٥٨ كتاب حاطب إلى قريش س
٨١ حول شعر الأخضر	٦٠ خروج الرسول في رمضان س
٨٢ حول شعر بدبل	٦٢ قصة إسلام أبي سفيان على يد
	العباس س

ن	ص
١٠٩ أم هاني.	٨٤ حول شعر عمرو بن سالم
١٠٩ عبد الله بن سعد	٨٥ ما قال عمر لأبي سفيان ومعناه
١١٠ تميلة	٨٥ شرح قول فاطمة لأبي سفيان
١١٠ عن ابن تقيذ والقيدتين	٨٦ حاطب بن أبي بلتعة وما كان في كتابه
١١١ عن الديات في خطبة الرسول ص	٨٧ تصحيف هشيم لحاخ
١١٢ الصلاة في السكبة	٨٧ تفسير (تلقون إليهم بالمودة)
١١٤ كسر الاصنام ص	٨٨ قتل الجاسوس
١١٤ قصة إسلام فضالة ص	٨٩ عن عبد الله بن أبي أمية
١١٥ أمان الرسول لصفوان بن أمية ص	٨٩ عن أبي سفيان بن الحارث وابنه
١١٦ إسلام عكرمة وصفوان ص	وقصيدة
١١٦ إسلام ابن الزبير وشعره في ذلك ص	٩٠ وزن فملا (ن . ل)
١١٨ بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجها أم هاني ص	٩٢ عود إلى أبي سفيان
١١٩ عسدة من شهد فتح مكة من المسلمين ص	٩٢ عن إسلام سفيان بن حرب
١١٩ شعر حسان في فتح مكة ص	٩٥ قول هند عن أبي سفيان
١٢١ شعر أنس بن زعيم في الاعتذار إلى الرسول عما قال ابن سالم ص	٩٥ إسلام أبي جحافة
١٢٢ شعر بديل في الرد على ابن زعيم ص	٩٥ حكم الخضاب
١٢٢ شعر بجير في يوم الفتح ص	٩٨ كداء وكدى
١٢٣ شعر ابن مرداس في فتح مكة ص	٩٨ موقف إبراهيم بكداء
١٢٣ إسلام عباس بن مرداس ص	٩٩ موقف الرسول ص من سعد
١٢٤ شعر جعدة في يوم الفتح ص	١٠١ خنيس بن خالد
١٢٤ شعر بجيد في يوم الفتح ص	١٠٣ حول : لماذا ومرثمة
	١٠٣ حول رجزى حماس
	١٠٥ طرف من أحكام أرض مكة
	١٠٦ الهذلي القليل
	١٠٦ هل تميد السكبة عاصياً ؟
	١٠٨ صلاة الفتح

- ١٢٥ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح
إلى بني جذيمة من كنانة ومسير
على لتلاف خط خالد س
- ١٢٦ برادة الرسل ص من عمل
خالد س
- ١٢٨ الاعتذار عن خالد س
- ١٢٨ بين خالد وبين ابن عوف س
- ١٢٩ بين قريش وبين جذيمة س
- ١٢٩ شعر سلمى فيما بين جذيمة
وقريش س
- ١٣٠ شعر ابن مرداس في الرد على
سلمى س
- ١٣٠ الجحاف يرد على سلمى س
- ١٣١ حديث ابن أبي حردد يوم
الفتح س
- ١٣٢ شعر جذيمي في الفتح س
- ١٣٢ وهب يرد على الجذيمي س
- ١٣٣ شعر غلام جذمي هارب أمام
خالد س
- ١٣٣ ارتحاز ابن مساحق حين سمعوا
بخالد س
- ١٣٤ مسير خالد بن الوليد لهدم
العزى س
- ١٣٥ من إسلام أبي سفيان وصاحبيه
- ١٣٦ الحنفاء بنت أبي جهل
- ١٣٧ إسلام الحارث بن همام
- ١٣٨ إسلام بنت أبي جهل
- ١٣٩ هند بنت عتبة
- ١٤٠ عمرو بن سعيد لاعمرو بن الزبير
- ١٤١ أم حكيم بنت الحارث
- ١٤٢ دم ربيعة بن الحارث
- ١٤٢ حول التخيير بين القصاص وبين
الدية
- ١٤٤ انتهى عن اشتغال الصبيان والاحتباء
- ١٤٥ شعر ابن الزبيري
- ١٤٦ حول شعر حسان
- ١٥١ معنى التفصيل في شركا
- ١٥١ يلطم أو يطم د ن ل ،
- ١٥٣ حول شعر أنس بن سليم
- ١٥٤ حول شعر بجير بن زهير
- ١٥٥ عباس بن مرداس والذين
حرموا الخـ
- ١٥٨ شعر جمعة
- ١٥٨ سرية خالد إلى بني خزيمة
- ١٦٠ شعر أبي حردد
- ١٦١ غزوة حنين في سنة ثمان بعدد
الفتح د س ،
- ١٦٥ قصيدة ابن مرداس د س ،
- ١٦٦ ذات أنواط د س ،
- ١٦٦ ثبات الرسول د س ،
- ١٦٧ الذين ثبتوا د س ،
- ١٦٨ الشجاعة بالمسلمين د س ،
- ١٦٨ شعر حسان في هجاء كلفة د س ،

ص	ص
١٩٦ هوازني يذ كر اسلام قومه «س»	١٦٩ شية بمحاول قتل الرسول «س»
١٩٧ جشمية تونی أخويها	١٦٩ في الانتصار بعد الهزيمة
١٩٧ أبو ثواب يهجو قريشاً	١٧٠ رأى أم سليم
١٩٨ ابن وهب يرد على ابن أبي	١٧١ شعر مالك بن عوف في الهزيمة
ثواب	١٧٢ من قتل قتيلاً فله سلبه
١٩٨ شعر خديج في يوم حنين	١٧٣ نزول الملائكة
١٩٩ ذكر عزوة حنين	١٧٣ هزيمة المشركين من أهل حنين
٢٠٠ ابن الصمة والخفساء	١٧٥ راثية ابن مرداس
٢٠١ مالك بن عوف وابن حنيد	١٧٧ مصرع دريد
٢٠٢ حول قصيدة عباس النونية	١٧٨ مصرع أبي عامر الأشعري
٢٠٣ سعد ودهمان	١٧٩ حال بني رثاب في المعركة
٢٠٦ أنا ابن عبد المطلب	١٧٩ موقف قوم مالك بن عوف
٢٠٧ شية ومحاولة قتل الرسول «س»	١٨١ شعر سلمة في فزارة
٢٠٧ أم سليم والفرار يوم حنين	١٨١ عود إلى حديث مصرع أبي عامر
٢٠٩ حول رجز مالك	١٨٢ النهي عن قتل الضعفاء
٢١١ السلب للقاتل	١٨٢ شأن الشجاء وبجاد
٢١٢ نزول الملائكة	١٨٣ شهداء يوم حنين
٢١٣ حول قصيدة ابن مرداس	١٨٤ سبأيا حنين يجمعون
٢١٤ جمع أخ وابن دن «ل»	١٨٤ شعر بجير يوم حنين
٢١٥ من وصف الزبير	١٨٥ شعر لعباس بن مرداس يوم
٢١٥ من أحكام القتال	حنين «س»
٢١٦ حكم رفع اليد في الدماء	١٨٥ ابن عفيف يرد على ابن مرداس
٢١٦ الحفنة وشاهت الوجوه	١٨٦ شعر آخر لعباس بن مرداس
٢١٧ نداء أصحاب الشجرة	١٩٣ شعر ضمهم في يوم حنين
٢١٨ الضحاك بن سفيان	١٩٤ رثاء أبي خراش لابن العجوة
٢١٨ قصيدة ابن مرداس العينية	١٩٥ ابن عوف يعتذر عن قراره

ص	ص
٢٤٠ قصيدة بحير في حنين والطائف	٢١٩ شعر عباس السكاني
٢٤١ أمر أموال هوازن وسبأياها	٢٢٠ الدمام والدأمام درول
وعطايا المؤافسة قلوبهم منها ،	٢٢٠ شعر عباس الفاوي
ولإنعام رسول الله ص فيها س	٢٢٥ القصيدة الراوية
٢٥١ شعر حسان في حرمان الأنصار	٢٢٦ قصيدة عباس السيدنية
٢٥٤ عمرة الرسول من الجعرانة	٢٢٧ قصيدة عباس الميمية
واستخلافه عتاب بن أسيد على	٢٢٨ حول قصيدة ضمضم بن الحارث
على مكة وحج عتاب بالمسلمين	٢٢٩ شعر أبي خراش
سنة ثمان. اغتار الرسول واستخلافه	٢٣٠ من شعر مالك بن عوف
ابن أسيد على مكة س	٢٣١ ذكر غزوة الطائف بعد حنين
٢٥٥ وقت العمرة س	في سنة ثمان د س
٢٥٥ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف	٢٣١ شعر كعب
عن الطائف س	٢٣٣ كنانة يرد على كعب
٢٥٧ قدوم كعب على الرسول وقصيدته	٢٣٣ قصيدة شداد في المسير إلى
اللامية س	الطائف
٢٦٢ استرضاء كعب الأنصار بمدحه	٢٣٣ الطريق إلى الطائف
لإياهم س	٢٣٥ أول من رمى بالمنجنيق
٢٦٣ غزوة الطائف	٢٣٥ يوم الشدة
٢٦٦ آيات الحرب في الطائف	٢٣٥ بين أبي سفيان وثقيف
٢٦٧ حول شعر كعب	٢٣٦ تفسير أبي بكر أرويا الرسول
٢٦٨ شعر كنانة	٢٣٧ سبب ارتحال المسلمين
٢٦٩ أول من رمى بالمنجنيق في الجاهلية	٢٣٧ عينة بن حصن
والإسلام	٢٣٨ العبيد الذين نزلوا من
٢٧٠ غيلان بن سلمة	حصن الطائف
٢٧١ بادية بنت غيلان	٢٣٨ شعر الضحاك وموضوعا
	٢٣٩ الشهداء في يوم الطائف

ص
 ٢٠٤ غزوة تبوك في رجب سنة تسع
 التيق لتوك . س
 ٢٠٤ مدح آخر لكعب
 ٢٠٥ شأن الجد بن قيس س
 ٢٠٦ المنافقون المشبطون س
 ٢٠٦ شعر الضحاك في تحريق بيت
 سويلم س
 ٢٠٧ حض أهل الغنى على النفقة س
 ٢٠٧ قصة البكائين والمعلمين
 والمتخلفين س
 ٢٠٩ المنافقون المتخلفون س
 ١٠٩ إرجاف المنافقين بعلى س
 ٣١٠ قصة أبي خيشمة س
 ٢١١ مرور النبي ص بالحجر س
 ٣١٣ مقالة ابن الاصب س
 ٣١٤ إبطاء أبي ذر س
 ٣١٦ تحذيل المنافقين للمسلمين وما نزل
 فيهم س
 ٣١٧ الصلح مع صاحب أيلة س
 ٣١٧ كتاب الرسول لصاحب أيلة س
 ٣١٧ أكيدر س
 ٣١٩ حديث وادي المشقق ومائه س
 ٣١٩ قيام الرسول على دفن ذى
 الجادين س
 ٣٢٠ لم سمى ذى الجادين ؟ س

ص
 ٢٧٤ المخشون الذين كانوا بالمدينة
 عينة
 ٢٧٤ العبيد الذين نزلوا من حصن
 الطائف
 ٢٧٦ من نسب بجير بن زهير
 ٢٧٦ حول شعر بجير
 ٢٧٨ دحنا ومسح ظهر آدم
 ٢٧٩ حول قول زهير أبى صرد
 ١٨١ من أحكام السبايا
 ٢٨٢ حول سبي حنين
 ٢٨٣ إعطاء المؤلفة فلورهم من الغنائم
 ٢٨٤ وصف عجوز ابن حصن
 ٢٨٤ الأفرع بن حابس
 ٢٨٥ مالك بن عوف
 ٢٨٦ قول النبي وص لمرداس
 ٢٨٧ القباية بين الأفرع وعينة
 ٢٨٨ حديث ذو الخويصرة
 ٢٨٩ شعر حسان في عتابه ص
 ٢٨٩ حول عتاب النبي للأصبار
 ٢٩٠ جميل بن سراقه
 ٢٩١ شعر بجير وكعب ابني زهير
 ٢٩٤ قصيدة بانث سعاد
 ٢٩٨ عن القول والقبل لأعرابا ومعنى
 (ن . ل)
 ٣٠٠ عود إلى بانث سعاد

ص	ص
٢٤٥ ما نزل في أهل النفاق	٢٢٠ أبو رهم في تبوك س
٢٤٦ تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٢٢١ أمر مسجد الضرار عند القفول
٢٤٦ عود إلى ما نزل في أهل النفاق	من غزوة تبوك س
٢٤٧ ما نزل في ذكر أصحاب	٢٢٣ أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر
الصدقات	المعذرين في غزوة تبوك س
٢٤٧ ما نزل فيمن آذوا الرسول	٢٢٤ حديث كعب عن التخلف س
٢٤٩ ما نزل بسبب صلاة النبي	٢٣١ أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر
على ابن أبي	رمضان سنة تسع س
٣٥٠ ما نزل في المستأذنين	٢٣٨ حج أبي بكر بالناس سنة تسع
٣٥١ ما نزل فيمن نأق من الأعراب	واختصاص النبي ص على بن
٣٥١ ما نزل في السابقين	أبي طالب بتأدية أول رادة عنه
من المهاجرين والأنصار	وذكر رادة والقصاص في
٣٥٢ شعر حسان الذي عدد فيه	تفسيرها س
المغازي	٢٤٠ تفسير ابن هشام لبعض المفردات
٣٥٧ ذكر سنة تسع وتسميتها سنة	٢٤٢ اختصاص الرسول علياً بتأدية
الوفود ونزول سورة الفتح	برادة عنه س
٣٥٧ انقياد العرب وإسلامهم	٢٤٢ ما نزل في الأمر بمهاد المشركين س
٣٥٨ غزوة تبوك	٢٤٣ تفسير ابن هشام لبعض الغريب
٣٦٠ إبطاء أبي ذر	٢٤٣ ما نزل في الرد على قريش بادعائهم
٣٦٠ لأعراب كذا وحده (ن. ل)	س
٣٦١ أجأ وسلمي	عمارة البيت
٣٦٢ أ كيدرو الكتاب الذي أرسل إليه	٣٤٣ ما نزل في الأمر بقتال
٣٦٣ الكتاب إلى هراقل	المشركين
٣٦٤ موقفه ص من الهدايا	٣٤٤ ما نزل في أهل الكتابين
٣٦٥ حول قصة البكاكين	٣٤٤ ما نزل في النسيء
	٣٤٥ ما نزل في تبوك

ص	ص
٣٩٠ إسلامهم وتحويل الرسول إليهم من	٣٦٦ معنى كلمة حسن (ن . ل)
٣٩٠ شعر ابن الاعمى في هجاء قيس	٣٦٨ أصحاب مسجد اضرار
بالتعقير إياه	٣٦٩ عن الثلاثة الذين خلفوا
٣١ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن	٣٧٠ زاح عن الباطل (ن . ل)
قيس في الوفاة بن بني عامر .	٣٧١ إسلام ثقيف
بعض رجال الوفد	٣٧١ زوج عروة
٣٩١ تدبير عامر للغدر بالرسول	٣٧٢ حول هدم اللات
٣٩٢ موت عامر بعد عا، الرسول عليه	٣٧٢ فقه حديث كتاب النبي الثقيف
٣٩٢ موت أربد بصاعقة وما نزل	٣٧٣ رج
فيه وفي عامر	٣٧٤ إنزال سورة براءة
٣٩٣ شعر لبدي في بكاء أربد	٣٧٦ ما نزل في سورة براءة
٣٩٦ قدوم ضمام بن ثعلبة وأفدا من	٣٧٧ عن الأجدع بن مالك
بن سعد بن بكر	٣٧٨ إعطاء الجزية عن يد
٣٩٦ سؤاله الرسول أسئلة ثم	٣٧٩ من المأذنين
إسلامه	٣٨٠ قصيدة حسان الميمية
٣٩٨ دعوته قومه للإسلام	٣٨١ تفسير سورة النصر
٣٩٨ قدوم الجارود في وفد عبد	٣٨٣ قدوم وفد بني تميم رزق سورة
القيس	الحجرات . رجال الوفد
٣٩٩ موقفه من قومه في الردة	٣٨٣ شيء عن الحنات
٣٩٩ إسلام ابن ساري	٣٨٤ سائر رجال الوفد
٤٠٠ قدوم وفد بني حنيفة ومعهم	٣٨٤ صياحهم بالرسول وكلمة عطار
مسيلمة الكذاب	٣٨٥ كلمة ثابت في الرد على عطار
٤٠٠ ما كان من الرسول لمسيلمة	٣٨٦ شعر الزبرقان في الفخر بقومه
٤٠١ ارتداداه وتنبؤ	٣٨٨ شعر آخر للزبرقان
	٣٨٩ شعر آخر لحسان في الرد على
	الزبرقان

ص	ص
٤١٦ حبس الروم له وشعره في	٤٠١ قدوم زيد الخيل في وفد طي .
محبيه	إسلامه وموته سن
٤١٧ مقتله	٤٠٢ أمر عدى بن حاتم سن
٤١٨ إسلام بني الحارث بن كعب على	٤٠٤ إسلام عدى سن
يدى خالد بن الوليد لاسار ليهن	٤٠٥ وقوح ما وعد به الرسول
دعوة خالد الناس إلى الإسلام	عدياً سن
وإسلامهم	٤٠٥ قدوم فروة بن مسيك المرادى سن
٤١٩ كتاب الرسول إلى خالد يأمره	٤٠٧ قدوم فروة على الرسول وإسلامه د
بالمجيء	٤٠٧ قدوم عمرو بن معد يكرب في
٤١٩ قدوم خالد مع وفدهم على	أناس من بني زبيد سن
الرسول	٤٠٩ ارتداده وشعره في ذلك سن
٤٢٠ حديث وفدهم مع الرسول	٤٠٩ قدوم الأشعث بن قيس في وفد
٤٢١ بعث الرسول عمر بن حزم بمهده	كندة سن
لاليهم	٤١١ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي
٤٢٣ قدوم رفاعه بن زيد الجذامي .	إسلامه سن
إسلامه وحمله كتاب الرسول	٤١٢ قتاله أهل جرش سن
إلى قومه	٤١٣ إخبار الرسول واعدى جرش بما
٤٢٣ قدوم وفد همدان . أسماؤهم وكلمة	حدث لقومها سن
ابن نمط بين يدى الرسول	٤١٣ إسلام أهل جرش سن
٤٢٥ ذكر الكذابين مسيلة الخنق	٤١٣ قدوم رسول ملوك حير بكتانهم د
والاسود العفى .	٤١٤ كتاب الرسول لاليهم سن
٤٢٥ زودا الرسول فيهما	٤١٥ وصية الرسول معاذاً حين بعثه
٤٢٦ حديث الرسول عن الدجالين د	إلى اليمن . بعث الرسول معاذاً
٤٢٦ خروج الأمراء والعمال على	إلى اليمن وشيء من أمره بهان سن
(م ٣٩ - الروض الأثف ج ٧)	٤١٦ إسلام فروة بن عمرو الجذامى د

ص	
٤٤٥ امرأة مسيلمة	الصدقات . الأمراء وأسماء العمال
٤٤٥ مسعود العذبي	وما تولوه من
٤٤٧ زبد الخليل	٤٢٧ كتاب مسيلمة إلى رسول الله
٤٤٧ أسماء الحمي (ن . ل)	والجواب عنه من
٤٤٨ خبر زبد في رواية أخرى	٤٢٨ قدوم الوفود على رسول الله ص
٤٥٠ قدوم هدى بن حاتم	واند عبد القيس
٤٥١ حديث فروة بمعنى قرو ،	
ون . ل .	٤٢٩ شرح صاحب الحلة
٤٥٢ إبدال آخر حرف في اسم الفاعل	٤٣١ نسب بن الاعمم
(ن . ل)	٤٣١ عن كرسى الله
٤٥٣ قدوم وفد بني الحارث بن كعب	٤٣٣ شعر الزبرقان
٤٥٤ وفود رفاة	٤٣٤ شعر حسان في الرد على الزبرقان
٤٥٧ حجة الوداع . تجوز الرسول	في الميمية والمينية
واستعماله على المدينة بأدجانة من	٤٣٦ شعر آخر لحسان في الرد على
٤٥٨ ما أمر به الرسول عائشة في	الزبرقان
حيضها من	٤٣٦ شرح قول ابن الاعمم لابن عاصم
٤٥٩ موافاة على في ففوله من اليمن	٤٣٦ ما نزل في وفد تميم من الحجرات
رسول الله في الحج . ما أمر به	٤٣٧ إن من البيان لجرأ
الرسول علياً من أمور الحج من	٤٣٨ خبر عامر وأربد
٤٥٩ شكاً علياً جنده إلى الرسول	٤٣٩ عن ليبد
لانتزاعه عنهم حبللاً من بز	٤٤٠ وفد جرش
اليمن من	٤٤١ حديث ضمام
٤٦٠ خطبة الرسول في حجة الوداع من	٤٤٢ حول حديث الجارود
٤٦٢ اسم الصاروخ بكلام الرسول	٤٤٢ وفد بني حنيفة ولسب مسيلمة
وما كان يردده من	٤٤٤ مؤذنا مسيلمة وسجاح

ص	ص
٤٧٣ شأن حسان وأنيف ابني دلة س	٤٦٣ رواية ابن خازجة عما سمعه من
٤٧٤ قدومههم على الرسول وشهـ	الرسول في حجة الوداع س
أبي جمال س	٤٦٣ بعض تعليم الرسول في الحجس
٤٧٧ غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة	٤٦٤ بعث أسامة بن زيد إلى أرض
ومصاب أم قرفة . بعض من	فلسطين س
أصيب بها س	٤٦٤ خروج رسول الله إلى الملوك .
٤٧٧ معاودة زيد لهم س	تذكير الرسول قومه بما حدث
٤٧٧ شأن أم قرفة س	للحواريين حين اختلفوا على
٤٧٨ شعر ابن المسحر في قتل مسعدة س	عيسى س
٤٧٨ غزوة عبدالله برواحة لقتل اليسير	٤٦٥ أسماء الرسل ومن أرسلوا
ابن رزام س	إليهم س
٤٧٨ مقتل اليسير س	٤٦٥ رواية ابن حبيب عن بعث الرسول
٤٧٩ غزوة ابن عتيك خبير س	رسله س
٤٧٩ غزوة عبدالله بن أبيس لقتل	٤٦٦ أسماء رسل عيسى س
خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي	٤٦٧ ذكر جملة الغزوات س
مقتل ابن نبيح س	٤٦٨ ذكر جملة السرايا والبعوث س
٤٨٠ إهداء الرسول عصا لابن	٤٦٨ خبر غزوة غالب بن عبدالله الليثي
أنيس س	بنى الملوح شأن ابن البرصاء س
٤٨١ شعر ابن أنيس في قتله بن نبيح س	٤٦٩ بلاد ابن كيث في هذه الغزوة س
٤٨١ غزوات آخر س	٤٦٩ نجاء المسلمين بالانعم س
٤٨٢ غزوة عيينة بن حصن بن العنبر	٤٧٠ شعار المسلمين في هذه الغزوة س
من بنى تميم . وعد الرسول	٤٧٠ تعريف بعدة غزوات س
عائشة بإعطائها سيدها منهم	٤٧١ غزوة زيد بن حارثة إلى جذام -
لنعتقه س	سيدها س
	٤٧٢ تمكن المسلمين من الكفار س

ص

- ٤٨٢ بعض من سبي وبعض من قتل
وشعر سلمى في ذلك س
٤٨٣ شعر الفرزدق في ذلك
٤٨٣ غزوة غالب بن عبد الله أرض
بنى مرة . مقتل مرداس س
٤٨٤ غزوة عمرو بن العاص ذات
السلاسل . لإرسال عمرو ثم
إمداده س
٤٨٥ وصية أبي بكر رافع بن رافع
٤٨٧ تقسيم عوف الأشجعي الحزور
بين قوم
٤٨٧ غزوة ابن أبي حدرود بطن لضم
قتل عامر بن الأصبط الأشجعي
٤٨٨ ابن حابس وابن حصن يختصمان
في دم ابن الأصبط إلى الرسول س
٤٩٠ موت علم وما حدث له
٤٩٠ دية ابن الأصبط
٤٩١ غزوة ابن أبي حدرود لقتل رفاعة
ابن قيس الجشمي . سبها س
٤٩٢ انتصار المسلمين ونصيب ابن
أبي حدرود من في . استعان به على
الزواج س
٤٩٢ غزوة عبد الرحمن بن عوف
إلى دومة الجندل . شيء من وعظ
الرسول لقومه س
٤٩٤ تأمير ابن عوف واعتماده

ص

- ٤٩٤ غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى
سيف البحر . نفاذ الطعام وخبر
دابة البحر ض
٤٩٥ بعث عمرو بن أمية الضمري
لقتال سفیان بن حرب وما صنع
في طريقه . فدومه مكة ونعرف
القوم عليه س
٤٩٦ قتله أبا سفیان وهربه
٤٩٧ قتله بكرياً في غار
٤٩٧ سرية زيد بن حارثة إلى مدين .
بعثه هو وضميرة وقصة السبي
٤٩٨ سرية سالم بن عمير لقتل أبي
عفك . سبب نفاق أبي عفك
٤٩٩ قتل ابن عمير له شعر المزية
٤٩٩ غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل
عصماء بنت مروان . نفاقها
وشعرها في ذلك س
٥٠٠ شعر حسان في الرد عليها
٥٠٠ خروج الخطمي لقتلها
٥٠٠ شأن بني خطمة
٥٠١ أسر تمامة بن أثال الحنفي وإسلامه
والسريرة التي أسرت تمامة بن أثال
الحنفي . إسلامه س
٥٠٢ خروجه إلى مكة وقصته مع
قريش س

ص	ص
٥٢١ عمرو والجلندي	٥٠٣ سرية علقمة بن مبرز . سبب
٥٢٢ شجاع وجبله	إرسال علقمة
٥٢٣ المهاجر وابن كلال	٥٠٣ دعاية ابن حذافة مع جيشه س
٥٢٤ غزوة عمر	٥٠٤ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين
٥٢٥ ذكر غزوة ذات السلاسل	الذين قتلوا يسارا شأن يسارس
٥٢٦ حرقة	٥٠٤ قتل البجليين وتنكيل الرسول
٥٢٧ أنساب	٣٢ س
٥٢٨ حديث أم قرفة	٥٠٥ غزوة علي بن أبي طالب إلى
٥٢٩ غزوة أبي حدرد	اليمن س
٥٢٩ ثمامة بن أثال	٥٠٥ بعث أسامة بن زيد إلى أرض
٥٣٠ ما زاده ابن هشام عالم يذكره	فلسطين وهو آخر البعوث
ابن إسحاق	٥٠٦ ابتداء شكوى رسول الله صلى الله
٥٣٢ عن خبيب بن عسى	عليه وسلم . بدء الشكوى س
٥٣٣ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم	٥٠٧ تمر بضعه في بيت عائشة س
أمهات المؤمنين . أسماؤهن سن	٥٠٧ حجة الوداع
٥٣٣ زواجه بخديجة	٥١١ بعث أسامة
٥٣٤ بعائشة	٥١٢ عدة الغزوات
٥٢٤ بسودة	٥١٣ إرسال رسول الله صلى الله عليه
٥٣٥ زينب بنت جحش	وسلم إلى الملوك . الحواريون
٥٣٥ بأم سلمة	٥١٣ معنى المسيح ونهايته
٥٣٥ بحفصة	٥١٤ أسطورة زريب
٥٣٦ بأم حبيبة	٥١٦ رسوله إلى النجاشي وقبهر
٥٣٦ بجويرية	٥١٧ رسوله إلى المقوقس
٥٣١ بصفاة	٥١٩ رسوله إلى المنذر بن ساوي
٥٣٨ بميمونة	٥٢٠ مفتاح الجنة
٥٣٨ زينب بنت خزيمة	

- ص ٥٣٩ عدتهن وشأن الرسول
معهن
- س ٥٣٩ تسمية القرشيات منهن
٥٤٠ تسمية العربيات وغيرهن
٥٤١ غير العربيات
٥٤١ تمرى رسول الله في
بيت عائشة .
- ٥٤١ يجيئه إلى بيت عائشة
٥٤١ شدة المرض وصب الماء عليه
٥٤١ كلمة النبي وأخضاصه أبا بكر
بالذكر
- ٥٤٢ أمر الرسول بإنفاذ بعث
أسامة
- ٥٤٣ رصية الرسول بالانصار
٥٤٣ شأن الدود
س ٥٤٤ دعاء الرسول لأسامة
بالإشارة
- ٥٤٥ صلاة أبي بكر بالناس
٥٤٦ اليوم الذي قبض الله فيه
نبيه
- ٥٤٨ شأرك العباس وعلى
٥٤٨ سواك الرسول قبيل الوفاة
- ص ٥٤٩ مقالة عمر بعد وفاة الرسول س
٥٥٠ موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول
٥٥١ أمر سقيفة بني ساعدة . تفرق
الكلمة
٥٥١ ابن عوف ومشورته على عمر
بشأ - بيعة أبي بكر
٥٥٢ خطبة عمر عند بيعة أبي بكر
٥٥٥ تعريف بالرجلين اللذين لقيا
أبا بكر وعمر في طريقهما إلى
السقيفة
٥٥٥ خطبة عمر قبل أبي بكر عند
البيعة العامة
٥٥٦ خطبة أبي بكر
٥٥٧ جهاز رسول الله (ص) ودفنه .
من تولى غسل الرسول
٥٥٨ كيف غسل الرسول ؟
٥٥٨ تكفين الرسول
٥٥٩ حفر القبر
٥٥٩ دفن الرسول والصلاة عليه
٥٦٠ دفن الرسول
٥٦٠ من تولى دفن الرسول
٥٦١ أحدث الناس عهداً بالرسول
٥٦١ خميسة الرسول
٥٦٢ افتتان المسلمين بعد موت الرسول
٥٦٣ شعر حسان برثابت في مرثيته
الرسول

ص	ص
٥٨٠ السواك	٥٦٨ ذكر أزواج النبي عليه السلام
٥٨١ كرامات ومعجزات	٥٦٨ عن عائشة
٥٨٢ موزنة بين عمر وبين أبي بكر	٥٦٩ خديجة وعائشة ومريم
٥٨٥ ماحدث لأصحابه عقب وفاته (ص)	٥٧٠ أم سلمة
٥٨٨ كيف صلى على جنازته عليه السلام؟	٥٧٠ جويرية
٥٩٠ موته عليه السلام كان خطباً كالحلأ	٥٧٠ زينب بنت جحش
٥٩٥ الاختلاف في كفته	٥٧٢ وفاة رسول الله (ص)
٥٩٧ خاتمة	٥٧٣ حديث العباس
٦٠١ فهرس الجزء السابع	٥٧٦ آخر كلمة تكلم بها عليه السلام
	٥٧٨ متى توفي رسول الله؟

